

كُتِبَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي عَشْرَةِ أَلْفِ آيَةٍ  
Chair of Qur'anic Sciences



الإصدار الرابع والعشرون

# علوم القرآن

في  
الأحاديث النبوية

تأليف

د. عمر بن عبد العزيز بن عبد المحسن الدهيشي  
أستاذ تفسير وعلاوم القرآن المساعد بجامعة الملك سعود

كُتِبَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي عَشْرَةِ أَلْفِ آيَةٍ  
جامعة الملك سعود

مغفص السعر

ح كرسى القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود، ١٤٣٦هـ  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر  
الدهيشي، عمر عبد العزيز عبد المحسن  
علوم القرآن في الأحاديث النبوية. / عمر عبد العزيز عبد المحسن  
الدهيشي. - الرياض، ١٤٣٦هـ  
٦٥٦ ص؛ ٢٤×١٧ سم  
ردمك: ١ - ٠ - ٩٠٦٢٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨  
١ - علوم القرآن ٢ - الحديث - مباحث عامة أ. العنوان  
ديوي ٢٢٠ ١٤٣٦/١١٢٧

صَبَّحُ حَقُوقِ طَبْعِ مَحْفُوظَةٌ

لِكُرْسِيِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَعْلُومِهِ

جَامِعَةُ الْمَلِكِ سُعُود

الطَبْعَةُ الْأُولَى

١٤٣٦هـ

يَهْتَمُّ الْكُرْسِيُّ بِنَشْرِ الْبُحُوثِ الْمُمَيَّزَةِ وَالْجَادَّةِ  
فِي التَّفْسِيرِ وَتَعْلُومِهِ تَحْقِيقًا وَدِرَاسَةً

جَامِعَةُ الْمَلِكِ سُعُود - كَلْبَةُ لِبْرَيَّة

هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٦٧٤٧٤٤ - ص.ب. ٢٤٢١٩٩ الرياض ١١٣٢٢

بريد إلكتروني: quranchair@ksu.edu.sa - الموقع: http://c.ksu.edu.sa/quranchair

تويتر: @quranchair

مَتَانِذُ الْبَيْعِ

الرياض: ٤٤٥٦٢٢٩ / ٠١١ - مكة المكرمة: ٥٧٦١٣٧٧ / ٠١٢ - المدينة النبوية: ٠١٤/٨٤٦٧٩٩٩

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ كُرْبِيِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَعُلُومِهِ

الباحث المتخصص في القرآن الكريم وعلومه الشريفة يُدرك كيف تطوَّرَ البحثُ العلمي والتأليف في علوم القرآن بمعناه الاصطلاحي حتى اليوم، وعند التدقيق في مصنفات علوم القرآن على تنوعها نلاحظ القصور في تأصيل مسائل علوم القرآن من خلال الأحاديث النبوية المتفرقة في دواوين كتب السنَّة، رغم أهميتها القصوى في التأصيل العلمي، وضرورة البدء بها عند الحديث والبحث في هذه العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم. غير أنَّ ذلك لم يحدث في مؤلفات علوم القرآن بالصورة التي نطمح إليها، وقد توارثنا كتبًا ومصنفات في علوم القرآن لم تستوعب النظر في الأحاديث النبوية لاستخراج تلك الإشارات التأصيلية لمسائل علوم القرآن، ولم يقدِّم الباحثون المعاصرون بقضاء هذا الدين، والقيام بهذا الواجب حتى وفق الله الباحث الكريم صاحب هذا البحث لذلك.

وقد قال الإمام محمد بن مالك النحوي (ت ٦٧٢هـ) رَحِمَهُ اللهُ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ «التسهيل»: (وإذا كانت العلوم منحا إلهية وموآهب اختصاصية غير مُستبعد أن يُدخَّر لبعض المتأخرين ما عُسِر على كثير من المتقدمين)، وقد أدخَرَ اللهُ فضل الكتابة في هذا الموضوع التأصيلي النفيس للأخ الكريم الدكتور عمر بن عبد العزيز الدهيشي،

عندما وفقه لاختيار موضوع (علوم القرآن في الأحاديث النبوية) لنيل درجة الدكتوراه، وحرص على استيعاب أمهات كتب السنّة في بحثه، وهو ميدانٌ رحبٌ للبحث، يبقى مجاله أوسع من أن يستوعبه بحث أكاديمي واحد لسعة مادته العلميّة، وتفرقتها في المصنفات.

وقد جاء هذا البحث ليسدّ نقصاً في المكتبة القرآنية في التأصيل العلمي لمسائل علوم القرآن من خلال الأحاديث النبوية أرجو أن يتبعه بحوث تسير على المنهج نفسه في دراسة الأحاديث النبوية في بقية مصنفات السنّة النبوية، والأجزاء الحديثية وغيرها حتى تحصل الطمأنينة العلميّة لدينا أننا لم نغفل حديثاً نبوياً يحمل دلالةً مهمة على مسألة من مسائل علوم القرآن دون بحث وكشف وتدقيق، ويبقى البحث العميق في القرآن وعلومه كاشفاً لمزيد من العلم المبارك، وهادياً للتي هي أقوم.

أ.د. عبد الرحمن بن معاضة الشّمهزي  
المؤن على الذّري

## المُقَدِّمَة

الحمد لله الكبير المتعال، تفرد بالجلال والكمال، وأنصف بعظيم الأوصاف والخلال، أحمده حمداً ما تعاقب الغدو والآصال، والصلاة والسلام على من أيده ربه بالمعجزات الباهرات، والبراهين الساطعات، وأعظمها القرآن فيه آياتٌ بينات، فبين مجمله، وحلّ مشكله، وأوضح خصائصه وفضائله، وذكر أحواله وأسباب نزوله، اللهم صلّ وسلم عليه صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فإن لكل علم ديني أو دنيوي مسائل تتعلق به، وأدلة يحتج بها، وتتفاوت تلك الأدلة والحجج والبراهين بتفاوت العلوم واختلافها، فمنها ما مستنده التجربة، ومنها ما حجته العقل المجرد، ومنها ما هو قائم على الفرضيات الرياضية والتقسيمات الحسابية، ومنها ما هو متوقف على الدليلين الأولين والمصدرين الأساسيين، كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وما يلحق بهما من الإجماع والقياس... وهي العلوم الشرعية وفي مقدمتها علم علوم القرآن لتعلقه بالكتاب العزيز.

فالسنة النبوية لا يمكن أن يُستغنى عنها في الحديث عن العلوم الشرعية، والمسائل العلمية المستمدة من الوحيين؛ إذ هي الطريق الواضح والنبراس النيّر في تناول المسائل والبحث عن متعلقاتها ومستلزماتها وأمثلتها... وكلّما ابتعد الباحث أو البحث عنها كلّما تعددت الأقوال، وتنوعت المسالك، وكثر الجدل.

والحاجة ماسة إلى تأصيل العلوم الشرعية من المصادر الأساسية، خاصة مع تيسر الوسائل العلمية، والتقنية الحديثة، ومنها علم (علوم القرآن)؛ فإنه ومع توالي التأليف في هذا العلم ربما وردت أحكام تكون من المسلّمات العلمية، والمسائل التي فُرغ منها، واتفقت فيها الآراء، ثم تظفر بنصوص من السُنَّة النبوية تخالف النتيجة التي تُوصل إليها وخلص فيها.

وقد تظفر بما يدعم القول الذي قيل ويؤيده، فتؤصله من المصادر الأساسية.

أو تكون هناك استطرادات في تعداد صور المسألة وتنوعها، مما صدره الوحيان، وليس عليها دليل يمكن أن يستدل به، أو برهان يُتَّكأ عليه، وما ورد في السُنَّة النبوية فيه الغنية والكفاية.

أو إيجاد مسائل تتعلق بعلم من العلوم تضاف إلى عموم الحديث عنه، وذلك بذكرها والاستدلال عليها.

أو يكون بمعرفة الطريقة النبوية التي تعامل معها في تناوله لـ«علوم القرآن» وكمية الأحاديث التي وردت في ذات العلم... وغير ذلك.

وقد حوت سُنَّة المصطفى - عليه الصلاة والسلام - أحاديث نبوية كثيرة تتعلق بمسائل هذا العلم وأنواع علومه، خاصة في كتب السُنَّة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ورغبة مني في دراسة تأصيلية لجلِّ أنواع العلوم المتعلقة بهذا العلم، وجمع الأحاديث النبوية التي حوتها الأصول الحديثية، وتنزيلها على تلك العلوم سواء أكانت واضحة الدلالة أم خفية الإشارة، واستنباط المسائل والفوائد المتعلقة بها، تقدمت بهذا الموضوع للمجالس العلمية المختصة في الجامعة فتمت الموافقة عليه، وشرعت في جمع الأحاديث من المؤلفات الحديثية التالية، وهي على نحوين:

### الأول: قراءة الكتاب كاملاً:

١ - الكتب التسعة وهي: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن ابن ماجه، مسند الإمام أحمد، موطأ مالك، مسند الدارمي.

٢ - كتب فضائل القرآن: فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن لابن الضريس، فضائل القرآن للفريابي، فضائل القرآن للنسائي، فضائل القرآن للمستغفري، لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وروي الظمان لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن للدماطي، فضائل القرآن لابن كثير.

٣ - مصنفات متفرقة: الجامع لابن وهب، مسند الطيالسي، سنن سعيد بن منصور، أمالي ابن الحاجب، المصاحف لابن أبي داود.

الثاني: قراءة ميطان الأحاديث المتعلقة بعلوم القرآن، وذلك في

المصنفات الآتية:

مصنف عبد الرزاق، مصنف ابن أبي شيبة، سنن النسائي الكبرى، شرح معاني الآثار، سنن الدارقطني، سنن البيهقي (الصغرى والكبرى)، شعب الإيمان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المستدرک للحاكم، مجمع الزوائد، إتحاف الخيرة المهرة، المطالب العالية، كنز العمال.

### \* أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تبرز أهمية الموضوع وأسباب اختياره في نقاطٍ عِدَّةٍ سبق إيراد

بعضها، ومن ذلك:

١ - تأصيل العلوم القرآنية من خلال المصدر الثاني من مصادر

التشريع؛ حيث احتوى على أصول العلوم، ومجمل الفنون الشرعية.

٢ - اشتمال كتب السُّنة النبوية على جملة وافرة من الأحاديث

النبوية المتعلقة بعلوم القرآن، وبعضها في غير مظانها، مما يستوجب

دراستها وضم النظر إلى نظيره، واستنباط المسائل وإيراد الفوائد المتعلقة بهذا العلم في شتى أبوابه وعلومه.

٣ - وجود أحاديث ظاهرها التعارض والمخالفة تتعلق بهذا العلم، مما يستوجب جمعها وتوجيهها من خلال ما نقله شراح الحديث، وقاله علماء التفسير وعلوم القرآن، والاستفادة من تعدد روايات الحديث واختلافها بالاستدلال على مسائل العلوم المختلفة المتعلقة بهذا العلم.

٤ - الاستفادة من الشروح الحديثية في جمع التقريرات العلمية والمسائل المتعلقة بهذا العلم في تلك الكتب.

٥ - تحقيق التكامل بين العلوم الإسلامية، وأنها رحم فيما بينها ولا يمكن أن يستقل علم منها دون حاجته إلى العلم الآخر.

#### \* الدراسات السابقة :

أولاً: الرسائل العلمية في ذات الموضوع.

بعد البحث والاطلاع ومراجعة المؤسسات العلمية، ومراكز البحوث التي تعنى بجمع الرسائل العلمية، لم أجد من تعرض للموضوع في رسالة علمية مستقلة.

ثانياً: الكتب والرسائل الأخرى.

توجد مجموعة رسائل تتعلق بعلوم القرآن من الجانب التدويني والتطور التاريخي في التأليف، وهي رسائل تخصصت في التطور التاريخي للتأليف في علوم القرآن، مع التعريف بأبرز الكتب المؤلفة في تلك الحقبة الزمنية، ومنها:

تاريخ علوم القرآن حتى نهاية القرن الخامس الهجري، وهي رسالة تقدم بها الباحث: أحمد أشرف الدين لنيل درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية.

تاريخ علوم القرآن من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن العاشر،



وهي رسالة تقدم بها الباحث د. محمد القرشي لنيل درجة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية، (١٤١٨هـ).

وهي تختلف عن موضوع الرسالة وأهدافها، والفروق أوضح من أن تذكر وأشهر من أن تعدد.

### \* خطة البحث:

يتكوّن البحث من مقدمة وتمهيد وسبعة فصول وخاتمة وفهارس، وهي على النحو التالي:

• المقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، الدراسات السابقة، خطة البحث، منهج البحث.

• التمهيد، ويشتمل على:

- أهمية تأصيل علوم القرآن من السُّنة النبوية.

- التعريف بعلوم القرآن لغة واصطلاحًا.

- أنواع تصنيف العلوم المتعلقة بالقرآن.

• الفصل الأول: مناهج الأئمة في عرض علوم القرآن (الكتب الستة أنموذجًا)، ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: منهج الإمام البخاري، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: منهجه في عموم الكتاب.

المطلب الثاني: منهجه في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن.

المبحث الثاني: منهج الإمام مسلم، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: منهجه في عموم الكتاب.

المطلب الثاني: منهجه في المواضع المتعلقة بعلوم القرآن.

المبحث الثالث: منهج الإمام أبي داود، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: منهجه في عموم الكتاب.

- المطلب الثاني: منهجه في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن.
- المبحث الرابع: منهج الإمام الترمذي، ويشتمل على مطلبين:
- المطلب الأول: منهجه في عموم الكتاب.
- المطلب الثاني: منهجه في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن.
- المبحث الخامس: منهج الإمام النسائي، ويشتمل على مطلبين:
- المطلب الأول: منهجه في عموم الكتاب.
- المطلب الثاني: منهجه في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن.
- المبحث السادس: منهج الإمام ابن ماجه.
- المبحث السابع: جهود شراح الكتب الستة في علوم القرآن.
- الفصل الثاني: علوم القرآن المتعلقة بنزول الوحي، ويشتمل على خمسة مباحث:
- المبحث الأول: الوحي، ويشتمل على مطلبين:
- المطلب الأول: أحواله.
- المطلب الثاني: مدته.
- المبحث الثاني: نزول القرآن، ويشتمل على ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: أول ما نزل.
- المطلب الثاني: كيفية نزوله.
- المطلب الثالث: مدارسة القرآن.
- المبحث الثالث: أسباب النزول، ويشتمل على ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: الأسباب النبوية.
- المطلب الثاني: صيغ صريحة.
- المطلب الثالث: صيغ محتملة.
- المبحث الرابع: نزول القرآن على سبعة أحرف، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: معنى الأحرف السبعة.
- المطلب الثاني: حقيقة الأحرف السبعة.
- المطلب الثالث: نزول الأحرف السبعة.
- المبحث الخامس: المكي والمدني.
- الفصل الثالث: علوم القرآن المتعلقة بضبط القرآن، ويشتمل على أربعة مباحث:
- المبحث الأول: جمع القرآن، ويشتمل على أربعة مطالب:
- المطلب الأول: كُتَّابه.
- المطلب الثاني: جمعه في الصدور.
- المطلب الثالث: جمعه في السطور.
- المطلب الرابع: الإقراء.
- المبحث الثاني: سور القرآن، ويشتمل على ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: أسماء السور.
- المطلب الثاني: ترتيب (تأليف) السور.
- المطلب الثالث: هل يقال سورة كذا؟
- المبحث الثالث: آيات القرآن، ويشتمل على مطلبين:
- المطلب الأول: ترتيب الآيات توقيفي أم اجتهادي.
- المطلب الثاني: أسماء الآيات.
- المبحث الرابع: أسماء القرآن وأوصافه، ويشتمل على مطلبين:
- المطلب الأول: أسماء القرآن.
- المطلب الثاني: أوصاف القرآن.
- الفصل الرابع: التفسير، ويشتمل على أربعة مباحث:
- المبحث الأول: التفسير النبوي للقرآن، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحض على معرفة التفسير والتحذير من تأويل القرآن بغير علم.

المطلب الثاني: مقدار بيان النبي ﷺ للقرآن.

المطلب الثالث: أقسامه.

المبحث الثاني: بيان السُّنة النبوية للقرآن، ويشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول: تخصيص العام.

المطلب الثاني: بيان المجمل.

المطلب الثالث: بيان المبهم.

المطلب الرابع: بيان الألفاظ.

المطلب الخامس: بيان المشكل.

المطلب السادس: تفصيل القصص.

المطلب السابع: تقييد المطلق.

المبحث الثالث: غريب القرآن.

المبحث الرابع: تعضيد السُّنة بالقرآن.

• الفصل الخامس: علوم القرآن المتعلقة بدلالة الألفاظ، ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: المحكم والمتشابه، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الإحكام مفهومه وأنواعه.

المطلب الثاني: التشابه مفهومه وأنواعه.

المبحث الثاني: النسخ، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: زمان النسخ ووقوعه.

المطلب الثاني: أنواعه.

- المبحث الثالث: العام والخاص.
- المبحث الرابع: المطلق والمقيد.
- الفصل السادس: علوم القرآن المتعلقة بالمعاني، ويشتمل على خمسة مباحث:
- المبحث الأول: الاستنباط من القرآن.
- المبحث الثاني: مشكل القرآن.
- المبحث الثالث: موهم التعارض والاختلاف.
- المبحث الرابع: أمثال القرآن.
- المبحث الخامس: مفردات القرآن.
- الفصل السابع: علوم القرآن المتعلقة بقراءة القرآن وخصائصه، ويشتمل على خمسة مباحث:
- المبحث الأول: القراءات القرآنية، ويشتمل على ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: مصدرها.
- المطلب الثاني: حقيقتها.
- المطلب الثالث: توجيه القراءات.
- المبحث الثاني: تلاوة القرآن، ويشتمل على ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: أحكام التلاوة.
- المطلب الثاني: آداب التلاوة.
- المطلب الثالث: السجدة.
- المبحث الثالث: تجويد القرآن.
- المبحث الرابع: فضائل القرآن، ويشتمل على ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: فضائل السور.
- المطلب الثاني: فضائل الآيات.

- المطلب الثالث: تفاضل القرآن.  
 المبحث الخامس: خصائص القرآن.  
 • الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.  
 • الفهارس<sup>(١)</sup>.

\* منهج البحث:

سأحرص في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي التحليلي، واتباع المنهج التالي:

١ - جمع الأحاديث النبوية (الأقوال والأفعال والتقريرات) المتعلقة بكل علم من خلال المصنفات الحديثية - وقد تجاوزت ألفي حديث -، واستخراج المسائل واستنباط الفوائد منها، على نحو خطة البحث وتقسيماته.

٢ - مراجعة كتب علوم القرآن العامة؛ كالبرهان والإتقان ومناهل العرفان وغيرها، والمؤلفات الخاصة بكل علم؛ لتأصيل ما ورد فيها، وإضافة مسائل أو إيراد استدراكات إن وجد، مع الاستفادة من الجُهد العلمي والمنهجية المتبعة.

٣ - كتابة مدخل للتعريف بالمبحث وما يتعلق به دون إسهاب، مع الإشارة إلى مظانه في الكتب والرسائل العلمية المتخصصة المنشورة وغيرها.

٤ - دراسة العلم من خلال الأحاديث النبوية، وذلك بإيراد جميع المسائل والاستنباطات والفوائد التي حوتها الأحاديث النبوية الصحيحة المتعلقة بالعلم والاستشهاد بها، قدر الاستطاعة ومبًلغ الطاقة.

(١) وقد اكتفينا بوضع فهرسٍ للمصادر والمراجع وفهرسٍ للموضوعات؛ وذلك للاختصار.

٥ - إذا كانت الأحاديث كثيرة والشواهد متعددة، فسأقتصر على الأحاديث ذات المعاني المختلفة، والدلالات المتباينة التي يستنبط منها تأصيل، أما المتماثلة والشواهد فأذكرها في الحاشية كمزيد من الأدلة مكتفياً بعزوها إلى مواضعها في كتب السنة.

٦ - سأوثق المادة العلمية في البحث كما يلي:

- أ - عزو الآيات القرآنية إلى سورها بأرقامها.
- ب - توثيق القراءات بعزوها إلى مصادرها المعتمدة.
- ج - تخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادر السنة المعتمدة بذكر الجزء والصفحة بين هلالين ورقم الحديث بين قوسين معكوفين مع ذكر درجة الحديث من خلال أقوال أئمة هذا الشأن، وإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالإحالة عليهما.
- د - توثيق الأحاديث الضعيفة بذكر سبب التضعيف، والإحالة إلى الكتب المتخصصة في الحكم على الرجال، وأحرص على نقل أحكام الأئمة المتقدمين وأقوالهم، وإن لم أجد فألجأ إلى أحكام الأئمة المتأخرين وربما المعاصرين.
- هـ - تخريج الآثار عن الصحابة ومن بعدهم، وعزوها إلى مراجعها من كتب السنة، وذلك بذكر الجزء والصفحة.
- و - اتبعت طريقة الترميز للإشارة إلى الكتب التسعة وهي على النحو التالي: البخاري (خ)، مسلم (م)، أبو داود (د)، الترمذي (ت)، النسائي (ن)، ابن ماجه (جه)، مسند الإمام أحمد (حم)، موطأ مالك (ط)، مسند الدارمي (مي)، ورتبتها حسب الرتبة، وبقية المصنفات بأسمائها حسب الوفاة.
- ز - جمعت أحاديث الكتب الستة وأحلت عليها في ثنايا البحث حسب ترقيم طبعة دار السلام، ومسند الإمام أحمد حسب ترتيب طبعة مؤسسة الرسالة بإشراف المحقق: شعيب الأرنؤوط.

- ح - التعريف بالأعلام غير المشهورين تعريفًا موجزًا .  
 ط - التعريف بغير المشهور من القبائل والأماكن والبلدان .  
 ي - عدم الالتزام - غالبًا - بإيراد ألقاب العلماء، أو الترحم عليهم،  
 وليس ذلك من تنقص كلا، وإنما التزام ذلك يطول ويشق،  
 رحمهم الله جميعًا وأسكنهم الفردوس الأعلى من الجنة... آمين .

هذه أبرز ملامح منهج البحث الذي يَسِّرُ الله تعالى لي من أجله رحلة علمية مباركة بين كتب علوم القرآن والتفسير والعلوم الشرعية عمومًا، ومع هذا الجهد والحرص في الجمع والدراسة والاستقصاء فإنني لا أدعي الكمال؛ إذ النقص من طبيعة البشر، والكمال لله وحده، يقول الشافعي: «لقد ألفت هذه الكتب ولم آل فيها، ولا بد أن يوجد فيها الخطأ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه»<sup>(١)</sup>.

وقال بكر بن عبد الله المزني: «لو عُرض كتابٌ سبعين مرة لوجد فيه خطأ، أبي الله أن يكون كتاب صحيحًا غير كتابه»<sup>(٢)</sup>.  
 ولكن حسبي أنني حاولت جاهدًا أن يأخذ هذا الموضوع مكانه اللائق به في المكتبة القرآنية الفسيحة.

وفي الختام أتوجه بدعائي وخالص ثنائي لله وحده، فالحمد لله الذي بنعمته وفضله وجوده وتم الصالحات.

ثم أتوجه بالشكر لمن كانا السبب في وجودي بعد الله تعالى، فأسأل الله تعالى أن يغفر لهما ويرحمهما كما ربياني صغيرًا.

(١) المقاصد الحسنة (٥٣).

(٢) موضح أوهام الجمع والتفريق (١٤/١).



ويسعدني أن أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان بالجميل لفضيلة المشرف القدير الدكتور: عبد الله بن عبد الرحمن الشري - وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الذي لم يألُ جهدًا في النصح والتوجيه، والحث والتشجيع، بعبارات صادقة، وملاحظات علمية قيمة، فأسأل الله تعالى أن يحسن إليه في الدنيا والآخرة، وأن يجزيه خير الجزاء، ويبارك في علمه وعمره وذريته.

كما أشكر فضيلة المشرف المساعد الدكتور: خالد بن محمد باسمح - أستاذ الحديث المشارك - الذي بذل جهدًا في قراءة هذا البحث وتصويب ما يتعلق بالجانب الحديثي من هذه الرسالة، حيث كان مثالًا رائعًا في خلقه وعلمه وسمته، فشكر الله له وبارك في علمه وعمره وذريته.

ثم الشكر موصول لكل من مَدَّ يد العون والمساعدة في هذا الجهد العلمي، أو سدّني بنصح وتوجيه من المشايخ وطلبة العلم، وفي مقدمتهم فضيلة المشرف السابق الدكتور: حسين البر الذي أفادني بملاحظاته القيمة، ولم يبخل عليّ بتوجيهاته المسددة، فأسأل الله تعالى أن يجزي الجميع خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أشكر زوجتي الصابرة والأولاد البررة على تحملهم شدائد البحث والدراسة والصبر على ذلك.

وبعد، لا يسعني في الختام إلا أن أقول كما قال الزرقاني: «تلك محاولاتي وأهدافي، فإذا كنت قد أصبتها فذلك الفضل من الله ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ يَّمَمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وإن كانت الثانية، فإنما هي نفسي وأستغفر الله، ورجائي من كل ناظر يطلع على عيب أن يدلني عليه، ويرشدني إليه، فالدين النصيحة، والمسلمون بخير ما تعاونوا»<sup>(١)</sup>.

(١) مناهل العرفان (٧/١).

سبحان ربك ربّ العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين  
والحمد لله ربّ العالمين.

\* \* \*

# تَهْيَدُ

ويشتمل على:

- أهمية تأصيل علوم القرآن من السُّنَّة النبوية.
- التعريف بعلوم القرآن لغة واصطلاحًا.
- أنواع تصنيف العلوم المتعلقة بالقرآن



## أهمية تأصيل علوم القرآن من السُّنة النبوية

أعلى الله ﷺ شأن السُّنة النبوية وبيّن مكانتها، وجعلها في مرتبة مساوية للقرآن الكريم في الحجية والاستدلال، على الأحكام الشرعية والمسائل العلمية، ويبرز ذلك من خلال:

\* أولاً: أن السُّنة النبوية وحيٌّ من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: «أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفراً من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الإمام أحمد... عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍِّ مِثْلَ الْحَيِّينِ، أَوْ مِثْلَ أَحَدِ الْحَيِّينِ: رَبِيعَةَ وَمُضَرَ) قال رجل: يا رسول الله أوّماً ربِيعة من مضر؟ قال: (إِنَّمَا أَقُولُ مَا أَقُولُ)<sup>(٢)</sup>،<sup>(٣)</sup>.

(١) هو: الإمام المحدث الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القيسي البصري، صاهر الحافظ أبا الحجاج المزني ولازمه وأخذ عنه، وأقبل على علم الحديث وأخذ عن ابن تيمية وقرأ الأصول على الأصفهاني وغيره، وله مصنفات كثيرة منها: «البداية والنهاية»، و«تفسير القرآن العظيم»، توفي سنة ٧٧٤هـ وقبر بجوار شيخه ابن تيمية.

انظر: طبقات الشافعية (٨٦/٣)، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي (٣٦١).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥٤٧/٣٦) [٢٢٢١٥]، والطبراني في المعجم الكبير (٢٧٥/٨) [٨٠٥٩]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة. (٣٨١/١٠). وقال محقق المسند: صحيح بطرقه وشواهده دون قوله: «فقال رجل: يا رسول الله...» فهي زيادة شاذة لم ترد إلا في حديث أبي أمامة، ورواتها ليسوا بأولئك الأثبات.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤٤٣/٧).

وبين الإمام ابن حزم<sup>(١)</sup> أن الوحي وحيان، فقال معلقاً على الآية: «فصح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله ﷻ إلى رسوله ﷺ على قسمين:

أحدهما: وحي متلو مؤلف تأليفاً معجز النظام وهو القرآن.

والثاني: وحي مروى منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو، لكنه مقروء وهو الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

\* ثانياً: أن الله تعالى أمر بطاعة الرسول ﷺ وأن طاعته طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]، وقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

قال الشافعي معلقاً على الآية: «أعلمهم أن الفرض عليهم اتباع أمره وأمر رسوله، وأن طاعة رسوله طاعته»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن جرير<sup>(٤)</sup> عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهُ﴾: «من يطع منكم أيها الناس رسولي محمداً إليكم فقد أطاعني بطاعته إياه، فاسمعوا قوله، وأطيعوا أمره، فإنه مهما يأمر به من شيء فعن أمري

(١) هو: الإمام الحافظ العلامة علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، كان إليه المنتهى في الحفظ والذكاء وكثرة العلم، وكان متفنناً في علوم جملة، ومن تصانيفه: «المحلى»، «الإحكام في أصول الأحكام» وغيرهما، توفي في قرطبة سنة ٤٥٦هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٩٣/٢٠)، سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام (٩٣/١).

(٣) الرسالة (٨٩).

(٤) هو: الإمام العلم المجتهد محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، عالم العصر أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة من أهل آمل طبرستان، رأس المفسرين، وله تصانيف كثيرة منها: «جامع البيان عن آي القرآن»، «تاريخ الأمم والملوك» وغيرهما كثير، توفي سنة ٣١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤)، طبقات المفسرين للداودي (٥٠).

يأمركم، وما ينهاكم عن شيء فعن نهيي»<sup>(١)</sup>.

\* ثالثاً: قرن الله ﷺ طاعته بطاعة رسوله ﷺ في آيات كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]<sup>(٢)</sup>.

وقد علّق الإمام ابن القيم<sup>(٣)</sup> على آية النساء بقوله: «فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه»<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

فهذه الآيات الكريمة تدل دلالة قاطعة على أن الله تعالى يوجب اتباع رسوله ﷺ فيما شرعه، وأن الالتزام بطاعة الرسول كالالتزام بطاعة الله، وأن تنفيذ أقوال الرسول ﷺ وأوامره كتطبيق أقوال الله تعالى وأوامره، والانتهاه عما نهى عنه<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير الطبري (٢٤٦/٧).

(٢) والآيات كثيرة جداً... ومنها على سبيل المثال: (آل عمران ٣٢، المائدة ٩٢، محمد ٣٣، التغابن ٢٠).

(٣) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي، أبو عبد الله، لازم شيخه ابن تيمية كثيراً وبرع وتفنن في سائر العلوم الدينية، وكثرت مصنفاته، ومنها: «زاد المعاد»، وإعلام الموقعين عن رب العالمين وغيرهما كثير، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرًا طويلاً، سوى ما اصطفوه لأنفسهم، توفي سنة ٧٥١هـ. انظر: الوافي بالوفيات (١٩٥/٢) البدر الطالع (١٤٣/٢).

(٤) إعلام الموقعين (٨٩/٢).

(٥) ولابن عاشور كلام رائع عند تفسيره لهذه الآية، انظر: (٩٧/٥).

(٦) انظر: الوجيز في أصول الفقه (١٩٤) وعزاه إلى ابن حزم في الإحكام ولم أجده.

\* رابعاً: أن الله ﷻ وصف نبيه محمداً ﷺ بصفات المشرع في أوامره ونواهيه، فأوامره ونواهيه بمنزلة أوامر الله تعالى ونواهيه سواء بسواء، قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] (١).

\* خامساً: أن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بالرجوع إليه سبحانه وإلى رسوله ﷺ في حياته وإلى سنته بعد موته عند التنازع والاختلاف، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] وجعل الرجوع إليهما - سبحانه - في مرتبة واحدة، حيث عطف بينهما بـ(الواو) المقتضية لمطلق الجمع بلا ترتيب (٢)(٣).

وعليه فالسنة النبوية لا يمكن أن يُستغنى عنها في الحديث عن العلوم الشرعية، والمسائل العلمية المستمدة من الوحيين، بل هي الطريق الواضح، والنبراس النير في تناول المسائل، والبحث عن متعلقاتها ومستلزماتها وأمثلتها... وكلما ابتعد الباحث أو البحث عن هذا السبيل كلما تعددت الأقوال، وتنوعت المسالك، وكثر الجدل، وذلك بحسب القرب والبعد عن المصدرين الأساسيين، والدليلين السابقين.

(١) انظر: الوجيز في أصول الفقه (١٩٥).

(٢) قال السيرافي: أجمع النحويون واللغويون من البصريين والكوفيين على أن الواو للجمع من غير ترتيب.

انظر: شرح قطر الندى (٣٣٧).

(٣) انظر للاستزادة في مبحث حجية السنة النبوية: الرسالة للشافعي (٨٧ - ٩٢)، روضة الناظر (٣٤٠/١)، الإحكام في أصول الأحكام (٨٧/١ - ٩٥)، إعلام الموقعين (٨٩/٢)، حجية السنة لعبد الغني عبد الخالق، السنة وحجيتها لإبراهيم الكندي.



والحاجة ماسة إلى تأصيل العلوم الشرعية من المصادر الأساسية، خاصة مع تيسر الوسائل العلمية، والتقنية الحديثة، ومنها علم (علوم القرآن)؛ فإنه ومع توالي التأليف في هذا العلم ربما وردت أحكام تكون من المسلّمات العلمية، والمسائل التي فُرغ منها، واتفقت فيها الآراء... ثم تظفر بنصوص من السُّنة النبوية تخالف النتيجة التي توصل إليها وخلص فيها... أو تدعم ذلك القول وتقويه، بل وتؤصله من المصادر الأساسية.

أو تكون هناك استطرادات في تعداد صور المسألة وتنوعها، مما مصدره الوحيان، وليس عليها دليل يمكن أن يستدل به، أو برهان يُتَّكأ عليه، وما ورد في السُّنة النبوية الغنية والكفاية.

أو إيجاد مسائل تتعلق بعلم من العلوم تضاف إلى عموم الحديث عنه، وذلك بذكرها والاستدلال عليها.

أو يكون بمعرفة الطريقة النبوية التي تعامل معها في تناوله لـ«علوم القرآن» وكمية الأحاديث التي وردت في العلم ذاته.

فمن خلال بيان منزلة السُّنة النبوية في شرعنا المطهر، والحاجة الملحة إلى الرجوع إليها في العلوم الشرعية، والمسائل العلمية... تبرز أهمية تأصيل علم (علوم القرآن) من خلال الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

## التعريف بعلوم القرآن لغة واصطلاحًا

مصطلح (علوم القرآن) يتكوّن من كلمتين: (علوم) (القرآن) فهو مركب إضافي، وقبل أن أدلّف إلى التعريف بالمصطلح العام ككل، يحسن بي أن أعرف كل مصطلح على حدة، كما هو الحال في التعريف بالمضافات.

### علوم:

جمع عِلْم، والعين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره<sup>(١)</sup>.

وهو نقيض الجهل، يقال: عِلِمَ عِلْمًا، وَعَلِمَ هو نفسه<sup>(٢)</sup>.

والعلم: اليقين، يقال: علم يعلم إذا تيقن<sup>(٣)</sup>.

ويطلق على إدراك الشيء على حقيقته<sup>(٤)</sup>.

والعلم: المعرفة، يقال: علمت الشيء أعلمه علمًا إذا عرفته<sup>(٥)(٦)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (علم) (٦٦٣).

(٢) انظر: المصدر السابق، وتهذيب اللغة (٢/٢٥٤)، المحكم والمحيط الأعظم (٢/١٧٤)، لسان العرب (٦/٤١٥).

(٣) المصباح المنير (٢/٤٢٧).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٨٠).

(٥) انظر: الصحاح للجوهري (٥/١٩٩٠).

(٦) وجعل بعض العلماء العلم والمعرفة بمعنى، وبعضهم فرق بينهما، ومن ذلك: ما ذكره الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (٣/٣٣٦) بقوله: «لفظيًا المعرفة يقع على مفعول واحد تقول: عرفت الدار وعرفت زيدًا.. وفعل العلم يقتضي مفعولين.. =

وهذا على الأصل اللغوي.

أما في الاصطلاح فاختلفت عبارات العلماء في تعريفه، باختلاف الجهات المعرّفة به، فالحكماء يريدون به: صورة الشيء الحاصلة في العقل<sup>(١)</sup>.

والمتكلمون يعرفونه بأنه: صفة يتجلى فيها الأمر لمن قامت به<sup>(٢)</sup>.

وعلماء أصول الفقه يعرفونه بأنه: صفة يُميّز المتصف بها تمييزاً جازماً مطابقاً فلا يدخل إدراك الحواس ويتفاوت<sup>(٣)</sup>.

وبعضهم توقف عن التعريف به لعسره والاكتفاء بالتمثيل والتقسيم<sup>(٤)</sup>.

والذي يعنينا منها هو تعريف العلم من الجهة التدوينية، حيث قالوا: يطلق العلم على المسائل المضبوطة بجهة واحدة موضوعاً وغاية<sup>(٥)</sup>.

القرآن:

اتفق العلماء على أن لفظ: (القرآن) اسم وليس بفعل

= (معنوياً) ١ - أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله فنقول عرفت أباك وعلمته صالحاً عالمًا . . . ٢ - أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه فإذا أدركه قيل: عرفه . . . ٣ - أن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره . . . إلخ.  
انظر: بقية الأوجه والأمثلة عليها من القرآن في موضعه.  
وانظر أيضاً للاستزادة اللغوية: التعريفات (٢٠٠)، الكليات (٦١٠)، المصباح المنير (١٦٢).

(١) انظر: الكليات (٦١٢ - ٦١٣)، التعريفات (١٩٩).

(٢) الكليات (٦١٣).

(٣) شرح الكوكب المنير (٦١/١).

(٤) انظر: المستصفي في علم الأصول (٢٥/١) وما بعدها، وشرح الكوكب المنير (٦٠/١)، التعريفات (١٩٩).

(٥) انظر: مناهل العرفان (١٥/١)، المدخل لدراسة القرآن الكريم (١٨).

ولا حرف، ولكنهم اختلفوا في اشتقاقه وهمزه على أقوال، سأعرضها  
بإيجاز:

### القول الأول:

إنه اسم جامد، ليس بمشتق، ولا مهموز، وضع - أول ما وضع -  
عَلَمًا على القرآن، كما أن اسم التوراة عَلَّمَ على الذي أنزل على  
موسى ﷺ، والإنجيل عَلَّمَ على الذي أنزل على عيسى ﷺ.  
ذهب إلى هذا الشافعي<sup>(١)</sup>، حيث يقول عن شيخه: «وقرأت على  
إسماعيل بن قسطنطين<sup>(٢)</sup> وكان يقول: القران اسم وليس بمهموز، ولم  
يؤخذ من قرأت، ولو أخذ من قرأت؛ لكان كل ما قرئ قرآنًا، ولكنه  
اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل، يهمز قرأت ولا يهمز القران، وإذا  
قرأت القران يهمز قرأت ولا يهمز القران»<sup>(٣)</sup>، وبه قرأ ابن كثير<sup>(٤)</sup>، وقد  
خالف السبعة في ذلك<sup>(٥)</sup>.

(١) هو: محمد بن إدريس بن العباس أبو عبد الله الشافعي، الإمام زين الفقهاء، وتاج  
العلماء، نشأ بمكة وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام وقدم  
بغداد مرتين وحدث بها وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته، ومن مؤلفاته كتاب  
«الأم» و«الرسالة»، توفي سنة ٢٠٤هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٥٦/٢)، صفوة الصفوة (٢٤٧/٢).

(٢) هو: إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، أبو إسحاق المخزومي، مولاها المكي، المقرئ  
المعروف بالقسط، قارئ أهل مكة في زمانه، وقرأ عليه الشافعي، توفي سنة ١٩٠هـ.  
انظر: معرفة القراء (١٤١/١).

(٣) تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، بيروت، دار الكتب العلمية (٦٢/٢).

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (٤٣١/١)، وابن كثير هو: عبد الله بن كثير بن المطلب،  
الإمام أبو معبد، مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي، إمام المكيين في  
القراءة، أصله فارسي، وكان داريًا بمكة وهو العطار مأخوذ من قوله عطر دارين،  
ودارين موضع بنواحي الهند، وقيل في نسبه الداري: إنه قرشي من بني عبد الدار،  
تصدر للإقراء وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن، توفي سنة ١٢٠هـ.

انظر: المنتظم (٢٠٣/٧)، معرفة القراء (٨٦/١).

(٥) انظر: لسان العرب (١٢٩/١)، والإتقان (١١١/١)، والبرهان (٣٧٤/١).

## القول الثاني:

إن الهمزة في اسم (القرآن) أصلية، وهو مصدر مهموز، بوزن الغفران والخسران، مشتق من (قَرَأَ)؛ أي: تلا، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ ﴿١٩﴾ [القيامة: ١٧ - ١٩]؛ أي: قراءته، «وفلان (قرأ) عليك السلام، و(أقراك) السلام بمعنى»<sup>(١)</sup>.

ذهب إلى هذا القول ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>.

## القول الثالث:

إن الهمزة في لفظ (القرآن) أصلية، وهو وصف على وزن فعلان، مشتق من (قَرَأَ) الشيء (قُرَأْنَا) جمعه وضمه، ومنه سمي (القرآن)؛ لأنه يجمع السور ويضمها<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الأثير<sup>(٤)</sup>: «والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته»<sup>(٥)</sup>.

وذهب إلى هذا القول قتادة<sup>(٦)(٧)</sup>.

- 
- (١) مختار الصحاح، مادة: (ق ر أ).
- (٢) انظر: تفسير الطبري (١/٩٠)، والبرهان (١/٣٧٣)، والإتقان (١/١١٢).
- (٣) انظر: مختار الصحاح (ق ر أ)، لسان العرب (١/١٣٠).
- (٤) هو: أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري، له مؤلفات كثيرة منها: «النهاية في غريب الحديث»، و«جامع الأصول» وغيرها، توفي سنة ٦٠٦ هـ في الموصل.
- انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/٤٨٨).
- (٥) النهاية في غريب الحديث (٤/٢٧).
- (٦) هو: قتادة بن دعامة السدوسي الحافظ أبو الخطاب، البصري، ولد أكمه، أخذ القرآن ومعانيه، توفي سنة ١١٧ هـ.
- انظر: تقريب التهذيب (٤٥٣)، طبقات المفسرين للداودي (١٤).
- (٧) انظر: تفسير الطبري (١/٩١).

قال ابن جرير بعد أن ساق القولين - الثاني والثالث -: (ولكلا القولين وجه صحيح في كلام العرب...<sup>(١)</sup>)، وإذا أسقطت الهمزة فيهما فهو للتخفيف، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها<sup>(٢)</sup>.

#### القول الرابع:

إن الهمزة في (القرآن) غير أصلية، والنون أصلية، وهو مشتق من (قَرَن) يقال: قرن الشيء بالشيء إذا جمعه، وقرن بين الحج والعمرة إذا جمعهما في سفر واحد، قال ابن فارس<sup>(٣)</sup>: «القاف والراء والنون أصلان صحيحان: أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء»<sup>(٤)</sup>.  
 وذهب إلى هذا القول الأشعري<sup>(٥)(٦)</sup>.

#### القول الخامس:

إن الهمزة في (القرآن) غير أصلية، والنون أصلية، وهو مشتق من (القرائن)؛ لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً، وهي قرائن.

(١) تفسير الطبري (٩١/١).

(٢) انظر: التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، (١٥٧)، المدخل لأبي شعبة (١٩).

(٣) هو: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين اللغوي القزويني، له مصنفات كثيرة جليلة منها: «مقاييس اللغة» و«المجمل» و«التفسير» و«فقه اللغة» وغيرها، توفي سنة ٣٧٠هـ.

انظر: البلغة (٦١)، الوفيات (٢١٨).

(٤) مقاييس اللغة، مادة: (قرن) ص (٨٥٢).

(٥) هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر، أبو الحسن الأشعري المتكلم، من ذرية الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملاحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة، ومن كتبه «الفصول» في الرد على أهل البدع، و«الموجز»، و«الإبانة»، وصنف في تفسير القرآن، توفي سنة ٣٣٠هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٣٤٦/١١)، طبقات المفسرين للداودي (٦٧).

(٦) انظر: البرهان (٣٧٤/١)، والانتقان (١١٢/١).

وهو قول الفراء<sup>(١)</sup>، ورده الزجاج<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

ويمكن أن تختصر هذه الأقوال إلى ثلاثة أقوال فقط، وهي:

القول الأول: إنه اسم جامد، وضع علماً على القرآن.

القول الثاني: إنه مهموز، فيكون بمعنى (تلا)، أو بمعنى (جمع).

القول الثالث: إنه غير مهموز، ونونه أصلية، فيكون بمعنى (قرن)،

أو بمعنى (قرائن).

ولعل القول الثاني أرجح الأقوال، وهو الذي يوافق قراءة الأئمة

السبعة، ما عدا ابن كثير، وكونه بمعنى (تلا) أرجح من معنى الضم

والجمع؛ لأن الله ﷻ غاير بين المعنيين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ

وَقَرَأَنَّهُ﴾ [القيامة: ١٧]، فالقراءة هنا مغايرة للجمع، والأصل في العطف

المغايرة، وكذلك إذا كان معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَجِ قُرْآنَهُ﴾

[القيامة: ١٨]؛ أي: ألفناه وجمعناه، للزم ألا يكون لزمه فرض ﴿أَقْرَأُ بِأَسِيرِ

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، و﴿بِتَأْيِئِهَا الْمُدَيِّرُ﴾ [المدر: ١، ٢]؛

لأنه لما يجتمع كله بعد، ولا أحد قال به<sup>(٤)</sup>.

## التعريف الاصطلاحي:

«القرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس

(١) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الفراء مولى بني أسد من أهل الكوفة، النحوي، وهو أجل أصحاب الكسائي، كان رأساً في النحو واللغة، وله مصنفات عدة، منها «الحدود» في النحو، و«معاني القرآن»، وتقدر تأليف الفراء ثلاثة آلاف ورقة، توفي سنة ٢٠٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/١٢٠)، شذرات الذهب (١٩/٢).

(٢) هو: إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل، أبو إسحاق، النحوي الزجاج، صاحب كتاب معاني القرآن كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد جميل المذهب، وله مصنفات حسان منها: «الإنسان وأعضائه والفرس» وغيرها، توفي سنة ٣١١هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٦/٨٩)، سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦٠).

(٣) انظر: الإتقان (١/١١٢)، وعزاه الزركشي في البرهان إلى القرطبي (١/٣٧٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/٩٢).

والفصول والخواص، بحيث يكون تعريفه حدًا حقيقيًا، والحد الحقيقي له هو استحضاره معهودًا في الذهن أو مشاهدًا بالحس، كأن تشير إليه مكتوبًا في المصحف، أو مقروءًا باللسان فتقول: هو ما بين هاتين الدفتين...»<sup>(١)</sup>، وذلك لاشتماله على الخصائص الكثيرة، والمزايا العديدة، المشتملة على خيري الدنيا والآخرة..

ولكن يمكن أن يُعرَّف ويُحدَّد بأنه: «كلام الله تعالى، المنزل على نبيه محمد ﷺ المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الاحترازات والقيود في التعريف ليخرج ما يلي:

(كلام الله) كلام غيره من الجن والإنس والملائكة<sup>(٣)</sup>.

(المنزل على نبيه محمد ﷺ) ما كان منزلًا من الكتب، ولكن على غيره من الرسل؛ كالنوراة والإنجيل والزرور.

(المعجز بلفظه) غير المعجز من كلام الله تعالى؛ كالأحاديث القدسية - على قول إن الألفاظ من عند الله -، والكتب السابقة، كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَهُ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (١٦).

(٢) انظر: المدخل لأبي شهبه (٢٠)، مباحث في علوم القرآن (١٧).

(٣) وهو كلام الله حقيقة، يقول شيخ الإسلام: «كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد عليه الصلاة والسلام هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف..» الفتاوى (٣/١٤٤).



إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) متفق عليه<sup>(١)</sup>.

(المتعبد بتلاوته) القراءات الأحادية، والتفسيرية، فإن الله تعالى لم يتعبدنا بتلاوتها وقراءتها.

(المنقول بالتواتر) ما سوى القرآن المتواتر، من منسوخ التلاوة، والقراءات الشاذة، فلا تسمى قرآناً.

(المكتوب في المصاحف) ما ليس مكتوباً في المصاحف؛ كآيات المنسوخة تلاوة وحكماً، أو تلاوة فقط<sup>(٢)</sup>.

وهذه القيود الثلاثة الأخيرة إنما هي في الحقيقة لبيان الواقع لا للإخراج والاحتراز؛ لأن قيد (المعجز بلفظه) يكفي عنها كلها<sup>(٣)</sup>.

### علوم القرآن:

إذا اعتبر عموم هذه الجملة المركبة تركيباً إضافياً، فإنه سيدخل تحت مظلتها جميع العلوم الدينية واللغوية، بل والعلوم الدنيوية مما لنا فيه مصلحة وفائدة على الصحيح<sup>(٤)</sup>، استناداً إلى قوله ﷺ: ﴿وَزَوَّلْنَا عَلَيْكَ

(١) رواه البخاري (١٠٨٤) ح [٤٦٩٥]، ومسلم (٧٧) ح [٣٨٥].

(٢) انظر: المدخل (٢٠ - ٢١)، ومباحث في علوم القرآن للقطان (١٧) ودراسات في علوم القرآن للرومي (٢١).

(٣) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة (١٠٣).

(٤) أطال السيوطي رحمته في «الإكليل في استنباط الدليل» بنقل الآثار والأحاديث في إثبات أن القرآن تبيان لكل شيء، انظر: (١/٢٣٥ - ٢٨٢)، وأصل المسألة راجع إلى عموم (كل) في الآية فمن قال: العموم هنا مقتصر على العلوم الدينية فقط أخرج العلوم الدنيوية وقال بهذا جماعة... الطبري في تفسيره (١٤/٣٣٣)، والصنعاني (٢/٣٦٢)، والسمعاني (٣/١٩٥)، والقرطبي (٦/٤٢٠)، وابن رجب في التفسير (١/٦١٦)، والزحيلي في تفسيره (١٤/٢٠٦) وغيرهم، ومن قال: إن العموم على ظاهره فيشمل الدينية والدنيوية، أدخل فيه جميع العلوم الدنيوية، وقال بهذا الزركشي حيث أشار إلى أن القرآن مشتمل على علوم الأولين والآخرين (٢/٣٢٠)، والسيوطي في الإكليل (١/٢٥٣)، والمرسي نقل كلامه السيوطي في الإتيان (٢/٢٧١). ولعل الأظهر في المسألة أن كل شيء لنا فيه مصلحة فقد بيّنه القرآن، وما ليس لنا فيه مصلحة فإنه =

أَلَكْتَبَ بَيْنَنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحِمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿﴾ [النحل: ٨٩]... وهذا فيه توسع؛ إذ يشمل كل العلوم المستنبطة منه والمساندة له وما وردت الإشارة فيه إليه، وهو ليس مرادًا هنا.

ولكن المراد هو تعريفه باعتباره فنًا مدونًا، أو مصطلحًا تداوله العلماء - رحمهم الله - على مجموعة علوم متعلقة بالقرآن الكريم مرتبطة به، اصطلاح على تسميتها بـ«علوم القرآن».

اختلفت عبارات العلماء في تعريفه، فقال الزرقاني: «مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه»<sup>(١)</sup>.

ونحوًا من هذا تعريف الدكتور: محمد أبو شهبه<sup>(٢)</sup>، والدكتور فهد الرومي<sup>(٣)</sup>.

وعرّفه الدكتور مناع القطان بأنه: «العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن»<sup>(٤)</sup>.

ويقرب منهما تعريف الدكتور حسن ضياء العتر، ولكنه أضاف قيدًا وهو اعتبار كل علم منها علمًا مستقلًا، فقال: «علم يضم أبحاثًا كلية هامة تتصل

= لا حاجة إلى ذكره، وقد يكون هذا الشيء الذي لم يذكر موكولًا إلى عقول الناس وتجاربهم، كما في كثير من طبائع الأشياء، والأمور الطبيعية سواء الفلكية، أو الجيولوجية، أو غير ذلك، ويدل عليه - أيضًا - قوله عليه الصلاة والسلام: (أَنْتُمْ أَهْلُكُمْ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ). انظر للاستزادة في هذه المسألة: روح المعاني (٢١٦/١٤)، والإكليل (٢٣٥/١)، وجواهر القرآن للغزالي (٤٤/١)، وتفسير القرآن الكريم (سورة يس) (٢٥٠).

(١) مناهل العرفان (٢٨/١).

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم (٢٥).

(٣) دراسات في علوم القرآن (٣٠). (٤) مباحث في علوم القرآن (١٢).

بالقرآن العظيم من نواحي شتى يمكن اعتبار كل منها علمًا متميزًا»<sup>(١)(٢)</sup>.

وقيل غير ذلك، ولكن مما يلاحظ على ما سبق أن الاختلاف بينها يكاد يكون في التعبيرات والمصطلحات فحسب، أما المعاني فهي متفقة، كذلك الاكتفاء - غالبًا - بالتمثيل، وذكر بعض العلوم المندرجة تحت مسمى (علوم القرآن).

وقد أقام الدكتور فاروق حمادة لهذا العلم ضابطين يضبط بهما العلم، ويخرج ما سواهما من مسماه، حيث قال: «إن علوم القرآن أصبحت تنحصر في شعبتين اثنتين:

أولاهما: تاريخ القرآن الكريم، وما ينضوي تحته من نزوله وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ...

ثانيتها: الوسيلة الصحيحة لفهمه على الوجه الحق، وينضوي تحت ذلك علوم اللغة والإعجاز والمحكم والمتشابه.

فإن على كل من يريد التعامل مع النص القرآني أن يطلع على هاتين المقدمتين اللازمتين تحت اسم علوم القرآن، وبمقدار ما يجانبهما سيجانب الحقيقة ويبعد عن الصواب»<sup>(٣)</sup>.

ولعلي أضيف إلى الضابط الثاني: وتلاوته تلاوة صحيحة؛ ليدخل ضمنها التجويد وما يتعلق به، والقراءات...

(١) فنون الأفتان في عيون علوم القرآن (٧١).

(٢) وقد أشار الدكتور أبو شهبة إلى أن هذا العلم «علوم القرآن» اختصر وجعل جُل أصوله ومسائله في كتاب واحد، وبقي الجمع بعد صيرورته علمًا واحدًا لمحا للأصل، وللإشارة إلى أنه خلاصة علوم كثيرة لها اتصال بالقرآن الكريم. المدخل (٢٥)، وإن كنت أخالفه الرأي؛ لأن جمعها في مصنف واحد وذكر أبرز المسائل في كل علم لا يعني الاكتفاء بها والإلمام بالعلم.. فقد ظهرت كتب وكتابات في علم واحد؛ كالمكي والمدني، وأسماء القرآن وأوصافه، وجمع القرآن...

(٣) مدخل إلى علوم القرآن والتفسير (٦ - ٧).

ومن خلال هذه الضوابط يمكن أن يقال في تعريف علوم القرآن بأنه: علوم - مباحث - تتعلق بتاريخ القرآن الكريم، وما كان وسيلة لفهمه وتلاوته على الوجه الصحيح.

مع الإشارة إلى أن هذا العلم وإن كان ابتداء التأليف فيه مبكراً إلى أنه أضيفت إليه علوم كثيرة كسائر العلوم<sup>(١)</sup> حتى استوى على سوقه بظهور (البرهان في علوم القرآن) ومن بعده (الإتقان)، يقول الزرقاني: «ويمكننا أن نستخلص مما سبق أن علوم القرآن كفنٌ مدون استهلّت صارخة على يد الحوفي في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس<sup>(٢)</sup>، ثم تربت في حجر ابن الجوزي والسخاوي وأبي شامة في القرنين السادس والسابع، ثم ترعرعت في القرن الثامن برعاية الزركشي، ثم بلغت أشدها واستوت في القرن التاسع بعناية الكافيحي وجلال الدين البلقيني، ثم اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر بهمة فارس ذلك الميدان صاحب كتابي «التحبير» و«الإتقان» في علوم القرآن للسيوطي عليه ألف رحمة من الله ورضوان...»<sup>(٣)</sup>.

فالتعريف على ضوء العلوم التي جمعت في كتابي «البرهان» و«الإتقان» واستقرت بعدهما، وإن كان هناك عوامل لها تأثير في إدخال بعض أنواع علوم القرآن في جملة الأنواع؛ كعامل الزمن، وعامل ثقافة الكاتب<sup>(٤)</sup>، إلا أنها غالباً لا تخرج عن الحد المذكور، والله أعلم.



- (١) سيأتي الإشارة إلى ذلك في «تصنيف علوم القرآن».
- (٢) وقد رد على هذا الرأي الدكتور محمد أبو شعبة (٣٤) والدكتور الرومي (٤١) بأنه كتاب تفسير وليس كتاباً في علوم القرآن.
- (٣) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/٤٠).
- (٤) علوم القرآن بين البرهان والإتقان (٢٨).

## أنواع تصنيف العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم

تعددت طرق العلماء - رحمهم الله - وتنوعت في تصنيفهم لعلوم القرآن الكريم، منذ أن بدأ التأليف وإلى وقتنا الحاضر، ويمكن أن تحصر في ثلاث طرائق:

الطريقة الأولى: التصنيف على طريقة الأفراد مثل: كتب الناسخ والمنسوخ، ومعاني القرآن، وإعجاز القرآن...

الطريقة الثانية: التصنيف من خلال مقدمات التفاسير التي لها مقدمة في علوم القرآن مثل: تفسير الطبري، والتسهيل لعلوم التنزيل، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

الطريقة الثالثة: التصنيف على طريقة الجمع مثل: فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، جمال القراء وكمال الإقراء، البرهان في علوم القرآن، الإتقان في علوم القرآن...

والتصنيف على طريقة الجمع بدأ يضيق وينحصر في مسألة الترتيب، والتقديم والتأخير، وضم النظر إلى نظيره، بعد أن استقر العلم وبانت حدوده، وظهرت معالمه، بظهور الإمامين الكبيرين والعالمين الجليلين بدر الدين محمد الزركشي<sup>(١)</sup>، وجلال الدين عبد الرحمن

(١) هو: الإمام الفذ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله، المنهاجي الزركشي، التركي الأصل، الشافعي، صاحب التصانيف الكثيرة بلغت (٤٥) مصنفًا، ومنها: «البرهان في علوم القرآن»، «التذكرة في الأحاديث المشتهرة» وغيرها، توفي سنة ٧٩٤هـ. انظر: طبقات الشافعية (٣/١٦٧)، شذرات الذهب (٦/٣٣٥).

السيوطي<sup>(١)</sup>، وما سطره يراعهما في هذا الفن، فالزرکشي بكتابه «البرهان في علوم القرآن» أوصل علومه إلى سبعة وأربعين علماً بحجة وبرهان، ثم جاء بعده السيوطي فأتقنها وأحكمها بكتابه «الإتقان في علوم القرآن» وبلغت علومه ثمانين علماً.

وقبل أن أعرض طرائق المؤلفات السابقة ومناهجها أشير إلى مسألة، وهي:

متى يصنف علمٌ ما ضمن علوم القرآن؟

عند النظر والتأمل في المؤلفات التي قصد مؤلفوها التصنيف في هذا العلم تجد أن هناك ضوابط ساروا عليها وأسساً أقاموها في عددهم لعلم ما ضمن علوم القرآن، وأنه ليس كل ما ورد في القرآن الكريم من معلومة أو فائدة تكون علماً مستقلاً، كما نقل الإمام الغزالي<sup>(٢)</sup> في قوله: «وقال آخرون: القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم؛ إذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف؛ إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع»<sup>(٣)</sup>.

ورد ذلك الإمام ابن العربي المالكي<sup>(٤)</sup> بقوله: «هذا مطلق دون

(١) هو: الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي الشافعي، المسند المحقق المدقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، منها: «الإتقان في علوم القرآن»، «التحبير في علم التفسير».. وغيرهما كثير، توفي سنة ٩١١هـ. انظر: حسن المحاضرة (١/٣٣٥)، شذرات الذهب (٨/٥١).

(٢) هو: الإمام البحر حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، أبو حامد الطوسي، له مصنفات كثيرة منها: «إحياء علوم الدين»، «المستصفى»، «جواهر القرآن» وغيرها.. توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٣)، الوافي بالوفيات (٢/٢١١).

(٣) إحياء علوم الدين (١/٢٨٩).

(٤) هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي، الحافظ أحد الأعلام، وكان من أهل التفنن في العلم والاستبحار، صنف =

اعتبار تركيبه، ونضد بعضه إلى بعض، وما بينها من روابط على الاستيفاء في ذلك كله، وهذا مما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله»<sup>(١)</sup>.

وقد أشار الشاطبي<sup>(٢)</sup> إلى هذه الضوابط والأسس بقوله: «فإذا تفسير قوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ قُرُوجٍ﴾ [ق: ٦] بعلم الهيئة الذي ليس تحته عمل غير سائغ، ولأن ذلك من قبيل ما لا تعرفه العرب، والقرآن إنما نزل بلسانها وعلى معهودها... وكذلك القول في كل علم يعزى إلى الشريعة لا يؤدي فائدة عمل ولا هو مما تعرفه العرب، فقد تكلف أهل العلوم الطبيعية وغيرها الاحتجاج على صحة الأخذ في علومهم بآيات من القرآن وأحاديث عن النبي ﷺ، كما استدل أهل العدد بقوله تعالى: ﴿فَسَتَلِ الْقَادِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣]، وأهل الهندسة بقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ الآية [الرعد: ١٧]...»<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضًا في موضع آخر: «العلوم المضافة إلى القرآن تنقسم على أقسام: قسم هو كالأداة لفهمه واستخراج ما فيه من الفوائد، والمعين على معرفة مراد الله تعالى منه؛ كعلوم اللغة العربية التي لا بد منها، وعلم القراءات والناسخ والمنسوخ، وقواعد أصول الفقه، وما أشبه ذلك فهذا لا نظر فيه هنا.

ولكن قد يدعى فيما ليس بوسيلة، أنه وسيلة إلى فهم القرآن وأنه مطلوب كطلب ما هو وسيلة بالحقيقة، فإن علم العربية، أو علم الناسخ

= التفسير، وأحكام القرآن وشرح الموطأ، توفي سنة ٥٤٣هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٦)، طبقات المفسرين للداودي (١٨٠).

(١) قانون التأويل (٥٤٠).

(٢) هو: الإمام الفقيه العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، صاحب المصنفات العديدة، ومنها: «الموافقات»، «الاعتصام»، «المجالس» وغيرها، توفي سنة ٧٩٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٧٥/١)، معجم المؤلفين (١١٨/١).

(٣) الموافقات (٥٤/١).

والمسوخ، وعلم الأسباب، وعلم المكي والمدني، وعلم القراءات، وعلم أصول الفقه؛ معلوم عند جميع العلماء أنها معينة على فهم القرآن. وأما غير ذلك فقد يعده بعض الناس وسيلة أيضًا ولا يكون كذلك، كما تقدم في حكاية الرازي في جعل علم الهيئة وسيلة إلى فهم قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وزعم ابن رشد الحكيم في كتابه الذي سماه بـ«فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» أن علوم الفلسفة مطلوبة؛ إذ لا يفهم المقصود من الشريعة على الحقيقة إلا بها، ولو قال قائل: إن الأمر بالضد مما قال لما بعد في المعارضة.

وشاهد ما بين الخصمين شأن السلف الصالح في تلك العلوم، هل كانوا آخذين فيها أم كانوا تاركين لها أو غافلين عنها؟ مع القطع بتحققهم بفهم القرآن يشهد لهم بذلك النبي ﷺ والجم الغفير، فلينظر امرؤ أين يضع قدمه.

وتم أنواع آخر يعرفها من زاول هذه الأمور، ولا ينبئك مثل خبير، فأبو حامد ممن قتل هذه الأمور خبرة وصرح فيها بالبيان الشافي في مواضع من كتبه...<sup>(١)</sup>.

والضوابط التي ذكرها على النحو التالي<sup>(٢)</sup>:

أولاً: أن يكون العلم مما تعرفه العرب، ويؤدي إلى فائدة عمل، أو يكون وسيلة لعمل.

ويخرج بهذا الضابط العلوم التي لم تعرفها العرب، ولا فائدة عمل تحصل من تعلمها؛ كعلم الفلسفة والمنطق، أو علم الهيئة كما مثل به الإمام الشاطبي.

(١) الموافقات (٣/ ٣٧٥ - ٣٧٦).

(٢) انظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير (٣٨ - ٣٩).



ثانيًا: أن يكون للسلف فيها اعتناء.

وهو يظهر في جملة من علوم القرآن؛ كاسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ...

ولو زيد في الضابط قيدٌ وهو: أو يكون لها أصل في كلام السلف، فالعلم إن لم يكن مما اعتنى به السلف، فلا أقل من أن يكون له ذكر في علومهم؛ كعلم مبهمات القرآن.

ثالثًا: أن يكون وسيلة لفهم القرآن.

كعلم العربية، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، وأصول الفقه... وغالب هذه العلوم من وسائل فهم القرآن.

رابعًا: أن يكون منبثقًا منه، ولا ينتسب إلى غيره.

ويدخل فيه جملة من علوم القرآن المتعلقة به من جهته هو ولا تتعلق بغيره من العلوم؛ كرسوم المصحف، ونقطه وأسماء سوره... وغير ذلك من العلوم التي لا توجد في غيره<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن يضاف إلى الضوابط أيضًا...

خامسًا: أن يكون فيه ضبط للنص القرآني وحفظ له.

ويدخل فيه جملة من العلوم؛ كالمتواتر، والمشهور، والآحاد، والشاذ، والتجويد وما يتعلق به.

هذه أبرز الضوابط في تصنيف علم ما ضمن علوم القرآن.

### تصنيف علوم القرآن:

ظهرت كتب كثيرة في علوم القرآن وذلك في زمن متقدم، ولعل أسبق من أُلّف في هذا العلم وإن لم يسمه باسمه الاصطلاحي الحارث

(١) وهذا الضابط هو من زيادة الدكتور: مساعد الطيار، انظر: المرجع السابق.

المحاسبي [٢٤٣هـ]<sup>(١)</sup> في كتابه «فهم القرآن»<sup>(٢)</sup>، ثم توالى التأليف إلى وقتنا الحاضر، ولعلي أستعرض أبرز الملحوظات والتطورات من خلال تصنيفاتهم لكتبهم وطرائقهم المتبعة، وسأكتفي بأبرز الكتب والتي كان لها تأثير على ما بعدها في التصنيف.

### ١ - فهم القرآن<sup>(٣)</sup>:

ذكر المؤلف جزءاً من علوم القرآن وهي مرتبة على النحو التالي: «فضائل القرآن، فهم القرآن، المحكم والمتشابه، النسخ، المكي والمدني، أساليب القرآن».

ويلاحظ أنها غير مرتبة على نسق معين، وهذا لا يُعد عيباً في حقه إذا علمت أنه أول من جمع هذه العلوم في مصنف، ويظهر كذلك أنه يعالج ظاهرة كانت في عصره، فقد خصص جُلَّ كتابه في الحديث عن النسخ، ومناقشة المعتزلة فيه.

### ٢ - فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، للإمام عبد الرحمن بن علي بن الجوزي [٥٩٧هـ] المعروف بابن الجوزي<sup>(٤)</sup>:

(١) هو: الزاهد العارف شيخ الصوفية أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي صاحب التصانيف الزهدية، قال عنه الذهبي: «كبير القدر وقد دخل في شيء يسير من الكلام»، توفي سنة ٢٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/١١٠)، الوافي بالوفيات (٤/٧٣).

(٢) وقد رجح هذا الرأي د. فاروق حمادة في كتابه مدخل إلى علوم القرآن والتفسير (١٠)، ود. حازم حيدر في كتابه علوم القرآن بين البرهان والإتقان (١٠٥) وغيرهما، وقيل غير ذلك. انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (٩٢ - ١٠٥).

(٣) فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد المحارثي وهو مطبوع.

(٤) وسماه بعضهم: فنون الأفتان في عجائب القرآن، وذلك لورود النص عليها في المقدمة، وخالفهم محقق الكتاب د. حسن عتر بعدة قرائن، انظرها: (١٢٣).

وابن الجوزي هو: الشيخ الفاضل المسند بدر الدين أبو القاسم علي ابن الشيخ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي، وله مصنفات عديدة =

وهو مصنّف وجيز ولكنه أضاف علومًا كثيرة على ما ذكره الإمام المحاسبي، ومن ذلك: «القرآن كلام الله غير مخلوق، نزول القرآن على سبعة أحرف، كتابة المصحف وهجاؤه، عدد سور القرآن وآياته وحروفه...، أجزاء القرآن، عدد آيات السور، اللغات في القرآن، أدب الوقف والابتداء، التفسير والتأويل، المتشابه لفظًا في القرآن».

ويلاحظ عليه - أيضًا - عدم ترتيبه للعلوم إلى حدّ ما<sup>(١)</sup>، وتكرار الحديث عن الموضوع الواحد في عدة مواضع<sup>(٢)</sup>، وإغفاله لعلوم أساسية متعلقة بهذا العلم<sup>(٣)</sup>.

ولكن يبقى أن كتابه من أوائل الكتب في هذا الفن؛ فالعلوم لمّا تستقر بعد، بل عدّه بعض الباحثين أول من جمع العلوم القرآنية وأطلق عليها تسمية «علوم القرآن»<sup>(٤)</sup>، وأيضًا يُعدُّ كتابه مكملًا لكتبه الأخرى، فقد أحال عليها في علم التفسير والتأويل والمحكم والمتشابه.

٣ - جمال القراء وكمال الإقراء، للإمام علي بن محمد السخاوي<sup>(٥)</sup> [٤٣: ٦٤هـ]:  
وقد قسم كتابه إلى تسعة أقسام، وجعل لكل قسم عنوانًا مستقلًا، حتى ظن بعضهم أنها كتب مستقلة جمعت بعد في كتاب واحد<sup>(٦)</sup>، وجُلُّ

- = منها: «زاد المسير في التفسير»، و«فنون الأفتان» وغيرهما كثير، توفي سنة ٦٣٠هـ.  
انظر: سير أعلام النبلاء (٣٥٢/٢٢)، الوافي بالوفيات (١٤٦/٢١).  
(١) كتقدمه لفضائل القرآن أول الكتاب (١٤٢)، ومسألة خلق القرآن (١٤٩).  
(٢) كحديثه عن آيات القرآن (٢٣٦، ٢٧٨).  
(٣) كالوحي وأول ما نزل وأسباب النزول... إلخ.  
(٤) وهو: الشيخ غزلان في كتابه البيان في مباحث من علوم القرآن (٤١ - ٤٢).  
(٥) هو: الشيخ الإمام العلامة شيخ القراء والأدباء علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوي الشافعي، كان إمامًا في العربية بصيرًا باللغة، فقيهاً مفتيًا، عالمًا بالقراءات وعللها مجودًا لها بارعًا في التفسير، وله مصنفات منها: «شرح الشاطبية»، «جمال القراء»، «منير الدباجي في الأدب» وغيرها، توفي سنة ٦٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢٣/٢٣)، طبقات المفسرين للسيوطي (١٤).  
(٦) انظر: مقدمة المحقق (٧٢/١).

مادة الكتاب تتعلق بالقراءة والإقراء، وهو ما يوحي إليه عنوان الكتاب، إلا أنه ﷺ ذكر علومًا أخرى؛ كـ(نشر الدرر في ذكر الآيات والسور، والإفصاح الموجز في إيضاح المعجز، وذلك في بيان إعجاز القرآن في نظمه وسبكه، وأقوى العدد في معرفة العدد، وذلك في معرفة عدد آيات العد المدني والمكي. وذكر الشواذ في القرآن، والطود الراسخ في المنسوخ والناسخ).

ويلاحظ عليه التداخل في العناوين وتكرار بعض المباحث<sup>(١)</sup>، وعدم الترتيب بين العلوم<sup>(٢)</sup>، وأيضًا إغفال علوم أساسية من علوم القرآن<sup>(٣)</sup>، ولكن يلمس له أن السبب الرئيس من تصنيفه ﷺ هو مسألة القراءة والإقراء وما يرتبط بهما فقط، دون باقي العلوم.

٤ - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة<sup>(٤)</sup> [٥٦٦٥-]:

ومصنّفه من أروع المصنّفات في الترتيب والتنظيم، وتسلسل الموضوعات، وحرصه على الأثر، وإيراد المرويات، واتباعه لأسلوب السؤال والجواب.

(١) كإيراده لموضوع الآيات في القسم الأول (١٢٩/١) والرابع (٤١٩/١)، وموضوع تلاوة القرآن وأحكامها في القسم الثالث (٢٠٧/١) والسادس (١٨١/٢) والسابع (٢/٢) (٣٣١).

(٢) كتقديم (مدرسة جبريل، طبقات القراء، أوصاف قراءات القراء الكبار... إلخ) على الحديث عن «التجويد وماهيته، والترتيل، والتحقيق...».

(٣) كال تفسير واللغة وما يتعلق بهما... وغيرها.

(٤) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، الشيخ الإمام المتفنن شهاب الدين المقدسي الدمشقي الشافعي أبو شامة، وأبو شامة لقب عليه، كان أحد الأئمة، وصنف مصنّفات منها: «الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية» و«نور المسرى في تفسير آية الإسراء»، و«المرشد»، توفي سنة ٦٦٥هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢٤٤)، الوافي بالوفيات (٦/٦١).

## وقسّم كتابه ستة أبواب مرتبة:

- ١ - كيفية نزول القرآن، وتلاوته، وذكر حفاظه.
  - ٢ - في جمع الصحابة القرآن.
  - ٣ - في معنى قول النبي ﷺ: (أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ).
  - ٤ - في معنى القراءات السبع المشهورة.
  - ٥ - في الفصل بين القراءة الصحيحة القوية والشاذة والضعيفة.
  - ٦ - في الإقبال على ما ينفع من علوم القرآن والعمل به، وترك التعمق في تلاوة ألفاظه.
- إلا أن كتابه يُعدُّ تصنيفًا جزئيًا لبعض علوم القرآن، فقد قال عن الباب الثالث: «وهو عمدة هذا الكتاب، والمقصود بهذا التصنيف، وما قبله وما بعده من الأبواب مقدم بين يديه، وتبع له لشدة تعلق الجميع به»<sup>(١)</sup>.
- ٥ - البرهان في علوم القرآن، للإمام محمد بن عبد الله الزركشي [٧٩٤هـ]:  
ومصنّفه يُعدُّ عمدة هذا العلم، والأساس في هذا الفن؛ حيث ضمنه علوم من سبقه، وأسس علومًا لم يُسبق إليها<sup>(٢)</sup>، ومن جاء بعده عالية عليه، حيث أورد في كتابه سبعة وأربعين علمًا من علوم القرآن، قال عنه الحافظ ابن حجر<sup>(٣)</sup>: «ومن تصانيفه: «البرهان في علوم القرآن» من أعجب الكتب وأبدعها، مجلدة ذكر فيها نيفًا وأربعين علمًا من علوم القرآن»<sup>(٤)</sup>.

(١) المرشد الوجيز (٧٣).

(٢) انظر: «دور الزركشي في تأسيس بعض أنواع علوم القرآن» في كتاب علوم القرآن بين البرهان والإتقان (٥٤٧ - ٥٦٤).

(٣) هو: الحافظ المحقق العلامة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، له مصنفات كثيرة، وفي مقدمتها: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» و«الإحكام لما وقع في القرآن من الإبهام»، توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر: طبقات المفسرين للدواودي (٣٣٠)، طبقات الحفاظ للسيوطي (٥٥٢).

(٤) أنباء العُمر (٣/١٤٠).

إلا أنه يمكن أن يلاحظ عليه - من ناحية التصنيف - عدة ملاحظات:

- ١ - عدم تصنيفه للعلوم المترابطة تحت مسمى علم واحد؛ كصنيع الإمام البلقيني<sup>(١)</sup>؛ والحاجة داعية إليها لكثرة عدد العلوم وتنوعها.
  - ٢ - استهلال العلوم بعلم (معرفة سبب النزول، والمناسبة بين الآيات...) لم يظهر لي فيه مناسبة، والأولى استفتاحها بالوحي، أو كيفية النزول، أو أول ما نزل.
  - ٣ - كثرة التفرعات، وتعدد الأنواع، مما يمكن أن يجمع تحت نوع واحد<sup>(٢)</sup>.
  - ٤ - التشابه في العنوان، مع اختلاف المضمون<sup>(٣)</sup>.
  - ٥ - لا يوجد تسلسل منطقي، وترابط علمي بين العلوم المذكورة - غالبًا -<sup>(٤)</sup>.
- والذي يظهر لي أن الإمام الزركشي لم يهتم بهذا الجانب، ويؤله عنايته، بخلاف ما هو ظاهر عند الإمام السيوطي، ومقصود لذاته.
- ٦ - الإتيان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي [٩١١هـ]: وهو المصنّف الرائد، والمرجع السابق، لمن جاء بعده؛ إذ قد

(١) أشار الإمام السيوطي في مقدمة «الإتيان» إلى تقسيمه لعلوم القرآن، وترتيبه لها، وهي «الأمر الأول: مواطن النزول وأوقاته ووقائعه، في ذلك اثنا عشر نوعًا... الأمر الثاني: السند، وفيه ستة أنواع... الأمر الثالث: الأداء، وفيه ستة أنواع... الأمر الرابع: الألفاظ، وفيه سبعة أنواع... الأمر الخامس: المعاني المتعلقة بالأحكام، وهو أربعة عشر نوعًا... الأمر السادس: المعاني المتعلقة بالألفاظ، وهو خمسة أنواع...». انظر: مقدمة الإتيان في علوم القرآن (٦/١ - ٧).

(٢) انظر مثلاً: النوع ١١، ١٦، ١٧ وأيضًا ٢٦، ٢٨ وأيضًا ٢، ٣٠ وأيضًا ٣٦، ٣٧.

(٣) انظر على سبيل المثال: النوع ٥، ٣٦ وأيضًا ٢٠، ٣٢.

(٤) انظر على سبيل المثال: النوع ١٠، ١١، ١٢ وأيضًا ٣، ٤، ٥، ٦، ٧.

حوى البرهان واشتمل عليه، قال حاجي خليفة عند التعريف بـ«البرهان في علوم القرآن»: «والسيوطي أدرجه في إتقانه»<sup>(١)</sup>، واستفاد ممن سبقه في شتى العلوم وأفاد بها، مع زيادات وتحريرات وتلخيصات، كما هي طريقته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في غالب مصنفاته.

لذا احتفى العلماء بعده بكتابه؛ من زيادات عليه<sup>(٢)</sup> واختصارات له حتى تجاوزت عشر كتب<sup>(٣)</sup>.

إلا أنه يلاحظ عليه - من ناحية التصنيف - ما سبقت الإشارة إليه في الحديث عن البرهان<sup>(٤)</sup>، وأيضاً تفريقه بين علوم من حقها الموالاة<sup>(٥)</sup>.

وبعد ومن خلال ما سبقت الإشارة إليه، وورد التعريف به، تبين لي عدة أمور، هي:

١ - أن التأليف في العلوم المتعلقة بالقرآن كلما تأخر زمنه زيد فيه وازداد تحريراً، قال ابن الأثير: «كل مبتدئ بشيء لم يسبق إليه، ومبتدع أمراً لم يتقدم فيه عليه، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر، وصغيراً ثم يكبر»<sup>(٦)</sup>.

ففي البداية كان المؤلف يحوي خمسة أو ستة علوم... ثم اتسع

(١) كشف الظنون (١/٢٤٠).

(٢) كصنيع ابن عقيلة المكي، حيث قال: ولما رأيت كتابه «الإتقان» وما اشتمل عليه من العلوم، ونفائس الفهوم، الذي لو لم يكن له إلا هذا الكتاب لكفاه شرفاً وفخراً، يعلو به مرتبة وقدرًا، حداني ذلك إلى أن أخذو على منواله، وأنسج على مثاله، فشرعت في هذا الكتاب، وأودعت فيه جل ما في الإتقان، وزدت عليه قريباً من ضعفه.. (١/٩٠).

(٣) ومنها: التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان، لطاهر الجزائري، وتهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن، لمحمد بن عمر بازمول. انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (٨ - ٩).

(٤) في الرقم ١، ٢، ٣.

(٥) انظر على سبيل المثال: النوع ٤٢، ٧٧ أيضاً ١٩، ٥٩، ٦٠، ٦١.

(٦) النهاية في غريب الحديث (٩/١).

هذا العلم حتى أئنيق وأثمر واستوى على سوقه بظهور «البرهان في علوم القرآن» ومن بعده «الإتقان في علوم القرآن» فأعجب العلماء والدارسين وساروا على منوالهما.

٢ - أن أغلب الكتب سارت على خطة مرتبة، وبطريقة منظمة، وليس هو كما اتفق.

٣ - أن بعض العلوم تكون غير مرتبطة بما سواها بزمان أو مكان، فأينما وضعت صح المعنى، واكمل المبنى.

٤ - أن الأصل في العلوم تقديم العلوم الأساسية، والاعتناء بالمراحل التاريخية، في الترتيب بين العلوم، مع ضم النظر إلى نظيره. وعلى ضوء ما سبق أعرض تصنيفاً - مقترحاً - مستوحى من الكتب الأساسية، ومستفيداً من طريقتهم ومنهجهم.

أولاً: العلوم المتعلقة بالنزول. ويشتمل على: الوحي، نزول القرآن، أسباب النزول، المكى والمدني، نزول القرآن على سبعة أحرف...

ثانياً: العلوم المتعلقة بضبط القرآن. ويشتمل على: جمع القرآن، أسماء القرآن، سور القرآن، آيات القرآن، الفضائل، الخصائص...

ثالثاً: العلوم المتعلقة بقراءة القرآن. ويشتمل على: تلاوة القرآن وأحكامها، التجويد، القراءات القرآنية...

رابعاً: العلوم المتعلقة بدلالة الألفاظ. ويشتمل على: العام والخاص، النسخ، المحكم والمتشابه، المطلق والمقيد...

خامساً: العلوم المتعلقة بالمعاني. ويشتمل على: الاستنباط، أمثال القرآن، مشكل القرآن وموهم التعارض والاختلاف، مفردات القرآن...

سادساً: العلوم المتعلقة بالتفسير. ويشتمل على: أصول التفسير، العلوم التي يحتاجها المفسر، بيان السنة للقرآن، غريب القرآن، تعضيد السنة بالقرآن...



## الفصل الأول

# مناهج الأئمة في عرض علوم القرآن (الكتب الستة أنموذجاً)

ويشتمل على سبعة مباحث:

- المبحث الأول: منهج الإمام البخاري.
- المبحث الثاني: منهج الإمام مسلم.
- المبحث الثالث: منهج الإمام أبي داود.
- المبحث الرابع: منهج الإمام الترمذي.
- المبحث الخامس: منهج الإمام النسائي.
- المبحث السادس: منهج الإمام ابن ماجه.
- المبحث السابع: جهود شُراح الكتب الستة في علوم القرآن.



## أَفْضَلُ الْأَوَّلِ

### مناهج الأئمة في عرض علوم القرآن (الكتب الستة أنموذجًا)

تمهيد:

سلك العلماء - رحمهم الله - في تصنيفهم لأحاديث الرسول ﷺ مناهج عدة، وطرق متعددة، ومن أبرزها:

• طريقة الأبواب: وهي جمع الأحاديث الواردة في موضوع معين تحت كتاب أو باب واحد.

• وطريقة المسانيد: وهي جمع أحاديث كل صحابي على حدة من غير اعتبار موضوع الحديث.

قال الإمام السخاوي: «التأليف الأعم (في التصنيف) في الحديث طريقتان مألوفتان بين العلماء، الأولى: (جمعه)؛ أي: التصنيف بالسند (أبوابًا)؛ أي: على الأبواب الفقهية وغيرها، وتنويعه أنواعًا، وجمع ما ورد في كل حكم وكل نوع - إثباتًا ونفيًا - في باب فباب، بحيث يتميز ما يدخل في الجهاد مثلاً عما يتعلق بالصيام... أو جمعه (مسندًا)؛ أي: على المسانيد (تفرده صحابا)؛ أي: للصحابة واحدًا فواحدًا، وإن اختلف أنواع أحاديثه، وذلك كمسند الإمام أحمد وغيره»<sup>(١)</sup>.

والكتب المصنفة على الأبواب أعلى مرتبة من الكتب المصنفة على

المسانيد.. قال العراقي<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللهُ فِي أَلْفِيتهِ :

وَدُونَهَا فِي رُتْبَةٍ مَا جُعِلَ عَلَى الْمَسَانِيدِ فَيُدْعَى الْجَفَلَى  
كَمُسْنَدِ الطَّيَالِسِيِّ وَأَحْمَدًا وَعَدُّهُ لِلدَّارِمِيِّ انْتِقَادًا<sup>(٢)</sup>

قال ابن حجر<sup>(٣)</sup> في هذا السياق: «ظاهر حال من يصنف على الأبواب أنه ادعى على أن الحكم في المسألة التي بوب عليها ما بوب به فيحتاج إلى مستدل لصحة دعواه، والاستدلال إنما ينبغي أن يكون بما يصلح أن يحتج به، وأما ما يصنف على المسانيد فإن ظاهر قصده جمع حديث كل صحابي على حده سواء أكان يصلح للاحتجاج به أم لا..». وفي هذا الفصل سأتناول الحديث عن بعض مناهج أصحاب الطريقة الأولى، مكثفياً في ذلك بالكتب الستة.



(١) هو: الحافظ الإمام الكبير الشهير أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي، له مؤلفات كثيرة منها: «الألفية وشرحها»، و«نكت ابن الصلاح»، و«نظم غريب القرآن»، توفي سنة ٨٠٦هـ. انظر: ذيل طبقات الحفاظ (٣٧١)، طبقات الشافعية (٢٩/٤).

(٢) المرجع السابق (٦/١).

(٣) النكت على كتاب ابن الصلاح (٢٨١/١، ٢٨٢).

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

## منهج الإمام البخاري

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: منهجه في عموم الكتاب.

المطلب الثاني: منهجه في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن.



## المَبْحَثُ الأوَّلُ

### منهج الإمام البخاري

مدخل:

أولاً: التعريف بالإمام البخاري:

هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، الإمام حافظ الإسلام، شيخ الحديث وطبيب علله في القديم والحديث، إمام الأئمة عجمًا وعربًا<sup>(١)</sup>.

مولده: ولد سنة (١٩٤هـ) في بخارى، ونشأ يتيمًا<sup>(٢)</sup>.

روى الخطيب البغدادي<sup>(٣)</sup> بسنده «عن أبي جعفر محمد بن أبي حاتم قال: قلت لأبي عبد الله...: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب، قلت: أتى عليك إذ ذاك؟ قال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكُتَّاب بعد العشر...»<sup>(٤)</sup>.

أما عن شيوخه فهم كثرة كاثرة لا يمكن استقصاؤهم، ويصعب

(١) انظر: تاريخ بغداد (٦/٢)، سير أعلام النبلاء (٤٠٥/١٢)، تهذيب الكمال (٢٤/٤٣٠)، وفيات الأعيان (١٩٠/٤).

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٦/٢).

(٣) هو: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، أحد حفاظ الحديث وضابطيه المتقنين، ومصنفاته تزيد على ستين مصنفًا، منها: «تاريخ بغداد» وغيره، توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: طبقات الشافعية (٢٤٠/١)، وفيات الأعيان (٩٢/١).

(٤) تاريخ بغداد (٦/٢ - ٧).

حصرهم، ولكن الحافظ ابن حجر حصرهم في خمس طبقات<sup>(١)</sup>.  
قال عنه شيخه قتيبة بن سعيد<sup>(٢)</sup>: «جالست الفقهاء والزهاد والعباد  
فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في  
الصحابة»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أحمد بن حنبل<sup>(٤)</sup>: «ما أخرجت خراسان مثل محمد بن  
إسماعيل»<sup>(٥)</sup>.

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي<sup>(٦)</sup>: «محمد أكيس خلق الله، إنه  
عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه وعلى لسان نبيّه، إذا قرأ محمد القرآن  
شغل قلبه وبصره وسمعه، وتفكر في أمثاله، وعرف حلاله وحرامه»<sup>(٧)</sup>.  
توفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة (٢٥٦هـ) بسمرقند<sup>(٨)</sup>.

## ثانياً: التعريف بالصحيح:

اسمه: سماه مؤلفه أبو عبد الله البخاري: الجامع المسند الصحيح

- (١) انظر: هدي الساري (٦٧٠).
- (٢) هو: المحدث الإمام أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفى مولاهم  
البلخي، شيخ البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي، توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: سير  
أعلام النبلاء (١٧/١١)، تقريب التهذيب (٣٩٠).
- (٣) تاريخ بغداد (٧/٢)، هدي الساري (٦٧٤).
- (٤) هو: الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، أثنى  
عليه العلماء كثيراً، وسيرته حافلة بمآثره الطيبة، ومواقفه البطولية، ابتلي كثيراً، وتوفي  
سنة ٢٤٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧٧/١١)، صفة الصفوة (٢/٣٣٦).
- (٥) المراجع السابقة.
- (٦) هو: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الحافظ الإمام أحد الأعلام  
أبو محمد التميمي، صاحب المسند، وصنف في التفسير، توفي سنة ٢٥٥هـ. انظر:  
تاريخ بغداد (٢٩/١٠)، سير أعلام النبلاء (١٢/٢٢٤).
- (٧) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٠٥/١٢)، وفيات الأعيان (٤/١٩٠).
- (٨) انظر: تهذيب الكمال (٤٣٢/٢٤)، وفيات الأعيان (٤/١٩١).



المختصر من أمور رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

سبب تأليفه: روى الخطيب البغدادي بسنده إلى البخاري قال: «كنت عند إسحاق بن راهويه فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتاباً مختصراً لسنة رسول الله ﷺ، فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى قال البخاري: «رأيت النبي ﷺ كأنني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال لي: أنت تذب عنه الكذب»<sup>(٣)</sup>.

ولا يوجد مانع من الجمع بينهما، وأنهما سبباً تصنيفه.

مدته: قال البخاري: «صنفت كتابي الصحاح لست عشرة سنة»<sup>(٤)</sup>.

مكانه: قال البخاري: «أقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي، أصنف وأحج في كل سنة وأرجع من مكة إلى البصرة، قال: وأنا أرجو أن يبارك الله تعالى للمسلمين في هذه المصنفات»<sup>(٥)</sup>.

وذكر ابن حجر أنه حوّل تراجم جامعه - يعني: بيّضها - بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين<sup>(٦)</sup>.

وقيل: إنه صنف الصحيح ببخارى، وقيل: بمكة، وقال: وما أدخلت فيه حديثاً إلا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: التلخيص للنووي (٢١٣/١)، مقدمة ابن الصلاح (٢٦).

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٨/٢)، هدي الساري (٩).

(٣) هدي الساري (٩).

(٤) انظر: تاريخ بغداد (٨/٢)، سير أعلام النبلاء (٤٠٥/١٢).

(٥) هدي الساري (٦٨١).

(٦) المرجع السابق (١٦).

(٧) انظر: هدي الساري (٦٨٣)، عمدة القاري (٥/١).

جمع بينهما النووي<sup>(١)</sup> فقال: «الجمع بين هذا كله ممكن بل متعين، فإننا قد قدمنا عنه أنه صنفه في ست عشرة سنة فكان يصنف منه بمكة والمدينة والبصرة وبخارى، والله أعلم»<sup>(٢)</sup>.

وقال الحافظ ابن حجر: «الجمع بين هذا وبين ما تقدم أنه كان يصنفه في البلاد، أنه ابتداء تصنيفه وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام، ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده وغيرها، ويدل عليه قوله: (إنه أقام فيه ست عشرة سنة) فإنه لم يجاور بمكة هذه المدة كلها»<sup>(٣)</sup>.

عدد أحاديثه: قال ابن الصلاح<sup>(٤)</sup>: سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديث المكررة<sup>(٥)</sup>، وتعقب ذلك ابن حجر حيث قال: «جميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على ما حررته وأتقنته سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثاً»<sup>(٦)</sup>. وقد استخرجها من زهاء ستمائة ألف حديث<sup>(٧)</sup>.

مع التنبيه إلى أنه لم يكن من مقصود الإمام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ استيعاب الأحاديث الصحيحة كلها، بل قال: «ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول»<sup>(٨)</sup>.

(١) هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن، محيي الدين أبو زكريا النووي، صاحب المصنفات الكثيرة، ومنها: «المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، و«التبيان في آداب حملة القرآن» و«المجموع» وغيرهما، توفي سنة ٦٧٦هـ. انظر: طبقات الشافعية (١٥٣/٢)، تذكرة الحفاظ (١٤٧٠/٤).

(٢) التلخيص (٢١٨/١).

(٣) هدي الساري (٦٨٣).

(٤) هو: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الملقب: تقي الدين، له مصنفات كثيرة، منها: «الأمالي»، «شرح صحيح مسلم»، «علوم الحديث»، وغيرها، توفي سنة ٦٣٣هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢٤٣/٣)، شذرات الذهب (١٢١/٥).

(٥) انظر: المرجع السابق (٢٠). (٦) انظر: هدي الساري (٦٥٧).

(٧) انظر: تاريخ بغداد (٨/٢).

(٨) مقدمة ابن الصلاح (١٩)، تهذيب الكمال (١٧١/٣).

وهو أيضًا أشار إليه في تسمية هذا السفر العظيم بقوله الجامع  
المختصر...



## المطلب الأول

### منهجه في عموم الكتاب

اتفق جمهور العلماء على أسبقية «صحيح البخاري» الزمنية والأفضلية والرتبة، فهو أول مصنف صنف في الصحيح المجرد، وأصح الكتب بعد كتاب الله تعالى وأفضلها، واحتوى على أعلى درجات الصحيح، قال الإمام النووي: «اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث، وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الإتقان والحدق والغوص على أسرار الحديث»<sup>(١)</sup>.

وقد التزم الإمام البخاري مع صحة الأحاديث استنباط المسائل الفقهية والنكت العلمية والأحكام الشرعية قال النووي: «... ليس مقصوده بهذا الكتاب الاقتصار على الحديث وتكثير المتون، بل مراده: الاستنباط منها، والاستدلال لأبواب أرادها من الأصول والفروع... ولهذا المعنى أخلى كثيراً من الأبواب عن إسناد الحديث، واقتصر على قوله: فيه فلان الصحابي عن النبي ﷺ أو فيه حديث فلان ونحو ذلك. وقد يذكر متن الحديث بغير إسناد، وقد يحذف من أول الإسناد

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/٢٤).

واحدًا فأكثر، وهذان النوعان يسميان تعليقًا . . . وإنما يفعل هذا؛ لأنه أراد الاحتجاج بالمسألة التي ترجمها، واستغنى عن ذكر الحديث أو عن إسناده ومثته، وأشار إليه لكونه معلومًا، وقد يكون مما تقدم وربما تقدم قريبًا.

وذكر في تراجم الأبواب آيات كثيرة من القرآن العزيز، وربما اقتصر في بعض الأبواب عليها ولا يذكر معها شيئًا أصلًا. وذكر أيضًا في تراجم الأبواب أشياء كثيرة جدًا من فتاوى الصحابة والتابعين فمن بعدهم<sup>(١)</sup>.

### منهجه في إتمام الحديث وتقطيعه وتكراره:

وطريقته تقطيع الحديث واختصاره، وإعادة الحديث الواحد في الأبواب وتكراره، وذلك لحكمة ودراية أفصح عنها ابن حجر بقوله: «قلما يورد حديثًا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد، وإنما يورده من طريق أخرى لمعان نذكرها والله أعلم بمراده منها.

فمنها: أنه يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر، والمقصود منه أن يخرج الحديث عن حد الغرابة.

ومنها: أنه صحح أحاديث على هذه القاعدة، يشتمل كل حديث منها على معان متغايرة فيورده في كل باب من طريق غير الطريق الأولى.

ومنها: أحاديث يرويها بعض الرواة تامة ويرويها بعضهم مختصرة فيوردها كما جاءت؛ ليزيل الشبهة عن ناقلها.

ومنها: أن الرواة ربما اختلفت عباراتهم فحدث راو بحديث فيه كلمة تحتل معنى، وحدث به آخر فعبر عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتل معنى آخر فيورده بطرقه إذا صحت على شرطه، ويفرد لكل لفظة بابًا مفردًا.

(١) التلخيص (١/٢٣٠ - ٢٣١).

ومنها: أحاديث تعارض فيها الوصل والإرسال ورجح عنده الوصل فاعتمده وأورد الإرسال منبهاً على أنه لا تأثير له عنده في الوصل.

ومنها: أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذلك.

ومنها: أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلاً في الإسناد ونقصه بعضهم فيوردها على الوجهين، حيث يصح عنده أن الراوي سمعه من شيخ حدثه به عن آخر، ثم لقي الآخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين... وهذا جميعه فيما يتعلق بإعادة المتن الواحد في مواضع كثيرة.

وأما تقطيعه للحديث في الأبواب تارة واقتصاره منه على بعضه أخرى فذلك لأنه إن كان المتن قصيراً أو مرتبطاً ببعضه ببعض وقد اشتمل على حكيمين فصاعداً، فإنه يعيده بحسب ذلك مراعيًا مع ذلك عدم إخلائه من فائدة حديثة...

وأما اقتصاره على بعض المتن ثم لا يذكر الباقي في موضع آخر فإنه لا يقع له ذلك في الغالب إلا حيث يكون المحذوف موقوفاً على الصحابي، وفيه شيء قد يحكم برفعه فيقتصر على الجملة التي يحكم لها بالرفع ويحذف الباقي؛ لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه... وإذا تقرر ذلك اتضح أنه لا يعيد إلا لفائدة، حتى لو لم تظهر لإعادته فائدة من جهة الإسناد ولا من جهة المتن لكان ذلك لإعادته لأجل مغايرة الحكم الذي تشتمل عليه الترجمة الثانية موجباً لثلاث مكرراً بلا فائدة، كيف وهو لا يخلية مع ذلك من فائدة إسنادية... أو غير ذلك على ما سبق تفصيله...»<sup>(١)</sup>.

منهجه في عرض التراجم:

وتراجمه البديعة المنال، المنيعة المثال، التي انفرد بتدقيقه فيها عن

(١) هدي الساري (١٩ - ٢٠).

نظرائه، واشتهر بتحقيقه لها عن قرنائته<sup>(١)</sup> على مسلكين:

**الأول:** التراجم الظاهرة: وهي أن تكون الترجمة دالة بالمطابقة لما يورد في مضمونها، وإنما فائدتها الإعلام بما ورد في ذلك الباب من غير اعتبار لمقدار تلك الفائدة، كأنه يقول: هذا الباب الذي فيه كيت وكيت، أو باب ذكر الدليل على الحكم الفلاني مثلاً.

**الثاني:** تراجم خفية: وهذه قد تكون بلفظ المترجم له، أو بعضه، أو بمعناه<sup>(٢)</sup>، ولها أحوال وأسباب:

**الحال الأولى:** أن يكون في لفظ الترجمة احتمال لأكثر من معنى واحد فيعين أحد الاحتمالين بما يذكر تحتها من الحديث.

**الحال الثانية:** عكس ما سبق، وهو أن يكون الاحتمال في الحديث والتعيين في الترجمة، والترجمة في هذا تكون بياناً لتأويل ذلك الحديث نائبة مناب قول الفقيه مثلاً: المراد بهذا الحديث العام: الخصوص، أو بهذا الحديث الخاص: العموم؛ إشعاراً بالقياس لوجود العلة الجامعة، أو أن ذلك الخاص المراد به: ما هو أعم مما يدل عليه ظاهره بطريق الأعلى أو الأدنى، ويأتي في المطلق والمقيد نظير ما ذكرنا في الخاص والعام وكذا في شرح المشكل، وتفسير الغامض.

ويعود خفاء التراجم في هاتين الحالين إلى سببين:

١ - عدم حصول البخاري في الباب على حديث يتوافر فيه شرطه، ظاهر المعنى في المقصد الذي ترجم به ويستنبط الفقه منه، وهذا أغلب الأسباب.

(١) هدي الساري (٦).

(٢) هذا تقسيم الحافظ ابن حجر، وجعل الدكتور العتر في كتابه (الإمام الترمذي والموازنة بينه وبين الصحيحين ص ٣٠٦) القسمة ثلاثية، وهي التراجم الظاهرة والتراجم الاستنباطية، والقسم الثالث: التراجم المرسلة، وهي التي اكتفى فيها بلفظ (باب) ولم يعنون بشيء يدل على المضمون، بل ترك ذلك العنوان.

٢ - وقد يكون لغرض شحذ الأذهان في إظهار مضمرة واستخراج خبيئه وكثيراً ما يفعل البخاري ذلك حيث يذكر الحديث المفسر لذلك في موضع آخر متقدماً أو متأخراً، فكأنه يحيل عليه ويومئ بالرمز والإشارة إليه.

الحال الثالثة: بيان هل يثبت الحكم أو لا يثبت، أو أنه محتمل لهما، وربما كان أحد المحتملين أظهر، فيترجم حينئذ على الحكم بلفظ الاستفهام كقوله: «باب هل يكون كذا، أو من قال: كذا» ونحو ذلك وغرضه أن يُبقي للنظر مجالاً وينبه على أن هناك احتمالاً أو تعارضاً يوجب التوقف حيث يعتقد أن فيه إجمالاً، أو يكون المدرك مختلفاً في الاستدلال به. وسبب الخفاء هنا عدم توجه الجزم للبخاري بأحد الاحتمالين.

الحال الرابعة: الإشارة إلى حديث لم يصح على شرطه فيترجم بلفظ يومئ إلى معنى ذلك الحديث، أو يأتي بلفظ الحديث الذي لم يصح على شرطه صريحاً في الترجمة، ويورد في الباب ما يؤدي معناه، تارة بأمر ظاهر، وتارة بأمر خفي، من ذلك قوله: (الأمراء من قُرَيْشٍ) وهذا لفظ حديث يروى عن علي رضي الله عنه وليس على شرط البخاري... وربما اكتفى أحياناً بلفظ الترجمة التي هي لفظ حديث لم يصح على شرطه، وأورد معها أثراً أو آية، فكأنه يقول: لم يصح في الباب شيء على شرطي.

وهناك سبيان آخران لخفاء الترجمة:

أولاً: وهو راجع إلى التأمل، فكثيراً ما يترجم بأمر ظاهره قليل الجدوى لكنه إذا حققه المتأمل أجدى؛ كقوله: (باب قول الرجل: ما صلينا)، فإنه أشار به إلى الرد على من كره ذلك.

ثانياً: وقد يكون سبب الخفاء الترجمة بأمر مختص ببعض الوقائع



لا يظهر في بادئ الرأي؛ كقوله: (باب استياك الإمام بحضرة رعيته) فإنه لما كان الاستياك قد يظن أنه من أفعال المهنة فلعل بعض الناس يتوهم أن إخفاءه أولى مراعاة للمروءة، فلما وقع في الحديث أن النبي ﷺ استاك بحضرة الناس دل على أنه من باب التطيب لا من الباب الآخر<sup>(١)</sup>.

ومن خلال براعة التبويب، وفن الترتيب، وإلماحة العبارة، وجمال الإشارة، أكد العلماء أن فقه البخاري في تراجمه<sup>(٢)</sup>.



(١) هذا ما توصل إليه ابن حجر في عموم تراجم البخاري بعد سير ودراية (انظر: هدي الساري ١٦ - ١٧)، وقد حاكيت في التقسيم والترتيب كتاب (الإمام البخاري فقيه المحدثين ومحدث الفقهاء، ١٥٧ - ١٦١).

(٢) هدي الساري (١٧). وانظر للاستزادة في بيان منهجه العام: الحطة في ذكر الصحاح الستة (٢٩٥) وما بعدها، الإمام البخاري وصحيحه لعبد الغني عبد الخالق (١٧٩) وما بعدها، مناهج المحدثين لسعد آل حميد (١٠ - ٣٢)، الإمام البخاري وجامعه الصحيح لعلي جمعة، الإمام البخاري فقيه المحدثين ومحدث الفقهاء لزار الحمداني.

## المطلب الثاني

### منهجه في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن

اهتم الإمام البخاري رحمه الله بالعلوم المتعلقة بالقرآن الكريم أكثر من غيره، فقد أفرد لها في صحيحه أربعة كتب، فضلاً عن الأحاديث التي يذكرها في باقي كتبه، فمن منهجه تقطيعه للحديث الواحد في مواضع كثيرة، قال ابن حجر: «وأما تقطيعه للحديث في الأبواب تارة واقتصاره منه على بعضه أخرى، فذلك لأنه إن كان المتن قصيراً أو مرتبباً بعضه ببعض وقد اشتمل على حكيمين فصاعداً، فإنه يعيده بحسب ذلك مراعيًا مع ذلك عدم إخلائه من فائدة حديثية... فإن كان المتن مشتملاً على جمل متعددة لا تعلق لإحداها بالأخرى فإنه يخرج كل جملة منها في باب مستقل فراراً من التطويل، وربما نشط فساقه بتمامه فهذا كله في التقطيع...»<sup>(١)</sup>.

أما الكتب التي أفردتها فهي كما يلي:

#### أولاً: بدء الوحي:

استفتح كتابه بـ(بدء الوحي)، والذي يظهر أنه لم يطلق عليه اسم (كتاب) - كما هو موجود في نسخ الصحيح -<sup>(٢)</sup>.

وقد التمس العلماء الحكمة من ذلك، فمما قيل: «لأن بدء الوحي

(١) هدي الساري (١٩ - ٢٠).

(٢) انظر على سبيل المثال: طبعة دار السلام ص ١، والطبعة السلفية (١٣/١).

من بعض ما يشتمل عليه الوحي»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حجر: «ويظهر لي أنه إنما عراه من باب؛ لأن كل باب يأتي بعده ينقسم منه فهو أمُّ الأبواب فلا يكون قسيماً لها»<sup>(٢)</sup>.  
وبعضهم نظر إليه نظرة تقسيميه (فنية) كما قال العيني<sup>(٣)</sup>: «وإنما قال: باب ولم يقل: كتاب؛ لأن الكتاب يذكر إذا كان تحته أبواب وفصول، والذي تضمنه هذا الباب فصل واحد ليس إلا، فلذلك قال: باب ولم يقل: كتاب»<sup>(٤)</sup>.

واستفتح كتابه بـ«بدء الوحي» وتقديمه على غيره من حكمته وسداد رأيه ﷺ، فالوحي منبع الخيرات ومصدر البركات، وبه قامت الشرائع وجاءت الرسائل، ومنه عرفت الحدود والأحكام<sup>(٥)</sup>، قال ابن حجر: «الكتاب لما كان موضوعاً لجمع وحي السُّنَّة صدره ببدء الوحي»<sup>(٦)</sup>.

وقد استفتح كتابه بحديث (النية)، واجتهد الشراح في وجه إيراد هذا الحديث في أول مصنفه من جهة، ودخوله في بدء الوحي من جهة أخرى، فمنهم من رأى أنه لا تعلق له بـ«بدء الوحي» وإنما أورده قبل الترجمة للتبرك به، ثم ابتدأ بـ«بدء الوحي»<sup>(٧)</sup>، وقال بعضهم: أراد

(١) هدي الساري (٦٦٠)؛ قاله البلقيني.

(٢) المرجع السابق.

(٣) هو: الإمام العلامة الكبير بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى المعروف بالعيني، صاحب المصنفات الجليلة في الحديث والفقه وغيرهما، ومنها: «عمدة القاري في شرح البخاري»، و«نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار» وغيرهما، توفي سنة ٨٥٥هـ. انظر: الضوء اللامع (٦٢/٥)، البدر الطالع (٢٨٥/٢).

(٤) عمدة القاري (١٣/١).

(٥) انظر: هدي الساري (٦٦٠).

(٦) فتح الباري (١٤/١).

(٧) كالخطابي في شرحه لصحيح البخاري، والإسماعيلي في مستخرجه، انظر: الفتح (١/١٣) لكن محقق شرح الخطابي لم يشر إلى ذلك، بل وضع له عنوان الباب، أعلام الحديث (١٠٧/١).

البخاري بإيراده بيان حسن نيته فيه<sup>(١)</sup>، وقيل: أراد أن يقيمه مقام الخطبة للكتاب؛ لأن النبي ﷺ وعمر رضي الله عنه خطبا به على المنبر بمحضر الصحابة، فإذا صلح أن يكون في خطبة المنبر صلح أن يكون في خطبة الكتاب<sup>(٢)</sup>، وقيل غير ذلك.

أما وجه إيراده في (بدء الوحي) فقيل: إن الله تعالى أوحى إلى محمد ﷺ وإلى الأنبياء قبله أن الأعمال بالنيات لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]<sup>(٣)</sup>. وقيل: إن بدء الوحي كان بالنية؛ لأن الله تعالى فطر محمداً ﷺ على التوحيد وبغض إليه الأوثان، ووهب له أول أسباب النبوة وهي الرؤية الصالحة<sup>(٤)</sup>.

وقيل: إن النبي ﷺ كان مقدمة النبوة في حقه هجرته إلى الله تعالى بالخلوة في غار حراء فناسب الافتتاح بحديث الهجرة<sup>(٥)</sup>.

وقيل: لما كان الوحي لبيان الأعمال الشرعية صدره بحديث الأعمال<sup>(٦)</sup>، ووصف ابن حجر هذه المناسبة بأنها من المناسبات البديعة الوجيزة<sup>(٧)</sup>، وقيل غير ذلك<sup>(٨)</sup>.

وعدّ ستة أبواب بدون عناوين، عدا الأول منها، وضمنها سبعة أحاديث، ومن طريقته رضي الله عنه أنه ربما ترجم بقوله: (باب) بدون إضافة... وليس غرضه أن الباب الأول قد انقضى بما فيه وجاء الباب الآخر

(١) وهو قول ابن رشيد، انظر: الفتح (١٣/١).

(٢) انظر: التوضيح لابن الملقن (١٢٠/٢)، الفتح (١٣/١)، عمدة القاري (١٧/١).

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣١/١).

(٤) انظر: الفتح (١٤/١) نقله عنه البيهقي.

(٥) انظر: المتواري على تراجم أبواب البخاري (٤٨).

(٦) انظر: الفتح (١٤/١). (٧) المرجع السابق.

(٨) انظر: أعلام الحديث (١٠٨/١)، شرح ابن بطال (٣١/١)، التوضيح لابن الملقن

(١٢٩ - ١١٩/٢)، شرح الكرمانى (١٤/١)، الفتح (١٤/١ - ١٥)، عمدة القاري

(١٣/١).

بجديد، ولكن قوله: (باب) بمنزلة ما يكتبه أهل العلم على الفائدة المهمة لفظ: (تنبيه) أو لفظة: (فائدة)<sup>(١)</sup>.

وضمنها سبعة أحاديث حيث افتتح بحديث النية، واختتم بحديث هرقل، والمناسبة في ذلك كما قال ابن حجر: «ختم به البخاري هذا الباب الذي استفتحه بحديث الأعمال بالنيات، كأنه قال: إن صدقت نيته انتفع بها في الجملة وإلا خاب وخسر»<sup>(٢)</sup>.

والأحاديث الأخرى فيها بيان لكيفية الوحي وطرائقه، وأحوال النبي ﷺ عند نزول الوحي، وأحوال جبريل عليه السلام عند مجيئه بالوحي.

### ثانياً: كتاب سجود القرآن:

وأورد فيه خمسة عشر حديثاً؛ اثنان مُعلّقان، قرر من خلالها سُنة السجود، وأنها ليست بواجبة<sup>(٣)</sup>، وأنه لا يشترط فيها الطهارة<sup>(٤)</sup>، وجواز قراءة السجدة ولا يسجد فيها<sup>(٥)</sup>، وكذلك سجود المستمع لقراءة القارئ إذا سجد<sup>(٦)</sup>.

واستدل على بعض سجودات القرآن، وهي سجدة سورة (تنزيل السجدة)، ووص، والنجم، وإذا السماء انشقت، والنحل لفعل عمر رضي الله عنه، وترجيحه لسُنة السجدة في سورة (ص).

(١) انظر: شرح تراجم أبواب صحيح البخاري للدهلوي (١٠).

(٢) الفتح (٦١/١).

(٣) حيث قال: باب ما جاء في سجود القرآن وسُنَّتها (٢١٢).

(٤) حيث قال: باب سجود المسلمين مع المشركين، والمشرك نجس وليس له وضوء (٢١٢).

(٥) واستدل بحديث زيد بن ثابت أنه قرأ على رسول الله ﷺ سورة النجم ولم يسجد فيها (٢١٣).

(٦) واستدل بحديث أن النبي ﷺ كان يقرأ السورة فيها سجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدنا موضع جبهته (٢١٣).

وتبويبه بـ(من قرأ السجدة ولم يسجد)<sup>(١)</sup>، وذكره لحديث: «قرأت على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها» إثبات لسجدة (والنجم) والرد على من قال: إن المفصل لا سجود فيه، أو أن النجم بخصوصها لا سجود فيها<sup>(٢)</sup>.

ورد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على من كره قراءة السجدة في الصلاة المفروضة، بقوله: «من قرأ السجدة في الصلاة فسجد بها»<sup>(٣)</sup>.

وإيراده لكتاب «سجود القرآن» بين كتابي الكسوف وتقصير الصلاة، فيه دلالة على أنها من أفعال الصلاة إذا مرّ بها المصلي، وأنه يسجد مباشرة، وقد أشار إلى هذا في إحدى تبويباته، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باب: من قرأ السجدة في الصلاة فسجد بها<sup>(٤)</sup>.

### ثالثاً: كتاب التفسير:

اشتمل على خمسمائة وثمانية وأربعين حديثاً من الأحاديث المرفوعة وما في حكمها؛ الموصول منها أربعمائة وخمسة وستون حديثاً والبقية معلقة وما في معناه<sup>(٥)</sup>.

افتتح الكتاب بسورة الفاتحة ثم سورة البقرة إلى سورة الناس مرتبة بترتيب المصحف، وقد أتى على جميع سور القرآن، وبعض السور يكتفي بذكر الغريب فقط، ولا يورد فيها حديثاً واحداً<sup>(٦)</sup>، وربما سُمي السورة

(١) الجامع (٢١٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (٧٢٢/٢).

(٣) انظر: فتح الباري (٩٥٠/٨).

(٤) انظر: سورة المؤمنون (١٠٠١)، النمل (١٠١٣)، العنكبوت (١٠١٥)، الملائكة

(١٠٢٣)، المؤمن (١٠٢٨)، حم الجاثية (١٠٣٣)، الذاريات (١٠٤٠)، سورة الحديد

(١٠٤٨)، سورة المجادلة (١٠٤٨)، التغابن (١٠٥٦)، تبارك (١٠٥٩) الحاقة، سأل

سائل، نوح (١٠٦٠)، قل أوحى المزمّل (١٠٦١)، الإنسان (١٠٦٤)، عبس

(١٠٧٦)، التكوير، الانفطار، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، =

بالاسم الوارد فيها؛ كالبقرة، آل عمران، بني إسرائيل، الكهف...، أو اكتفى بذكر أول السورة؛ كسورة كهيعص، حم عسق، الذاريات، النجم، اقتربت الساعة، قل أوحى إلي...، وعند بداية كل سورة يبسم بعد ذكره لاسم السورة.

جميع تبويباته في هذا الكتاب دائرة بين ثلاثة عناوين:

- ١ - عنوان إنشائي، وذلك في موضع واحد فقط<sup>(١)</sup>.
- ٢ - الاكتفاء بقول: باب - وقد سبقت الإشارة إلى ذلك -.
- ٣ - والأعم الأغلب إيراد الآية أو الآيات والاكتفاء بها، وهي إما من باب بيان السُّنة للقرآن بأنواعه المختلفة؛ كبيان الألفاظ<sup>(٢)</sup>، وتفصيل القصص<sup>(٣)</sup>، وتخصيص العام<sup>(٤)</sup>، وبيان مشكل<sup>(٥)</sup>، أو تفسيراً نبوياً للآية<sup>(٦)</sup>، أو تعضيد السُّنة للقرآن...<sup>(٧)</sup> وربما لا يكون بينهما صلة إلا مجرد ورود الآية في نص الحديث<sup>(٨)</sup>.

وهناك كتب كثيرة متنوعة تكون التراجم التفسيرية فيها بنسبة مرتفعة؛ ككتاب الإيمان، والقدر، والمظالم، والوصايا<sup>(٩)</sup>.

= الشمس (١٠٧١)، الانشراح، القدر، العاديات، الماعون (١٠٧٩)، الكافرون (١٠٨٠).

- (١) الجامع (٩١٢).
- (٢) انظر على سبيل المثال: ح [٢٧٢٨، ٣٣٣٩، ٤٤٧٤، ٤٤٧٨، ٤٩٦٤].
- (٣) انظر على سبيل المثال: ح [٤٧٢٥، ٤٧٢٦].
- (٤) انظر على سبيل المثال: ح [٤٦٣٥، ٤٦٩٨، ٤٧١٧، ٤٧٨١].
- (٥) انظر على سبيل المثال: ح [٣٣٦٠، ٤٨٠٣، ٤٨٩٧].
- (٦) انظر على سبيل المثال: ح [٣٣٤٩، ٣٤٠٣، ٣٤٠٤، ٤٤٧٤، ٤٥١٧].
- (٧) انظر على سبيل المثال: ح [٤٥٣٥، ٤٥٤٨، ٤٦٩٤، ٤٧٣٦، ٤٨٠١].
- (٨) وسيأتي مزيد بحث في المبحث الخاص بـ (التفسير).
- (٩) انظر: منهج الإمام البخاري في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، للباحث: سيد أحمد خضري، (٢٩).

والإمام البخاري اتخذ قاعدة تفسيرية فريدة، وذلك في أغلب كتب الجامع، وهي أنه يبدأ الكتاب بآية أو آيات من كتاب الله؛ إشارة إلى أصل ذلك الحكم من القرآن، وأن كل ما في الكتاب من الآثار والأحاديث إنما هو تفسير وتوضيح لذلك، وعلى هذه القاعدة سار في كتب الجامع<sup>(١)</sup>.

ومن منهجه أنه ربما فسر القرآن بالقرآن، وذلك بجمعه الآيات ذات الموضوع الواحد في موضع واحد<sup>(٢)</sup>، أو بيان موهم التعارض والاختلاف<sup>(٣)</sup>، أو تفسير ألفاظ القرآن بألفاظ من القرآن<sup>(٤)(٥)</sup>.

وقد نقل تفاسير الصحابة ومن بعدهم، خاصة تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، واهتم ببيان غريب القرآن نقلاً وابتداءً.

ومن خلال تبويباته تبرز ملكة التفسير عنده رحمته الله واهتمامه بهذا الفن، وذلك بدقة نظره، وسداد رأيه، وحسن جمعه، وبراعة ربطه.

#### رابعاً: فضائل القرآن:

اشتمل كتاب «فضائل القرآن» على تسعة وتسعين حديثاً؛ المعلق منها وما التحق به من المتابعات تسعة عشر حديثاً، والباقي موصول، وبلغت تبويباته سبعة وثلاثين باباً<sup>(٦)</sup>.

استفتح كتابه بـ(باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل) وقد تقدم في

(١) انظر: كتاب المحصر، الوكالة، البيوع، المزارعة، المساقاة، الشهادات، الأيمان والنذور، الطلاق، الغسل، الزكاة، الإيمان، القدر، المظالم، الوصايا. انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر على سبيل المثال: باب فضل الحرم (٣١٦)، باب أكل المضطر (١١٩٧).

(٣) انظر على سبيل المثال: سورة السجدة (١٠٢٨).

(٤) انظر على سبيل المثال: المثالات (٩٨١)، المقتسمين (٩٨٥).

(٥) انظر: منهج الإمام البخاري في التفسير (٣٨٠).

(٦) انظر: الفتح (١٢٩/٩).



أول الصحيح باب مشابه له<sup>(١)</sup>، ولكن عبّر هنا بأول ما نزل؛ لأنه أخص من التعبير بأول ما بدئ؛ لأن النزول يقتضي وجود من ينزل به، وإيحاء الوحي أعم من أن يكون بإنزال أو بإلهام<sup>(٢)</sup>.

وقرر أن القرآن نزل بلسان قريش والعرب<sup>(٣)</sup>، وقصر كتابة الوحي على زيد بن ثابت رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>، وذلك لكثرة تعاطيه وكتابته دون غيره<sup>(٥)</sup>، وإن كان كُتِّب الوحي كثير، وبيّن معارضة جبريل عليه السلام القرآن على النبي صلى الله عليه وآله<sup>(٦)</sup>، ثم ذكر طرفاً من فضائل السور وهي: (الفاتحة، البقرة، الكهف، الفتح، قل هو الله أحد، المعوذات) مما لم يورده في كتاب التفسير، وأطلق على بعضها قول: سورة البقرة، سورة الفتح، وبعضها بدون (سورة)، ولعله ممن يرى جواز إطلاقها مباشرة دون قول: «السورة التي يذكر فيها كذا»<sup>(٧)</sup>، وبيّن أن سورة الإخلاص والمعوذتين كلها يطلق عليها (معوذات)<sup>(٨)</sup> ولعل إطلاق المعوذات على سورة الإخلاص وإن لم يصرح فيها بلفظ التعويذ تغليباً لما اشتملت عليه من صفة الرب صلى الله عليه وآله<sup>(٩)</sup>.

رد البخاري رضي الله عنه على من زعم أن القرآن ناقص، وأنه ذهب كثير منه، وهو ما ادعاه أهل الرفض، فبين بقوله: «باب من قال: لم يترك

(١) وهو باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) انظر: الفتح (٦/٩).

(٣) وفي كتاب المناقب (٧٢٠) قصر نزوله على لسان قريش فقط، فقال صلى الله عليه وآله: باب نزل القرآن بلسان قريش.

(٤) حيث قال في تبويبه: كاتب النبي صلى الله عليه وآله (١٠٨٦).

(٥) انظر: الفتح (٢٩/٩).

(٦) حيث قال: كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وآله (١٠٨٨).

(٧) سيأتي الحديث عن هذه المسألة في مبحث سور القرآن - إن شاء الله -.

(٨) حيث بوب بقوله: باب فضل المعوذات (بالجمع).

(٩) الفتح (٧٨/٩).

النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين»<sup>(١)</sup>: أنه كامل كما أنزل ولم ينقص منه أو يزداد عليه أو يحرف.

ومن لطيف صنعه أنه استدل على ذلك بما أخرجه من طريق محمد ابن الحنفية بن علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>، وهو ممن تعده الرافضة من أئمتهم وحاشاه<sup>(٣)</sup>.

رجح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قول سفيان بن عيينة<sup>(٤)</sup> في تفسير قوله ﷺ: (مَا أَدْنَى اللَّهِ لَشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ)<sup>(٥)</sup>؛ أي: يستغني به عن غيره، حيث أورد في ترجمته قوله تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، قال ابن بطال: «المراد بالآية الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم... وليس المراد بالآية الاستغناء الذي هو ضد الفقر»<sup>(٦)</sup>.

ثم بيّن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استحباب قراءة القرآن عن ظهر قلب<sup>(٧)</sup>؛ إذ فيه الحث على حفظه وقراءته في كل الأحيين، فقد كان النبي ﷺ لا يحجزه عن قراءة القرآن شيء سوى الجنابة<sup>(٨)</sup>.

(١) الجامع (١٠٩٢).

(٢) هو: محمد بن علي بن أبي طالب أبو القاسم المعروف بابن الحنفية، قال الزهري: قال رجل لمحمد بن علي ابن الحنفية: ما بال أبيك كان يرمي بك في مرام لا يرمي فيها الحسن والحسين؟ قال: لأنهما كانا خديه وكنت يده فكان يتوقى بيده عن خديه، وهو ثقة عالم، مات بعد الثمانين. انظر: تهذيب الكمال (١٥٢/٢٦)، تهذيب التهذيب (٦٥٢/٣).

(٣) انظر: الفتح (٨٢/٩).

(٤) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس لكن عن الثقات، توفي سنة ٩٨هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٥٩/٢)، التقريب (١٨٤).

(٥) الجامع (١٠٩٣) وسيأتي بحث هذه المسألة في مبحث «تلاوة القرآن».

(٦) شرح ابن بطال (٢٦٣/١٠).

(٧) حيث قال: باب القراءة عن ظهر قلب (١٠٩٤).

(٨) أخرجه أبو داود في سننه (٤٣) ح [٢٢٩]، والنسائي في المجتبى (٣٥) ح [٢٦٦]، =

قال ابن كثير: «إن كان البخاري أراد بذكره حديث سهل للدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف ففيه نظر؛ لأنها قضية عين فيحتمل أن يكون ذلك الرجل كان لا يحسن الكتابة وعلمه النبي ﷺ ذلك، فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقاً في حق من يحسن ومن لا يحسن؛ إذ لو دلّ هذا لكان ذكر حال رسول الله ﷺ وتلاوته عن ظهر قلب - لأنه أُمي لا يدري الكتابة - أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده...»<sup>(١)</sup>.

ورد ذلك الحافظ ابن حجر بأنه لا يردُّ عليه شيء مما ذكر؛ لأن مراده بقوله: «القراءة عن ظهر قلب» مشروعيتها أو استحبابها، والحديث مطابق لما ترجم به، ولم يتعرض لكونها أفضل من القراءة نظراً<sup>(٢)</sup>.

وأشار ﷺ إلى جواز القراءة على الدابة، وكذلك تعليم الصبيان القرآن<sup>(٣)</sup>، فهو يردُّ على من منع ذلك أو كرهه<sup>(٤)</sup>، بل قال بعضهم<sup>(٥)</sup>:  
أراد أن يثبت سُنَّةَ قراءة القرآن على الدابة، حيث قال سبحانه: ﴿لِئَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ﴾ [الزخرف: ١٣].

وقد بيَّن بقوله: «باب نسيان القرآن، وهل يقول: نسيت آية كذا وكذا»<sup>(٦)</sup> إلى أن النهي عن قول نسيت آية كذا وكذا ليس للزجر عن هذا

= وابن ماجه (٨٤) ح [٥٩٤]، والإمام أحمد في مسنده (٧٠/٢) [٦٣٩]، وصححه الحاكم في مستدرکه (١٢٠/٤) وابن السكن وعبد الحق وغيرهما. انظر: تلخيص الحبير (١٣٩/١). وقال محقق المسند: إسناده حسن.

(١) فضائل القرآن لابن كثير (٧٠) في مقدمة تفسيره.

(٢) انظر: الفتح (٩٨/٩).

(٣) حيث قال في ترجمته: باب القراءة على الدابة... باب: تعليم الصبيان القرآن (١٠٩٥).

(٤) انظر: الفتح (٩/١٠٤ - ١٠٥).

(٥) انظر: ابن بطال في شرحه (٢٦٨/١٠).

(٦) الجامع (١٠٩٥).

اللفظ، بل للزجر عن تعاطي أسباب النسيان والغفلة المقتضية لمثل هذا القول<sup>(١)</sup>، حيث جمع بين إثبات وقوع النسيان وقول: نسيت آية كذا وكذا، وهذا من فقهه.

قال النووي: «وفيه كراهة قول: نسيت آية كذا وهي كراهة تنزيه، وأنه لا يكره قول: أنسيتها، وإنما نهى عن نسيته؛ لأنه يتضمن التساهل فيها والتغافل عنها، وقد قال تعالى: ﴿أَنْتَ أَأَيُّنَا فَانْسِينَا﴾ [طه: ١٢٦]»<sup>(٢)</sup>.  
وردَّ رَضِيَ اللهُ عَلَى من كره قول: (سورة البقرة، سورة...)، حيث قال: «باب من لم ير بأساً أن يقول: سورة البقرة وسورة كذا وكذا»<sup>(٣)</sup> وذكر ثلاثة أحاديث، وفيها دلالة صريحة على استعمال النبي ﷺ لها وإقراره عليها<sup>(٤)</sup>، وهو ما سار عليه في كتابه التفسير - كما سبقت الإشارة إليه -.

وأشار بقوله: «باب الترتيل في القراءة وقوله تعالى: ﴿وَرِئِيلَ الْقُرْآنَ تَرِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْتَهُ لِقُرْآنِهِ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّهِ وَزَلَّاتَهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] وما يكره أن يهذَّ كهذَّ الشعر» إلى أن استحباب الترتيل لا يستلزم كراهة الإسراع، وإنما الذي يكره الهذُّ وهو الإسراع المفرط بحيث يخفي كثيراً من الحروف أو لا تخرج من مخارجها، ولهذا جمع بينهما في تبويبه، وهذا من فقهه.

استدل رَضِيَ اللهُ فِي ترجمته: «في كم يقرأ القرآن»<sup>(٥)</sup> بقوله تعالى: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا نَسَرَّ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]؛ للدلالة على أنه لا حدَّ لأقل ما يقرأ في اليوم واللييلة.

(١) انظر: عمدة القاري (٥٠/٢٠)، الفتح (١٠٦/٩)، وذكر ابن حجر عدة أوجه في توجيه حديث: (بش ما لأحدكم يقول نسيت آية كبت وكبت بل هو نسي) انظرها: في الفتح (١٠١/٩ - ١٠٢).

(٢) المنهاج (٤٠٥/٦). (٣) الجامع (١٠٩٥).

(٤) انظر: الأحاديث في المرجع السابق، وسيأتي مزيد بحث في هذه المسألة.

(٥) الجامع (١٠٩٨).

قال ابن حجر: «كأنه أشار إلى الرد على من قال: أقل ما يجزئ من القراءة في كل يوم وليلة جزء من أربعين جزءاً من القرآن... لأن عموم قوله تعالى: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] يشمل أقل من ذلك، فمن ادعى التحديد فعليه البيان»<sup>(١)</sup>.

هذه أبرز المعالم لمنهج الإمام واختياراته في مسائل مشكلة متعلقة بهذا العلم، وتحسن الإشارة إلى أن البخاري رَضِيَ اللهُ بِفَقْهِهِ وَمَنْهَجِهِ فِي تَقْطِيعِ الْأَحَادِيثِ ذَكَرَ جُمْلَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي غَيْرِ مَظَانِهَا فِي صَحِيحِهِ، مِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكِتَابِ التَّوْحِيدِ، فَضْلاً عَنْ بَاقِي كِتَابِهِ الَّتِي لَا تَخْلُو غَالِباً مِنْ اسْتِدْلَالِ بَيِّنَةٍ أَوْ تَرْجِيحِ لِرَأْيٍ، أَوْ بَيَانِ لِمُخَالَفٍ فِي التَّفْسِيرِ وَعِلْمِ الْقُرْآنِ.



(١) انظر: الفتح (١١٩/٩)، عمدة القاري (٥٧/٢٠).



## المَبْحَثُ الثَّانِي

### منهج الإمام مسلم

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: منهجه في عموم كتابه.

المطلب الثاني: منهجه في المواضع المتعلقة بعلوم القرآن.





## المَبْحَثُ الثَّانِي

### منهج الإمام مسلم

مدخل:

أولاً: التعريف بالإمام مسلم:

هو: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الإمام الكبير، الحافظ، المجود، الحجة الصادق<sup>(١)</sup>.  
مولده: ولد سنة (٢٠٦هـ) على الصحيح<sup>(٢)</sup>.

اتجه الإمام مسلم إلى علم الحديث سماعاً وحفظاً منذ صغره، قال عنه الذهبي<sup>(٣)</sup>: «أول سماع مسلم سنة ثمانى عشرة

(١) انظر: تاريخ بغداد (١٠١/١٣)، سير أعلام النبلاء (٥٥٧/١٢)، تهذيب الأسماء واللغات (٥٦٥/٢)، والقشيري: نسبة إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة، وهي قبيلة كبيرة. انظر: اللباب في تهذيب الأنساب (٣٧/٣ - ٣٨).

(٢) وهو ما رجحه ابن الصلاح حيث قال: لكن تاريخ مولده ومقدار عمره كثيراً ما تطلب الطلاب علمه فلا يجدونه وقد وجدناه والله الحمد، فذكر الحاكم أبو عبد الله بن البيع الحافظ في كتاب المزكين لرواة الأخبار أنه سمع أبا عبد الله بن الأخرم الحافظ يقول: توفي مسلم بن الحجاج رضي الله عنه عشية يوم الأحد ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة، وهذا يتضمن أن مولده كان في سنة ست ومائتين والله أعلم. (صيانة صحيح مسلم ٦٢).

(٣) هو: الإمام الحافظ محدث العصر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، له تصانيف كثيرة منها: «تاريخ الإسلام»، و«سير أعلام النبلاء»، و«طبقات القراء» وغيرها كثير، قال ابن حجر: شربت ماء زمزم لأصل إلى مرتبة الذهبي، توفي سنة ٧٤٨هـ. انظر: الدرر الكامنة (٣٣٦/٣)، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي (٣٤٧).

ومائتين»<sup>(١)</sup>؛ أي: أن عمره آنذاك اثنتا عشرة سنة.

وابتدأ بعلماء بلده (نيسابور)<sup>(٢)</sup>، ثم طاف البلدان الإسلامية في سبيل العلم وتحصيله، وخاصة علماء الحديث، قال عنه النووي: «أحد الرحالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان»<sup>(٣)</sup>، ومن أجل هذا كثر شيوخه وتعددت مشاربهم وفنونهم، حتى أوصلهم الذهبي إلى مائتين وعشرين شيخاً، ثم قال بعد أن أحصاهم وذكرهم: «وله شيوخ سوى هؤلاء لم يخرج عنهم في «صحيحه»»<sup>(٤)</sup>.

قال عنه شيخه محمد بن بشار<sup>(٥)</sup>: «حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة الرازي<sup>(٦)</sup> بالري، ومسلم بنيسابور، وعبد الله الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى»<sup>(٧)</sup>.

وقال القاضي عياض<sup>(٨)</sup>: «أحد أئمة المسلمين، وحفاظ المحدثين، ومتقن المصنفين، أثنى عليه غير واحد من الأئمة المتقدمين والمتأخرين، وأجمعوا على إمامته وتقدمه وصحة حديثه وتمييزه وثقته وقبول كتابه»<sup>(٩)</sup>.

(١) تذكرة الحفاظ (٢/٥٨٨).

(٢) مدينة من إحدى مدن خراسان، الأنساب (١٢/١٨٤).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٥٦٦). (٤) سير أعلام النبلاء (١٢/٥٥٨-٥٦٠).

(٥) هو: محمد بن بشار بن عثمان بن داود الإمام الحافظ راوية الإسلام، الملقب: بندار، وهو شيخ أصحاب الكتب الستة، توفي سنة ٢٥٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/١٤٤)، تقريب التهذيب (٤٠٥).

(٦) هو: عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ، أبو زرعة الرازي، إمام حافظ ثقة مشهور، توفي سنة ٢٦٤هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣/١٨)، التقريب (٣١٣).

(٧) تاريخ بغداد (٢/١٦).

(٨) هو: الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض الحصببي الأندلسي، له تصانيف كثيرة، منها: «إكمال المعلم»، «مشارك الأنوار»، وكان شاعراً، توفي سنة ٥٤٤هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/٣٨٥)، سير أعلام النبلاء (٢٠/٢١٩).

(٩) إكمال المعلم (١/٧٩).

وفاته: توفي الإمام مسلم سنة (٢٦١هـ)، وعمره خمس وخمسون سنة، ووفاته لها قصة تدل على جلده وشغفه وهمته في العلم وتحصيله.

قال ابن الصلاح: «كان لموته سبب غريب نشأ عن غمرة فكرية علمية... عقد لأبي الحسين مسلم بن الحجاج مجلس للمذاكرة فذكر له حديث لم يعرفه فانصرف إلى منزله وأوقد السراج، وقال لمن في الدار: لا يدخلن أحد منكم هذا البيت، فقبل له: أهديت لنا سلة فيها تمر، فقال: قدموها إليّ فقدموها، فكان يطلب الحديث ويأخذ تمر تمر يمضغها فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث، قال الحاكم: زادني الثقة من أصحابنا أنه منها مرض ومات»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: التعريف بالكتاب:

اسمه: سماه مصنفه (المسند الصحيح) وذلك خارج المصنف، روى الخطيب البغدادي بسنده عن مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموع»<sup>(٢)</sup>، واشتهرت تسميته بـ(الصحيح) وهو ما أطلقه عليه الإمام النووي في مقدمته<sup>(٣)</sup>.

سبب تأليفه: استجابة لطلب أحد تلامذته الملازمين له في الحل والترحال<sup>(٤)</sup>، قال مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أما بعد: فإنك يرحمك الله بتوفيق خالقك ذكرت أنك هممت بالفحص عن تعرف جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنن الدين وأحكامه، وما كان منها في الثواب والعقاب... وغير ذلك من صنوف الأشياء بالأسانيد التي بها نقلت وتداولها أهل العلم فيما بينهم... وسألني أن أخصها لك في التأليف

(١) صيانة صحيح مسلم (٦٤).

(٢) تاريخ بغداد (١٣/١٠٣).

(٣) المنهاج (١٧/١).

(٤) انظر: تاريخ بغداد في ترجمة أحمد بن سلمة (٤/١٨٦) حيث قال: ثم جمع له مسلم (الصحيح في كتابه).

بلا تكرر يكثر...»<sup>(١)</sup>.

وأيضاً اختلاط الصحيح بالضعيف، وتناقل الأحاديث المنكرة، والتلقي عن أئمة غير مرضيين، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فلولا الذي رأينا من سوء صنيع كثير ممن نصب نفسه محدثاً فيما يلزمهم من طرح الأحاديث الضعيفة والروايات المنكرة، وتركهم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة المشهورة، مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والأمانة بعد معرفتهم وإقرارهم بألسنتهم أن كثيراً مما يقذفون به إلى الأغبياء من الناس هو مستنكر منقول عن قوم غير مرضيين ممن ذم الرواية عنهم أئمة أهل الحديث... لما سهل علينا الانتصاب لما سألت من التمييز والتحصيل»<sup>(٢)</sup>.

مكان التصنيف: صنّف كتابه في بلده (نيسابور) بحضور أصوله، وفي حياة كثير من مشايخه، ولهذا قدمه بعض العلماء على «صحيح البخاري»<sup>(٣)</sup>.

زمه: قال أحمد بن سلمة<sup>(٤)</sup>: كنت مع مسلم في تأليف «صحيحه» خمس عشرة سنة<sup>(٥)</sup>، وهو من ألصق تلاميذه به، وأعرفهم بأموره وأحواله.

عدد أحاديثه: قال ابن الصلاح: «روينا عن أبي قريش الحافظ قال: كنت عند أبي زرعة الرازي فجاء مسلم بن الحجاج، فسلم عليه وجلس ساعة وتذاكرا، فلما قام، قلت له: هذا جمع أربعة آلاف حديث في الصحيح...»<sup>(٦)</sup>، قال: أراد أن كتابه هذا أربعة آلاف حديث أصول

(١) المنهاج (١/٤٦ - ٤٧).

(٢) انظر: هدي الساري (١٥).

(٣) هو: أحمد بن سلمة بن عبد الله أبو الفضل النيسابوري الحافظ رفيق مسلم في الرحلة، توفي سنة ٢٨٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٣٧٣)، وفيات الأعيان (٦/٢٤٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/٥٦٦). (٥) صيانة صحيح مسلم (١٠١).

دون المكررات<sup>(١)</sup>.

وهي منتخبة من ثلاثمائة ألف حديث، كما قال ﷺ: «صنفت هذا (المسند الصحيح) من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة»<sup>(٢)</sup>.



(١) صيانة صحيح مسلم (١٠١).

(٢) تاريخ بغداد (١٣/١٠٤)، المنهاج (١/٢٥).

المطلب الأول

منهجه في عموم كتابه

تبوأ صحيح الإمام مسلم الدرجة العالية، والمكانة السامية، بين المصنفات الحديثية، فهو مع قرينه - صحيح البخاري - أصح الكتب بعد كتاب الله ﷻ، قال النووي: «اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز «الصحيحان» البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول»<sup>(١)</sup>.

وقد حظي هذا السفر بالقبول بين العامة، والإقبال عليه من لدن العلماء بالقراءة والمدارسة والشرح والاختصار، قال ابن حجر: «حصل لمسلم في كتابه حظ عظيم مفرط لم يحصل لأحد مثله، بحيث إن بعض الناس كان يفضل على صحيح محمد بن إسماعيل، وذلك لما اختص به من جمع الطرق، وجودة السياق، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية بمعنى»<sup>(٢)</sup>.

انتخب الإمام مسلم أعلى الأحاديث الصحيحة عنده، ولم يدخل حديثاً فيه إلا بحجة، قال ﷺ: «ليس كل شيء صحيح عندي وضعته ها هنا، وإنما وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه»<sup>(٣)</sup>، وهم: أحمد بن حنبل،

(١) المنهاج (٢٤/١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما كتب الحديث المعروفة مثل البخاري ومسلم، فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن، وما جمع بينهما مثل الجمع بين الصحيحين... مجموع الفتاوى (٧٤/١٨).

(٢) تهذيب التهذيب (٦٧/٤).

(٣) انظر: الصحيح، كتاب الصلاة (١٧٢).

ويحيى بن معين<sup>(١)</sup>، وعثمان بن أبي شيبة<sup>(٢)</sup>، وسعيد بن منصور<sup>(٣)</sup>، وقال أيضًا: «ما وضعت شيئًا في كتابي إلا بحجة، وما أسقطت منه شيئًا إلا بحجة»<sup>(٤)</sup>.

وقد وضع الإمام مسلم مقدمة لمصنفه بيّن فيها سبب تأليفه للكتاب... وذكر جملة من القواعد المتعلقة بالرواة والرواية، واستدل عليها بأحاديث وأقوال الصحابة ومن دونهم، إلا أنه لم يشترط فيها الصحة؛ كاشتراطه في الصحيح.

قال ابن القيم في معرض من انتقد على مسلم روايته عن من تُكَلِّم فيه: «إنما روى له في مقدمة كتابه، ومسلم لم يشترط فيها ما شرطه في الكتاب من الصحة، فلها شأن ولسائر الكتاب شأن آخر، ولا يشك أهل الحديث في ذلك»<sup>(٥)</sup>.

ومنهجه في عموم مصنفه أنه يجمع الحديث الواحد بطرقه في موضع واحد ولا يقسمه، قال النووي: «وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة، وهي كونه أسهل متناولاً من حيث إنه جعل لكل حديث موضعًا واحدًا يليق به، جمع فيه طرقه التي ارتضاها واختار ذكرها، وأورد فيه أسانيد المتعددة وألفاظه المختلفة، فيسهل على الطالب النظر في وجوهه

(١) هو: يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم، أبو زكريا البغدادي: ثقة حافظ مشهور إمام الجرح والتعديل، توفي سنة ٢٣٣هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٤/٣٤٥)، التقريب (٥٢٧).

(٢) هو: عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، أبو الحسن بن أبي شيبة، ثقة حافظ شهير له أوهام، وقيل: كان لا يحفظ القرآن، مات سنة ٢٣٩هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣/٧٧)، التقريب (٣٢٦).

(٣) انظر: محاسن الاصطلاح للبلقيني (٩١). وسعيد بن منصور هو: سعيد بن منصور بن شعبة أبو عثمان الخراساني، ثقة مصنف، وكان لا يرجع عما في كتابه لشدة وثوقه به، مات سنة ٢٢٧هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٢/٧٧)، التقريب (١٨١).

(٤) إكمال المعلم (١/٨٠). (٥) الفروسية (١٨٣).





صحيحه، ولذا تجد أن لها ذكرًا في كتب المتقدمين<sup>(١)</sup>، ولا يبعد أن يكون قد وضع غيرها من الأبواب، يلمس ذلك من طالع كتاب «رجال صحيح مسلم» وصاحبه قريب عهد بمسلم<sup>(٢)</sup>.

وقد برز الإمام مسلم بإتقانه لصحيحه، وتحريه في الألفاظ خاصة، قال النووي: «سلك مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيحه طرقًا بالغة في الاحتياط والإتقان والورع والمعرفة، وذلك مصرح بكمال ورعه، وتمام معرفته، وغزارة علومه، وشدة تحقيقه بحفظه، وتعددده في هذا الشأن، وتمكنه من أنواع معارفه، وتبريزه في صناعته، وعلو محله في التمييز بين دقائق علومه، لا يهتدي إليها إلا أفراد في الأعصار فرحمه الله ورضي عنه...»<sup>(٣)</sup>.

وقد اعتنى الإمام مسلم بالناسخ والمنسوخ في صحيحه وسار على طريقة موحدة، وهي أنه يورد الأحاديث المنسوخة أولاً، ثم يتبعها بالأحاديث الناسخة، بغير بيان أو تحليل، وقد نص عليها - غالبًا - من بؤب الأحاديث وأثبت لها تراجم<sup>(٤)</sup>.

أما تفسير الصحابي الذي يورده الإمام مسلم والبخاري - أيضًا - فهو عندهما من قبيل المسند المرفوع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان مما لا مجال للصحابي الاجتهاد فيه، قال الحاكم: «ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير

(١) ذكر الحافظ أبو بكر بن منجويه الأصبهاني المتوفى سنة ٤٢٨هـ في كتابه «رجال صحيح مسلم» أسماء الكتب التي في الصحيح، وتابعه القيسراني ٥٠٧هـ في «الجمع بين رجال الصحيحين» وقد سار الحاكم في ترتيب المستدرک على منهج الإمام مسلم، ويتأيد أيضًا بما ذكره في مستدرکه (٤/٥٥٨) من أن مسلمًا ذكر أهوال القيامة والحشر مدرجًا في الفتن. انظر: الإمام مسلم بن الحجاج ومنهجه في الصحيح (١/٣٨٩ - ٣٩٠).

(٢) انظر: الإمام مسلم بن الحجاج ومنهجه في الصحيح (١/٣٩٠).

(٣) المنهاج (١/٢٩).

(٤) كالإمام النووي وغيره. انظر: الإمام مسلم ومنهجه في الصحيح (٢/٥٣٧).

الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند<sup>(١)</sup>.

وقد فصل القول ابن حجر فقال: «أطلق الحاكم النقل عن البخاري ومسلم أن تفسير الصحابي ﷺ الذي شهد الوحي والتنزيل حديث مسند، والحق أن ضابط ما يفسره الصحابي ﷺ إن كان مما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا منقولاً عن لسان العرب، فحكمه الرفع، وإلا فلا؛ كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية؛ كالملاحم والفتن والبعث وصفة الجنة والنار، والإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص، فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها فيحكم لها بالرفع»<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً ما يورده الإمام مسلم من أسباب النزول فإنه يأخذ حكم التفسير؛ لأنه عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها، وجماعة من المحدثين يجعلون هذا من المرفوع المسند...

وأما الإمام أحمد فلم يدخله في المسند وكذلك مسلم وغيره، وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع<sup>(٣)</sup>.

أما إذا عُلِمَ بالقرائن<sup>(٤)</sup> أن الصحابي أراد سبب النزول المباشر

(١) المستدرک (٢/٢٥٨).

(٢) النکت لابن حجر (٢/١٩ - ٢٠).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/١٢٦).

(٤) ذكر الدكتور المزيني في كتابه «المحرر في أسباب النزول» أركاناً أربعة يعرف بها أسباب النزول من غيرها: ١ - الحدث الجديد، فلا بد من تصور أمر جديد قد وقع سواء أكان قولاً أم فعلاً... ٢ - الموافقة بين اللفظين؛ لفظ الآية، ولفظ الحديث، فلا بد أن يكون بينهما قدر مشترك في الألفاظ والمعاني... ٣ - سياق الآيات... ٤ - مراعاة التاريخ بين السبب والنزول... (١/١١٠ - ١١٣).

للاية وليس التفسير فهو من قبيل المسند المرفوع إلى النبي ﷺ.  
وقد يعلق الإمام مسلم أحياناً على بعض الأحاديث، إما بالتعريف  
باسم الراوي أو سنة وفاته... (١)(٢).



- 
- (١) انظر على سبيل المثال في: الصحيح (٦٦٥، ١٠٣٠، ١١١٧، ١١٢٨، ١٢٦٠).  
(٢) انظر للاستزادة: الإمام مسلم بن الحجاج ومنهجه في الصحيح لمشهور آل سليمان،  
الإمام مسلم ومنهجه في الصحيح لخشاني، الإمام مسلم حافظاً محدثاً ومدوناً في  
سلسلة الدراسات الإسلامية.

## المطلب الثاني

### منهجه في المواضع المتعلقة بعلوم القرآن

أولاً: عرضه لعلوم القرآن في سائر الكتاب:

اشتمل صحيح مسلم على أحاديث كثيرة تتعلق بالقرآن الكريم وتفسيره، ولكنه لم يصنفها ضمن كتبه التي وضعها<sup>(١)</sup>، اللهم إلا التفسير في آخر الكتاب ولم يطل فيه، وقد أورد مجموعة من الأحاديث تتعلق بالقرآن الكريم وفوائده ضمن كتاب صلاة المسافرين وقصرها، فهو وإن لم يعنون لها كتاباً<sup>(٢)</sup>؛ إلا أنها بمثابة كتاب مستقل، فقد بلغت أحاديثه ستة وسبعين حديثاً مرتبة.

قال النووي: «ثم إن مسلماً رتب كتابه على أبواب، فهو محبوب في الحقيقة، ولكنه لم يذكر تراجم الأبواب فيه؛ لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك»<sup>(٣)</sup>.

واستفتح الأحاديث بكراهية قول: نسيت آية كذا، وذكر روايتين، إلا أن في الثانية زيادة على الأولى، وهي النص على أن الرجل الذي استمع إليه النبي ﷺ في المسجد للدلالة على جواز رفع الصوت بالقراءة في الليل وفي المسجد، ولا كراهة فيه إذا لم يؤذ أحداً، ولا تعرض

(١) وقد سبقت الإشارة إلى أن الكتب التي في الصحيح هي من صنيع الإمام مسلم ﷺ.

(٢) وفي بعض نسخ الصحيح عنونت لها بكتاب مستقل وهو: كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به. انظر: ط دار السلام (٣١٩).

(٣) المنهاج (٢٩/١).

للرياء والإعجاب ونحو ذلك<sup>(١)</sup>، ثم أعقبهما بحديث: (إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ)<sup>(٢)</sup>؛ للدلالة على جواز إضافة النسيان إلى نفسه، وأن أولى ما يتأول به الأحاديث السابقة ذم الحال وكراهيته، لا ذم القول وحكايته<sup>(٣)(٤)</sup>.

ثم أورد حديث استحباب تحسين الصوت بالقرآن<sup>(٥)</sup>، وأعقبه بالروايات التي فيها زيادة؛ كقوله ﷺ: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ) وفي حديث آخر: (كَأَذْنِهِ)؛ لبيان أن معناه الحث والحض عليه<sup>(٦)</sup>.

وهذا هو منهجه في عموم كتابه، قال النووي: «وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة، وهي كونه أسهل تناولاً من حيث إنه جعل لكل حديث موضعاً واحداً يليق به، جمع فيه طرقة التي ارتضاها واختار ذكرها...»<sup>(٧)</sup>، وهو ما ظهر جلياً في هذه الأحاديث...

ثم ذكر أنموذجاً نبوياً عملياً لتحسين القراءة وتجويدها، وذلك في قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة، وترجيعه فيها<sup>(٨)</sup>.

ثم بين نزول السكينة على قارئ القرآن إذا حقق ما سبق، بذكر الأحاديث التي فيها تنزل السكينة، ومنها قوله ﷺ: (تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْمَعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ، مَا تَسْتَرُّ مِنْهُمْ)<sup>(٩)</sup>.

ثم أشار إلى الأحاديث التي فيها الحض على حفظ القرآن والتمهر

(١) المنهاج (٦/٤٠٥).

(٢) انظر: إكمال المعلم (٣/١٥٥).

(٣) وسيأتي مزيد بحث لهذه المسألة في مبحث: تلاوة القرآن وأحكامها - إن شاء الله -.

(٤) الصحيح (٣٢٠).

(٥) انظر: إكمال المعلم (٣/١٥٧).

(٦) المنهاج (١/٢٤).

(٧) قال ابن الأثير: «الترجيع» ترديد القراءة، ومنه ترجيع الأذان... النهاية (٢/١٨٥).

(٨) الصحيح (٣٢٢).

فيه؛ إذ إن الحافظ يقرأ في أي وقت شاء، وفي أي مكان صالح أراد...

ثم بين منزلة الحافظ العلية، ودرجته الرفيعة عند الله تعالى، وأورد حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي: (إِنَّ اللَّهَ رَجَّلَ أَمْرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ) قال: آله سمانى لك؟ قال: (اللَّهُ سَمَّاكَ لِي) قال: فجعل أبي يبكي<sup>(١)</sup>، ورواياته...

ثم ذكر جملة من الآداب التي يحسن أن يتصف بها المستمع لآيات القرآن وهي تتلى عليه؛ كحسن الإنصات والبكاء والتدبر...<sup>(٢)</sup>.

ثم سرد صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة تتعلق بفضل قراءة القرآن عموماً ولبعض السور خصوصاً<sup>(٣)</sup>، وبين فضيلة من يقوم بالقرآن عملاً وتعليماً...<sup>(٤)</sup>.

ثم ذكر أحاديث تتعلق بنزول القرآن على سبعة أحرف، وبالقرآيات القرآنية.

فمن خلال العرض - المختصر - يتبين بجلاء منهج المصنف في ترتيب الأحاديث وأنها بطريقة متسلسلة ومتراصة... وأنه وإن لم يترجم لأحاديثه إلا أنها في الحقيقة مبوبة ومرتبة كما نص عليه من سبر الكتاب وشرحه<sup>(٥)</sup>.

كذلك أنه يجمع روايات الحديث في مكان واحد - غالباً -، مما يسهل على المطالع معرفة ما اشتمل عليه الحديث من أحكام وفوائد وزوائد.

(١) الصحيح (٣٢٣).

(٢) واستدل بحديث قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم... المرجع السابق.

(٣) كفضل سورة البقرة وآل عمران، والفاحة... (٣٢٥ - ٣٢٦).

(٤) وذكر حديث (لا حسد إلا في اثنتين...) الحديث برواياته المتنوعة (٣٢٨).

(٥) أعني: الإمام النووي رحمته الله وسبقت الإشارة إلى كلامه.

## ثانيًا: كتاب التفسير:

اختتم المصنف كتابه بكتاب التفسير، وقد اشتمل على أربعين حديثًا، ومنهجه فيه قائم على تفسير آيات متفرقة من كتاب الله تعالى غير مرتبة على السور القرآنية، وفيها التفسير النبوي<sup>(١)</sup>، وأماكن النزول<sup>(٢)</sup>، وتفسير الصحابي<sup>(٣)</sup>، ومشكل القرآن<sup>(٤)</sup>، وآخر ما نزل<sup>(٥)</sup>، وأسباب النزول<sup>(٦)</sup>، وأسماء السور<sup>(٧)</sup>.



(١) انظر: ح [٧٥٢٣].

(٢) انظر: ح [٧٥٢٥، ٧٥٢٦، ٧٥٢٧، ٧٥٤٤].

(٣) انظر: ح [٧٥٢٨، ٧٥٢٩، ٧٥٣٠، ٧٥٣٢، ٧٥٣٤].

(٤) انظر: ح [٢٧٥٤١، ٧٥٤٣].

(٥) انظر: ح [٧٥٤٦].

(٦) انظر: ح [٧٥٥٢].

(٧) انظر: ح [٧٥٦٢، ٧٥٥٨].





## المَبْحَثُ الثَّالِثُ

### منهج الإمام أبي داود

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: منهجه في عموم الكتاب.

المطلب الثاني: منهجه في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن.



## المَبْحَثُ الثَّالِثُ

### منهج الإمام أبي داود

مدخل:

أولاً: التعريف بالإمام أبي داود:

هو: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، الإمام شيخ السُّنَّة، مقدم الحفاظ<sup>(١)</sup>.

مولده: ولد سنة (٢٠٢هـ)، كما قال هو عن نفسه: ولدتُ سنة اثنتين...<sup>(٢)</sup>.

أخذ العلم أولاً من علماء بلده بسجستان<sup>(٣)</sup>، ثم رحل إلى بغداد سنة (٢٢٠هـ)، كما قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وصليت على عفان ببغداد سنة عشرين»<sup>(٤)</sup>؛ أي: أن عمره آنذاك ثمان عشرة سنة، والتقى بعلماء أجلاء وفي مقدمتهم شيخه الإمام أحمد بن حنبل... وغيره كثير<sup>(٥)</sup>.

قال عنه تلميذه أبو بكر أحمد بن محمد الخلال<sup>(٦)</sup>: «أبو داود

(١) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤/١٠١)، تاريخ بغداد (٩/٥٧)، سير أعلام النبلاء (١٣/٢٠٣).

(٢) المراجع السابقة.

(٣) سجستان: أحد بلاد المشرق الإسلامي، وهي إحدى مدن خراسان، وخراسان هي بلاد الأفغان حالياً وجزء من أرض إيران. انظر: معجم البلدان (٣/١٩٠).

(٤) انظر: تاريخ بغداد (٩/٥٨)، سير أعلام النبلاء (١٣/١٠٤).

(٥) انظر: المرجعين السابقين.

(٦) هو: الإمام الحافظ العلامة أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي، المكنى =

الإمام المقدم في زمانه، رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم وبصره بمواضعه، أحد في زمانه، رجل ورع مقدم، سمع منه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حاتم بن حبان<sup>(٢)</sup>: «أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً، ممن جمع وصنف، وذبح عن السنن، وقمع من خالفها وانتحل ضدها»<sup>(٣)</sup>.

وقال عنه الذهبي: «كان أبو داود مع إمامته في الحديث وفنونه، من كبار الفقهاء، فكتابه يدل على ذلك، وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد، لازم مجلسه مدة، وسأله عن دقائق المسائل في الفروع والأصول، وكان على مذهب السلف في اتباع السُّنَّةِ والتسليم لها، وترك الخوض في مضائق الكلام»<sup>(٤)</sup>.

وفاته: توفي سنة (٢٧٥هـ) وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة<sup>(٥)</sup>.

## ثانياً: التعريف بالكتاب:

اسمه: سماه مؤلفه بـ«السنن» فقد ورد في رسالته إلى أهل مكة في وصف سننه قوله: «فإنكم سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التي في

= بأبي بكر الخلال، له مصنفات كثيرة منها: «الجامع في الفقه، والسُّنَّةُ وغيرها، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٧/١٤)، الوافي بالوفيات (٦٥/٨).

(١) انظر: المرجعين السابقين.

(٢) هو: الإمام محمد بن حبان التميمي البستي الحافظ، أبو حاتم بن حبان، صاحب التصانيف الكثيرة، وله «التفسير»، وكان من أئمة المحدثين، توفي سنة ٣٥٤هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٧٧)، الوافي بالوفيات (٣١٧/٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢١١/١٣)، تهذيب التهذيب (٨٤/٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢١٥/١٣).

(٥) نقل ذلك تلميذه أبو عبيد الآجري وقال: توفي أبو داود في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٦٠/٩)، سير أعلام النبلاء (٢٢١/١٣).

كتاب «السنن»<sup>(١)</sup>.

وهو من أوائل الكتب المصنفة، إن لم يكن أولها في «السنن»، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ولا أعرف أحداً جمع على الاستقصاء غيري»<sup>(٢)</sup>.

وقال الخطابي<sup>(٣)</sup>: «وكان تصنيف علماء الحديث قبل زمان أبي داود الجوامع والمسانيد ونحوها... فأما السنن المحضة فلم يقصد واحد منهم جمعها واستيفاءها ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضعها من أثناء تلك الأحاديث الطويلة ومن أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داود»<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: «وقد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدماً سبقه إليه، ولا متأخراً لحقه فيه»<sup>(٥)</sup>.

وقد ألف أبو داود كتابه في وقت مبكر، وأعاد النظر فيه وقرأه على تلامذته كثيراً، قال أبو داود: «أقمت بطرسوس عشرين سنة أكتب «المسند»<sup>(٦)</sup> فكتبت أربعة آلاف حديث...»<sup>(٧)</sup>.

ومما يدل أيضاً على تقدمه، ما ذكره الخطيب البغدادي أنه: «صنّفه

(١) رسالة أبي داود إلى أهل مكة (٦٣).

(٢) المرجع السابق (٦٨).

(٣) هو: حمد بن محمد أبو سليمان الخطابي البستي، المحدث اللغوي المتقن، له كتاب معالم السنن، وأعلام الحديث، وغريب الحديث وغيرها، توفي سنة ٣٨٨هـ. انظر: البلغة (٩٥)، الوافي بالوفيات (٢٠٧/٧).

(٤) معالم السنن (٧/١).

(٥) المرجع السابق (٨/١).

(٦) أراد بـ «المسند» هنا السنن - فيما يظهر - لأنه ورد نص لتلميذين من تلامذته وهما ابن العبد وابن داسة يذكران عدد أحاديث السنن قريباً من هذا الرقم. انظر: تاريخ بغداد (٥٨/٩)، سير أعلام النبلاء (٢١٠/١٣).

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (٧٢٤/٢).

قديمًا وعرضه على أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه<sup>(١)</sup>، والإمام أحمد توفي سنة (٢٤١هـ)، وبقي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقرؤه على تلامذته مرات كثيرة، يقول أحد تلامذته: «سمعت كتاب السنن من أبي داود ست مرار، بقيت من المرة السادسة بقية»<sup>(٢)</sup>.

عدد أحاديثه: بلغت أحاديث (السنن) أربعة آلاف وثمانمائة حديث، قال أبو داود: «ولعل عدد الذي في كتابي من الأحاديث قدر أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ونحو ستمائة حديث من المراسيل»<sup>(٣)</sup>، وهي منتخبة من خمسمائة ألف حديث، كما قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمته هذا الكتاب...»<sup>(٤)</sup>.



(١) تاريخ بغداد (٥٧/٩).

(٢) وهو: علي بن الحسن بن العبد الأنصاري، انظر: أبو داود حياته وسنته (٤٤).

(٣) رسالة أبي داود إلى أهل مكة (٧٨).

(٤) تاريخ بغداد (٥٨/٩).

## المطلب الأول

### منهجه في عموم كتابه

حفل العلماء - رحمهم الله - بكتاب أبي داود وحاز على إعجابهم، ونال تقديرهم، وظفر بجهدهم واجتهادهم، قال ابن القيم: «كتاب السنن لأبي داود سليمان بن داود... من الإسلام بالموضع الذي خصه الله به، بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام، وفصلاً في موارد النزاع والخصام، فالإليه يتحاكم المنصفون، وبحكمه يرضى المحققون، فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتبها أحسن ترتيب، ونظمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء»<sup>(١)</sup>.

وبما أن لكل عالم اصطلاحاً، ولكل كنز مفتاحاً، يحل رموزه، ويفتح كنوزه، ومن فهم الاصطلاح والرموز فإنه يفهم العبارة من الإشارة، فلا يغلق عليه باب، ولا ينسدل دونه حجاب<sup>(٢)</sup>، فكيف بكلام من تولى حاره وقاره، وكابده مساءه وصباحه، وأنشأ رموزه، وأبان عن مكنونه، فإن الإمام أبا داود أملى رسالة وجَّهها إلى أهل مكة بيّن لهم فيها منهجه وطريقته واصطلاحه... ومن ذلك: حرصه على عدم الإطالة، والاختصار قدر الاستطاعة، مع عدم الإخلال وطلب الكمال، قال ﷺ: «ولم أكتب في الباب إلا حديثاً أو حديثين، وإن كان في

(١) شرح ابن القيم على السنن، انظر: «حاشية» عون المعبود (١٦/١).

(٢) من كلام الشيخ سعدى ياسين، انظر: مقدمة رسالة أبي داود إلى أهل مكة، تحقيق: د. محمد لطفي الصباغ (٣٥).

الباب أحاديث صحاح فإنه يكثر وإنما أردت قرب منفعته . . . وربما اختصرت الحديث الطويل؛ لأنني لو كتبت بطوله لم يعلم بعض من سمعه المراد منه، ولا يفهم موضع الفقه منه، فاخصرته لذلك، وإذا أعدت الحديث في الباب من وجهين أو ثلاثة، فإنما هو من زيادة كلام فيه، وربما تكون فيه كلمة زيادة على الأحاديث . . . فإن ذكر لك عن النبي ﷺ سُنَّةٌ ليس مما خرجته، فاعلم أنه حديث واهٍ، إلا أن يكون في كتابي من طريق آخر . . . وهو كتاب لا ترد عليك سُنَّةٌ عن النبي ﷺ بإسناد صالح إلا وهي فيه، إلا أن يكون كلام استخرج من الحديث . . .»<sup>(١)</sup>.

وقد اقتصر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على الأحكام الشرعية دون فضائل الأعمال والزهد وغيرها، وهذه طبعة كتب «السنن» قال: «وإنما لم أصنف في كتاب «السنن» إلا الأحكام، ولم أصنف كتب الزهد وفضائل الأعمال وغيرها، فهذه الأربعة الآلاف والثمانمائة كلها في الأحكام»<sup>(٢)</sup>.

وقد اشتمل الكتاب على خمسة وثلاثين كتاباً، منها ثلاثة كتب لم يبوب فيها أبواباً، والبقية تشتمل على ألف وثمانمائة وواحد وسبعين باباً<sup>(٣)</sup>.

وقد يكرر المصنف الحديث الواحد في عدة أبواب؛ لاشتماله على عدة معانٍ، فإذا أوردته في باب من الأبواب من أجل معنى وارد فيه، اضطر إلى إعادته في باب آخر من أجل معنى آخر تضمنه الحديث<sup>(٤)</sup>.

تراجع المصنف لأحاديث كتابه التي ذكرها يتجلى فيها فقهه وعلمه واستنباطه الدقيق، وبما أن الكتاب مؤلف على أساس فقهي (الأحكام) فالناحية الفقهية ظاهرة في عناوين الكتاب، وهي - غالباً - رؤوس مسائل

(١) انظر: رسالة أبي داود (٦٤ - ٧١). (٢) المرجع السابق (٨١).

(٣) انظر: السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (١٣/١).

(٤) انظر: أبو داود (حياته وسننه) لطفى الصباغ (٥٩).





شطر الكتاب، ثم يليه ما أخرجه أحد الشيخين ورغب عنه الآخر، ثم يليه ما رغبا عنه وكان إسناده جيّداً سالمًا من علة وشدوذ، ثم يليه ما كان إسناده صالحًا وقبله العلماء؛ لمجيئه من وجهين لينين فصاعدًا يعضد كل إسناده منهُما الآخر، ثم يليه ما ضعف إسناده لنقص حفظ راويه، فمثل هذا يمشيه أبو داود ويسكت عنه - غالبًا -، ثم يليه ما كان بيّن الضعف من جهة راويه، فهذا لا يسكت عنه بل يوهنه - غالبًا - وقد يسكت عنه بحسب شهرته ونكارتة، والله أعلم<sup>(١)(٢)</sup>.



(١) سير أعلام النبلاء (١٣/٢١٤ - ٢١٥).

(٢) انظر للاستزادة: رسالة أبي داود إلى أهل مكة، ختم سنن أبي داود للبصري، أبو داود حياته وسننه للدكتور: محمد لطفي الصباغ، الإمام أبي داود وكتابه السنن للبراك.

## المطلب الثاني

### منهجه في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن

صنّف أبو داود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (السنن) قاصداً جمع أحاديث الأحكام دون الفضائل والترغيب والترهيب...، حيث قال: «وإنما لم أصنف في كتاب «السنن» إلا الأحكام، ولم أصنف كتب الزهد وفضائل الأعمال وغيرها...»<sup>(١)</sup>.

وعليه فقد اقتصر على إيراد الأحاديث المتعلقة بأحكام القرآن وعلومه دون التفسير وفضائل القرآن، وبيان ذلك كما يلي:

• أولاً: عقد مجموعة أبواب ضمن كتاب الصلاة أطلق عليها «أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيبه»<sup>(٢)</sup>، وضمنها ثلاثة أبواب:

الأول: في كم يقرأ القرآن، وأورد فيه حديث ابن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة مناقصته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كم يقرأ القرآن، وابتدأ عليه الصلاة والسلام بالشهر حتى بلغ ثلاثاً، وقال: (لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَهُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ)<sup>(٣)</sup>.

الثاني: تحزيب القرآن، وأورد في مطلعها جواز تحزيب القرآن، بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَقَرَأْتُ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ)<sup>(٤)</sup>، ثم كيف كانوا يحزبون القرآن، وبيّن أن من أقله آيتين، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَمَتْهُ)<sup>(٥)</sup>، وقصة الرجل الذي جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(٢) السنن (٢٠٧).

(٤) المرجع السابق (٢٠٨).

(١) رسالة أبي داود (٨١).

(٣) المرجع السابق (٢٠٨).

(٥) المرجع السابق (٢٠٩).

فقال: أقرئني... (فتنزل معه) حتى أقرأه عليه الصلاة والسلام: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدًا، فقال ﷺ: (أَفْلَحَ الرَّؤُوسُجَلُ)<sup>(١)</sup>، ولكن ورد الترغيب في الإكثار من القراءة لقول النبي ﷺ: (مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ...)<sup>(٢)</sup> الحديث.

الثالث: في عدد الآي، وأورد حديث: (سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ؛ ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١])<sup>(٣)</sup>، ولعله استدل بهذا الحديث على أن البسمة ليست من السورة وآية تامة منها<sup>(٤)</sup>، كذلك أن ترتيب الآيات ترتيبًا توقيفيًا لا مجال للاجتهاد فيه. والله أعلم.

• ثانيًا: ثم عقد مجموعة أبواب أخرى ضمن كتاب الصلاة - أيضًا - وأطلق عليها (تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن)<sup>(٥)</sup>، وبين فيها عدد سجود القرآن، وأنها خمس عشرة سجدة، وقد استدل في باقي الأبواب على ترجيح السجودات المختلف فيها، ثم أورد (باب من لم ير السجود في المفصل) وأعقبه بـ(باب من رأى فيها سجودًا)، وأيضًا (باب السجود في إذا السماء انشقت) لترجيحه السجود في المفصل<sup>(٦)</sup>، ووجه حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: «قرأت النجم فلم يسجد فيها»<sup>(٧)</sup> بأن زيدًا كان الإمام فلم يسجد فيها<sup>(٨)</sup>، ثم استدل على صحة السجود في سورة (ص)<sup>(٩)</sup>، ثم بين بعض أحكام السجود فقال: «باب في الرجل يسمع السجدة وهو راكب أو في غير صلاة» وأورد ثلاثة أحاديث تدل

- |                          |                                |
|--------------------------|--------------------------------|
| (١) السنن (٢٠٩).         | (٢) المرجع السابق.             |
| (٣) المرجع السابق (٢١٠). | (٤) انظر: عون المعبود (٤/١٩٣). |
| (٥) السنن (٢١٠).         | (٦) المرجع السابق.             |
| (٧) المرجع السابق.       | (٨) المرجع السابق.             |
| (٩) المرجع السابق (٢١١). |                                |

على أن السامع يسجد، ولو كان راكباً أو في غير صلاة<sup>(١)</sup>، «باب ما يقول إذا سجد»<sup>(٢)</sup> و«باب فيمن يقرأ السجدة بعد الصبح»<sup>(٣)</sup> وهل تأخذ حكم الصلاة في أوقات النهي.

• ثالثاً: كتاب الحروف والقراءات: ضمَّنه تسعة وثلاثين حديثاً سرداً لم يتخللها تبويبات؛ منها أحاديث في كيفية القراءة<sup>(٤)</sup>، ومنها أحاديث في أسباب النزول<sup>(٥)</sup> أوردها لبيان كيفية القراءة، وأحاديث في كيفية تلاوته ﷺ<sup>(٦)</sup>.

ومن فقهه واستنباطه ﷺ أنه يستدل بأحاديث نبوية على صحة قراءات قرآنية<sup>(٧)</sup>، ومن ذلك استدلاله بقوله ﷺ: (إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ لَيُشْرِفُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فَنُضِيءُ الْجَنَّةَ بِوَجْهِهِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)<sup>(٨)</sup> على قراءة (كوكب دري) بدون همز<sup>(٩)</sup>، وهذا يدل على اهتمامه بعلم القراءات وتمكنه منه.

وقد اعتنى ﷺ بذكر أحاديث ابن عباس رضي الله عنهما في بيان الناسخ والمنسوخ من الآيات، وذلك في مواضع كثيرة من «السنن»، ولم

(١) السنن (٢١١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) وهي جلُّ الأحاديث، انظر على سبيل المثال: ح [٣٩٦٩، ٣٩٧٣، ٣٩٧٤، ٣٩٧٥، ٣٩٧٦، ٣٩٧٨، ٣٩٨١] وغيرها.

(٤) انظر: ح [٣٩٧٤، ٣٩٧١].

(٥) انظر: ح [٤٠٠١، ٤٠٠٦، ٤٠٠٨].

(٦) انظر على سبيل المثال: ح [٣٩٧٢، ٣٩٩٨، ٣٩٩٩، ٤٠٠٢].

(٨) السنن (٥٦٤).

(٩) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الدال وتشديد الياء من غير مد ولا همز... وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال والراء، وياء بعدها همزة ممدودة... وقرأ أبو بكر وحمزة بضم الدال ثم ياء ساكنة ثم همزة ممدودة. انظر: إتحاف فضلاء البشر (٢/٢٩٧ - ٢٩٨)، المحتسب (٢/١١٠).

يحصرها بكتاب أو أبواب ضمن كتاب<sup>(١)</sup>.

ومن خلال ما سبق يتبين منهج المصنف في سننه وهو أنه يورد الأحاديث المشتملة على أحكام سواء في التلاوة وما يتعلق بها أو القراءات... دون الفضائل والتفسير، كما قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لم أصنف في كتاب السنن إلا الأحكام».

أيضاً ربما أورد أحاديث في حكم معين، ثم يعقبها بأحاديث أخرى تنسخها، أو تكون أصح منها في الرواية، وهو الرأي الذي يختاره ويميل إليه، فاللاحق عنده أثبت من السابق.

كذلك إيراد الأحاديث مرتبة ترتيباً منهجياً، كما هو ظاهر في أبواب ترتيب القرآن وتحزيبه، وكتاب الحروف والقراءات، فقد أورد الأحاديث مرتبة على ترتيب المصحف، عدا آخر الكتاب.



(١) انظر على سبيل المثال: ح[٢٨٦٩، ٢٩٢٢، ٢٩٢١، ٢٩٢٣، ٢٩٢٤، ٣٦٧٢، ٣٧٥٣، ٤٤١٣، ٥٠١٦].

المَبْحَثُ الرَّابِعُ

## منهج الإمام الترمذي

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: منهجه في عموم الكتاب.

المطلب الثاني: منهجه في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن.





## المَبْحَثُ الرَّابِعُ

### منهج الإمام الترمذي

مدخل:

أولاً: التعريف بالإمام الترمذي:

هو: محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الحافظ، العلم، الإمام، البارِع<sup>(١)</sup>.

مولده: ولد سنة عشر ومائتين - تقريباً - (٢).

أخذ العلم أولاً من علماء بلده وتلمذ عليهم؛ كإسحاق بن راهويه، ثم ارتحل إلى العراق والحرمين، فسمع من علماء أجلاء، وأئمة نبلاء، إلا أنه لم يرحل إلى مصر والشام<sup>(٣)</sup>.

قال الترمذي: قال لي محمد بن إسماعيل (البخاري): «ما انتفعتُ بك أكثر مما انتفعت بي»<sup>(٤)</sup>.

وقال عنه ابن حبان: «كان أبو عيسى ممن جمع، وصنّف، وحفظ، وذاكر»<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن حجر: «أحد الأئمة، طاف البلاد، وسمع خلقاً من

(١) انظر: تهذيب الكمال (٢٦/٢٥٠)، سير أعلام النبلاء (١٣/٢٧٠).

(٢) انظر: المرجعين السابقين. (٣) انظر: السير (١٣/٢٧١).

(٤) تهذيب التهذيب (٣/٦٦٨).

(٥) الثقات (٩/١٥٣)، سير أعلام النبلاء (١٣/٢٧٣).

الخراسانيين والعراقيين والحجازيين»<sup>(١)</sup>.

وفاته: توفي في الثالث عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين  
بترمذ<sup>(٢)(٣)</sup>.

### ثانياً: التعريف بالكتاب:

اسمه: لم ترد تسمية هذا السفر واضحة من مؤلفه - فيما يظهر -  
ولذا سمي بأسماء كثيرة، ولعل أقربها لمضمون الكتاب، ومطابقة الحال  
(الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح  
والمعلول وما عليه العمل)<sup>(٤)</sup>.

ولما كان الترمذي تلميذاً للإمام البخاري وهو قد بنى كتابه على  
الأبواب الفقهية، واستنتاج الفوائد والنكت من الحديث، وأودعها في  
تراجمه... وكان أيضاً تلميذاً للإمام مسلم، وهو الذي جمع أحاديث  
الباب وطرقها في مكان واحد، وأتى بها مختصرة بطريقته البديعة في  
الاختصار... جاء من بعدهما فوضع كتابه مشتملاً على تلك الصفتين،  
وحاوياً لهما، وذلك بعدما تقدم في السنن وبلغ رتبة الإمامة، ونقل  
ابن حجر أنه أنهى كتابه في يوم الأضحى من سنة سبعين ومائتين<sup>(٥)</sup>.  
وعمره تجاوز الخمسين - تقريباً -، فمصنفه في جملته يرجع إلى الصناعة

(١) تهذيب التهذيب (٦٦٨/٣).

(٢) وهي مدينة قديمة على طرف نهر بلخ (جيحون). انظر: الأنساب (٤٤/٣).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٧/١٣).

(٤) وهذه تسمية الحافظ ابن خبير الإشبيلي في (فهرست ما رواه عن شيوخه) (١١٧)،  
وانظر: تحقيق اسمي الصحيحين واسم جامع الترمذي (٥٥) حيث قال: وقد عثرت  
على نسختين خطيتين قديمتين، جاء اسم الكتاب عليها تائماً غير منقوص... وإن  
كانت التسمية بالجامع قد وردت في أكثر من موضع في جامعه، انظر: العلل في  
الجامع (٨٨٩).

(٥) انظر: تهذيب التهذيب (٦٦٩/٣).

الحديثية، والفقهاء استتباطًا واختلافًا<sup>(١)</sup>، فيتكلم عليها ويكشف عن عللها، ويبين حالها، من حيث الصحة والسقم.

سبب تأليفه: يمكن أن يقال: إن من أسباب تأليفه لهذا السفر المبارك: سؤال أهل زمانه له، وطلبهم منه، فأجابهم إلى ذلك، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وإنما حملنا إلى ما بيَّنَّا في هذا الكتاب من قول الفقهاء، وعلل الحديث؛ لأننا سئلنا عن هذا فلم نفعله زمانًا ثم فعلناه، لما رجونا به من منفعة الناس؛ لأننا قد وجدنا غير واحد من الأئمة تكلفوا من التصنيف ما لم يسبقوا إليه... فجعل الله في ذلك منفعة كثيرة»<sup>(٢)</sup>.

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «صنفت هذا الكتاب، وعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به، ومن كان هذا الكتاب - يعني: الجامع - في بيته، فكأنما في بيته نبي يتكلم»<sup>(٣)</sup>.



(١) انظر: الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين (٤٨ - ٤٩)، ومقدمة الجامع الكبير لبشار عواد (٨/١).

(٢) الجامع (٨٩٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٧٤/١٣).

## المطلب الأول

### منهجه في عموم كتابه

جمع الإمام في مصنفه بين الصناعة الحديثية وعللها، والاستنباطات الفقهية واختلافها، مع حسن ترتيب وبراعة تبويب، مستفيداً من فقه شيخه البخاري، وترتيب شيخه مسلم، قال ابن الأثير: «كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة، وأحسنها ترتيباً وأقلها تكراراً، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب، ووجوه الاستدلال، وتبيين أحوال الحديث من الصحيح والسقيم والغريب، وفيه جرح وتعديل، وفي آخره كتاب العلل قد جمع فيه فوائد حسنة، لا يخفى قدرها على من وقف عليها»<sup>(١)</sup>.

ترجم الإمام لأحاديث كتابه - كغيره من الأئمة - إلا أنه أطلق لفظ (أبواب) بدلاً من (كتاب) على كتب جامعه، ويضيف (عن رسول الله ﷺ) فعلى سبيل المثال: «أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>، وذلك للدلالة على أن الأحاديث الواردة فيها مرفوعات لا موقوفات<sup>(٣)</sup>، ثم يترجم للأحاديث بعد قوله: (باب) كذا وكذا.

ومن منهجه أنه يحكم على الأحاديث التي يوردها من حيث الصحة والحسن والضعف، ويتكلم على الرجال والأسانيد، وما تشتمل عليه من علل، ثم يردفها بأراء الفقهاء في المسألة، وعملهم بالحديث، قال ﷺ: «جميع ما في هذا الكتاب من الحديث فهو معمول به، وقد أخذ به بعض

(٢) الجامع (١).

(١) جامع الأصول (١/١٩٣).

(٣) انظر: تحفة الأحوذى (١/١٧).

أهل العلم ما خلا حديثين... وما ذكرنا في هذا الكتاب من اختيار الفقهاء، فما كان فيه من قول سفیان الثوري... وما كان فيه من ذكر العلل في الأحاديث والرجال والتاريخ فهو ما استخرجته من كتاب «التاريخ»<sup>(١)</sup> وأكثر ذلك ما ناظرت به محمد بن إسماعيل، ومنه ما ناظرت به عبد الله بن عبد الرحمن وأبا زرعة»<sup>(٢)</sup>.

فمصنّفه قد اشتمل على علوم كثيرة، وفوائد جليّة، سوى جمع الأحاديث وترتيبها على الأبواب الفقهيّة، فهو (يُضْمَنُ الحديث مصنّفًا على الأبواب وهو علم برأسه، والفقّه علمٌ ثانٍ، وعلل الحديث ويشتمل على بيان الصحيح من السقيم وما بينهما من المراتب علمٌ ثالث، والأسماء والكنى رابع، والتعديل والتجريح خامس، ومن أدرك النبي ﷺ ممن لم يدركه، ومن أسند عنه في كتابه سادس، وتعدد من روى ذلك الحديث سابع، هذه علومه المجملّة، وأما التفصيليّة متعدية، وبالجملة فمفئدة كثيرة وفوائده غزيرة)<sup>(٣)</sup>.

قد يشير المصنف بعد إيراد الحديث في الباب إلى أسماء من روى من الصحابة حديثًا في ذلك الموضوع أو ما يلائم ذلك المتن؛ كقوله: «وفي الباب عن أبي بكر وعلي وعائشة...» ومقصده أن هذه الأحاديث يصلح ذكرها في هذا الباب، سواء أكانت بلفظ الحديث المروي أم لا، وقد يكون تعلق بعض هذه الأحاديث بالمسألة تعلقًا يسيرًا ولكنها جميعًا تؤيد حكم الباب، وليس المقصود أن الحديث نفسه روي عن هؤلاء الصحابة<sup>(٤)</sup>، ولهذا لا يكرر الحديث، ويعدد الروايات، بل يكتفي بالإشارة إلى الشواهد.

(١) أي: التاريخ الكبير للإمام البخاري.

(٢) الجامع (٨٩٠).

(٣) انظر: تحفه الأحوذى المقدمة (٢٨١) وهو من كلام محمد بن عمر بن رشيد.

(٤) انظر: الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين (١١٢ - ١١٣).

وربما كرر المصنف الحديث في أكثر من موضع، وهو إما أن يكون تكراراً متوالياً أو متقارباً، وأراد الصناعة الحديثية، إما لبيان علة أو غيرها، أو يكون متباعداً لإرادة الاستدلال الفقهي، والاستشهاد بالحديث على الحكم<sup>(١)</sup>.

أما عن شرطه في كتابه فقد أبان عن عموم منهجه فيه، وأن جميع أحاديثه قد عمل بها العلماء، خلا حديثين، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «جميع ما في هذا الكتاب من الحديث معمول به، وقد أخذ به بعض أهل العلم ما خلا حديثين...»<sup>(٢)</sup>.

وقسم الحافظ ابن رجب<sup>(٣)</sup> أحاديث الجامع، وبين أحوالها، فقال: «واعلم أن الترمذي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج في كتابه الحديث الصحيح، والحديث الحسن وهو ما نزل عن درجة الصحيح وكان فيه بعض الضعف، والحديث الغريب... والغرائب التي خرجها فيها بعض المناكير، ولا سيما في كتاب الفضائل، ولكنه يبين ذلك غالباً، ولا يسكت عنه، ولا أعلمه خرج عن متهم بالكذب متفق على اتهامه حديثاً بإسناد منفرد، إلا أنه قد يخرج حديثاً مروياً من طرق، أو مختلفاً في إسناده، وفي بعض طرقه متهم، وعلى هذا الوجه خرج حديث محمد بن سعيد المصلوب، ومحمد بن السائب الكلبي.

نعم قد يخرج عن سيئ الحفظ، وعن غلب على حديثه الوهم،

(١) انظر: الإمام الترمذي ومنهجه في كتابه الجامع (١/١٨١ - ١٨٨) مع الإشارة إلى الأمثلة ومواضعها في الجامع.

(٢) الجامع (٨٨٩).

(٣) هو: الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، شرح الترمذي، وشرح علل الترمذي، وجامع العلوم والحكم، والاستغناء بالقرآن وغيرها، توفي سنة ٧٩٥هـ. انظر: ذيل طبقات الحفاظ (٣٦٨)، طبقات المفسرين للداودي (٣٥٣).

ويبين ذلك غالبًا ولا يسكت عنه، وقد شاركه أبو داود في التخريج عن كثير من هذه الطبقة، مع السكوت على حديثهم؛ كإسحاق بن أبي مروة وغيره... والترمذي رحمته الله يخرج حديث الثقة الضابط، ومن يهيم قليلاً، ومن يهيم كثيرًا، ومن يغلب عليه الوهم يخرج حديثه نادرًا، ويبين ذلك ولا يسكت عنه<sup>(١)(٢)</sup>.



- 
- (١) شرح علل الترمذي (١/٣٩٥ - ٣٩٧)، تحقيق: نور الدين عتر.
- (٢) انظر للاستزادة في شروط الكتب الستة: شروط الأئمة لأبي العقيل بن طاهر (١٥) - (١٦)، والحافظ الحازمي في شروط الأئمة (٣٠).
- وانظر للاستزادة في المنهج العام لسنن الترمذي: ختم جامع الترمذي للبصري، مقدمة المباركفوري لشرحه (تحفة الأحوزي)، مقدمة الجامع الكبير تحقيق بشار عواد.

المطلب الثاني

منهجه في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن

اهتم المصنّف بالأبواب المتعلقة بعلوم القرآن أكثر من غيره، عدا الإمام البخاري<sup>(١)</sup>، وأولاها عنايته، واجتهد في الاستقصاء مع التحرير وبغية الكمال، خاصة في (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ)<sup>(٢)</sup>، فهو بحق تفسير متكامل، جامع بين الصناعة الحديثية، والدراسة الفقهية، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ:

وقد حوى اثنين وخمسين حديثاً، افتتحها بفضائل بعض سور القرآن، وهي: (فاتحة الكتاب، سورة البقرة، آية الكرسي، آخر سورة البقرة، سورة آل عمران، سورة الكهف، يس، حم الدخان، سورة الملك، إذا زلزلت، الإخلاص، المعوذتان) وإطلاقه (سورة كذا) يدل على جوازها عنده، بخلاف من كره ذلك من العلماء، وربما اكتفى بذكر مطلع السورة للدلالة على اسمها، وقد راعى ﷺ ترتيب السور كما هو في المصحف.

بين ﷺ معنى حديث: (يَأْتِي الْقُرْآنُ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي

(١) وهو جدير أن يفرد في رسالة علمية لاستيعاب المصنف أحاديث الباب بحسن عرض، وجودة ترتيب، ولمنزلة المصنف، وقيمة الكتاب.

(٢) الجامع (٦٦٣).



الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَلَّ عِمْرَانَ<sup>(١)</sup>، وأن المراد أنه يجيء ثواب قراءته للقرآن<sup>(٢)</sup>.

ثم أورد فضل قارئ القرآن، وأن الماهر به مع السفارة الكرام البررة<sup>(٣)</sup>، ثم فضل القرآن وأنه كتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم، وخبر ما بعدكم...<sup>(٤)</sup>، ثم ما جاء في تعليم القرآن وأن الخيرية في تعلم القرآن وتعليمه<sup>(٥)</sup>، ثم ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ما له من أجر<sup>(٦)</sup>، وأورد حديث: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ...)، ثم باب: ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه، وأن المراد القرآن<sup>(٧)</sup>، ثم ساق أحاديث الترهيب في الذي ليس في جوفه من القرآن بأنه كالبيت الخرب<sup>(٨)</sup>، والذي يتعلم السورة ثم ينساها<sup>(٩)</sup>، ومن قرأ القرآن فسأل به الناس<sup>(١٠)</sup>، ثم عاد ﷺ وذكر أحاديث فضائل سورتي بني إسرائيل والزمير<sup>(١١)</sup>، وقراءة آخر سورة الحشر<sup>(١٢)</sup>، وذلك كله بدون ترجمة للأحاديث بل اكتفى بذكر (باب)<sup>(١٣)</sup>.

ثم عقد باب ما جاء كيف كان قراءة النبي ﷺ<sup>(١٤)</sup>، سواء في صلاة الليل، أو التلاوة، أو في الدعوة.

يحرص ﷺ غالباً على موافقة النص النبوي في تبويباته<sup>(١٥)</sup>.

(١) الجامع (٦٤٨).

(٢) وسيأتي مزيد بحث ودراسة لمعنى الحديث في (فضائل القرآن) إن شاء الله.

(٣) ح [٢٩٠٤].

(٤) ح [٢٩٠٦].

(٥) ح [٢٩٠٧].

(٦) ح [٢٩١١].

(٧) ح [٢٩١٣].

(٨) ح [٢٩١٧].

(٩) ح [٢٩٢٠].

(١٠) قال المباركفوري (١٣٥٣هـ): «ومنها أنه يعقد باباً بغير ترجمة» المقدمة (٣٠٨).

(١١) ح [٦٥٧].

(١٥) انظر على سبيل المثال: ح [٢٨٧٦، ٢٨٧٨، ٢٨٨١، ٢٨٨٧، ٢٨٩٣، ٢٩١١، ٢٩١٣].

ويلاحظ الباحث أن صنيع الإمام الترمذي في إيراد الأحاديث التي وردت في السور وليست في الفضائل - في ظاهرها - أنها تعد منها كقراءة النبي ﷺ بعض السور قبل النوم<sup>(١)</sup>.

ومن خلال ما سبق يتبين أن المصنف يورد التبويبات والأحاديث مرتبة ترتيباً موضوعياً، فبعد أن ساق فضل قراءة القرآن أعقبه بفضيلة تعليمه، وأجر المتعلم، وأنه من أفضل القربات إلى الله تعالى...

### ثانياً: أبواب القراءات عن رسول ﷺ:

اشتمل على ثلاثة وعشرين حديثاً، وساق الأحاديث التي فيها أوجه قراءة النبي ﷺ لبعض الآيات، مرتباً ذلك على ترتيب المصحف، إلا أنه أخلّ بهذا الترتيب في آخره؛ حيث ختمها بالقراءات في سورة الذاريات وسورة الحج<sup>(٢)</sup>.

ثم أورد (باب: ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) ولها تعلق مباشر بالقراءات، ثم ختم الأبواب بذكر أحاديث الترغيب في مدارسة القرآن، (وَأَنَّهُ مَا قَعَدَ قَوْمٌ فِي مَسْجِدٍ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ...) الحديث<sup>(٣)</sup>، وفي كم يقرأ القرآن، وساق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، واكتفى بذكر الأبواب بدون ترجمة<sup>(٤)</sup>.

ختم المصنف أبواب فضائل القرآن بأحاديث التهيب، وختم أبواب القراءات بأحاديث الترغيب، وهو أسلوب مستعمل في القرآن<sup>(٥)</sup>.

### ثالثاً: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ:

اشتمل على تسعة عشر وأربعمئة حديث، افتتحها بما جاء في ذم

(١) انظر: ح [٢٩٢٠، ٢٩٢١].

(٢) الجامع (٦٦٠).

(٣) ح [٢٩٤٥].

(٤) الجامع (٦٦١ - ٦٦٣).

(٥) ذكر الإمام الزركشي ضمن أساليب القرآن وفنونه، أسلوب التقديم والتأخير، ومنها التخويف واستدل بقوله تعالى: ﴿فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هو: ١٠٥] انظر: البرهان (٣/٣٤٣).

الذي يفسر القرآن برأيه، ويبيّن أن ما روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم، أو من قبل أنفسهم<sup>(١)</sup> بغير علم.

في بداية كل سورة يستفتح بالبسملة، موافقة لشيخه محمد بن إسماعيل ومتابعة له، وقد أتى على جُلّ سور القرآن، عدا (الجاثية، نوح، المزمّل، المرسلات، النبأ، النازعات..) وغيرها.

ومنهججه أنه يذكر اسم السورة؛ ك(ومن سورة البقرة، سورة سبأ...). ثم يسرد الأحاديث من دون الإشارة في الترجمة إلى تفسير آية ما، وهو - غالبًا - يرتب الأحاديث على ترتيب الآيات في السورة<sup>(٢)</sup>.

وتفسيره إما من بيان السُنّة للقرآن بأنواعه المختلفة؛ كبيان الألفاظ<sup>(٣)</sup>، وتفصيل القصص<sup>(٤)</sup>، وتخصيص العام...<sup>(٥)</sup>، أو تفسيرًا نبويًا<sup>(٦)</sup>، أو تعضيد السُنّة للقرآن<sup>(٧)</sup>، وربما استنبط من الأحاديث النبوية تفسيرًا للآية؛ كتفسيره (المغضوب عليهم: اليهود، والضلال: النصارى)<sup>(٨)</sup>.

اختتم... كتاب التفسير ببابين: أولهما: في قصة خلق آدم وبدء التسليم والتشميت... والثاني: في حكمة خلق الجبال في الأرض...

(١) الجامع (٦٦٣).

(٢) انظر على سبيل المثال: تفسيره لآيات البقرة، من حديث [٢٩٥٥ - ٢٩٩٢]، سورة هود [٣١٠٩ - ٣١١٥]، وغيرهما، وربما قدم آية على آية، انظر على سبيل المثال: ح [٢٩٩٩] من سورة آل عمران.

(٣) انظر على سبيل المثال: ح [٢٩٦١، ٣١٣٦، ٣١٥١، ٣١٦٤] وغيرها.

(٤) انظر على سبيل المثال: ح [٣١٤، ٣١٨٠، ٣٣٠٠].

(٥) انظر على سبيل المثال: ح [٢٩٩٨، ٢٩٩٩، ٣٠٥٣، ٣٠٧١].

(٦) انظر على سبيل المثال: ح [٢٩٥٤، ٢٩٧٦، ٣٠٠١، ٣٠٤٦].

(٧) انظر على سبيل المثال: ح [٢٩٩٥، ٣١٠٧، ٣١٢٣، ٣١٥٤].

(٨) انظر: ح [٢٩٥٤].

فبعض الشراح جعلها طريقة متبعة للمصنف في بعض الأبواب، وهي تتعلق بما ورد فيه، حيث قال: «اعلم أن إيراد الترمذي هذين البابين في آخر التفسير كإيراده أحاديث شتى في آخر أبواب الدعوات... [فالحديث الأول] يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]... [والحديث الثاني] يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَأَلْفَىٰ فِي الْأَرْضِ رُؤُوسًا أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ﴾ [النحل: ١٥]»<sup>(١)</sup>، وبعضهم ربط بينها وبين آخر حديث في الأبواب، فقال: «أورد بابين، بيّن في الأول: منهما ذكر ذاته وبدء خلقه، وفي الثاني: بعض صفاته... لما أن سورة الناس اشتملتهم مكرراً كما هو ظاهر، واختتمت السورة بذكر الناس أيضاً، فناسب ذكر بعض أحواله بعد ذلك بهذه المناسبة، والله أعلم»<sup>(٢)</sup>.



(١) تحفة الأحوذى (٢١٧/١٠).

(٢) الكوكب الدرّي على جامع الترمذى (٣٢٨/٤).

## المَبَحْثُ الْخَامِسُ

### منهج الإمام النسائي

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : منهجه في عموم الكتاب .

المطلب الثاني : منهجه في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن .



## لِلْبَحْثِ الْخَامِسِ

### منهج الإمام النسائي

مدخل:

أولاً: التعريف بالإمام النسائي:

هو: أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الخراساني، الإمام الحافظ الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، صاحب السنن<sup>(١)</sup>.  
مولده: ولد سنة (٢١٥هـ)<sup>(٢)</sup> بنسأ<sup>(٣)</sup>، وسئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن مولده؟ فقال: يشبه أن يكون في سنة خمس عشرة ومائتين؛ لأن رحلتي الأولى إلى قتيبة كانت في سنة ثلاثين ومائتين<sup>(٤)</sup>.

طلب العلم مبكراً على كبار علماء عصره، وارتحل في سبيله إلى خراسان والحجاز ومصر والعراق والجزيرة والشام، ثم استوطن مصر، ورحل الحفاظ إليه<sup>(٥)</sup>.

قال الدارقطني<sup>(٦)</sup>: «كان أبو عبد الرحمن النسائي أفاقه مشايخ مصر

(١) انظر: تهذيب الكمال (١/٣٢٨)، سير أعلام النبلاء (١٤/١٢٥).

(٢) انظر: المرجعين السابقين.

(٣) مدينة بخراسان، قرية من سرخس ونيسابور. انظر: معجم البلدان (٥/٣٢٥).

(٤) انظر: تهذيب الكمال (١/٣٣٨)، فتح المغيث (٤/٤٢٤).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/١٢٧)، تهذيب الكمال (١/٣٢٩).

(٦) هو: الإمام حافظ الزمان، أمير المؤمنين في الحديث، علي بن عمر بن أحمد أبو الحسن الدارقطني الشافعي، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلم الحديث وأسماء =

في عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار، وأعلمهم بالرجال، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه...»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأثير: «أحد الأئمة الحفاظ العلماء، لقي المشايخ الكبار... وكان ورعاً متحريراً»<sup>(٢)</sup>.

وفاته: توفي بفلسطين سنة (٣٠٣هـ)<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: التعريف بالكتاب:

اسمه: لم يُسمَّ الإمام النسائي كتابه، وقد اشتهر باسم «السنن»، وقيل: السنن الكبرى، والسنن الصغرى، وسميت الصغرى بـ«المجتبى» أو «المجتبى» بالنون؛ لأنه اصطفاه من كتابه الكبير «السنن الكبرى»<sup>(٤)(٥)</sup>.

= الرجال وأحوال الرواة، وله كتاب في القراءات، توفي سنة ٣٨٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣٤/١٢)، المتظم (١٨٣/٧).

(١) تهذيب الكمال (٣٣٨/١).

(٢) انظر: جامع الأصول (١/١٩٥ - ١٩٦).

(٣) تهذيب الكمال (٣٤٠/١).

(٤) انظر: مقدمة تحقيق كتاب «عمل اليوم والليلة» د. فاروق حمادة (٧٦ - ٧٧).

(٥) وقع خلاف بين العلماء في «المجتبى» هل هو من تصنيف النسائي نفسه، أو من انتخاب ابن السني من السنن الكبرى؟ القول الأول: إن المجتبى من انتقاء ابن السني، وهو اختصار للسنن الكبرى... قاله الذهبي في السير (١٣١/١٤) وغيره. القول الثاني: إن «المجتبى» من اختصار النسائي نفسه من السنن الكبرى، وليس لابن السني إلا مجرد الرواية، وعلى هذا جُلَّ العلماء والمحدثين، قال السخاوي في «بغية الراغب المتمني في ختم النسائي»: وهو أصح مما قاله غيره: إن المجرد هو أحد رواة الحافظ أبو بكر بن السني (٥٣)، ومن الأدلة على ذلك:

١ - القصة الواردة في سبب تأليفه للمجتبى...

٢ - أن ابن الأثير الذي جرد الأصول الخمسة وضم إليها الموطأ جرد المجتبى، وليس السنن الكبرى، وساق إسناده بالمجتبى، وفيه النص الواضح على أن المجتبى من تأليف النسائي ذاته.

٣ - لم يقدم الإمام الذهبي دليلاً على قوله لا نقلاً ولا استنباطاً.



سبب تأليفه: صَنَّفَ أولاً «السنن الكبرى» وجمع فيها ما ورد عن رسول الله ﷺ مما يمكن أن يستدل به الفقهاء، مع استحضار الصنعة الحديثية... ثم سأله بعض الأمراء عن كتابه «السنن»؛ أكله صحيح؟ فقال: لا، قال: فاكتب لنا الصحيح منه مجرداً، فصنع «المجتبى»، فهو المجتبى من السنن<sup>(١)</sup>.

وإذا أطلق أهل الحديث أن النسائي روى حديثاً، فإنما يعنون في السنن الصغرى، وهي «المجتبى»، لا السنن الكبرى<sup>(٢)</sup>.  
عدد أحاديثه: بلغت أحاديث السنن الصغرى «المجتبى» خمسة آلاف وسبع مئة وثلاثة وأربعين حديثاً<sup>(٣)</sup>.



٤ - أن ابن السني ذاته نص على أنه سمع المجتبى من مصنفه بمصر في أكثر من موضع في السنن. انظر: بغية الراغب (٥٣)، مقدمة تحقيق عمل اليوم والليلة (٦٩ - ٧٣)، ويمكن أن نوفق بين القولين بأنه: لو سلمنا أن ابن السني هو الذي اجتبه، فإنه لم يضيف إليه شيئاً من مروياته، بل اقتصر على روايته عن النسائي فحسب، وعليه فلاصل تصنيف النسائي... والله أعلم. انظر: تحقيق حسن شلبي للسنن الكبرى (٣٢/١).

(١) انظر: جامع الأصول (١/١٩٧).

(٢) انظر: الرسالة المستطرفة (٣٢).

(٣) انظر: الفيض السمائي على سنن النسائي (٥١).

## المطلب الأول

## منهجه في عموم كتابه

تلقى العلماء سنن النسائي بالرضا والقبول، وعدُّوها أحد الكتب الستة التي اشتملت على أصول الإسلام، وفروعه الفقهية، بل أطلق عليها جُلَّة من العلماء الحفاظ اسم الصحيح<sup>(١)</sup>، فمصنفه «أبداع الكتب المصنفة في السنن تصنيفًا، وأحسنها توصيفًا، وهو جامع بين طريقتي البخاري ومسلم، مع حظ كبير من بيان العلل التي كأنها كهانة من المتكلم»<sup>(٢)</sup>.

وفي الجملة فسنن النسائي أقل الكتب الستة بعد الصحيحين حديثًا ضعيفًا ورجلاً مجروحًا، ويقاربه كتاب أبي داود وكتاب الترمذي، وإنما أخروه عنهما؛ لتأخره في الوفاة عنهما - فيما يظهر - بل هو آخر أصحاب الكتب الستة وفاة وأسنهم، لم يعمر منهم أحد كتعميره<sup>(٣)</sup>.

وربما أورد الإمام النسائي أحاديث وفيها ضعاف؛ لأنه لم يجد غيرها في الباب، أو يكون فيها زيادة على الأحاديث الصحيحة، ومن ذلك قوله في كتاب الاستعاذة عند باب (الاستعاذة من الحزن) بعد ما أورد الحديث: سعيد بن سلمة شيخ ضعيف وإنما أخرجناه للزيادة

(١) منهم: ابن السكن ٣٥٣هـ، وابن منده ٣٩٥هـ، والدارقطني ٣٨٥هـ، والخطيب البغدادي ٤٦٣هـ وغيرهم. انظر: بغية الراغب المتمني (٤٨ - ٤٩)، ومقدمة تحقيق عمل اليوم والليلة (٤٤).

(٢) النكت لابن حجر (٣١٤/١)، بغية الراغب (٤٨) من كلام أبي عبد الله بن رشيد.

(٣) انظر: النكت (٣١٤/١)، بغية الراغب (٩٠).

في الحديث<sup>(١)</sup>.

إلا أنه في الغالب لا يسكت عن الضعيف بل يبيّنه بما يستحق، وأظهر في هذا الجانب براعة فائقة وبصيرة نافذة، بحسن أسلوب، وجمال أدب<sup>(٢)</sup>.

ومن منهجه اهتمامه بغريب الحديث، وبيان أسماء الرواة وأحوالهم، والحكم على الأحاديث، قال السخاوي: «فكتابه بديع لمن تدبره، وتفهم موضوعه وكرره، وكم جواهر اشتمل عليها، وأزاهر انتعشت الأرواح بالدخول إليها، وذلك أنه يفسر الغريب - أحياناً - . . . ويعين المهمل . . . ويسمي المبهم . . . والمكّنّى . . . ويكنى المسمى حيث كان مشهوراً بكنيته . . . ويشير للمتفق والمفترق . . . ويبين المنقطع . . . والمرسل . . . والضعيف . . . ولأصح ما في الباب . . . والمنكر . . . والغريب . . . والموقوف . . .»<sup>(٣)</sup>.

وقد حافظ على سياق الأحاديث بأسانيدھا فهي مسندة كلها، ويندر أن تجد معلقاً<sup>(٤)</sup>.

اعتنى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالجانب الفقهي عناية فائقة، ومن ذلك كثرة التفريعات والتفصيلات في الباب الواحد بحثاً عن السنن، حتى إن القارئ ليشعر أنه يتناول كتاباً فقهياً يبين آراء الفقهاء واستدلالاتهم . . . وهذا ما دعاه إلى تكرار الحديث الواحد في مواضع متعددة، وقد يقتصر على موضع الشاهد من الحديث، وربما نقل عن الفقهاء فتاويهم . . . وقد يسوق

(١) المجتبى (٧٢٤)، وانظر: مقدمة تحقيق عمل اليوم والليلة (٤٨).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق عمل اليوم والليلة (٤٩).

(٣) انظر: بغية الراغب (٦٢ - ٩٠) مع ذكر الأمثلة والتعليق عليها.

(٤) انظر: الفيض السمائي على سنن النسائي (٥١/١)، مقدمة تحقيق عمل اليوم والليلة (٥٧) وذكر أنه لم يجد سوى موضعين في المجتبى هما في صورة المعلق ويمكن أن يحملا على الاتصال.

الأحاديث المتعارضة في الباب إذا صحت ليقيم الدليل على صحة العملين، ونقل لنا صور كتب فقهية في المزارعة وأنواع الشركات والمكاتب، وهي عمل فقهي محض<sup>(١)(٢)</sup>.

ومن منهجه البراعة والدقة في تراجم الأحاديث التي يبرز من خلالها المنحى الفقهي المتميز، مع حسن الاستنباط، وجمال التقسيم<sup>(٣)</sup>، وربما ترجم للباب دون ذكر حديث<sup>(٤)</sup>.

أما عن شرطه فقال أبو الفضل محمد بن طاهر<sup>(٥)</sup>: «وأما أبو داود فمن بعده، فإن كتبهم تنقسم على ثلاثة أقسام، الأول: صحيح وهو الجنس المخرج في هذين الكتابين للبخاري ومسلم... الثاني: صحيح على شرطهم، حكى أبو عبد الله بن منده: أن شرط أبي داود والنسائي إخراج أحاديث أقوام لم يجمع على تركهم إذا صح الحديث باتصال الإسناد من غير قطع ولا إرسال ويكون هذا القسم من الصحيح... الثالث: أحاديث أخرجوها للضدية في الباب المتقدم وأوردوها لا قطعاً منهم بصحتها، وربما أبان المخرج لها عن علتها مما يفهمه أهل المعرفة...»<sup>(٦)</sup>، وقال: «سألت سعد بن علي الزنجاني عن رجل فوثقه، فقلت: قد ضعفه النسائي، فقال: يا بني إن لأبي عبد الرحمن شرطاً في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم، قلت (الذهبي): صدق، فإنه لين جماعة من رجال صحيحي البخاري ومسلم»<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر على سبيل المثال: المجتبى (٥٤٩)، (٥٥١).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق عمل اليوم والليلة (٥٤ - ٥٦) مع ذكر الأمثلة.

(٣) انظر على سبيل المثال: الأحاديث الأول من المجتبى.

(٤) انظر على سبيل المثال: (٦٥٣).

(٥) هو: الإمام الحافظ محمد بن طاهر بن علي بن أحمد، أبو الفضل المقدسي، المعروف بابن القيسراني، توفي سنة ٥٠٧هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢٨٧/٤)، سير أعلام النبلاء (٣١٦/١٩).

(٦) شروط الأئمة الستة (١٥ - ١٦). (٧) سير أعلام النبلاء (١٤/١٣١).

## المطلب الثاني

### منهجه في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن

اقتصر المصنف في «المجتبى» على إيراد جملة من الأحاديث المتعلقة بالقرآن، تحت باب: «جامع ما جاء في القرآن»<sup>(١)</sup> ضمن كتاب الصلاة الطويل، وأورد فيه الأحاديث المتعلقة بالوحي، ثم سرد مجموعة من الأحاديث في الأحرف السبعة، ثم أعقبها بقراءات النبي ﷺ في صلواته النفل والفرض؛ كركعتي الفجر وصلاة الصبح والمغرب والعشاء، ثم عقد «باب سجود القرآن»؛ كسجدة سورة (ص) و(والنجم) و(الانشقاق) و(العلق)، ثم أحكام السجود، «باب السجود في الفريضة»، ثم أورد فضل قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وبعض أحكام التلاوة؛ كقراءة سورتين في ركعة، وقراءة بعض السورة، وترديد الآية، ورفع الصوت بالقرآن، ومد الصوت بالقراءة، وتزيين القرآن بالصوت... ومجموع الأحاديث كلها تسعون حديثاً.

فالإمام لم يبع إيراد ما يتعلق بفضائل القرآن أو التفسير، وإنما ذكر طائفة من الأحاديث المتعلقة بأحكام القرآن وتلاوته، كما أشار إليه في قوله: جامع ما جاء في القرآن، ورتب الأحاديث ترتيباً متناسقاً مترابطاً. وجميع الأحاديث والتراجم بترتيبها مذكورة في السنن الكبرى، تحت مسمى، باب «جامع ما جاء في القرآن» ضمن كتاب الصلاة<sup>(٢)</sup>.

(١) المجتبى (١٣٠ - ١٤١).

(٢) انظر: السنن الكبرى (١٨٠/١ - ٤٩١) و(٥/٢ - ٢٨).

وأفاض المصنف في السنن الكبرى في الأبواب المتعلقة بعلوم القرآن، وقد عقد كتابين:

### الأول: كتاب فضائل القرآن:

ضمّنه مائة وخمسة وعشرين حديثًا، استفتحه بكيفية نزول الوحي<sup>(١)</sup>، وأورد فيه كيفيات الوحي وأحوال النبي ﷺ عند نزول الوحي، ثم أورد «على كم نزل القرآن؟» إلا أنه لم يطل فيه كـ«المجتبى»، بل اكتفى بذكر حديثين فقط، ثم «باب كيف نزل القرآن»، وبلسان من نزل القرآن، ثم «باب كم بين نزول أول القرآن وبين آخره»، وأورد آثارًا عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، ثم «باب عرض جبريل القرآن»، ثم أورد كُتّاب الوحي، والقراء، ثم باب سورة كذا سورة كذا، وأعقبه بـ«باب السورة التي يذكر فيها كذا»، ثم كتابة القرآن، ثم أفاض في ذكر بعض فضائل السور؛ كالفاتحة، وسورة البقرة والآيتين من آخر سورة البقرة والكهف والمسبحات والمعوذات... ثم سرد الأحاديث في فضل حفظ القرآن وتحفيظه بالأمر بتعلم القرآن، واتباع ما فيه، وفضل تعليمه، ثم الأمر باستذكار القرآن، ثم بيّن بعض أحكام التلاوة كنسيان القرآن، ومن استعجم القرآن على لسانه، وحال الماهر بالقرآن، والمتتبع فيه، والتغني به، والترجيع، والترتيل، وتحبير القرآن، ومد الصوت به، والقراءة عن ظهر القلب، وعلى الدابة، وقراءة الماشي، ثم بيّن في كم يقرأ القرآن؟ وأورد حديث ابن عمرو بن العاص<sup>(٣)</sup>، ثم البكاء عند قراءة القرآن، وقول المقرئ للقارئ: حسبنا، حسبك، أمسك، أحسنت، وكلها واردة عن المصطفى ﷺ، ثم بيّن مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن... وختم الكتاب بأبواب التهريب فيمن رأى بقراءة القرآن، ومن قال في القرآن

(٢) المرجع السابق (٧/٢٤٧).

(١) السنن الكبرى (٧/٢٤١).

(٣) المرجع السابق (٧/٢٧٦).

بغير علم، وقول النبي ﷺ: (لَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقُرْآنِ)، والمِرَاء في القرآن، وذكر الاختلاف في القرآن... هذه جملة ما ورد في كتاب فضائل القرآن<sup>(١)</sup>.

### الثاني: كتاب التفسير:

أورد فيه سبع مئة وتسعة وثلاثين حديثًا، وقد أتى على سور القرآن كلها، ما عدا سورة (نوح، والبلد، والشرح، والعاديات، والقارعة، والعصر، والفيل) وقد رتبها على ترتيب المصحف، مستفتحًا بفاتحة الكتاب، واختتمها بالمعوذتين.

ومنهجه أنه يذكر اسم السورة ثم يبسمل، ويذكر الأحاديث العامة في السورة<sup>(٢)</sup>، ثم يترجم ببعض آيات السورة التي فيها تفسير، وربما اكتفى بإيراد ترجمة دون ذكر الآية وهي قليلة جدًا<sup>(٣)</sup>.

وتفسيره ليس مقتصرًا على بيان غريب، أو تفصيل القصص<sup>(٤)</sup>، أو بيان مجمل أو مبهم... إلخ فحسب، بل هو أوسع وأشمل، فهو يورد كل ما يحضره من الأحاديث النبوية والآثار في الآية الكريمة، إما استنباطًا أو استنتاجًا أو تعضيدًا<sup>(٥)</sup>.....

(١) انظر: السنن الكبرى (٧/٢٤١ - ٢٩٢).

(٢) انظر على سبيل المثال: (٦/١٠)، (١٧١/١٠)، (٣٠٥/١٠).

(٣) كقوله: ﴿الْمُرَارِثُونَ﴾ [الصف: ١٤] (٨٩/١٠)، بركة الذرية (٩٣/١٠)، ذكر السدرة المنتهى (٢٧٤/١٠).

(٤) وإن كان أطال فيها أكثر من غيره، انظر على سبيل المثال: (١٢/١٠)، (١٧٢/١٠).

(٥) انظر على سبيل المثال: تفسيره لسورة غافر استدل بحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يقول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، أَهْلُ النَّعْمَةِ وَالْفَضْلِ وَالْثَنَاءِ الْحَسَنِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (١٠/٢٤٤)، وحديث: (أَلَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ =

بدلالة ظاهرة أو خفية<sup>(١)</sup>.

ولذا أفرد بكتاب مستقل، وعُدَّ كتابًا مستقلًا عن السنن الكبرى، وما ذلك إلا لتكامله وشموليته، وتفننه في هذا الفن<sup>(٢)</sup>.



= مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢٤٤/١٠)، واستدلّاه عند قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمُنْجِبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] بحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمُنْجِبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ حُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (٧/١٠)، وانظر: ح[١١٣٤٢].

(١) وهو جدير بأن يفرد بدراسة متخصصة.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٣٠٠)، مقدمة تحقيق عمل اليوم والليلة (٣٥). قال الذهبي: «وله كتاب التفسير في مجلده». السير (١٤/١٣٣)، وإن كان جلة من العلماء رأوا أنه من جملة السنن الكبرى. انظر: مقدمة تحقيق تفسير النسائي (١/٩٥).



المَبَحْثُ السَّادِسُ

منهج الإمام ابن ماجه



## المَبْحَثُ السَّادِسُ

### منهج الإمام ابن ماجه

مدخل:

أولاً: التعريف بالإمام ابن ماجه:

هو: محمد بن يزيد الرَّبَعي مولاهم، أبو عبد الله بن ماجه<sup>(١)</sup> القزويني، الحافظ الكبير، الحجة، المفسر<sup>(٢)</sup>.  
مولده: ولد سنة تسع ومائتين من الهجرة<sup>(٣)</sup>.  
طلب العلم على علماء بلده قزوين<sup>(٤)</sup>، وارتحل إلى الري والعراق ومصر والشام والحجاز في سبيل تحصيل العلم، وخاصة علم الحديث، والعلو فيه<sup>(٥)</sup>.  
قال عنه أبو يعلى الخليلي<sup>(٦)</sup>: «ثقة كبير، متفق عليه، محتج به، له

(١) (ماجه) قيل: هو لقب والده (يزيد)، وقيل: لقب (أمه)، وقيل: جده، ولعل الأول أصحها، كما صرح بذلك الرافي في التدوين في أخبار قزوين (٤٩/٢) حيث قال: «و(ماجه) لقب يزيد». وانظر: الحطة (٤٦١)، ومناهج المحدثين (٢١٧).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٤٠/٢٧)، سير أعلام النبلاء (٢٧٧/١٣).

(٣) انظر: المرجعين السابقين.

(٤) قزوين: مدينة مشهورة من بلاد أذربيجان، بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخاً. انظر: الأنساب (١٣٦/١٠)، معجم البلدان (٣٨٩/٤).

(٥) انظر: التدوين في أخبار قزوين (٤٩/٢).

(٦) هو: الخليل بن عبد الله بن أحمد أبو يعلى الخليلي القزويني الحافظ المحدث، صنف الإرشاد في معرفة المحدثين، وكان عالماً بالعلل والرجال، توفي سنة ٤٤٦ هـ. انظر: =

معرفة بالحديث وحفظ، ارتحل إلى العراقين ومكة والشام ومصر والري  
لكتب الحديث»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن كثير: «أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه، صاحب  
كتاب «السنن» المشهورة، وهي دالة على عمله وعلمه وتبحره واطلاعه،  
واتباعه للسنة النبوية في الأصول والفروع»<sup>(٢)</sup>.

وفاته: توفي في شهر رمضان من سنة ثلاث وسبعين ومائتين<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: التعريف بالكتاب:

اسمه: سمي مصنفه بـ«السنن»، حيث قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «عرضت هذه  
(السنن) على أبي زرعة...»<sup>(٤)</sup>، ويحتمل أنه أراد الوصف لا التسمية،  
ولكن اشتهر بـ«سنن ابن ماجه».

عدد الكتب والأبواب والأحاديث: قيل: إن عدد كتب سنن  
ابن ماجه اثنان وثلاثون كتاباً، وألف وخمسمائة باب، ويحتوي على  
أربعة آلاف حديث<sup>(٥)</sup>، قال ابن كثير: «كلها جياذ سوى اليسير»<sup>(٦)</sup>.

وبلغ عدد الكتب في الطبعة التي حققها محمد فؤاد عبد الباقي،  
سبعة وثلاثين كتاباً عدا المقدمة، وعدد الأبواب ألف وخمسمائة وخمسة  
عشر باباً، وعدد الأحاديث أربعة آلاف وثلاثمائة وواحد وأربعون حديثاً،  
ولعل ما ذكره الإمام الذهبي ومن بعده، يكون على وجه التقريب، أو

= الوافي بالوفيات (٢٤٧/١٣)، تذكرة الحفاظ (١١٢٣/٣).

(١) انظر: تهذيب الكمال (٤١/٢٧)، سير أعلام النبلاء (٢٧٩/١٣).

(٢) البداية والنهاية (٦٠٨/١٤).

(٣) انظر: تهذيب الكمال (٤١/٢٧)، سير أعلام النبلاء (٢٧٩/١٣)، البداية والنهاية

(٦٠٩/١٤).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٨/١٣).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٨/١٣)، البداية والنهاية (٦٠٨/١٤).

(٦) البداية والنهاية (٦٠٨/١٤).

بسبب اختلاف النسخ<sup>(١)</sup>.

وَعُدَّ سنن ابن ماجه أحد الأصول الستة، وأول من أدخله فيها أبو الفضل بن طاهر، قال ابن حجر: «وحكى ابن عساكر أن أول من أضاف كتاب ابن ماجه إلى الأصول، أبو الفضل بن طاهر، وهو كما قال، فإنه عمل أطرافه معها، وصنف جزءًا آخر في شروط الأئمة الستة، فعده معهم، ثم عمل الحافظ عبد الغني كتاب الكمال في أسماء الرجال الذي هذبه الحافظ أبو الحجاج المزي فذكره فيهم... فأرادوا بضم كتاب ابن ماجه إلى الخمسة تكثير الأحاديث المرفوعة»<sup>(٢)</sup>.

وسميت الكتب الستة بـ«الصحاح» - كما سبق -، وقد أبان الزركشي عن السبب في ذلك، فقال: «تسمية هذه الكتب صحاحًا إما هو باعتبار الأغلب؛ لأن غالبها الصحاح والحسان وهي ملحقة بالصحاح، والضعيف منها ربما التحق بالحسن بإطلاق الصحة عليها في باب التغليب»<sup>(٣)</sup>.

منهجه في عموم كتابه:

احتفى العلماء بسنن ابن ماجه، وأولوه العناية والاهتمام، وذلك لمكانة مصنفه وعلمه وحفظه، ومنزلة تصنيفه، قال ابن ماجه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «عرضت هذه السنن على أبي زرعة فنظر فيه، وقال: أظن إن وقع هذا في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع، أو أكثرها»<sup>(٤)</sup>، ثم قال: «لعل لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثًا مما في إسناده ضعف، أو نحو ذلك»<sup>(٥)</sup>.

وعَلَّقَ الإمام الذهبي فقال: «قد كان ابن ماجه حافظًا ناقدًا صادقًا، واسع العلم، وإنما غَضَّ من رتبة (سننه) ما في الكتاب من المناكير،

(١) انظر: الحطة (٣٩٩)، مناهج المحدثين (٢٢٠).

(٢) النكت (٣١٦/١).

(٣) النكت للزركشي (٣٧٩/١).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٨/١٣). (٥) المرجع السابق (٢٧٨/١٣).

وقليل من الموضوعات، وقول أبي زرعة - إن صح - فإنما عني بثلاثين حديثاً، الأحاديث المطروحة الساقطة، وأما الأحاديث التي لا تقوم بها حجة فكثيرة، لعلها نحو الألف<sup>(١)</sup>.

وبالجملة: فإن سنن ابن ماجه تلقته الأمة بالقبول، وما فيه من الأفراد والضعاف فالغالب عليها أنها اعتضدت بمتابعات وشواهد تجبر ضعفها، ولذلك لم يزل العلماء والفقهاء يستدلون بما فيه ويعتنون بروايته، وذلك لما قام عندهم من جلالته ومكانته<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة ما فيه من الأحاديث أبان عنها محققه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بقوله: «لقد وقعت جملة أحاديث السنن في (٤٣٤١) حديثاً، من هذه الأحاديث (٣٠٠٢) حديث أخرجها أصحاب الكتب الخمسة كلهم أو بعضهم، وباقى الأحاديث وعددها (١٣٣٩) هي الزوائد على ما جاء بالكتب الخمسة، وبيان الزوائد:

(٤٢٨) حديثاً، رجاله ثقات، صحيح الإسناد.

(١٩٩) حديثاً، حسن الإسناد.

(٦١٣) حديثاً، ضعيف الإسناد.

(٩٩) حديثاً، واهي الإسناد أو منكراً أو مكذوبة<sup>(٣)</sup>.

وأما مقولة: «كل ما انفرد به ابن ماجه فهو ضعيف»<sup>(٤)</sup> فليست على إطلاقها، وقد رد ذلك ابن حجر بقوله: «وليس الأمر في ذلك على إطلاقه باستقرائي، وفي الجملة ففيه أحاديث كثيرة منكراً، والله تعالى المستعان... لكن حمله - أي: المقولة - على الرجال أولى، وأما حمله

(١) سير أعلام النبلاء (٢٧٨/١٣).

(٢) انظر: ختم سنن الحافظ ابن ماجه للبصري، مجلة الحكمة، عدد (٣١) (٤٨٦).

(٣) سنن ابن ماجه (١٥١٩/٢ - ١٥٢٠).

(٤) قالها أبو الحجاج المزني، والسري، انظر: تهذيب التهذيب (٧٣٧/٣).

على الأحاديث فلا يصح»<sup>(١)</sup>.

ومن منهجه حسن الترتيب، وجودة التنظيم، وسرد الأحاديث باختصار من دون تكرار، فقد فاق بذلك غيره من الكتب المصنفة في السنن<sup>(٢)</sup>.

واستفتح «السنن» بكتاب السنَّة<sup>(٣)</sup>، ثم ذكر طرفًا من فضائل أصحاب النبي ﷺ<sup>(٤)</sup> وإن عُدَّ كالمقدمة لمصنّفه، إلا أنه خالف غيره من الكتب الستة، قال السندي: «أحسن المصنّف ﷺ وأجاد حيث بدأ هذا الكتاب الموضوع لتحقيق السنن السنية بهذا الباب، فإن الأخذ بها مداره على وجوب اتباع السنَّة السنية، سواء كان المراد بالسنَّة ما هو أحد الأدلة الأربعة أو تمام الدين»<sup>(٥)</sup>.

ولم يفرّد المصنّف كتابًا في التفسير كغيره من أصحاب الكتب الستة - عدا أبي داود - ولعله اكتفى بمصنّفه في التفسير، فقد ذكر العلماء أن له كتابًا في التفسير<sup>(٦)</sup>، وأيضًا لم يخصص كتابًا في فضائل القرآن؛ لأنه اقتصر على الأحكام دون غيرها، كما قال أبو داود ﷺ: «وإنما لم أصنّف في كتاب السنن إلا الأحكام، ولم أصنّف كتب الزهد وفضائل الأعمال وغيرها»<sup>(٧)</sup>.

إلا أنه ذكر جملة من الأحاديث فيهما في ثنايا كتبه، ومن بين أبوابه، ولكن لم يفردهما بكتاب أو أبواب.



(١) تهذيب التهذيب (٣/٧٣٧).

(٣) السنن (٥).

(٤) المرجع السابق (١٥).

(٥) شرح السندي على سنن ابن ماجه، تحقيق: خليل مأمون (١/٧).

(٦) انظر: تهذيب الكمال (٢٧/٤١)، سير أعلام النبلاء (١٣/٢٧٧).

(٧) رسالته إلى أهل مكة (٨١).





المبحثُ السَّابعُ

جهودُ شراحِ الكتبِ الستة  
في علومِ القرآنِ



## الْمَبْحَثُ السَّابِعُ

### جهود شرح الكتب الستة في علوم القرآن

تباينت الكتب الحديثية الستة في إيراد الأحاديث المتعلقة بعلوم القرآن، فمنهم من خصَّها بكتاب مفرد سوى كتاب التفسير؛ كالبخاري والترمذي، أو فرقها في كتب متنوعة؛ كأبي داود - ككتاب سجود القرآن، وكتاب الحروف والقراءات، وضمن كتاب الصلاة - ومنهم من ذكر جملة من الأحاديث المتعلقة بعلوم القرآن ضمن كتب أخرى ولم يخصها بكتاب؛ كمسلم بن الحجاج سوى كتاب التفسير في آخر مصنفه، والنسائي في سنَّه، إلا أنه خصَّها بـ(جامع ما جاء في القرآن) وذلك ضمن كتاب الصلاة، ومنهم من لم يفرد لها بكتاب ولا أبواب؛ كابن ماجه في سننه - كما سبق -.

وعلى ضوء هذا التباين اختلفت جهود شُراح تلك الكتب في علوم القرآن؛ إذ كل شارح لمصنف ما فإنه مقيد بالمتن الذي يشرحه...

أيضاً تنوعت مناهج مؤلفي الشروح، فمنهم من رام الجمع والاستقصاء في الشرح؛ كابن حجر العسقلاني في فتح الباري، حتى قال عنه الشوكاني<sup>(١)</sup> عندما سأله طلابه أن يشرح لهم الجامع الصحيح للبخاري، كما شرحه الآخرون من العلماء، قال: «لا هجرة بعد

(١) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، الفقيه المحدث المجتهد، من كبار علماء اليمن، وله مؤلفات كثيرة؛ منها: «فتح القدير»، و«نيل الأوطار» وغيرهما، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: البدر الطالع (٢/٢١٤)، الأعلام للزركلي (٦/٢٩٨).

الفتح»<sup>(١)</sup>. حيث إنه استقصى في شرحه، وجمع الشروح المتقدمة عليه ملخصاً ومستدرجاً ومستنبطاً... ومنهم من قصد الاختصار والتعليق على الأحاديث فحسب؛ كالخطابي في أعلام الحديث، والمازري<sup>(٢)</sup> المُعَلِّم، والسيوطي في زهر الربى على المجتبى... وغيرهم.

ومن خلال ما سبق يمكن أن تعدد عموم جهود شُراح الكتب الستة في علوم القرآن، في النقاط الآتية:

- جهودهم في بيان معاني الحديث، وكشف المراد منه، من حيث اللغة والبلاغة وشرح الغريب...

- جهودهم في جمع الأقوال في مختلف الحديث، والتوفيق بينها، وإن تعذر فالترجيح.

- جهودهم في الاختيار والترجيح، ونصب الأدلة عليها... فجل مؤلفي الشروح ذوو علم موسوعي، وفهم ثاقب، يستبصر بجمعهم، ويفرح بترجيحهم المبني على الأدلة والتعليل.

- جهودهم في استقصاء المسائل المتعلقة بالحديث، وحكاية الأقوال فيها، وجلب الأدلة عليها، خاصة في الكتب الموسوعية؛ كفتح الباري، وعمدة القاري، وإكمال المعلم، والمنهاج للنووي... وغيرها.

- جهودهم في الاستنباط، واستخراج مكنون المعاني، واستنطاق الأحاديث النبوية، وبيان فقه النص النبوي.

- جهودهم في تخريج الحديث، وجمع رواياته، والحكم عليها، إذا كانت خارج الصحيحين - غالباً -.

(١) الحطة (١٣١ - ١٣٢).

(٢) هو: محمد بن علي بن عمر المازري المالكي، له تأليف كثيرة؛ منها: إيضاح المحصول في الأصول، شرح كتاب التلقين وغيرهما، توفي سنة ٥٣٦هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢٥٨/٤)، سير أعلام النبلاء (١٠٤/٢٠).

هذه أبرز معالم جهود سُراح الكتب الستة في علوم القرآن، ومن خلالها يتضح دورهم الأساس، وتبين إضافتهم، في علم علوم القرآن، وتؤكد أهمية الرجوع إلى الشروح الحديثية، والنهل من معينها، والاستفادة من مؤلفيها.





## أَلْفَصْلُ الثَّانِي

### علوم القرآن المتعلقة بنزول الوحي

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: الوحي.

المبحث الثاني: نزول القرآن.

المبحث الثالث: أسباب النزول.

المبحث الرابع: نزول القرآن على سبعة أحرف.

المبحث الخامس: المكي والمدني.





## الفصل الثاني

### علوم القرآن المتعلقة بنزول الوحي

تمهيد:

علوم القرآن الكريم متعددة، وأنواعه متنوعة، ومتعلقاته متغايرة... ويأتي في طليعتها تلك العلوم الأولية، من حيث التاريخ، ومبدأ الأهمية؛ أعني: العلوم المتعلقة بنزول القرآن.

فهي الأسبق من بين العلوم تاريخياً، ففاتحة العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم بل والشرعية ككل نزول الوحي بداية البعثة المحمدية بأحوال متنوعة، وصور شتى، وما صاحبها من نزول القرآن الكريم، وما ألحق به بعدُ وارتبط به من أسباب النزول، ونزوله على سبعة أحرف، ومعرفة أماكن نزوله، الموسوم بـ(المكي والمدني).

وتكمن أهميتها في أنها أساس العلوم وقاعدتها، فعليها يتوقف ما بعدها، ويرتبط بها؛ ولذا أدرك أعداء الإسلام منزلة تلك العلوم فبدؤوا ببث الشبه، واختلاق التعارضات وبالغوا في ذلك؛ ليوهنوهم في أصل دينهم ويشككوهم في لب عقيدتهم.

وأيضاً العلوم الشرعية رَجِمَ فيما بينها، إلا أن هناك علومًا لا تبحث ولا يمكن دراستها إلا من خلال التخصص الدقيق، ومنها العلوم المتعلقة بنزول الوحي، وهي على النحو التالي: (الوحي، نزول القرآن، أسباب النزول، نزول القرآن على سبعة أحرف، المكي والمدني).



# المَبْحَثُ الأَوَّلُ

## الوحي

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : أحواله .

المطلب الثاني : مدته .



## المَبْحَثُ الأوَّلُ

### الوحي

مدخل:

(الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب والرسالة، وكل ما ألقىته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان... والوحيّ: السريع)<sup>(١)</sup>.

والوحيّ: ما يوحيه الله تعالى إلى أنبيائه... وسمي وحيًا؛ لأن الملك أسرّه عن الخلق وخص به النبي ﷺ المبعوث إليه<sup>(٢)</sup>.

وأصل الوحي: «الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام<sup>(٤)</sup>: «الوحي الإعلام السريع الخفي إما في اليقظة

(١) مقاييس اللغة (وحي ١٠٤٦).

(٢) انظر: لسان العرب (٢٤٣/٩)، مادة: (و ح ي) نقله عن ابن الأنباري.

(٣) المفردات للراغب (٨٥٨).

(٤) هو: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، شيخ الإسلام إمام الأئمة المجتهد المطلق، تمهر وتقدم وصنف ودرس وأفتى وفاق الأقران، وصار عجبًا في سرعة الاستحضار وقوة الجنان، والتوسع في المنقول والمعقول، ابتلي فصبر وصابر، وسجن وأوذى، وصنف في سائر العلوم حتى قيل: إنها بلغت ثلاث مائة مجلدة، توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: الوافي بالوفيات (٧/١١)، البدر الطالع (١/٦٣).

وإما في المنام<sup>(١)</sup>.

ويمكن تعريفه شرعاً بأنه: الإعلام الخفي، إما في اليقظة وإما في المنام<sup>(٢)</sup>.

وعلم الوحي لا بد أن يكون مرتكزاً على الأدلة النقلية الصحيحة؛ إذ لا يمكن القول فيه أو الحديث عنه إلا من خلالها، فهو عالم غيبي ملائكي ليس للبشر اطلاع عليه أو معرفة به إلا بما ورد في المصدرين الأولين الكتاب والسنة، أو حكاية لما يعتري متلقيه عليه الصلاة والسلام من التغير والشدة وغيرهما، وذلك ممن عاصره وشاهده<sup>(٣)</sup>.



(١) مجموع الفتاوى (٣٩٧/١٢).

(٢) انظر: مناهل العرفان (٦٤/١)، المدخل (٧٩)، دراسات في علوم القرآن (١٧٧)، المحرر في علوم القرآن (٦٣)، وبعضهم يقيد به (على وجه السرعة) ومن خلال دراسة الأحاديث النبوية لا يظهر لي ذلك. انظر على سبيل المثال: حديث عائشة في أول نزول الملك، وحديث أبي ذر: (وَإِنْ زَنَى أَوْ سَرَقَ) وغيرها.

(٣) من المؤلفات المتخصصة في هذا العلم: «الوحي المحمدي». محمد رشيد رضا، وحي الله حقائقه وخصائصه. حسن عتر، آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي. إدريس حامد، تلقي النبي ﷺ لألفاظ القرآن. عبد السلام المجيدي، القرآن المبين وكيف نزل به الروح الأمين، محمد بحيري.

## المطلب الأول

### أحواله

للوحي أنواع جمعت في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١] وهذه الأنواع اشتملت على صور متعددة، وهي كما يلي:

النوع الأول: ﴿وَحْيًا﴾، ويدخل ضمنه عدة أنواع، منها:

١ - الرؤيا في المنام: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. الحديث<sup>(١)</sup>.

وهذا في بداية البعثة النبوية، واستمر على ذلك ستة أشهر والله أعلم، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ: «بعثه الله على رأس أربعين سنة»<sup>(٢)</sup>، ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ ولد في ربيع الأول، وابتدأ نزول القرآن في شهر رمضان، حيث فجئه الوحي وهو في غار حراء... فبينهما ستة أشهر.

ويؤيده قول الرسول ﷺ: (رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةِ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءِ)<sup>(٣)</sup>، وذلك أن الله تعالى أوحى إلى نبيه في المنام ستة أشهر،

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١) ح [٣]، ومسلم (٨٠) ح [٤٠٣].

(٢) رواه مسلم (١٠٣٢) ح [٦٠٨٩].

(٣) رواه البخاري (١٤٦٨) ح [٦٩٨٧]، مسلم (١٠٠٣) ح [٥٩٠٩].

ثم أوحى إليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته، ونسبتها من الوحي في المنام جزء من ستة وأربعين جزءاً، وذلك أنه عاش بعد النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح<sup>(١)</sup>.

٢ - النفس في الروع: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (... وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوِي رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

والرُّوع: القلب والعقل، والمعنى: أن جبريل نفث في خلدي وبالي<sup>(٣)</sup>.

النوع الثاني: ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾، ويكون في اليقظة، والمنام:

١ - اليقظة: كما في حديث الإسراء والمعراج الطويل، وفيه: (... فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، ففَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ)، قال: (فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى

(١) انظر: شرح ابن بطال (٥١٨/٩) نقله عن أبي سعيد السفاقي عن بعض أهل العلم، والخطابي في أعلام الحديث (٤/٤٣١٥)، وسيأتي مزيد بحث لهذه المسألة في مطلب: مدته. من هذا المبحث.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٩/٧) ح [٣٤٣٣٢]، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/١٢٥) ح [٢٠١٠٠]، والطبراني في المعجم (١٦٦/٨) ح [٧٦٩٤]، وقال الهيثمي في المجمع: وفيه عُفَيْر بن مَعْدَان وهو ضعيف (٧٢/٤)، قال ابن حجر: عُفَيْر بالتصغير: ضعيف (التقريب ٣٣٣). وقال ابن حجر في المطالب العالية (٥٧٦/٥): فيه انقطاع. وله شواهد عند الحاكم (٥/٢) وغيره، قال الألباني: بعد أن ساق الشواهد: فالحديث حسن على أقل الأحوال. (السلسلة الصحيحة ٦/٨٦٥).

(٣) انظر: مختار الصحاح (٢٦٣).



مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أَمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ)، قَالَ: (فَلَمْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى ﷺ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ؛ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً) قَالَ: (فَنَزَلَتْ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ) الْحَدِيثُ (١).

٢ - المنام: كما في حديث اختصاص الملا الأعلى، فعن معاذ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (... إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَنْقَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟! قُلْتُ: لَا أَدْرِي) قَالَهَا ثَلَاثًا... الْحَدِيثُ (٢).

النوع الثالث: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾؛ كجبريل ﷺ أو غيره من الملائكة.

ومجيء الوحي عن طريق جبريل ﷺ له أحوال كثيرة، وصور متعددة، جاء عليها الروح الأمين إلى خير المرسلين ﷺ، ومن بين تلك الأحوال نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ... وقد صاحب نزول الوحي أحوال وتغيرات من لدن متلقي الوحي ومستقبله نبينا محمد ﷺ.

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٦) ح [٣٢٠٧]، ومسلم (٨٣) ح [٤١١].

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٧٣٥) ح [٣٢٣٥]، وقال: حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في مسنده (٤٢٢/٣٦) [٢٢١٠٩]، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٩/٣)، وراجع للاستزادة في تخريج الحديث رسالة ابن رجب الموسومة بـ (اختصار الأولى في شرح حديث اختصاص الملا الأعلى).

فسأستعرض تلك الأحوال، وأبدأ بأحوال جبريل عليه السلام لسبقها الزمني، وتقدمها النسبي.

أولاً: أحوال حامل الوحي (جبريل عليه السلام):

جاء جبريل عليه السلام بالوحي إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على هيئة متنوعة وصور متعددة، منها:

الحالة الأولى: مجيئه على صورته التي خلق عليها أو قريباً منها.

عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يَقُلُ اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ؛ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ...) الحديث<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم (٩٠) ح[٤٣٩]، وقد وردت أحاديث تبين كيفية حصول الرؤية... ومنها: السؤال، أخرج الإمام أحمد في مسنده [٢٩٦٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل أن يراه على صورته، فقال: ادع ربك، قال: فدعا ربه، فقال: فطلع عليه سواد من قبل المشرق، قال: فجعل يرتفع ويتشعر، قال: فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم صعق فأتاه فنعشه... قال محقق المسند: إسناده ضعيف (١١٨/٥).

ومن ذلك ذكُرُ أوصاف جبريل عليه السلام: فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَلَهُ سِتٌّ مِثُّ جَنَاحٍ) رواه أحمد في المسند [١٠٤٢٣]، وقال محققه: إسناده حسن (٤١٠/٦)، وعنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (أَتَانِي جِبْرِيلُ فِي خَضِرٍ مُعَلَّقٍ بِهِ الدُّرُّ) رواه أحمد في المسند [٣٨٦٣]، قال محققه: صحيح على شرط مسلم (٤١٠/٦) قال السندي: أي: في ثياب خضر. الحاشية (٣/٣٤٤).

فالنبي ﷺ رأى جبريل ﷺ على صورته التي خلق عليها مرتين، كما هو صريح في هذا الحديث.

وقد رأى النبي ﷺ جبريل ﷺ على صورته أو قريباً منها أول البعثة المحمدية، وذلك في غار حراء.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حجب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالي وأولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: (اقْرَأْ)، قَالَ: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ)، قَالَ: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي)، فقال: (اقْرَأْ)، قَالَ: (قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ)، قَالَ: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي)، فَقَالَ: (اقْرَأْ)، فَقُلْتُ: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ)، قَالَ: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ<sup>(١)</sup> حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي)، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥] فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة. الحديث<sup>(٢)</sup>.

وقد سبق هذا المعجزة مقدمات كالتوطئة والتمهيد لرؤية الملك حقيقة ومباشرة، منها:

الرؤيا الصالحة الصادقة - كما ذكرته عائشة رضي الله عنها - وأيضاً سماع

(١) وتكرار النفي ثلاثاً (ما أنا بقارئ) قيل: حمل قوله: أولاً: على الامتناع، وثانياً: على الإخبار بالنفي المحض، وثالثاً: على الاستفهام؛ قاله أبو شامة، انظر: فتح الباري (٣٢/١).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه (١)، ح [٣]، ومسلم (٨٠) ح [٤٠٣].

الصوت ورؤية الضوء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت، ويرى الضوء سبع سنين، ولا يرى شيئاً، وثمانين سنين يوحى إليه»<sup>(١)</sup>.

وقال ورقة بن نوفل عندما عرضت عليه خديجة رضي الله عنها ما يرى وما يسمع - وذلك قبل البعثة - قال: «إن يك صادقاً فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن بعث وأنا حي، فسأعززه، وأنصره، وأومن به»<sup>(٢)</sup>.

قال القاضي عياض: «يسمع الصوت؛ أي: صوت الهاتف به من الملائكة، ويرى الضوء؛ أي: نور الملك وأنوار آيات الله، حتى رأى الملك بعينه وشافهه بوحي ربه»<sup>(٣)</sup>.

فمجيء جبريل عليه السلام في غار حراء كان على هيئة مرثية وصورة محسوسة، رآه فيها النبي ﷺ مباشرة، ولذا حصل له الغط والغت<sup>(٤)</sup>، ورجع النبي ﷺ إلى زوجته خديجة رضي الله عنها: «ترجف بوادره»، من هول ما رأى وحصل.

ويدل عليه ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (.... فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي قَبْلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي (قَدْ جَاءَنِي) بِحِجَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) الحديث<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه مسلم (١٠٣٤) ح[٦١٠٥]، وأحمد في المسند (٢٢٦/٤) ح[٢٣٩٩] وفي موضع آخر قال: (إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً، وإنني أخشى أن يكون جُنُن) (٤٤/٥) [٢٨٤٥].

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٤/٥) [٢٨٤٥]، وقال محققه: إسناده على شرط مسلم، إلا أنه اختلف في وصله وإرساله، وأصله في مسلم. انظر: التخریج السابق.

(٣) إكمال المعلم (٣١٩/٧).

(٤) وهي رواية عند الطبري في تاريخه (٥٣١/١)، والغت والغط: سواء؛ أي: كأنه أراد عَصْرَنِي عَصْرًا شَدِيدًا حَتَّى وَجَدْتُ مِنْهُ الْمَشَقَّةَ، كما يجد من يُغْمَسُ فِي الْمَاءِ قَهْرًا. النهاية (٣٠٨/٣).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٦٦٢) ح[٣٢٣٨]، ومسلم (٨١) ح[٤٠٦].

وما روي عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف هو وخديجة شهراً بحراء فوافق ذلك شهر رمضان فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع السلام عليكم. الحديث وفيه: ثم رأى يوماً آخر جبريل عليه السلام على الشمس جناح له بالشرق وجناح له بالمغرب فهبت منه <sup>(١)</sup>.

فهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام في غار حراء أول البعثة على صورته التي هو عليها، أو قريباً منها، والله أعلم.

ويمكن أن يُجمع بين رؤيته في غار حراء، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لَمْ أَرَهُ - يَعْنِي: جَبْرِيلَ - عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ...) <sup>(٢)</sup> بأنه لم يره في غار حراء على تمام صورته وكمالها، قال ابن حجر في هذا السياق: «وتكون هذه المرة غير المرتين المذكورتين، وإنما لم يضمها إليهما؛ لاحتمال أن لا يكون رآه فيها على تمام صورته، والعلم عند الله» <sup>(٣)</sup>.

### الحالة الثانية: مجيئه على هيئة ملكية.

الملائكة عالم غيبي خلقوا من نور، فهم أجسام نورانية لطيفة، والعباد لا يستطيعون رؤيتهم، إلا إذا تمثل الملك في صورة بشر، سوى النبي صلى الله عليه وسلم فقد أعطي القدرة على رؤية الملائكة والقوة على محادثتهم والإحساس بهم <sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٢٧/٣)، والهيثمي في زوائد مسند الحارث (٢٨١)، وقال محققه: إسناده ضعيف جداً فيه داود بن المُخَبَّر. قال ابن حجر في التريب: داود بن المحبر متروك (١٤٠). قلت: وفي سند أبي داود الطيالسي راوٍ لم يسم، وأشار ابن حجر في الفتح (٣٢/١) إلى حديث أبي داود وقال: ولأبي داود الطيالسي في مسنده بسند حسن! اهـ. وله شاهد عند ابن جرير في التفسير (١٨/٢٢)، والبيهقي في الدلائل (٣٦٨/٢).

(٢) سبق تخريجه قريباً. (٣) فتح الباري (٣٢/١).

(٤) انظر: عالم الملائكة الأبرار (١١).

وقد نزل جبريل ﷺ على نبينا ﷺ بهيئة ملكية، الله أعلم بها، وذلك على صور منها:

- إتيانه على مثل صلصلة الجرس .

والصلصلة: صوت الحديد إذا حُرِّك، يقال: صَلَّ الحديد، وصلصل<sup>(١)</sup> وقيل: هو صوت متدارك لا يدرك في أول وهلة، والجرس: الجلجل الذي يعلق في رؤوس الدواب من الجرس<sup>(٢)</sup>

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: (أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُقْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ...) الحديث<sup>(٣)</sup>.

أي: صوت متدارك يسمعه ولا يثبتته عند أول ما يسمعه حتى يفهم ويستثبت فيتلقفه حيثئذ ويعيه<sup>(٤)</sup>.

وهذا الصوت هو صوت الملك بالوحي، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلْسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السُّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيَضَعُقُونَ، فَلَا يَرَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيْلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيْلُ فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال: (فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيْلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقُّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقُّ الْحَقُّ...) الحديث<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤٣/٣).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢٥٢/١)، فتح الباري (٢٦/١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١) ح [٢]، ومسلم (١٠٢٨) ح [٦٠٥٩].

(٤) انظر: أعلام الحديث للخطابي (١٢١/١).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٦٧٠) ح [٤٧٣٨]، وابن حبان في صحيحه (٢٢٤/١) [٣٧]، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٤٣/٢)، ورجح الدارقطني: وقفه. (العلل ٥/٢٤٣).

وقد يسمع من حول النبي ﷺ شيئاً من ذلك، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يُسمع عنده دوي كدوي النحل...»<sup>(١)</sup> فدوي النحل هو بالنسبة إلى الصحابة، والصلصلة بالنسبة إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً ما رواه أبو ذر رضي الله عنه وفيه: ثم قال لي ﷺ: (مَكَانَكَ لَا تَبْرَحُ يَا أَبَا ذَرٍّ حَتَّى أَرْجِعَ) فانطلق حتى غاب عني فسمعت صوتاً فتخوفت أن يكون عرض لرسول الله ﷺ فأردت أن أذهب ثم تذكرت قول رسول الله ﷺ: (لَا تَبْرَحُ) فمكثت. الحديث<sup>(٣)</sup>.

وإتيانه على مثل هذه الحال يكون على وجه الاختفاء، حتى إنه لا يشعر به من حوله إلا بالعلامات التي تظهر على رسول الله ﷺ، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً»<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه وفيه: «... فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم سري عنه» الحديث<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع (٧١٨) ح [٣١٧٣]، والإمام أحمد في المسند (٣٥١/١) ح [٢٢٢٣]، والنسائي في الكبرى (١٧٠/٢) ح [١٤٤٣]، وقال: حديث منكر، ورواه الترمذي من طريق آخر وقال: وهذا أصح من الحديث الأول.

(٢) انظر: فتح الباري (٢٦/١)، عمدة القاري (٤٤/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٢٨) ح [٦٢٦٨]، ومسلم (٤٠١) ح [٢٣٠٤] وفيه: «سمعت لفظاً وسمعت صوتاً».

(٤) سبق تخريجه قريباً (١٦٦).

(٥) رواه البخاري (٥٧٥) ح [٢٨٣٢]. وفي رواية خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه: إني لقاعد إلى جنب رسول الله ﷺ إذ أوحى إليه وغشيتة السكينة... رواها أبو داود في سننه (٣٦٣) [٢٥٠٧]، وأحمد في المسند (٥١٨/٣٥) [٢١٦٦٤]، وقال محققه: حديث صحيح.

قوله ﷺ: (وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ) فيه دلالة على أن الوحي كله شديد، وأن هذه الحالة هي أشهرها؛ وذلك ليتفرغ السمع والقلب ولا يبقى فيه مكان لغير صوت الملك، وهي ليست مختصة بالقرآن، فتأتي بالقرآن وبالسنة<sup>(١)</sup>.

وتشبيه الصوت بصوت الجرس وهو مذموم لصحة النهي عنه؛ لأن الصوت له جهتان: جهة قوة وجهة طنين، فمن حيث القوة وقع التشبيه به، ومن حيث الطنين وقع التنفير عنه<sup>(٢)</sup>.

- الاختفاء والمساررة من دون أن يشعر به أحد، ولا يحدث تغير على جسد النبي ﷺ.

فربما جاء جبريل عليه السلام إلى المصطفى ﷺ وسارّه من دون أن يشعر به من حوله، ودون أن يحدث له تغير على جسده الشريف.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: (يَا عَائِشَةُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ) فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى - تريد النبي ﷺ -<sup>(٣)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجله وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويداً... وفيه: قال: (فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ فَنَادَانِي فَأَخْفَاهُ مِنْكَ، فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكَ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيَّ وَقَدْ وَضَعْتَ نِيَابِكَ، وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكَ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِي

(١) انظر: التلخيص في شرح البخاري للنوي (٣٣٥/١)، فتح الباري (٢٧/١).

(٢) انظر: إرشاد الساري (٥٨/١). (٣) رواه البخاري (٦٥٨) ح [٣٢١٧].



أَهْلَ الْبَيْعِ فَتَسْتَفِيرَ لَهُمْ... الحديث<sup>(١)</sup>.

- مجيئه في سحابة بين السماء والأرض.

عن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَيَّ مَا أَرَدْتُ فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي...)<sup>(٢)</sup>.

وقد أعطي النبي صلى الله عليه وسلم القدرة على رؤية الملائكة والقوة على محادثتهم دون سائر الناس - كما سبق -.

الحالة الثالثة: مجيئه على هيئة رجل.

أمكن الله تعالى الملائكة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم، ومن ذلك مجيئهم على هيئة البشر، بأوصاف الرجال.

عن عائشة رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي؟ وفيه: (... وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا

(١) رواه مسلم (٣٩١) ح [٢٢٥٦]، ومن الأحاديث الدالة أيضًا ما رواه أبو هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب على المنبر قال: رأيت إن قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر كَفَّرَ اللهُ عني سيئاتي؟ قال: (نعم)، ثم سكت ساعة فقال: (أين السائل أنفا؟) فقال الرجل: ها أنا ذا يا رسول الله قال: (ما قلت) قال: رأيت إن قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر كَفَّرَ اللهُ عني سيئاتي، قال: (نعم) إلا الذين سارني به جبريل أنفًا). رواه الإمام أحمد في المسند ح [٨٠٧٥]، والنسائي في الكبرى (٢٩٤/٤) ح [٤٣٤٨]. وقال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم (٤٤١/١٣).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٦٦١) ح [٣٢٣١]، ومسلم (٨٠٠) ح [٤٦٥٢].

يَقُولُ... الحديث<sup>(١)</sup>.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «إنما ذاك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجال»<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء جبريل عليه السلام إلى نبينا ﷺ على هيئة رجل، في صور منها:  
- بأوصاف الرجال وهيئاتهم وأحوالهم.

أعطي المَلَك القدرة على التمثيل والتصوير، فهو يأتي بصورة رجل له أوصاف البشر وأحوالهم.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحدٌ حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال...» وفيه: «... قال: ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال لي: (يا عُمَرُ! أتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنَّه جِبْرِيلُ أتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)»<sup>(٣)</sup>.

ولم يعرفه النبي ﷺ بادئ الأمر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل حسن الوجه، حسن الشارة، طيب الريح، قال: فعجبنا لحسن وجهه وشارته وطيب ريحه، فسلم على النبي ﷺ ثم قام فقال: أدنو يا رسول الله؟ قال: (نَعَمْ)، قال: فدنا ثم قام، قال: فعجبنا لتوقيره النبي ﷺ ثم قال: أدنو يا رسول الله؟ قال: فدنا حتى وضع فخذَه على فخذ رسول الله ﷺ ورجله على رجله... .

(١) سبق تخريجه ص (١٦٦)، وعند النسائي: (وَأَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صُورَةِ الْفَتَى فَيَنْبِئُهُ إِلَيَّ). (١٣٠) ح [٩٣٤].

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٩١) ح [٤٤٢].

(٣) رواه مسلم (٢٥) ح [٩٣]، والنسائي (٦٨٥) ح [٤٩٩٤] وفيه: إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهًا وأطيب الناس ريحًا؛ كأن ثيابه لم يمسه دنس.

(وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان) وفيه: ... ثم انكفأ راجعاً، فقال رسول الله ﷺ: (عَلَيَّ بِالرَّجُلِ) فطلبناه فلم نجده، فقال رسول الله ﷺ: (هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَكُمُ أَمْرَ دِينِكُمْ، وَمَا أَتَانِي قَطُّ إِلَّا عَرَفْتُهُ إِلَّا فِي صُورَتِهِ هَذِهِ)<sup>(١)</sup>.

ولا إشكال في ذلك فقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام فلم يعرفهم ابتداءً، وجاء الملك إلى مريم فلم تعرفه، ودخل الملكان على داود عليه السلام في شبه آدميين فلم يعرفهما<sup>(٢)</sup>.

ولعل مجيئه هنا بصورة رجل له صفات الرجال وأحوالهم هي الأولى من نوعها ولذا سأله عن أصول الإسلام والإيمان مما يدل على تقدم الحادثة، فلم يعرفه النبي ﷺ أولاً فلما حصل السؤال والجواب والتصديق بقوله: «صَدَقْتَ صَدَقْتَ» علم أنه جبريل عليه السلام، وقد روى ابن حبان<sup>(٣)</sup> الحديث وفيه زيادة قوله: (خُذُوا عَنْهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا شَبَّهَ عَلَيَّ مِنْذُ أَتَانِي مِثْلَ مَرَّتِي هَذِهِ وَمَا عَرَفْتُهُ حَتَّى وَلَّى).

- مجيئه على صورة أحد الصحابة.

قد يتمثل جبريل عليه السلام على صورة دحية الكلبي<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٥٩/١) ح [٣٧٤]، والنسائي في الكبرى (٣٨٠/٥) ح [٥٨٥٢]، وقال الهيثمي في المجمع: «ورجاله موثقون» (٤١/١).

(٢) انظر: صحيح ابن حبان (١١٥/١٤)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٥١٤/١٥)، عمدة القاري (١٤٨/٨).

(٣) صحيح ابن حبان (٣٩٨/١)، وقال الدارقطني: «إسناد ثابت صحيح». سنن الدارقطني (٣٤٢/٣).

وروي عن عائشة رضي الله عنها: أنها جاءت على هيئة رجل عليه عمامة طرفها بين كتفيه وهو راكب على دابة. رواه الإمام أحمد في مسنده بسند ضعيف، قال محققه: «وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن عمر - أحد رجال السنن -» (٧٨/٤٢) [٢٥١٥٤].

(٤) هو: الصحابي دحية بن خليفة بن فروة الكلبي من كلب، كان من كبار الصحابة ولم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا وما بعدها وبقي إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهم. انظر: الاستيعاب (٤٦١/٢)، الإصابة (٣٨٤/٢).

عن أبي عثمان قال: «أثبت أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وآله وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام فقال النبي صلى الله عليه وآله لأم سلمة: (مَنْ هَذَا؟) أو كما قال، قال: قالت: هذا دحية، قالت أم سلمة: ايم الله ما حسبه إلا إياه حتى سمعت خطبة نبي الله صلى الله عليه وآله بغير جبريل، أو كما قال»<sup>(١)</sup>.

وكان دحية الكلبي رضي الله عنه من أجمل الناس وأحسنهم صورة<sup>(٢)</sup>.

- مجيئه على صورة رجل يناجيه يراه البعض ويخفى على آخرين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت مع أبي عند رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده رجل يناجيه، فكان كالمعرض عن أبي، فخرجنا من عنده، فقال لي أبي: أي بني، ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني؟ فقلت: يا أبت إنه كان عنده رجل يناجيه، فرجعنا إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هل كان عندك أحد؟ فإن عبد الله أخبرني أن عندك رجلاً تناجيه، قال: (هَلْ رَأَيْتَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟) قال: نعم، قال: (ذَٰكَ جِبْرِيلُ وَهُوَ الَّذِي شَغَلَنِي عَنْكَ)<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر حارثة بن النعمان رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه جبريل عليه السلام يناجيه فلم يسلم، فقال جبريل عليه السلام: ما منعه أن يسلم؟ إنه لو سلم لرددت عليه... وفيه: «فلما رجع حارثة سلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: (أَلَا سَلَّمْتَ حِينَ مَرَرْتَ) قال: رأيت معك إنساناً فكرهت أن أقطع حديثك قال: (فَرَأَيْتَهُ؟) قال: نعم قال: (ذَٰكَ

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧٤٤) ح [٣٦٣٣].

(٢) انظر: فتح الباري (٨/٩)، عمدة القاري (١٦/١٦٠).

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/٤١٧) ح [٢٦٧٩]، وأبو داود الطيالسي [٢٧٠٨]، وابن أبي شيبه في مصنفه [٣٢٢٢٢]، والطبراني في الكبير (١٥٨/١٢) [١٠٥٨٤]. وقال محقق مسند الإمام أحمد: «إسناده على شرط مسلم».

وأخرج أحمد في الفضائل [١٨٥٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت عنده رجلاً، فقال العباس: يزعم ابن عمك أنه رأى عندك رجلاً، قال: كذا وكذا؟ قال: نعم، قال: (ذَٰكَ جِبْرِيلُ).

جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد قال: فأخبره بما قال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ <sup>(١)</sup>.

هذه أحوال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عند نزوله بالوحي، وقد قَصَرَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحوال الوحي على صورتين فقط، وذلك عندما سئل عن كيف يأتيك الوحي؟ فقال: (أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ ثُمَّ يَنْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُهُ، وَأَحْيَانًا مَلَكٌ فِي مِثْلِ صُورَةِ الرَّجُلِ فَأَعْيِي مَا يَقُولُ) متفق عليه <sup>(٢)</sup>.

ووجه حصر الوحي في هاتين الصورتين قيل: هما الأغلب، أو حُمل ما يغيرهما على أنه وقع بعد السؤال، أو لم يتعرض لصفتي الملك المذكورتين لندورهما، أو أن يكون السؤال عما في اليقظة، أو أن الرؤيا قد يشركه فيها غيره بخلاف المذكورتين، أو لعله علم أن قصد السائل بسؤاله ما خص به ولا يعرف إلا من جهته... وقيل غير ذلك <sup>(٣)</sup>.

ويمكن أن يقال في حصر الوحي على هاتين الصورتين: إنه حصر حقيقي لأحوال الوحي الذي عن طريق الملك؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ ذَلِكَ يَأْتِينِي الْمَلَكُ) <sup>(٤)</sup>، وذلك أن الوحي إما أن يأتي ظاهراً يراه الناس ويشهد له قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا) بأي صورة كانت...

وإما أن يكون خفياً لا يراه الناس، وأعطى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القدرة والقوة على رؤيته والإحساس به <sup>(٥)</sup>، ويشهد له قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلُ

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٧٧/٣) ح [٣٢٢٥]، وقال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن رجاله كلهم وثقوا وفي بعضهم خلاف (٣١٤/٩).

(٢) سبق تخريجه قريباً ص (١٦٦).

(٣) انظر: فتح الباري (٢٦/١)، عمدة القاري (٤٤/١)، إرشاد الساري (٦٠/١).

(٤) رواه البخاري في (٦٥٨) ح [٣٢١٥].

(٥) روى الإمام أحمد في مسنده [٧٠٧١] عن ابن عمرو قال: سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ قال: (نَعَمْ أَسْمَعُ صَلْصِلًا) ثم سكت عند ذلك. قال الهيثمي في المجمع (٢٥٤/٨): إسناده حسن، قال السندي في حاشيته على المسند: =

صَلَّصَلَةِ الْجَرَسِ... فهو كالمثال على الاختفاء، ويدخل ضمن هذه الصورة الحالة الأولى وهي مجيئه على صورته التي خلق عليها أو قريباً منها، والله أعلم.

والوحي القرآني كله من طريق الروح الأمين جبريل عليه السلام، كما قال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقال عليه السلام: (مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)<sup>(١)</sup>، قوله: (أُوتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ) فيه دلالة على أن القرآن إنما نزل بالوحي الذي يأتي به الملك لا بالمنام أو الإلهام<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال استعراض الأحاديث النبوية في نزول جبريل عليه السلام بالقرآن ظهر لي نزوله على الحالة الأولى والثانية - الملائكية - فقط، وهي التي مثل بها النبي عليه السلام في قوله: (أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلَّصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، ثُمَّ يَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُهُ)<sup>(٣)</sup> بصورها المتعددة، وأحوالها المتنوعة، وإن كانت غير مقتصرة على الوحي القرآني فقط<sup>(٤)</sup>، والله أعلم.

= هل تحس. من الإحساس؛ أي: هل تدركه بالحواس الظاهرة؟ سأله عن ذلك لقول الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ عليه السلام [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] [١٨/٥].

(١) رواه البخاري (١٠٨٤) ح [٤٩٨١]، مسلم (٧٦) ح [٣٨٥].

(٢) انظر: فتح الباري (١٠/٩)، ولذا بوب البخاري على الحديث بقوله: باب كيف نزل الوحي.

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) قال محمد أبو شهبة رحمته الله: والذي نقطع به والله أعلم أن القرآن الكريم كله نزل في الحالة الأولى التي يكون فيها جبريل على ملكيته... ولم أفق قط على رواية تفيد نزول شيء من القرآن عن طريق جبريل وهو في صورة رجل... ولو نزل شيء من القرآن في الحالة الثانية... لكان مثاراً للشك، والتلبيس على ضعفاء الإيمان... المدخل (٦٠ - ٦١).

## ثانيًا: أحوال متلقي الوحي ﷺ:

عند نزول الوحي على نبينا محمد ﷺ تظهر على جسده المبارك أحوال وتغيرات، إلا أن الجامع بينها الشدة، كما روى ابن عباس ؓ قال: «كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: (وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ)<sup>(٢)</sup>، وهذه الأحوال نقلها لنا من شاهدها وعاشها بل... ولا مسها، فعن أبي هريرة ؓ في الحديث الطويل وفيه: «وجاء الوحي، وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا»<sup>(٣)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ يصيبه فزع وخوف في أوائل نزول الوحي عليه؛ إذ هي مرحلة جديدة، وحدث لم يعتد عليه بعد، فقد رجع من غار حراء - أول ما نزل عليه الوحي - ترجف بوادره<sup>(٤)</sup>، وحصل له فرق ورعب عندما نزل عليه ثانية، كما قال ﷺ: (بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ جَالِسٌ عَلَيَّ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ...) <sup>(٥)</sup>، وفي رواية: (فَفَرَّقْتُ مِنْهُ)<sup>(٦)</sup>، وفي رواية: (فَجَحِثْتُ مِنْهُ)<sup>(٧)</sup>.

ومن شدة الفزع سقط على الأرض، كما قال ﷺ: (فَجَحِثْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ)<sup>(٨)</sup>.

(١) رواه البخاري (٢) ح[٥].

(٢) رواه مسلم (٧٩٣) ح[٤٦٢٢].

(٤) قال الجوهري: البوادر من الإنسان اللحمية التي بين المنكب والعتق. الصحاح (٢/ ٥٨٧).

(٥) رواه البخاري (٢) ح[٤].

(٦) رواه البخاري (١٠٧٦) ح[٤٩٥٤].

(٧) رواه البخاري (٦٦٢) ح[٣٢٣٨]. جأنا، وجث جثًا فهو مجنوث ومجنوث إذا فزع وخاف. (تهذيب اللغة ١٠/ ٢٥٤، لسان العرب ٢/ ٢٧).

(٨) المرجع السابق.

بل ومن شدته وقوته تكاد نفس رسول الله ﷺ أن تقبض، كما روى ابن عمرو رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ( ... فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تُقْبَضُ )<sup>(١)</sup>.

إلا أن هذا الفزع زال بالتدرج عندما ألفه النبي ﷺ واعتاد عليه<sup>(٢)</sup> وبقيت مظاهر نزول الوحي ظاهرة على جسده الشريف من شدة الوحي. ويمكن جمع أحوال النبي ﷺ عند نزول الوحي فيما يلي:

الحالة الأولى: حصول الكرب.

الكرب: هو الشدة والقوة<sup>(٣)</sup>، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ: «إذا نزل عليه الوحي كُرِبَ لذلك»<sup>(٤)</sup>، ولهذا الكرب مظاهر، منها:

- الثقل: عند نزول الوحي يثقل جسد النبي ﷺ حتى قال زيد بن ثابت رضي الله عنه وقد نزل الوحي على النبي ﷺ وفخذُه على فخذ زيد قال: «فتقلت علي حتى خفت أن ترض فخذِي ثم سري عنه»<sup>(٥)</sup>.

بل ربما كان على راحلته فينزل عليه الوحي فتستقر وتترك المشي من شدته، فعن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت: «إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها»<sup>(٦)</sup>؛ أي: باطن العنق، والبعير إذا

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٦٤٢/١١) [٧٠٧١]، قال الهيثمي في المجمع: «وإسناده حسن» (٢٥٤/٨).

(٢) انظر: فتح الباري (٣٨/١). (٣) انظر: مقاييس اللغة (كرب) (٨٩١).

(٤) رواه مسلم (٧٤٩) ح [٤٤١٦].

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٥٧٥) ح [٢٨٣٢]، وفي رواية (وغشيتُه السكينة) رواها أبو داود [٢٥٠٧]، والإمام أحمد [٢١٦٦٤]، والحاكم في المستدرک (٩١/٢)، وقال: «حديث صحيح الإسناد».

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند [٢٤٨٦٨]، والحاكم في المستدرک (٥٤٩/٢)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي في المجمع: «ورجاله رجال الصحيح» (٢٥٧/٨).



استراح مد عنقه على الأرض<sup>(١)</sup>.

- ويحمر وجهه الشريف ويتبرد<sup>(٢)</sup> وينكس رأسه: كما قال يعلى بن أمية رضي الله عنه - وهو يحكي حال النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي -: فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمر وجهه<sup>(٣)</sup>.

وقال عبادة بن الصامت: إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتبرد له وجهه<sup>(٤)</sup>، وفي رواية: نكس رأسه<sup>(٥)</sup>.

وجمع النووي بين الحمرة والتبريد فقال: «إنها حمرة كدرة، وهذا معنى التبريد، وأنه في أوله يتبرد، ثم يحمر أو بالعكس»<sup>(٦)</sup>.

- وأخذه ما كان يأخذه من البرحاء - بضم الباء وفتحها - وهي شدة الحمى أو شدة الكرب<sup>(٧)</sup>، كما في حديث الإفك: «فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء»<sup>(٨)</sup>.

- ثم بعد ذلك يتحدر منه مثل الجممان من العرق، حتى وإن كان في يوم شاتٍ<sup>(٩)</sup>، حتى وصف بأنه (الرُّحضاء)<sup>(١٠)</sup> وهو عرق يغسل الجلد

(١) حاشية السندي (٢٨٧/١٤)، وقال: «والمراد أنها تستقر وتترك المشي لاشتغاله عنها وانقطاعه عن الالتفات إليها».

(٢) تبرد؛ أي: تغير، وصار كلون الرماد (المنهاج ٤٨١/١٥)، وروى ابن حبان في صحيحه [٤٧١٢] عن الفلّتان بن عاصم قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عليه، وكان إذا أنزل عليه دام بصره مفتوحة عيناه وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله... الحديث (١٠/١١)، ورواه أبو يعلى في مسنده [١٥٨٣]، وقال الهيثمي في المجمع: ورجاله ثقات (٢٨٠/٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣٠٦) ح [١٥٣٦].

(٤) رواه مسلم (٧٤٩) ح [٤٤١٦]. (٥) رواه مسلم (١٠٢٨) ح [٦٠٦١].

(٦) المنهاج (٤٨١/١٥). (٧) انظر: فتح الباري (٦٠٥/٨).

(٨) رواه البخاري (١٠٠٦) ح [٤٧٥٠].

(٩) كما وصفته عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك، وكما في حديث الحارث بن هشام «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً» وذلك مبالغة في كثرة العرق (الفتح ٢٩/١).

(١٠) كما في حديث أبي سعيد الخدري: «فمسخ عنه الرحضاء» عند البخاري (٢٩١) ح [١٤٦٥].

لكثرته، وكثيراً ما يستعمل في عرق الحمى والمرض<sup>(١)</sup>.

- ويحصل له غطيط: كما قال يعلى بن أمية: «فنظرت إليه له غطيط، وأحسبه قال: كغطيط البكر»<sup>(٢)</sup>. والغطيط صوت النفس المتردد من النائم أو المغمى عليه و(البَكْر) الصغير من الإبل<sup>(٣)</sup>.

ومع هذه الشدة التي تصيب النبي ﷺ إلا أنه لم يكن يغيب عنه إحساسه بالكلية، فقد روى الشيخان<sup>(٤)</sup> من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأةً جسيمةً لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفات راجعةً ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرقٌ فدخلت، فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر: كذا وكذا قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال: (إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ) فالعرق في يده ولم يسقط<sup>(٥)</sup>.

#### الحالة الثانية: الخفة.

قد يجيء الوحي إلى النبي ﷺ على وجه أخفٍّ من الأحوال السالفة، إلا أنها خفة نسبية لما يصيبه من الشدة البالغة من الوحي.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] «قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي وكان

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (١٩١/٢).

(٢) رواه البخاري (٣٥٤) ح [١٧٨٩].

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣٣٥/٣)، المنهاج (٢٥٦/٨)، فتح الباري (٤٩٧/٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١٠٢١) ح [٤٧٩٥]، ومسلم (٩٦٤) ح [٥٦٦٨].

(٥) انظر: البداية والنهاية (٥٤/٤).

مما يحرك به لسانه وشفته فيشتد عليه...»<sup>(١)</sup>.

ويمكن حمل الأحاديث التي لم يظهر على النبي ﷺ فيها شدة على مثل دلالة هذا الحديث؛ لأن (من) إذا وقع بعدها (ما) كانت بمعنى: (ربما) وهي تطلق على القليل والكثير<sup>(٢)</sup>.

ومنها: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً<sup>(٣)</sup>... حيث لم تظهر عليه مظاهر الشدة التي اعتادوا على رؤيتها عند نزول الوحي، وأيضاً قوله: «ثم رفع رأسه متبسماً» مما يدل على أنه لم يصبه ما كان يصيبه من البرحاء والرحضاء... كما الأحوال السابقة؛ إذ الشدة يعقبها تعب وجهه - غالباً -.

وما رواه البخاري<sup>(٤)</sup> عن ابن مسعود رضي الله عنه: بينا أنا أمشي مع رسول الله ﷺ في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيبٍ معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه فقلت فلما انجلى عنه. الحديث.

إلا أن هذه الخفة تعد نسبة لما يصيبه من الشدة البالغة من الوحي، كما قال ﷺ: (وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ) مما يدل على أن الوحي كله شديد<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٠٦٤) ح [٤٩٢٩].

(٢) انظر: الكليات (٨٣٣)، ونقله ابن حجر عن ثابت السرقسطي، وأيده في الفتح (٤٠/١).

(٣) الحديث رواه مسلم (١٧٠) ح [٨٩٤]. قال الرافعي: «وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتربه عند نزول الوحي...» قال السيوطي: «الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه، ويؤيده رواية: أغمى عليه إغماء...» (الإتقان ١/١٥٤)، وانظر: معجم الشيخ [١٦٣].

(٤) في صحيحه (٣٣) ح [١٢٥].

(٥) انظر: الفتح (٢٧/١).

الحالة الثالثة: مراجعة النبي ﷺ لجبريل عليه السلام.

قد يراجع النبي ﷺ جبريل فيما يوحي إليه، وذلك زيادة في الإيضاح، وطلباً للبيان، كما يشهد له حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده وليس معه إنسان... وفيه: قال لي: (اجلسْ هَا هُنَا) قال: فأجلسني في قاع حوله حجارة فقال لي: (اجلسْ هَا هُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ) قال: فانطلق في الحرة حتى لا أراه فلبث عني فأطال اللبث ثم إني سمعته وهو مقبل وهو يقول: (وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى) قال: فلما جاء لم أصبر حتى قلت: يا نبي الله جعلني الله فداءك من تكلم في جانب الحرة ما سمعت أحداً يرجع إليك شيئاً قال: (ذَلِكَ جِبْرِيلُ عليه السلام) عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ قَالَ: بَشَّرَ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟! قَالَ: نَعَمْ، قال: قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟!، قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ) الحديث<sup>(١)</sup>.

الحالة الرابعة: محبته للوحي.

وقد كان النبي ﷺ يحب مجيء الوحي، ويستأنس به، وقد طلب الإكثار من الزيارة، فقد روى البخاري<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: (أَلَا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا...).

وربما فتر الوحي عن النبي ﷺ وتأخر عليه، وقد حصل له في أوائل نزول الوحي، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الْوَحْيَ فِتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)<sup>(٣)</sup>.

(٢) رواه البخاري (٩٩٧) ح [٤٧٣١].

(١) رواه البخاري (١٣٦١) ح [٦٤٤٣].

(٣) رواه البخاري (٦٦٢) ح [٣٢٣٨].

ولعل من الحكم الإلهية في ذلك أن هذه الفترة تعطي رسول الله ﷺ فسحة من الوقت لإنعام النظر والاطمئنان إلى تلقي الوحي مرة ثانية والشوق إليه<sup>(١)</sup>، كذلك أن هذه الفترة فيها ترويض للنبي ﷺ على معرفة حقيقة الوحي وطرائقه التي يأتي عليها، وأحواله التي يأتي فيها.

وقد يتأخر الوحي بسبب خارج عن النبي ﷺ، ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرتني ميمونة: أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً واجماً فقالت ميمونة: يا رسول الله لقد استكرت هيتك منذ اليوم، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَلْقَانِي أَمَّا وَاللَّهِ مَا أَخْلَفَنِي)، قال: فظل رسول الله ﷺ يومه ذلك على ذلك، ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج، ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: (قَدْ كُنْتَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقَانِي الْبَارِحَةَ؟ قَالَ: أَجَلٌ، وَلَكِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: أنه قيل له: يا رسول الله لقد أبطأ عنك جبريل فقال: (وَلِمَ لَا يُبْطِئُ عَنِّي، وَأَنْتُمْ حَوْلِي لَا تَسْتَتُونَ وَلَا تَقْلَمُونَ أَظْفَارَكُمْ؟)<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال ما سبق يُلاحظ أن الأحوال التي يأتي عليها حامل الوحي ﷺ أكثر من الأحوال التي يكون عليها متلقي الوحي، وما ذاك إلا للقدره التي أعطاها جبريل رضي الله عنه على التمثل والتصور على أشكال كثيرة، والله أعلم.

(١) انظر: وحي الله حقائقه وخصائصه (٦٨).

(٢) رواه مسلم (٩٤١) ح [٥٥١١].

(٣) رواه أحمد في المسند [٢١٨١]، والطبراني في الكبير (٤٣١/١١)، قال الهيثمي في المجمع: «رجاله ثقات» (١٦٧/٥).

ثالثًا: أماكن نزول الوحي على النبي ﷺ:

ينزل الوحي على نبينا محمد ﷺ في كل زمان ومكان صالح، كما روى سالم عن أبيه قال: وعد النبي ﷺ جبريل فراث عليه حتى اشتد على النبي ﷺ فخرج النبي ﷺ فلقية فشكا إليه ما وجد فقال له: (إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ) (١).

ومن ذلك مجيئه وهو في المسجد بين ظهراي أصحابه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: (أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةٍ...) الحديث (٢).

وقد جاءه مرة وهو جالس بين أصحابه، فقد روى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا: أن زيد بن ثابت أخبره: أن رسول الله ﷺ أملى عليه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَلْبُودُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥] ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥] فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى - فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه علي فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم سري عنه. الحديث (٣).

ومرة وهو يمشي، فعن ابن مسعود رضي الله عنه: بينا أنا أمشي مع رسول الله ﷺ في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه

(١) رواه البخاري (١٢٦٩) ح [٥٩٦٠].

(٢) رواه مسلم (١٧٠) ح [٨٩٤]، قال مسلم: وزاد ابن حجر - شيخ مسلم - في حديثه: «بين أظهرنا في المسجد». والنسائي في الكبرى (٣٤٥/١٠) [١١٦٣٨].

(٣) رواه البخاري (٥٧٥) ح [٢٨٣٢]، مسند الإمام أحمد (٥١٨/٣٥) ح [٢١٦٦٤].

لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت فقلت: إنه يوحى إليه فقلت فلما انجلي عنه فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] (١).

ومرة وهو في سفر، فعن يعلى بن أمية قال لعمر رضي الله عنه: أرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يوحى إليه، قال: فبينما النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمره وهو متضمن بطيب؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة فجاءه الوحي فأشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى فجاء يعلى، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب قد أظل به فأدخل رأسه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمر الوجه وهو يغط ثم سري عنه، فقال: (أَيَّنَ الَّذِي سَأَلَ عَنِ الْعُمُرَةِ؟...) الحديث (٢).

ومرة وهو في بيت بعض أصحابه، فعن ابني بسر قالوا: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعنا تحته قطيفة لنا صببناها له صبباً فجلس عليها، فأنزل الله صلى الله عليه وسلم عليه الوحي في بيتنا (٣).

ومرة وهو في بيته في ثوب عائشة رضي الله عنها، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ...) (٤).



(١) رواه البخاري في (٣٣) ح [١٢٥].

(٢) رواه البخاري (٣٠٥) ح [١٥٣٦]، ومسلم (٤٨٦) ح [٢٧٩٨].

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٤٨٢) ح [٣٣٣٤]، الآحاد والمثاني (٥٢/٣)، قال الهيثمي في المجمع: «ورجاله رجال الصحيح» (١٦٦/٥).

(٤) رواه البخاري (٧٧٣) ح [٣٧٧٥]، قال ابن حجر: «الحكمة في اختصاص عائشة بذلك قيل لمكان أبيها، وأنه لم يكن يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في أغلب أحواله، فسرى سره لابنته مع ما كان لها من مزيد حبه، وقيل: إنها كانت تبالغ في تنظيف ثيابها التي تنام فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم والعلم عند الله. فتح الباري (١٣٧/٧).

## المطلب الثاني

### مدته

وردت روايات كثيرة في بداية البعثة، ومدتها، ومدة الإقامة في مكة، ومدة الإقامة بالمدينة بعد الهجرة...

وقد ابتدأت البعثة النبوية والنبى ﷺ ابن أربعين سنة، كما روى البخاري<sup>(١)</sup> عن ابن عباس ؓ قال: أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين، بل ورد تحديده في حديث أنس عند مسلم<sup>(٢)</sup>: «بعثه الله على رأس أربعين سنة»، قال النووي: هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء<sup>(٣)</sup>.

واقترن الوحي بالبعثة النبوية إلى وفاته ﷺ، كما روى أنس بن مالك ؓ قال: «إن الله ﷻ تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته حتى توفي، وأكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول الله ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

إلا أنه اختلف في متى توفي رسول الله ﷺ فروى أنس بن مالك وابن عباس وعائشة ؓ أنه أقام بعد البعثة بمكة عشر سنين، وبالمدينة

(١) رواه البخاري ص (٧٨٧) ح [٣٨٥١].

(٢) رواه مسلم ص (١٠٣٢) ح [٦٠٨٩].

(٣) المنهاج (١٥/٤٩٠)، وانظر: الفتح (٦/٩).

(٤) رواه البخاري ص (١٠٨٤) ح [٤٩٨٢]، ومسلم ص (١٣٠٥) ح [٧٥٢٤]، قال ابن حجر: «أي: أكثر إنزاله قرب وفاته ﷺ والسر في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام فكثر النزول بسبب ذلك». الفتح (١١/٩).



عشر سنين<sup>(١)</sup> وتوفي على رأس ستين سنة<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن خمس وستين<sup>(٣)</sup>.

وروى الثلاثة كلهم - عائشة وأنس وابن عباس - رضي الله عنهم جميعًا: أنه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة؛ ثلاث عشرة سنة بمكة وعشر سنوات بالمدينة<sup>(٤)</sup>؛ ولذا قال ابن حجر: «فإن كل من روى عنه أنه عاش ستين أو أكثر من ثلاث وستين جاء عنه أنه عاش ثلاثًا وستين، فالمعتمد أنه عاش ثلاثًا وستين»<sup>(٥)</sup>؛ بل حكى الإمام النووي اتفاق العلماء على أن أصح الروايات ثلاث وستون سنة<sup>(٦)</sup>.

وتأولوا الروايات الأخرى، فقليل: رواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسر، ورواية الخمس متأولة أيضًا، وحصل فيها اشتباه، وقد أنكر عروة على ابن عباس قوله: خمس وستون، ونسبه إلى الغلط وأنه لم يدرك أول النبوة، ولا كثرت صحبته بخلاف الباقيين<sup>(٧)</sup>.

(١) رواه البخاري ص (١٠٨٤) ح [٣٥٤٧] [٤٩٧٩]، مسلم ص (١٠٣٢) ح [٦٠٩١] وما بعده.

(٢) المرجع السابق. (٣) رواه مسلم ص (١٠٣٤) ح [٦١٠٢].

(٤) رواه البخاري ص (٧٨٧) ح [٣٨٥١]، ص (٩٢٠) ح [٤٤٦٦]، مسلم ص (١٠٣٢) ح [٦٠٩١].

(٥) فتح الباري (٦/٩)، وانظر: تحفة الأحوذى (١٠/٦٦ - ٦٨).

(٦) المنهاج (٤٩٠/١٥) والحقيقة أنهم لم يتفقوا كلهم، وأنت ترى الأحاديث والأقوال الأخرى في ذلك، ولكن يمكن أن يقال أكثر أو أغلب، وانظر: التمهيد (١٨/٣ - ٢٦) حيث استعرض الروايات والترجيح بينها، وقال ﷺ عن قال: إنه قبض وهو ابن ثلاث وستين وعليه أكثر الناس... وهو الذي يسكن إليه القلب والله أعلم. (١٨/٣).

(٧) انظر: المنهاج (٤٩٠/١٥)، قال ابن كثير: وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح، ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشرة اختصارًا في الكلام؛ =

فإذا كانت بداية بعثة النبي ﷺ وهو على رأس أربعين سنة؛ أي: في شهر ربيع الأول، وأول ما فجئه الوحي ونزل عليه القرآن في شهر رمضان، كما في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]<sup>(١)</sup> فكيف نوفق بين ذلك؟

يمكن أن يقال: بأن الرسول ﷺ أول ما ابتدئ به من النبوة، الرؤيا الصالحة كما قالت عائشة رضي الله عنها واستمرت ستة أشهر ثم نزل عليه القرآن، ويؤيد هذا تأويل من وجه قول الرسول ﷺ: (رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ)<sup>(٢)</sup> بأن الله تعالى أوحى إلى نبيه في المنام ستة أشهر، ثم أوحى إليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته، ونسبتها من الوحي في المنام جزء من ستة وأربعين جزءًا، وذلك أنه عاش بعد النبوة ثلاثًا وعشرين سنة على الصحيح<sup>(٣)</sup> - كما سبق -.

أو يقال: بأن النبي ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، ثم نزل عليه جبريل بالقرآن في شهر رمضان، كما روى الشعبي مرسلاً: نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل ﷺ فنزل القرآن على

= لأن العرب كثيرًا ما يحذفون الكسور في كلامهم. فضائل القرآن من تفسير القرآن العظيم (١٨/١).

(١) وكما روى الإمام أحمد [١٦٩٨٤]، والطبري (٣/١٨٩)، والطبراني في الأوسط [٣٧٤٠] من حديث وائلة بن الأسقع: أن رسول الله ﷺ قال...: (وَأُنزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ) قال الهيثمي في المجمع: «وفيه عمران بن داود القطان ضعفه يحيى ووثقه ابن حبان»، وقال أحمد: «أرجو أن يكون صالح الحديث»، وبقية رجاله ثقات (١/١٩٧).

(٢) رواه البخاري ص (١٤٦٨) ح [٦٩٨٧]، مسلم ص (١٠٠٣) ح [٥٩٠٩].

(٣) انظر: شرح ابن بطال (٥١٨/٩) نقله عن أبي سعيد السفاقي عن بعض أهل العلم، والخطابي في أعلام الحديث (٤/٤٣١٥).

لسانه عشرين؛ عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة<sup>(١)</sup>... قال أبو شامة: «وحدث عائشة لا ينافي هذا، فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا، ثم وُكل به إسرائيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء، فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة، ولا يقيم معه تدريجًا وتمرينًا إلى أن جاءه جبريل فعلمه، فحكّت عائشة ما جرى له مع جبريل، ولم تحك ما جرى له مع إسرائيل اختصارًا للحدث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرائيل...»<sup>(٢)</sup>.

أو يقال: إن أول النبوة كان رسول الله ﷺ يسمع الصوت ويرى الضوء سنين، ثم نزل عليه الوحي في شهر رمضان، كما روى ابن عباس رضي الله عنه قال: «أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت، ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئًا، وثمانين سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشرًا»<sup>(٣)</sup>.

ولعل أوجه الأقوال وأقربها للصواب القول الأول، وإن كان يرد عليه اختلاف الروايات في حديث الرؤيا، ففي رواية: (خمس وأربعين)<sup>(٤)</sup>، وفي رواية: (جزء من سبعين جزءًا من النبوة) إلا أنه يمكن أن يجاب بأن ذلك وقع بحسب الوقت الذي حدث فيه النبي ﷺ بذلك، كأن يكون لما أكمل اثنتين وعشرين سنة بعد مجيء الوحي إليه حدث بأن الرؤيا جزء من أربعة وأربعين... ثم بعدها بخمسة وأربعين ثم حدث بستة وأربعين في آخر حياته... ورواية السبعين للمبالغة<sup>(٥)</sup> أو يوجه

(١) رواه الإمام أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٣٣٧/٢)، والبيهقي في الدلائل (٢/١٣٢)، قال ابن كثير في البداية والنهاية: إسناده صحيح إلى الشعبي، وأنكر الواقدي هذه الرواية المرسلة، وقال: لم يقرن به من الملائكة إلا جبريل (٤/١٠). انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/١٩١)، الفتح (١/٣٧).

(٢) سبل الهدى والرشاد (٢/٣٠٩).

(٣) رواه مسلم، سبق تخريجه ص (١٦٦).

(٤) رواها مسلم (١٠٠٣) ح [٥٩٠٥] والأحاديث التي بعده.

(٥) قاله ابن حجر في فتح الباري (١٢/٤٥٧): «وقد اجتهد في حصر الأقوال وتوجيهها».

الاختلاف بما قاله ابن بطال في قوله: «فإن قيل: فما معنى اختلاف الأجزاء في ذلك في القلة والكثرة؟ قيل: وجدنا الرؤيا تنقسم قسمين لا ثالث لهما، وهو أن يرى الرجل رؤيا جليّة ظاهرة التأويل مثل من رأى أنه يعطى شيئاً في المنام فيعطى مثله بعينه في اليقظة، وهذا الضرب من الرؤيا لا إغراق في تأويلها ولا رمز في تعبيرها، والقسم الثاني: ما يراه من المنامات المرموزة البعيدة المرام في التأويل وهذا الضرب يعسر تأويله إلا الحذاق بالتعبير يُعَدِّ ضرب المثل فيه، فيمكن أن يكون هذا القسم من السبعين جزءاً كانت الرؤيا أقرب إلى النبأ الصادق، وأمن من وقوع الغلط في تأويلها، وإذا كثرت الأجزاء بعدت بمقدار ذلك وخفي تأويلها، والله أعلم بما أراد فيه»<sup>(١)</sup>.

وأما القول الثاني: فهو حديث مقطوع من رواية التابعي عن رسول الله ﷺ.

والقول الثالث: يمكن أن يقال المراد بمقدمات النبوة، وليست بعد النبوة، ويؤيده حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ)<sup>(٢)</sup>، والله أعلم.

ومما سبق تكون مدة نزول الوحي والقرآن الكريم، في ثلاثٍ وعشرين سنة إلا ستة أشهر، وذلك في أوقات متباينة، وأزمانٍ مختلفة، هذا ما ظهر لي، والله أعلم.



(١) شرح ابن بطال (٥١٧/٩).

(٢) رواه مسلم (١٠٠٨) ح [٥٩٣٩].

المَبْحَثُ الثَّانِي

## نزول القرآن

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أول ما نزل.

المطلب الثاني: كيفية نزوله.

المطلب الثالث: مدارس القرآن.



## المَبْحَثُ الثَّانِي

### نزول القرآن

مدخل:

(النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه، ونزل عن دابته نزولاً، ونزل المطر من السماء نزولاً)<sup>(١)</sup>.  
 ونزل من علوٍّ إلى أسفل ينزل نزولاً، ويطلق (النزول) على الحلول، وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم ينزل نزولاً<sup>(٢)</sup>.  
 ونزول القرآن الكريم من الموضوعات الرئيسة في هذا العلم؛ إذ فيه بيان لوجه الحق في حقيقة القرآن وكنهه، وينبني عليه ما بعده من العلوم، ويرتبط بما قبله (علم الوحي) في كيفية نزوله<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) مقاييس اللغة (٩٨٦) [نزل].

(٢) انظر: المصباح المنير (٦٠١/٢)، لسان العرب (٥٢٣/٨).

(٣) من الكتب المتخصصة في هذا العلم: نزول القرآن. لشيخ الإسلام ابن تيمية، الجواب الواضح للمستقيم في كيفية نزول القرآن الكريم. للشيخ: محمد بن إبراهيم آل الشيخ، نزول القرآن. د. محمد الشايع.

## المطلب الأول

## أول ما نزل

ورد صريحًا في حديث عائشة رضي الله عنها في قصة بداية الوحي ونزول أوائل سورة العلق، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبيب إليه الخلاء فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه، قال: والتحنث التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلهما حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: (اقْرَأْ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ) قال: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥]) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي) فزملوه حتى ذهب عنه الروع. الحديث<sup>(١)</sup>.

إلا أن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه يخالفه، فعن أبي سلمة قال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿بِتَأْيِئًا

(١) متفق عليه، وقد سبق تخريجه ص (١٦٣).



الْمَدَنِيُّ ﴿ [المدثر: ١] فقلت: أنبت أنه ﴿أَقْرَأَ بِأَسْرِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (جَاوَرْتُ فِي حِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِيَّ فَنُودِيْتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثُرُونِي وَصُبُوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلْمَدَنِيِّ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَلِمَةً ﴿٣﴾ [المدثر: ١ - ٣] <sup>(١)</sup>.

ومن خلال التأمل في الحديثين النبويين يترجح أن أول ما نزل على الإطلاق أوائل سورة العلق، ويُرجَّح ذلك ما يلي:

أولاً: قول النبي ﷺ في قصة غار حراء: (مَا أَنَا بِقَارِيٍّ) ثلاثاً <sup>(٢)</sup>، يدل على أنه أول الأمر... أما في حديث جابر: (فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلْمَدَنِيِّ﴾...) من دون مراجعة من نفي أو استفهام؛ لأنه سبق وأن نزل قبل ذلك، فاعتاد عليه.

ثانياً: قوله ﷺ في حديث عائشة ؓ: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) والخوف والخشية لا يكونان إلا بعد حصول ما هو مستغرب، ومخالف للعادة <sup>(٣)</sup>... ولم يحصل أيًا من ذلك في حديث جابر بن عبد الله ؓ.

ثالثاً: قوله ﷺ في قصة نزول أول المدثر: (ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الْوَحْيَ فِتْرَةً...) <sup>(٤)</sup> يدل على أنه قد سبق وأن جاءه قبل ذلك.

(١) متفق عليه، وقد سبق تخريجه ص (١٦٣).

(٢) قال أبو شامة المقدسي: يحمل قوله: أولاً: (مَا أَنَا بِقَارِيٍّ) على الامتناع، وثانياً: على الإخبار بالنفي المحض، وثالثاً: على الاستفهام، قال ابن حجر: ويؤيده أن في رواية أبي الأسود في مغازيه عن عروة أنه قال: (كَيْفَ أَقْرَأُ؟) وفي رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق: (مَاذَا أَقْرَأُ؟) وفي مرسل الزهري في دلائل البيهقي: (كَيْفَ أَقْرَأُ؟) وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية. انظر: فتح الباري (١/٣١).

(٣) انظر أقوال العلماء في المراد بالخشية هنا في: الفتح (١/٣٣).

(٤) رواية عند البخاري (٦٦٢) ح [٣٢٣٨].

رابعاً: قوله ﷺ: (فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ...) نصٌّ على أولية قصة غار حراء التي من خلالها نزل عليه أوائل سورة العلق.  
خامساً: وقوله ﷺ في حديث جابر: (فَحَمِي الْوَحْيِ وَتَتَابَعُ)<sup>(١)</sup> يدل على تأخر الحادثة، وأنها كانت بعد فترة.  
ومن خلال ما سبق يترجح: أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق أوائل سورة العلق<sup>(٢)</sup>.

والحكمة في هذه الأولوية أن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن، فهي منحصرة في علوم التوحيد والأخبار والأحكام، فقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداة فيها بـ(باسم الله)، وفي هذا إشارة إلى الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته، وفي هذا إشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ [العلق: ٥] وفيها أيضاً براعة الاستهلال<sup>(٣)</sup>.

وفي آخر ما نزل روي عن النبي ﷺ: أنه قال: (الْمَائِدَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ تَنْزِيلاً، فَأَجِلُّوا حَلَالَهَا وَحَرِّمُوا حَرَامَهَا)<sup>(٤)</sup> والحديث مرسل، وعلى فرض صحته فيحمل على أن سورة المائدة من أواخر السور نزولاً، كما يدل عليه (مِنْ آخِرِ) وليست آخره، والله أعلم.

\* \* \*

(١) رواية عند البخاري (١) ح[٤].

(٢) وقد وجه العلماء حديث جابر بن عبد الله ﷺ بأوجه كثيرة، انظرها: في الفتح (٨/٨٦٥)، الإقنان (١/١٦٢)، المدخل لدراسة القرآن (١٠٥ - ١٠٦).

(٣) انظر: فتح الباري (٨/٩١٨).

(٤) رواه أبو عبيد في الفضائل مرسلًا عن عطية بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ (١٢٨)، وانظر: الدر المنثور (٥/١٥٠)، وفي تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للزيلعي: قال: لم أجده مرفوعًا وإنما وجدته موقوفًا (١/٣٧٧). قلت: «والموقوف رواه الترمذي في جامعه عن ابن عمرو بن العاص ﷺ، وقال عنه: حديث حسن صحيح» ح[٣٠٦٣].

## المطلب الثاني

### كيفية نزوله

تضمنت الأحاديث النبوية كيفيات عدة لنزول القرآن الكريم - وأعني بها: الأحوال التي نزل عليها القرآن ووقته ووجه خطابه - ومنها ما سبق ذكره في المبحث السابق مما يتعلق بنزول الوحي على النبي ﷺ والأحوال المصاحبة له.

**أولاً: القرآن منزل من عند الله وليس بمخلوق:**

وردت أحاديث تؤكد على نزول القرآن الكريم من الله تعالى، وأنه ليس بمخلوق أو حديث مفترى، أو هو من تعليم بشر كما زعموا، ومن ذلك قوله ﷺ في الدعاء على المشركين: (اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْلُهُمْ)<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: (إذا أردت مضجعك فقل: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مِتُّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ)<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٥٩٤) ح [٢٩٣٣].

(٢) رواه البخاري (١٣٣٧) ح [٦٣١٥]، ومسلم (١١٧٧) ح [٦٨٨٢]. وعند الإمام أحمد في المسند [٤٣١٨]، قال ﷺ: (أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ...)، قال الدارقطني في العلل (٢٠١/٥): إسناده ليس بالقوي.

يقول شيخ الإسلام: «فيه بيان أنه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات، ولهذا قال السلف: «منه بدأ»؛ أي: هو الذي تكلم به لم يبتدأ من غيره، وفيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي ﷺ من العقل الفعال أو غيره، كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة... ويبطل قول من يقول: إن القرآن العربي ليس منزلًا من الله بل مخلوق إما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما...»<sup>(١)</sup>.

وهذا لا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله، كما في حديث الإسراء والمعراج: (... فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ كَمَا فَرَضْتَ عَلَيْكَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ...)»<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام: «ولا يتنافى أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٦﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢] فإن كونه مكتوبًا في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك، وإذا كان قد أنزله مكتوبًا إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله، والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون...»<sup>(٣)</sup>.

ثانيًا: القرآن نزل به جبريل ﷺ:

القرآن الكريم كله نزل به الروح الأمين جبريل ﷺ، كما هو

(١) مجموع الفتاوى (١٢/١٢٠).

(٢) الحديث رواه البخاري (١٥٧٨) ح [٧٥١٧]، وأصل الحديث متفق عليه.

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/١٢٦ - ١٢٧).

صريح في قوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

وقوله ﷺ في قصة نزول ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنَةُ﴾ [المدثر: ١]، وفيه: (فَلَمَّا أَفْقَتْ أَتَيْتُ أَهْلِي مُسْرِعًا فَقُلْتُ: دَثُرُونِي دَثُرُونِي، فَأَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنَةُ﴾) الحديث<sup>(١)</sup>.

إلا أنه ربما يشكل عليه حديث مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: (هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبَشِّرُ بِنُورَيْنِ أَوْنَيْتُهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ؛ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ)»<sup>(٢)</sup>.

ولعل توجيهه أن الملكين جاءا بالبشارة بهما، وبيان ما خص به من بين سائر الأنبياء، والبشارة تكون قبل وجود الشيء<sup>(٣)</sup>، أو يقال: نزول الملك بفضلها وثوابها، أما نزول تلاوتها فهو عن طريق الروح الأمين<sup>(٤)</sup>.

وأما قوله ﷺ في حديث ابن مسعود في قصة الإسراء والمعراج قال: «... فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحّمات»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه أحمد في المسند [١٥٠٣٣]، وابن أبي شيبة [٣٦٥٥٨]، وقال محقق المسند: حديث صحيح (٢٣/٢٨١)، وأصله في الصحيحين.

(٢) رواه مسلم (٣٢٦) ح [١٨٧٧].

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٠/٥٦٩).

(٤) قاله القرطبي. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/١٧٩)، واستدل بعض العلماء بهذا على تكرار نزول بعض الآي... إلا أنه قول مرجوح. انظر: نزول القرآن للدكتور الشايح (٨٧ - ١١٣).

(٥) رواه مسلم (٨٩) ح [٤٣١].

فالمراد به - والله أعلم - أعطي إجابة الدعوات التي اشتملت عليها الآياتان<sup>(١)</sup>، أو أعطي البشارة بهما وبما تضمنتاه من وضع الإصر والأغلال...، أو يقال: بأن جبريل ﷺ نزل بها أيضًا تأكيدًا وتقريرًا<sup>(٢)</sup>.

### ثالثًا: ابتداء نزوله يوم الاثنين:

ابتدأ نزول القرآن الكريم في يوم الإثنين، فعن أبي قتادة ﷺ: أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين؟ قال: (ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ - فِيهِ) الحديث<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر: «وأفاد شيخنا - البلقيني<sup>(٤)</sup> -: أن سنَّ النبي ﷺ حين جاءه جبريل في حراء كان أربعين سنة على المشهور... وكان ذلك يوم الاثنين نهارًا»<sup>(٥)</sup>.

### رابعًا: نزوله إما أن يكون ابتداء، أو بسبب:

ونزول القرآن الكريم إما أن يكون ابتداء وهو الأغلب، وذلك مما يحتاجه العباد، ولم يسبقه سبب معين، كما في حديث أنس بن مالك ﷺ

(١) انظر: تحفة الأحوذى (١١٦/٩)، مرقاة المفاتيح (٥٦٩/١٠).

(٢) روح المعاني (١٢٤/١٩). (٣) رواه مسلم (٤٧٨) ح [٢٧٥٠].

(٤) هو: عمر بن رسلان بن نصير الكنانى الشافعى البلقينى، شيخ الإسلام، إمام العصر، أبو حفص، وله تصانيف فى الفقه والحديث والتفسير وحواشى على تفسير الكشاف، توفى سنة ٨٠٥هـ. انظر: ذيل طبقات الحفاظ (٣٦٩)، طبقات المفسرين للداودى (٣٠٨).

(٥) فتح الباري (٤٤٧/١٢)، وقد سبق ذكر شهر نزوله ومتى كان فى المبحث السابق (الوحي)، وتحسن الإشارة إلى أن بعض الباحثين استنتج من بداية نزول القرآن إلى وفاته ﷺ تحديد مدة نزول القرآن بالسنوات والأشهر والأيام، انظر: (تاريخ التشريع للخضرى ٧ - ٨، وتعبه الزرقانى فى مناهل العرفان ١/٥٣، المدخل ٥٣) لكنها أقوال لا تسلم من المعارضة، يقول الدكتور الشايح: يبقى ملخص القول أن المدة نحوًا من ثلاث وعشرين سنة تقريبًا. نزول القرآن (٦٢).

قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: (أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةٍ) فقرأ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣] ثم قال: (أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟...) الحديث<sup>(١)</sup> وهو الأغلب.

وإما أن يكون بسبب، وذلك لحادثة حصلت، أو لسؤال وجه إلى النبي ﷺ... كما روى جابر رضي الله عنه قال: اشتكيت وعندي سبع أخوات، فدخل علي رسول الله ﷺ فنفخ في وجهي فأفقت فقلت: يا رسول الله ألا أوصي لأخواتي بالثلث؟ قال: (أَحْسِنُ) قلت: الشطر، قال: (أَحْسِنُ)، ثم خرج وتركني فقال: (يَا جَابِرُ لَا أُرَاكَ مَيِّتًا مِنْ وَجَعِكَ هَذَا وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ فَبَيِّنَ الَّذِي لِأَخَوَاتِكَ) فجعل لهن الثلثين قال: فكان جابر يقول: أنزلت هذه الآية في: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]<sup>(٢)</sup>.

### خامساً: أماكن نزوله:

روي أن القرآن نزل في ثلاثة أمكنة، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أُنزِلَ الْقُرْآنُ فِي ثَلَاثَةِ أَمْكِنَةٍ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالشَّامِ)<sup>(٣)</sup>. إلا أنه ورد في أحاديث صحيحة نزوله في غير هذه الأماكن، ومن

(١) رواه مسلم (١٧٠) ح [٨٩٤].

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤٢٠) ح [٢٨٨٧]، والإمام أحمد في المسند [١٤٩٩٨]، والنسائي في الكبرى (١٠٥/٦) ح [٦٢٩٠]، وقال محقق المسند: «حديث صحيح، وهذا إسناد على شرط مسلم» (٢٤٥/٢٣)، وأصل الحديث عند البخاري برقم: [٧٣٠٩].

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٧١/٨) [٧٧١٧]، والحاكم في المستدرک (٥٥٥/٤)، وقال الهيثمي في المجمع: «وفيه عُفَيْرُ بْنُ مَعْدَانَ وهو ضعيف» (١٥٧/٧). قال ابن حجر في التقریب (٣٣٣): «عفير بن معدان ضعيف».

ذلك: ما رواه زيد بن أرقم رضي الله عنه في قصة نزول سورة (المنافقون) قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لأصحابه: «لا تَنفَقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا» و«لَسْنَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ» فذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَ ذَلِكَ عَمِّي لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَدَعَانِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَحَدَّثْتُهُ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا: فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَصَدَقَهُ فَأَصَابَنِي شَيْءٌ لَمْ يَصْبُنِي قَطُّ مِثْلَهُ فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ عَمِّي: مَا أَرَدْتُ إِلَّا أَنْ كَذِبَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمَقْتِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] فَبَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَرَأَهَا فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَقَكَ يَا زَيْدُ) <sup>(١)</sup> وَذَلِكَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ <sup>(٢)</sup>.

#### سادساً: نزوله منجماً:

نزول القرآن الكريم كان مفروقاً ومنجماً على النبي صلى الله عليه وسلم من بعثته حتى وفاته، وذلك في ثلاث وعشرين سنة إلا ستة أشهر على الصحيح <sup>(٣)</sup>.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ <sup>(٤)</sup> مما يدل على أنه ينزل حيناً بعد حين.

وأصرح منه قوله تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا أَنْأَ فَرَقْنَاهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] على قراءة (فرقناه) <sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ

(١) رواه البخاري (١٠٥٣) ح [٤٩٠٠]. وانظر: الإتيان (١/١٢٤ - ١٣٠) فقد ذكر أمثلة كثيرة.

(٢) كما ورد النص على ذلك في رواية الترمذي (٧٥٤) ح [٣٣١٤]. وسيأتي مزيد بحث لهذه المسألة في: «المكي والمدني».

(٣) وقد سبق بحث هذه المسألة في مدة الوحي في المبحث السابق.

(٤) رواه أبو داود في سننه [٧٨٨]، وصححه الحاكم (١/٣٥٥)، وابن كثير في التفسير (١/١١٦).

(٥) وهي قراءة علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم، انظر: تفسير الطبري =



كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقد نزلت الخمس الآيات الأولى من سورة العلق فاتحة التنزيل كما قال ﷺ: (فَقَالَ لِي: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(١)</sup>).

وقد روى الدارمي<sup>(٢)</sup> عن عامر قال: كان رجل من أصحاب النبي ﷺ له إليه حاجة فمشى معه حتى دخل، قال: فإحدى رجله في البيت والأخرى خارجه كأنه يناجي... وفيه: «إنا آتيناك القرآن فصلاً».

بل ربما نزل جزء آية كما في قصة ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وفيه: وَشَكَابِئُنَّ مِنْ أُمَّ مَكْتُومٍ ضَرَارَتُهُ فَنَزَلَتْ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْكَافِرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَذَابٌ أُولَى الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] الحديث<sup>(٣)</sup>.

قال السيوطي: «الذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها: أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشرًا وأكثر وأقل»<sup>(٤)</sup>.

وأما ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً يُشَبِّعُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ لَهُمْ رَجُلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ)<sup>(٥)</sup>.

= (١١٤/١٥)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٢٠٦)، والمحتسب (٢/٦٨).

(١) الحديث سبق تخريجه ص (١٦٣)، والأمثلة على هذا كثيرة جدًا. انظر: الإتيقان (١/ ٢٤٤ - ٢٤٦).

(٢) في مسنده (١/١٦٠) ح [١١]، وقال محققه حسين سليم أسد: «رجاله ثقات، وقد تفرد به الدارمي، (فصلاً) اسم فاعل؛ أي: فاصلاً بين الحرام والحلال أو اسم مفعول؛ أي: مفصلاً ومجزئاً ومفرقاً».

(٣) الحديث رواه البخاري، وقد سبق تخريجه ص (١٨٢).

(٤) الإتيقان في علوم القرآن (١/٢٨٦).

(٥) رواه الطبراني في الصغير (٢٢٠) من حديث ابن عمر، قال الهيثمي في المجمع: «وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف» (٧/٢٠)، وقال ابن حجر في التقریب (٥٤٠): «يوسف بن عطية الصفار... متروك». وحديث التشيع روي أيضاً مرفوعاً عن أبي بن =

فقد قال ابن الصلاح: «الخبر المذكور - في أنها نزلت جملة - رويناه من حديث أبي بن كعب عن النبي ﷺ وفي إسناده ضعف، ولم نر له إسنادًا صحيحًا، وقد روي ما يخالفه فروي أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزلت آيات منها بالمدينة...»<sup>(١)</sup> وحديث ابن عمر - السابق - ضعيف الإسناد.

وربما نزلت بعض السور مشيعة بالملائكة، ومن ذلك ما روي: أن رسول الله ﷺ لما نزلت سورة الأنعام سبَّح ثم قال: (لَقَدْ شَيَّعَ هَذِهِ السُّورَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا سَدَّ الْأَفْقَ)<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ في حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: (الْبَقْرَةُ سَنَامُ الْقُرْآنِ وَذُرْوَتُهُ، نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ثَمَانُونَ مَلَكًا) الحديث<sup>(٣)</sup>.

إلا أن أحاديث التشييع لا تسلم من مقال، ولكن يقوي بعضها بعضاً<sup>(٤)</sup> - كما سبق في أحاديث نزول الأنعام جملة واحدة -.

ولعل من الحكيم في نزوله مفرقًا التدرج في الأحكام، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب بالمدينة يقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَرِّضُ بِالْخَمْرِ وَلَعَلَّ اللَّهَ سَيُنزِلُ فِيهَا

= كعب أخرجها أبو الشيخ (الدر المنثور ٣/٢٤٣)، وأنس بن مالك عند البيهقي في السنن الصغرى (٥٥١) ح [١٠٠٧]، وجابر بن عبد الله أخرجها الحاكم في المستدرک (٣٤٤/٢).

(١) فتاوى ابن الصلاح (١/٢٤٩).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٤/٤٨٥) [٢٢٠٨]، والحاكم في المستدرک (٢/٣٤٤)، وقال: صحيح على شرط مسلم، وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله لم يدرك جعفر - الراوي عن السدي - السدي وأظن هذا موضوعًا. وانظر: تهذيب الكمال (٥/٧٠).

(٣) رواه أحمد في المسند [٢٠٣٠٠]، والطبراني في الكبير (٢٠/٢٢٠) [٥١١]، وقال الهيثمي في المجمع: «وفيه راو لم يسم» (٦/٣١١)، وقال محقق المسند: «إسناده ضعيف لجهالة الرجل وأبيه» (٣٣/٤١٧).

(٤) انظر: الإتيقان (١/٢٤٦).

أَمْرًا فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَبِيعْهُ وَلْيَسْتَفِيعْ بِهِ) قال: فما لبثنا إلا يسيرًا حتى قال النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْخَمْرَ فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا يَشْرَبْ وَلَا يَبِيعُ...)<sup>(١)</sup>.

سابعًا: القرآن محفوظ بحفظ الله:

نزل القرآن الكريم على هذه الأمة الخاتمة، وسيبقى محفوظًا بحفظ الله من الزيادة أو النقص أو التحريف، فلا مطعن لأحد فيه، ولا مدخل لبشر عليه، أيًا ما كان، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (سِتَّةٌ لَعَنَتْهُمُ لَعْنَهُمُ اللَّهُ وَكُلُّ نَبِيٍّ كَانَ: الزَّائِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ...)<sup>(٢)</sup>.

وهو غضٌ طري لم يتغير لمن قرأه قراءة صحيحة مجودة مرتلة<sup>(٣)</sup>، عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بشراه أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ)<sup>(٤)</sup>.

قال ابن الأثير: «الغض: الطري الذي لم يتغير، أراد طريقه في القراءة وهيئته فيها»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه مسلم (٦٨٩) ح [٤٠٤٣].

(٢) الحديث رواه الترمذي (٤٩٥) ح [٢١٥٤]، والحاكم في المستدرک (٥٧٢/٢)، ابن حبان في صحيحه [٥٧٤٩]، والطبراني في الكبير (١٢٦/٣) [٢٨٨٣]، وقال الهيثمي في المجمع: ورجاله ثقات (٢٠٥/٧).

(٣) وسيأتي مزيد حديث في مبحث (التجويد).

(٤) رواه ابن ماجه (٢١) ح [١٣٨]، والإمام أحمد (٢١١/١) [٣٥]، والحاكم في المستدرک (٢٤٧/٢)، وقال: «صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وابن حبان في صحيحه [٧٠٦٦]، وقال محقق المسند: «إسناده حسن».

(٥) النهاية في غريب الحديث (٣٣٤/٣)، وانظر: حاشية السندي (٤٧/١).

ثامناً: عموم الخطاب في القرآن للرجال والنساء:

الخطاب في القرآن الكريم للرجال والنساء على حدّ سواء، إلا ما نُصّ على تخصيص أحد الصنفين.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ فلم يرعني ذات يوم ظهراً إلا نداؤه على المنبر قالت: وأنا أسرح رأسي فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرة بيتي فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول على المنبر: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى آخر الآية ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] (١).

قال ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية: «فالمقصود من أصحاب هذه الأوصاف المذكورة النساء، أما ذكر الرجال فللإشارة إلى أن الصنفين في هذه الشرائع سواء؛ ليعلموا أن الشريعة لا تختص بالرجال... [فالشريعة الإسلامية]... الأصل في شرائعها أن تعم الرجال والنساء إلا ما نصّر على تخصيصه بأحد الصنفين» (٢).



(١) رواه أحمد في المسند ح[٢٦٥٧٥]، والنسائي في الكبرى ح[١١٣٤١]، والطبراني في الكبير (٢٣/٢٩٨) [٦٦٥]. وقال محقق المسند: إسناده صحيح (١٩٩/٤٤).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢/٢٠)، وانظر: تيسير الكريم الرحمن لهذه الآية.

## المطبخ الثالث

## مدارس القرآن

المُدَارِسَة من باب المُفَاعَلَة من الدَّرْس وهو القراءة، والمدارسة المقاراة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (وليقلوا دارست)<sup>(١)</sup>؛ أي: قرأت على اليهود وقرؤوا عليك، وقد علم أن باب المفاعلة المشاركة بين اثنين فأكثر<sup>(٢)</sup>.

والمدارسة سُنة متبعة وطريقة مأثورة، سنّها خير المرسلين وإمام المتقين مع الروح الأمين وذلك في كل ليلة من رمضان، حيث كان يقسم ما نزل من القرآن في كل سنة على ليالي رمضان أجزاء، فيقرأ كل ليلة جزءًا في جزء من الليلة ولعله كان يعيد ذلك الجزء مرارًا بحسب تعدد الحروف المأذون فيها، ولتستوعب بركة القرآن جميع الشهور، حيث ورد التصريح بأنه كان يعرضه مرة واحدة في شهر رمضان من كل سنة، وفي السنة الأخيرة عرضه مرتين، وإلا جاز أنه كان يعرض جميع ما نزل عليه كل ليلة ثم يعيدها في بقية الليالي<sup>(٣)</sup>.

## فضل المدارس والأمر بها:

ورد في الأحاديث النبوية فضل المدارس والتعليم وبيان منزلة أهله ومكانتهم في الدنيا والآخرة، ومن ذلك:

(١) السبعة لابن مجاهد (٢٦٤)، إتحاف فضلاء البشر (٢٥/٢).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١ ق ر أ) (٢٥٠/١٢)، المحكم والمحيط الأعظم (٨/٤٥٠)، عمدة القاري (١/٧٥)، تاج العروس (١٦/٦٩).

(٣) انظر: شرح البخاري للكرمانى (١/٥١)، فتح الباري (٩/٥٧).

وصفهم بالخيرية والأفضلية على من سواهم، فقد أخرج البخاري<sup>(١)</sup> عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) ومن طريق آخر: (إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)<sup>(٢)</sup>.

فخير المتعلمين والمعلمين من كان تعلمه وتعليمه في القرآن الكريم لا في غيره؛ إذ خير الكلام كلام الله فمتعلمه خير من متعلم غيره وكذا التعليم، فالتعليم والمدارسة من أفضل أعمال البر<sup>(٣)</sup> والقرب إلى الله تعالى، قال ﷺ: (... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَعَشِيَّتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ...) <sup>(٤)</sup>.

وقد ورد الأمر بالتعليم والمدارسة، فقد أمر رسول الله ﷺ بعض أصحابه بالتعليم، ومن ذلك ما رواه أبو موسى رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن فأمرهما أن يعلما الناس القرآن»<sup>(٥)</sup>.

وقد تولى الرسول ﷺ التعليم بنفسه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن...<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٠٩٣) ح [٥٠٢٧].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٠٩٤) ح [٥٠٢٨].

(٣) انظر: فتح الباري (٩٦/٩) وذكر أوجه أخرى، عمدة القاري (٤٣/٢٠)، فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤٩٩/٣)، الإبتقان (٦٣٢/٣).

(٤) رواه مسلم (١١٧٣) ح [٦٨٥٣].

(٥) رواه أحمد في المسند [١٩٥٤٤]، والطبراني في الكبير (٤٣/٢٠) [٦٦]، والحاكم في المستدرک (٧٥٦/١)، وقال: «حديث حسن صحيح على شرط الشيخين»، وقال الهيثمي في المجمع: «ورجاله رجال الصحيح» (٢٦١/٦). وقال محقق المسند: «إسناده حسن» (٣٢/٣١٥).

(٦) رواه مسلم (١٧١) ح [٩٠٢]، وعند الإمام أحمد عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا القرآن... [٦٤٦١]، وكذلك حديث الاستخارة: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن... الحديث. رواه البخاري ح [١١٦٢].

## أحوال المدارس:

المدارس تكون جماعية، وذلك بين جماعة من الناس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: ( ... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ )<sup>(١)</sup>.

وقوله صلى الله عليه وسلم: ( اقرؤوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه )<sup>(٢)</sup>.

وتكون ثنائية، وذلك بين اثنين.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن...<sup>(٣)</sup>.

وظاهر هذه المدارس بين جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم أن كلا منهما كان يقرأ على الآخر، وهي موافقة لقوله صلى الله عليه وسلم: ( إِنَّ جِبْرِيْلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ )<sup>(٤)</sup>؛ إذ المعارضة مفاعلة من الجانبين كأن كلا منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع، فهذا يستدعي زماناً زائداً على ما لو قرأ الواحد<sup>(٥)</sup>.

أو أنهما يشتركان في القراءة؛ أي: يقرآن معاً، والله أعلم.

ولعل من الحكم في مدارس جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم تجويد اللفظ وإخراج الحروف من مخارجها؛ ليكون سنة في هذه الأمة؛ كتجويد

(١) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٢٠٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٠٩٩) ح [٥٠٦٠].

(٣) رواه البخاري (٣) ح [٦]. (٤) رواه البخاري (٧٤٣) ح [٣٦٢٤].

(٥) انظر: الفتح (٥٥/٩، ٥٧).

التلامذة على الشيوخ بقراءتهم<sup>(١)</sup>، أيضًا تجديد العهد بمزيد غنى النفس؛ إذ الغنى سبب الجود<sup>(٢)</sup>.

## أنواع المدارس:

والمدارس إما أن تكون... ١ - في التلاوة والقراءة:

فيتدارس اثنان أو الجماعة من الناس كتاب الله تعالى، فيتلون آياته، أو يتعلمون قراءته، أو يحفظونه ويتعاهدونه.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: (أَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَنْغَدَوْ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟! ) فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك قال: (أَفَلَا يَنْغَدُوا أَحَدَكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَائِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ)<sup>(٣)</sup>.

وكان ﷺ يدارس أصحابه بعد نزول الآيات مباشرة، كما روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمنى إذ نزل عليه ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] وإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها...<sup>(٤)</sup>.

أو في مراجعة القرآن وتعاهده كما قال ﷺ: (إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ

(١) انظر: شرح الكرمانى (٥١/١)، عمدة القاري (٧٧/١).

(٢) انظر: فتح الباري (٤٢/١)، وانظر: الدلالات العامة لحديث المعارضة، والمقتضى المنهجي للحديث في كتاب إقراء القرآن الكريم لدخيل الدخيل (٤٤ - ٤٧).

(٣) رواه مسلم (٣٢٤) ح [١٨٧٣].

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣٦٢) ح [١٨٣٠] وفي المطالب العالمة: عن حذيفة قال: لما نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُنْتِهِكُمْ فِي الْكَلِمَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] والنبي ﷺ في منزله فنظر فإذا حذيفة فقرأها عليه فلحقها حذيفة... الحديث (٥٨٩/١٤).



الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ؛ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ<sup>(١)</sup>.

وقوله عليه الصلاة والسلام: (اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا)<sup>(٢)</sup>.

وقد تكون المدارس والتعليم في القراءة والتلاوة مهراً للزواج، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال: (هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ) فقال: لا . . وفيه: ثم قام فرآه رسول الله ﷺ مولياً فأمر به فدعي فلما جاء قال: (مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟) قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا قال: (أَتَقْرَأُهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ) قال: نعم، قال: (أَذْهَبَ فَقَدْ مَلَكَتْهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ)<sup>(٣)</sup>.

فجعل النبي ﷺ تعليم القرآن ومدارسته مهراً لهذه المرأة.

وإما أن تكون المدارس... ٢ - في التفسير:

وذلك بتفسير آية معينة، أو بالحديث عن معاني القرآن الكريم وما يلحق به.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: (أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا وَلَا وَلَا وَلَا، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر

(١) رواه البخاري (١٠٩٤) ح [٥٠٣١]، ومسلم (٣٢٠) ح [١٨٤٢].

(٢) رواه البخاري (١٠٩٤) ح [٥٠٣٢]، ورواه مسلم (٣٢٠) ح [١٨٤٥].

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٠٩٤) (٥٠٣٠).

وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئاً، قال رسول الله ﷺ: (هِيَ النَّخْلَةُ) فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)<sup>(٢)</sup>.

والتدارس قراءة بعضهم على بعض تصحيحاً لألفاظه أو كشفاً لمعانيه<sup>(٣)</sup>.

بل وورد التوجيه النبوي عند الاختلاف في المعاني، الانتهاء وعدم التماذي فيه؛ مما يوجب التنافر والشر، فعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا اثْتَلَفْتُمْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ)<sup>(٤)</sup>.

قال ابن حجر: (فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ)؛ أي: في فهم معانيه<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري (٩٨٢) ح [٤٦٩٨]، مسلم (١٢٢٣) ح [٧٠٩٨]، وقد أورده البخاري في كتاب التفسير: سورة إبراهيم، باب: قوله تعالى: ﴿كَشَحْرَوْ طَيْبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

(٢) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٢٠٧). وفي حديث أبي سعيد إطلاق المكان، قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ...) الحديث (١١٧٣) [٦٨٥٥]. وانظر: جامع العلوم والحكم في التعليق على الخصال الأربع (٧٠٦ - ٧٠٨).

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح (٤١٥/١)، تحفة الأحوذى (٢١٥/٨).

(٤) رواه البخاري وقد سبق تخريجه ص (٢٠٧)، وعند مسلم: (إِنَّمَا أَهْلِكَ مَنْ كَانَ قَبْلُكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ..) ص (١١٦١) ح [٦٧٧٦].

(٥) فتح الباري (١٢٧/٩).

### زمن المدارس:

يستحب تحيُّن الأزمان الفاضلة للمدارسة كما كان جبريل عليه السلام يدارس النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رمضان<sup>(١)</sup>، فهو شهر فاضل وثواب الصدقة فيه مضاعف وكذلك العبادات، والإنعام يكثر فيه<sup>(٢)</sup>.

والأوقات المناسبة للمدارسة كالليل؛ لأنه مظنة الحضور والفهم بخلاف النهار ففيه الشواغل والعوارض الدينية والدنيوية<sup>(٣)</sup>.

أو أول النهار كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ...)<sup>(٤)</sup>، وفي «سنن ابن ماجه» عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي صلى الله عليه وآله وسلم: (يا أبا ذرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعْلَمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِئَةَ رَكْعَةٍ...)<sup>(٥)</sup>.

### مكان المدارس:

تستحب المدارس في كل مكان صالح، خاصة الأماكن الفاضلة، حتى تجتمع فضيلة العمل والمكان، وتكون النفوس مهياًة والقلوب حاضرة، ومن ذلك:

المساجد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (.. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ

(١) رواه البخاري (٢) ح[٦].

(٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢/٣٦٠).

(٣) انظر: الفتح (٩/٥٧).

(٤) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص(٢٠٨).

(٥) رواه ابن ماجه في سننه [٢١٩]، وفي مصباح الزجاجة (١/٣٠): إسناده ضعيف. وفي لمحات الأنوار (١/٦٧) عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مَا مِنْ قَوْمٍ صَلَّوْا صَلَاةَ الْغَدَاةِ ثُمَّ قَعَدُوا فِي مَصَلَاتِهِمْ يَتَعَاطَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَذَكَّرُونَ إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِمْ مَلَائِكَةً يَسْتَفِرُّونَ لَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ حَبِيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ). قال ابن رجب: وهذا يدل على استحباب الاجتماع بعد صلاة الغداة لمدارس القرآن، ولكن عطية الراوي عن أبي سعيد) فيه ضعف. جامع العلوم والحكم (٧٠٣).

كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَعَشِيَّتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: (أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ...)»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن رجب في تعليقه على حديث: (وَمَا قَعَدَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ) الحديث: «هذا يدل على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته، وهذا إن حمل على تعلم القرآن وتعليمه فلا خلاف في استحبابه... وإن حمل على ما هو أعم من ذلك دخل فيه الاجتماع في المساجد على دراسة القرآن مطلقاً...»<sup>(٣)</sup>.



(١) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٢٠٧).

(٢) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٢٠٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (٧٠٣).

## المبحث الثالث

### أسباب النزول

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأسباب النبوية.

المطلب الثاني: صيغ صريحة.

المطلب الثالث: صيغ محتملة.



## الْمَبْحَثُ الثَّلَاثُ

### أسباب النزول

مدخل:

السبب كل شيء يتوصل به إلى غيره، والجمع أسباب، وجعلت فلاناً لي سبباً إلى فلان في حاجتي؛ أي: وصلة وذريعة<sup>(١)</sup>.

وسبب النزول في الاصطلاح: ما نزلت الآية متحدثة عنه أيام وقوعه<sup>(٢)</sup>.

وقيل غير ذلك<sup>(٣)</sup>، إلا أنها أقوال متقاربة ومعانٍ متشابهة تؤدي الغرض نفسه.

وهذا السبب إما أن يكون قولاً أو فعلاً سواء أكان من النبي ﷺ أم من الصحابة أم من المنافقين أم من غيرهم<sup>(٤)</sup>، فأسباب النزول متعددة، ومتعلقاتها متنوعة، وأحوالها مختلفة، إلا أنها محصورة في زمان نزول القرآن الكريم فحسب، فهي مرتبطة بأيام نزول القرآن،

(١) انظر: لسان العرب (٤/٤٦١)، تاج العروس (٣/٣٨) في مادة: (سبب).

(٢) انظر: السيوطي في الإتقان (١/٢٠٨) حيث قال: «والذي يتحرر في سبب النزول أنه...».

(٣) ومن ذلك ما قاله القطان في «مباحث علوم القرآن»: «ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال» (٧٨)، والدكتور الرومي في «دراسات في علوم القرآن»: «ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه» (١٣٦).

(٤) انظر: المحرر في أسباب النزول للدكتور: المزيني (١/١٠٥ - ١٠٦)، دراسات في علوم القرآن للرومي (١٣٧ - ١٣٨).

ولا سبيل لنا بعدُ إلى معرفتها إلا من خلال النقل الصحيح عمّن نزل عليه القرآن، أو عايش نزوله، أو من كبار التابعين بضوابط<sup>(١)</sup>، قال الواحدي<sup>(٢)</sup>: «ولا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها»<sup>(٣)(٤)</sup>.



- 
- (١) انظرها: عند السيوطي في الإقتان (٢٠٩/١)، المدخل (١٢٤).
- (٢) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري، صنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول وغيرها، توفي سنة ٤٦٨هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣٠٣/٣)، طبقات المفسرين للداودي (١٢٧).
- (٣) أسباب النزول (٩٦).
- (٤) من الكتب المتخصصة في هذا العلم: المحرر في أسباب النزول. خالد المزيني، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص. عماد الدين محمد الرشيد.



## المطلب الأول

## الأسباب النبوية

جرى للنبي ﷺ أقوال أو أفعال، كانت سبباً لنزول آية أو آيات من كتاب الله تعالى، ومن ذلك:

أولاً: الأقوال:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (يَا جِبْرِيلُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا) فنزلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤]<sup>(١)</sup>.

فنزلت هذه الآية كانت بسبب سؤال من رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام فنزلت إجابة له، ولهذا جاء من طريق آخر قال: كان هذا الجواب لمحمد ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وكذلك في قصة نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، فعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٥٨) ح [٣٢٨١].

(٢) رواه البخاري (١٥٦٤) ح [٧٤٥٥]، وروى ابن أبي حاتم (٢٤١٤/٧) عن عكرمة قال: أبطأ جبريل النزول على رسول الله ﷺ أربعين يوماً ثم نزل فقال له النبي ﷺ: (مَا نَزَلَتْ حَتَّى اسْتَفْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: بَلْ أَنَا كُنْتُ إِلَيْكَ أَشْوَقٌ وَلَكِنِّي مَأْمُورٌ، فَأَوْجِي إِلَى جِبْرِيلَ أَنْ قُلْ لَهُ: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾) قال ابن كثير في التفسير (٢٤٩/٥): وهو غريب. وأيضاً الحديث مقطوع.

فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ: (يَا عَمَّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ) فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: (أَمَّا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكِرْ أَنَّهُ عِنْدَكَ) فانزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] <sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: «أما نزول هذه الآية فواضح في قصة أبي طالب» <sup>(٢)</sup>.

وأما قوله ﷺ: (أَمَّا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكِرْ أَنَّهُ عِنْدَكَ) وقول الراوي: فانزل الله فاختلف في إرادة السببية، هل الآية نزلت في هذه الحادثة أو غيرها <sup>(٣)</sup>؟ إلا أن الأظهر أنها سبب نزولها أيضاً، قال ابن عطية

(١) رواه البخاري (١٠١٤) ح [٤٧٧٢]، ومسلم (٣٣) ح [١٣٢٢].

(٢) فتح الباري (٧/٢٤٥).

(٣) استدل بعض العلماء في قصة نزول هذه الآية ومثيلاتها على تكرار النزول للآية جمعاً بين الأحاديث الواردة فيها؛ كالسخاوي في جمال القراءة (٣٤/١)، والزرکشي في البرهان (١٢٣/١)، والسيوطي في الإتقان (٢٢٠/١) وغيرهم، إلا أنه خلاف الأصل، كما قال الحافظ ابن حجر: «الأصل عدم تكرار النزول» الفتح (٨/٦٤٥)، وأنه إما يدخل في تعدد الأسباب والنازل واحد، أو تأخر النزول والسبب مقدم... وقد درس هذه المسألة الدكتور الشايع في (نزول القرآن ٨٠ - ١١٣) وقال بعد ترجيحه بعدم التكرار: «وبهذا الترجيح وما تقدم من أدلة يتبين ضعف القول بتكرار النزول، وعدم صحته، وسقوط حجته، وانقضاء حاجته». اهـ، والدكتور المزيني في (المحرر في أسباب النزول ١/١٤٢ - ١٥٥).

في تفسيره لهذه الآية: «واختلف المفسرون في سبب هذه الآية، فقال الجمهور - ومداره على ابن المسيب وعمرو بن دينار -: نزلت في شأن أبي طالب، وذلك أن رسول الله ﷺ دخل عليه حين احتضر ووعظه...» وذكر الحديث<sup>(١)</sup>.

وقيل: نزلت في قصة زيارة النبي ﷺ لقبر أمه، فقد أخرج الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ينظر في المقابر وخرجنا معه، فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فواجه طويلاً ثم ارتفع نحيب رسول الله ﷺ باكياً فبكينا لبكائه ثم أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ فقد أبكنا وأفزعنا، فجاء فجلس إلينا فقال: (أَفْزَعَكُمْ بُكَائِي؟) فقلنا: نعم يا رسول الله، فقال: (إِنَّ الْقَبْرَ الَّذِي رَأَيْتُمُونِي أَنَا جِي فِيهِ قَبْرُ أُمِّي آمِنَةٌ بِنْتِ وَهْبٍ وَإِنِّي اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِهَا فَأَذِنَ لِي فِيهِ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الْإِسْتِغْفَارِ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي فِيهِ وَنَزَلَ عَلَيَّ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] حتى ختم الآية: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ لِبَرَاهِمِهِ لَأَيِّهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَهُ﴾ [التوبة: ١١٤]<sup>(٢)</sup>.

ورد ذلك ابن عقيلة المكي بعدة أوجه، منها:

أن حديث ابن مسعود - السالف - وإن صححه الحاكم فقد تعقبه الذهبي... وأنه حديث مضطرب، وأن في بعض طرقه - وهو أصحها -: أن النبي ﷺ زار قبر أمه في ألف مقنع كما رواه الحاكم وصححه<sup>(٣)</sup>،

(١) المحرر الوجيز (٤/٤٢٢)، وانظر: المحرر في أسباب النزول (١/٦٠٨ - ٦١٤).  
 (٢) رواه الحاكم في المستدرک (٢/٣٦٦)، وقال: «صحيح على شرطهما»، والبيهقي في الدلائل (١/١٩٠)، وقال الذهبي: «في سننه أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين». المستدرک (٢/٣٦٦)، وقال ابن حجر: «وأيوب بن هانئ مختلف فيه». تلخيص الحبير (٢/١٣٧). وفي التقريب (٥٨): «صدوق فيه لين».  
 (٣) المستدرک (١/٥٣١)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين».

وهذه الروايات ليس فيها ذكر لسبب نزول الآية، بل ورد في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (اسْتَأذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمَّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ أَنْ أُرْوَرَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي) الحديث<sup>(١)</sup>، فتبين ضعف هذا القول ووهنه<sup>(٢)</sup>.

وقد قال الشوكاني: «وما في الصحيحين مقدم على ما لم يكن فيهما على فرض أنه صحيح فكيف وهو ضعيف غالبه»<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: الأفعال:

كفعل النبي صلى الله عليه وسلم في مناشدته ربه يوم الفرقان، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: (اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي...) فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأناه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فأمدّه الله بالملائكة<sup>(٤)</sup>.

وأيضاً فعل النبي صلى الله عليه وسلم عندما صلى على عبد الله بن أبي ابن سلول<sup>(٥)</sup> فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه

(١) رواه مسلم (٣٩٥) ح [٢٢٥٨].

(٢) انظر: الزيادة والإحسان (١/٣٠٦ - ٣٠٧).

(٣) فتح القدير (٢/٥٨٢).

(٤) الحديث رواه مسلم (٧٨٢) ح [٤٥٨٨].

(٥) هو: عبد الله بن أبي ابن سلول، وسلول امرأة من خزاعة، وهو رأس المنافقين، وابنه عبد الله من فضلاء الصحابة. انظر: أسد الغابة (٣/٣٠٢).

عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا خَيْرِنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠] وَسَازِيدُ عَلَى سَبْعِينَ) قال: إنه منافق فصلى عليه رسول الله ﷺ وأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نُقَمَ عَلَيْهِ قَبْرٌ﴾ [التوبة: ٨٤] (١).

وفي قصة معاتبة الله تعالى لنبيه ﷺ عندما جاءه الأعمى، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل ﴿عَسَىٰ وَتُوَّىٰ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: (أَتَرَىٰ بِمَا أَقُولُ بِأَسَا؟) فيقول: لا. ففي هذا أنزل (٢) الحديث.

وقد تضمنت الأحاديث النبوية صيغاً لأسباب النزول بعضها صريحة وبعضها غير صريحة؛ ولذا جعل بعض العلماء (٣) صيغ أسباب النزول على صيغتين:

صريحة: يصرح فيها بذكر السبب، فيقال: سبب نزول الآية كذا (٤)، أو يؤتى بفاء داخله على مادة نزول الآية عقب سرد حادثة...

(١) رواه البخاري (٩٧١) ح [٤٦٧٠]، ومسلم (١٠٥٦) ح [٦٢٠٧].

(٢) رواه الترمذي في سننه (٧٦٠) [٣٣٣١]، وقال: حديث حسن غريب، وصححه ابن حبان [٥٣٥]، ورواه مالك مرسلاً في الموطأ (١٠٥/١) [٢٧١] من طريق هشام بن عروة عن أبيه.

(٣) كالزرقاني في مناهل العرفان (١١٦/١)، وأبو شهبه في المدخل (١٣٢) وغيرهما.

(٤) هذه الصيغة لم ترد البتة، يقول الدكتور المزيني قوله: (سبب نزول الآية كذا) فهذا لا وجود له في الواقع (١١٥/١).

وغير صريحة: فيقال: نزلت هذه الآية في كذا، فهي تحتل  
 السببية وتحتل أمرًا آخر.  
 إلا أن هذه الصيغ تعد قرائن في إرادة السبب ودلالة عليه، وليست  
 أصلًا يحكم بها، ويفصل فيها، وما جاء على غيرها يخرج منها<sup>(١)</sup>.



(١) انظر: المحرر في علوم القرآن (١٣٣).

## المطلب الثاني

## صيغ صريحة

وردت صيغ صريحة في إرادة سبب النزول، ومن ذلك:

ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (... ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الْوَحْيَ فَتْرَةً، فَبَيَّنَّا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ...) وفيه: (فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلْمُذْتَبِّرِينَ﴾ ① إلى قوله: ﴿وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرُ﴾ [المدثر: ١ - ٥] (١).

وهذا نص صريح في سبب النزول؛ وذلك بدخول الفاء على مادة: (نزل)، إلا أنه وردت روايات أخرى وفيها: (وَأَنْزَلَ عَلَيَّ) (٢)، وبعضها: (فَتَرَلْتُ) (٣)، ومع ذلك لا تخرجها عن السببية الصريحة، بل وورد في المسند من طريق آخر عن جابر رضي الله عنه بلفظ: (فَقُلْتُ: دَثْرُونِي دَثْرُونِي، فَاتَانِي جِبْرِيْلُ، فَقَالَ: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلْمُذْتَبِّرِينَ﴾) من دون تصريح بمادة النزول (٤).

وكذلك ما ورد في قصة حادثة الإفك وفيه: (أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِرَاءَتِكَ) (٥)، وفي لفظ آخر: (أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكَ) (٦) فهي صريحة

(١) رواه البخاري (٦٦٢) ح [٣٢٣٨].

(٢) رواه البخاري (١٠٦٣) ح [٤٩٢٤].

(٣) رواه البخاري (١٠٦٢) ح [٤٩٢٢]، وأصل الحديث متفق عليه.

(٤) المسند [١٥٠٣٣]، وقال محققه: (حديث صحيح وأصله في الصحيحين).

(٥) رواه البخاري (١٠٠٩) ح [٤٧٥٧]، وعند الإمام أحمد في المسند (٦٣٠/٤٤).

[٢٧٠٧١]: (يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ حُدْرَكَ).

(٦) رواه البخاري (١٠٠٦) ح [٤٧٥٠].

وإن لم يستخدم فيها لفظ: (النزول)، وذلك بالقرائن التي احتفت بإيراد القصة.

وقد ترد صيغة صريحة في إرادة السببية إلا أنها تأخذ حكم التفسير، ومن ذلك:

ما ورد في قصة اللعان، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن عويمراً العجلاني<sup>(١)</sup> أتى عاصم بن عدي رضي الله عنه وكان سيد بني عجلان، فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً؟... وفيه: «فأتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله... فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل، فسأله عويمر فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره المسائل وعابها قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فجاء عويمر فقال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقته فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ) فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملاعنة»<sup>(٣)</sup> الحديث.

وذلك على رأي من يرى أن آيات اللعان نزلت في هلال بن أمية<sup>(٤)</sup>، يقول النووي: «وقال جمهور العلماء: سبب نزولها قصة هلال بن أمية، واستدلوا بالحديث الذي ذكره مسلم بعد هذا في قصة هلال، قال: وكان أول رجل لاعن في الإسلام، قال الماوردي من أصحابنا في كتابه

(١) هو: عويمر بن أبيض العجلاني الأنصاري، صاحب اللعان، وذلك في شعبان سنة تسع من الهجرة. انظر: الاستيعاب (١٢٢٧/٣).

(٢) هو: عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان يكنى أبا عبد الله من الأوس من الأنصار، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي سنة ٤٥ هـ. وقد عاش مائة وخمس عشرة سنة. انظر: أسد الغابة (١١٠/٣).

(٣) رواه البخاري (١٠٠٢) ح [٤٧٤٥].

(٤) هو: هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري، شهد بدرًا وما بعدها، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. انظر: الاستيعاب (١٥٤٢/٤)، الإصابة (٥٤٧/٦).



الحاوي: قال الأكثرون: قصة هلال بن أمية أسبق من قصة العجلاني...<sup>(١)</sup> «<sup>(٢)</sup>».

وقال ابن عطية<sup>(٣)</sup>: «والمشهور أن نازلة هلال قبل وأنها سبب الآية»<sup>(٤)</sup>.

ويشهد بعدم إرادة السببية الرواية الأخرى عند البخاري وفيه: (قَدْ قُضِيَ فِيكَ وَفِي امْرَأَتِكَ)<sup>(٥)</sup>.

وأيضاً ما ورد في قصة هلال بن أمية: أنه قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك ابن سحماء<sup>(٦)</sup>، فقال النبي ﷺ: (الْبَيِّنَةُ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ)... وفيه: فنزل الوحي<sup>(٧)</sup>.

(١) في الحاوي الكبير (٥/١١): «فذهب الأكثرون إلى أن قصة العجلاني أسبق من قصة هلال بن أمية، وقالت طائفة: إن قصة هلال بن أمية أسبق من قصة العجلاني...!».

(٢) المنهاج (٩٣/١٠ - ٩٤).

(٣) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن عطية، أبو محمد، المفسر، وكان فقيهاً عارفاً بالأحكام، صاحب المحرر الوجيز في التفسير، توفي سنة ٥٤٢هـ. انظر: طبقات المفسرين (٩)، الوافي بالوفيات (٤٠/١٨).

(٤) المحرر الوجيز (٤٣٣/٦).

(٥) رواه البخاري (١٠٠٣) ح [٤٧٤٦].

(٦) هو: شريك بن سحماء وهي أمه، حليف الأنصار، كان أحد الأمراء على الشام في عهد أبي بكر الصديق ﷺ. انظر: الإصابة (٣/٣٤٤).

(٧) رواه البخاري (١٠٠٣) ح [٤٧٤٧]، وفي المسند [٢١٣١] عن ابن عباس لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ [النور: ٦]... الآية قال سعد بن عباد وهو سيد الأنصار: وهكذا أنزلت يا رسول الله... وفيه: فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلاً قرأ بعينه وسمع بأذنيه فلم يهجه حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً قرأت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما جاء واشتد به عليه... وفيه: إذ أنزل الله على رسول الله ﷺ الوحي وكان إذا أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تبرد جلده فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحْوَجُ﴾ الآية [النور: ٦]، قال محقق المسند: «حديث حسن» (٣٣/٤).

وقيل: إنها نزلت في عويمر العجلاني بدلالة ظاهر الحديث: (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَيْكَ).

وقيل: نزلت فيهما جميعاً ذلك أن أول من وقع له هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معاً في وقت واحد<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: «ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول»<sup>(٢)</sup>، والله أعلم.



(١) انظر: المنهاج (٩٤/١٠)، فتح الباري (٥٧١/٨).

(٢) الفتح (٥٧٢/٨)، وقد أفاض د. المزيني في بحث هذه المسألة وذلك بجمع الأحاديث والروايات والاستشهاد بأقوال الأئمة، وتوصل إلى أنها نزلت في عويمر العجلاني. (المحرر ٧١٩/٢ - ٧٤٢)، والله أعلم.

## المطلب الثالث

## صيغ محتملة

ترد صيغ في الأحاديث النبوية غير صريحة في السببية، وهي محتملة للسببية وغيرها، ومن الأمثلة على صيغة غير صريحة يراد بها السببية:

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءَ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا﴾ [التوبة: ١٠٨]) قال: (كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْمَاءِ فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ)<sup>(١)</sup>.

فما جاء في الحديث غير صريح في السببية على قول من يرى التفريق - كما سبق - ومع ذلك فهي داخلة في سبب نزول الآية.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره في حاضري المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، رجال يحبون أن ينظفوا مقاعدهم بالماء إذا أتوا الغائط، والله يحب المطهرين بالماء...»<sup>(٢)</sup> ثم ساق الأحاديث والروايات في ذلك.

وأما ما ورد بصيغة غير صريحة يراد بها التفسير واشتمال الآية على الحكم:

(١) رواه أبو داود في السنن (١٨) ح[٤٤]، والترمذي في جامعه (٦٩٨) ح[٣١٠٠]، وقال: «حديث غريب»، وابن ماجه (٥٣) ح[٣٥٧]، وصححه النووي في المجموع (٨٢/٢)، والألباني في صحيح أبي داود (٧٤/١).

(٢) تفسير الطبري (٦٨٧/١١).

ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: (نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ...) <sup>(١)</sup>.

ففي الحديث بيان أن من تثبت الله تعالى للمؤمنين تثبته عند السؤال في القبر.

قال السعدي: «يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين؛ أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم محبة الله... وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب الصحيح، إذا قيل للميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح...» <sup>(٢)</sup>.

فما جاء في الحديث ليس سبباً لنزول الآية وإنما هو من باب التفسير <sup>(٣)</sup>؛ ولذا ترك العلماء القول بالسببية، والله أعلم.

ويدخل فيها أيضاً ما كان حديثاً عن الأمم السابقة، فلا يظن أن يكون سبباً للنزول، وإن وردت فيه الصيغة، ومن ذلك:

ما رواه عامر بن عبد الله بن مسعود عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا وَقَعَ فِيهِمُ النَّقْصُ كَانَ الرَّجُلُ فِيهِمْ يَرَى أَخَاهُ يَقَعُ عَلَى الذَّنْبِ فَيَنْهَاهُ عَنْهُ...) وفيه: (وَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ، فَقَالَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨] الحديث) <sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (١٢٤٤) ح [٧٢١٩]. (٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٠١).

(٣) انظر: المحرر في أسباب النزول (٦٤٤/٢).

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٦٨٦) ح [٣٠٤٨]، وابن ماجه (٤٥٥) ح [٤٠٠٦]، =

وهذا من باب الإخبار عن الأمم السابقة وليس من أسباب النزول في شيء، قال السيوطي: «قلت: والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه؛ ليخرج ما ذكره الواحدي<sup>(١)</sup> في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية؛ كذكر قصة نوح وعاد وشمود وبناء البيت ونحو ذلك... فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى»<sup>(٢)</sup>.

وبناء على ما سبق يتبين أن الصيغ لا تعدو أن تكون أمانة على سبب النزول وليست على إطلاقها، ولا يحكم عليها إلا بعد الدراسة والنظر في السبب، والاستئناس بأقوال المفسرين.

والخلاصة: أنه لا يوجد صيغة محددة لأسباب النزول سواء أكانت صريحة أم غير صريحة، إما لعدم الدليل على ذلك البتة، كما في قولهم: سبب نزول الآية كذا، وإما لاضطراب الأساليب المستعملة في ذلك، واختلافها وتناقضها من حيث التطبيق، وإن كان أكثرها شيوعاً قولهم: فأنزل الله، أو فنزلت، ومع هذا فلا يعني استعمال هذين اللفظين تحقق السببية فيما دخلا عليه، وإنما يعني: التصريح بذكر النزول فقط<sup>(٣)</sup>.

ومما يلحق بالصيغ أن يُوجَّه سؤال إلى النبي ﷺ فينزل على إثره آية أو آيات إجابة لسؤال، أو تبين لحال، أو غير ذلك، ومن ذلك:

ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في

= والإمام أحمد في المسند (٦/٢٥١) ح [٣٧١٣]، وقال محققه: «إسناده ضعيف لانقطاعه، أبو عبيدة وهو ابن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه». انظر: تهذيب الكمال (١٤/٦١)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٣١٨).

(١) أسباب النزول (٧٣٧). (٢) الإفتان (١/٢٠٨ - ٢٠٩).

(٣) انظر: المحرر في أسباب النزول (١/١٢٠).

خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لسألته فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت فقلت: إنه يوحى إليه فممت فلما انجلى عنه، فقال: ﴿وَسْتَلُونَا عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] (١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيان فأغمي علي فتوضأ ثم صب علي من وضوئه فأفقت قلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟ فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] الحديث (٢).

ويمكن أن يقال من الصيغ الواردة في الأحاديث النبوية التعريض والتلويح (٣) بنزول آية أو آيات، ومن ذلك:

ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بالمدينة قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَرِّضُ بِالْخَمْرِ، وَلَعَلَّ اللَّهَ سَيُنزِلُ فِيهَا أَمْرًا فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَبِيعْهُ وَلْيَتَنَفَّعْ بِهِ) قال: فما لبثنا إلا يسيراً حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْخَمْرَ فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا يَشْرَبْ وَلَا يَبِيعْ) قال: فاستقبل الناس بما كان عندهم منها في طريق المدينة فسفكوها (٤).

(١) رواه البخاري وقد سبق تخريجه ص (١٨٣)، وهو ما رجحه أكثر العلماء في سبب نزول هذه الآية، انظر: الإتنقان (٢١٧/١)، مناهل العرفان (١١٨/١)، المدخل (١٣٥)، المحرر في أسباب النزول (٦٦٧/٢) وما بعدها.  
 (٢) رواه البخاري (١٥٣٢) ح [٧٣٠٩].  
 (٣) التعريض: خلاف التصريح من القول (النهاية في غريب الحديث ٣/١٩٢).  
 (٤) رواه مسلم (٦٨٩) [٤٠٤٣].

فهذا تعريض بنزول آيات تحريم الخمر، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] أو تُعدُّ من الأسباب غير المباشرة في نزول الآيات الكريمات، وذلك أن النبي ﷺ لما نزلت عليه الآيات في بيان حقيقة الخمر، وتحريم الصلاة لمن هو في حال السكر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] استدل على قرب نزول تحريمها البتة، قال ابن الجوزي: «وفي هذا الحديث بيان فضيلة الفطنة؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لما رأى التعريض بدمها استدل على قرب التصريح»<sup>(١)</sup>.







## المَبْحَثُ الرَّابِعُ

# نزول القرآن على سبعة أحرف

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الأحرف السبعة.

المطلب الثاني: حقيقة الأحرف السبعة.

المطلب الثالث: نزول الأحرف السبعة.



## الْبَحْثُ الرَّابِعُ

### نزول القرآن على سبعة أحرف

مدخل:

امتن الله ﷻ على هذه الأمة المحمدية بعظيم المنن، وأسبغ عليها وافر النعم، وخصّها بالتيسير والتخفيف مع مضاعفة الأجور، وعظيم الثواب ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُدًى لَهُمُ الْطَّبِيبَتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن تلك الخصائص الربانية أن الله ﷻ أنزل هذا القرآن على سبعة أحرف توسعة على المكلفين، ورحمة بهم، ولطفًا بالعجز والشيخ الكبير والغلام والجارية، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: (يَا جَبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ مِنْهُمْ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ)<sup>(١)</sup> وعند مسلم: (فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ

(١) رواه الترمذي في جامعه (٦٦١) ح[٢٩٤٤]، وأبو داود الطيالسي في مسنده [٥٤٣]، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح، وقد روي عن أبي بن كعب من غير وجه». وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٦/٣).

يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ) فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثم أتاه الثانية فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ)، فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ)، فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثم جاءه الرابعة فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابْتُمْ)<sup>(١)</sup>.

ولكن يبقى ما معنى الأحرف السبعة، وما حقيقتها وكنهها... هذا ما أقصده، وأعزم على بيانه وتقريبه، من خلال ما ورد في الأحاديث النبوية، والله المستعان<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه مسلم (٣٣٠) ح [١٩٠٦].

(٢) من المؤلفات المتخصصة في هذا العلم: «المرشد الوجيز». لأبي شامة، نزول القرآن على سبعة أحرف. مناع القطان، حديث الأحرف السبعة. عبد العزيز القارئ، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها. حسن ضياء عتر، الأحرف القرآنية السبعة. عبد الرحمن المطرودي، اللؤلؤ والمرجان في معنى ما أنزل على سبعة أحرف من القرآن. علي آل عقيل.

## المطلب الأول

## معنى الأحرف السبعة

## أولاً: الأحرف:

الأحرف جمع حرف، والحاء والراء والفاء ثلاثة أصول، أحدها: حَدُّ الشيء... فحرف كل شيء حده كالسيف وغيره، ومنه: الحرف وهو الوجه، تقول: هو من أمره على حرف واحد؛ أي: طريقة واحدة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْغِدُ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]؛ أي: على وجه واحد<sup>(١)</sup>.

وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفاً، تقول: هذا حرف ابن مسعود رضي الله عنه؛ أي: قراءته، وما ورد من نزول القرآن على سبعة أحرف فهو بمعنى اللغة<sup>(٢)</sup>.

وتفسير (الحرف) بالوجه في الأحاديث النبوية؛ كحديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أَفْرَأَيْنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ)<sup>(٣)</sup> وغيره أولى من تفسيره باللغة أو القراءة؛ إذ هو يشملها ويحويها ولا ينافيها أو يضادها<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: مفايس اللغة (حرف) (٢٣٧)، القاموس المحيط (حرف) (١٠٣٢).

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (حرف) (٣٠٦/٣)، لسان العرب (٤٠٠/٢)، تاج العروس (١٢٨/٢٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦٥٩) ح [٣٢١٩].

(٤) وهو ما رجحه ابن حجر، انظر: الفتح (٣٠/٩، ٣٢).

## ثانيًا: السبعة:

(السين والباء والعين أصلان مطردان صحيحان: أحدهما في العدد... السبعة والسُّبع جزء من سبعة)<sup>(١)</sup>.

وهو يطلق ويراد به العدد المعروف ما بين الستة والثمانية، يقال: سبع نسوة وسبعة رجال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

ويطلق ويراد به - أيضًا - التضعيف والتكثير، فالعرب تضع السبعة والسبعين... موضع التضعيف والتكثير؛ كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]<sup>(٢)</sup>.

إلا أن المراد بـ(السبعة) في الأحاديث النبوية الإطلاق الأول بلا شك، وذلك:

١ - بدلالة الألفاظ: ففي عموم أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف التأكيد بـ(إن) التوكيد، وهذا فيه دلالة على تأكيد الأمر ونفي الشك فيه والإنكار له وغير ذلك، ومجيء (على) دون غيرها في قوله: (عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ) إشعار بالشرطية؛ أي: أنزل موسعًا على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه، بأي حرف أراد منها على البدل، وتقدير الكلام: أن تقرأ أمتك القرآن بأحرف متعددة على ألا تتجاوز سبعة أحرف<sup>(٣)</sup>، وورود (حتى) في قوله: (فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ)<sup>(٤)</sup>؛

(١) مقاييس اللغة (سبع) (٤٨١).

(٢) انظر: لسان العرب (٤٧٧/٤) (سبع)، تاج العروس (١٧٦/٢١).

(٣) انظر: فتح الباري (٣٦/٩)، وحديث الأحرف السبعة للدكتور: عبد العزيز القارئ (٧٢).

(٤) رواه البخاري (٦٥٩) ح [٣٢١٩].

للدلالة على بلوغ الغاية، فـ(حتى) غاية لما قبلها، وهي منه<sup>(١)</sup>.

٢ - الوقائع: حيث تشهد الوقائع والأحداث الواردة في الأحاديث النبوية على أن المقصود العدد الذي بين الستة والثمانية، فقد روى أبي بن كعب رضي الله عنه في قصة نزول القرآن على سبعة أحرف: أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار، قال: فأناه جبريل عليه السلام فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ)، فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثم أتاه الثانية فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ) فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثم جاءه الثالثة فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ) فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثم جاءه الرابعة فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَيَّمَا حَرْفٍ قَرَأْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا)<sup>(٢)</sup>.

علّق الإمام النووي على الجملة الأخيرة من الحديث، فقال: «معناه: لا تتجاوز أمتك سبعة أحرف ولهم الخيار في السبعة، ويجب عليهم نقل السبعة إلى من بعدهم بالتخير فيها وإنها لا تتجاوز»<sup>(٣)</sup> فهي نص في السبعة<sup>(٤)</sup>.

وورد في حديث أبي من طريق آخر عند مسلم<sup>(٥)</sup>: (فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ)، والجمع بين الروایتين أن قوله في الرواية الثانية: (فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ) المراد بالثالثة الأخيرة وهي الرابعة فسمّاها ثالثة مجازًا، وحمل هذا على التصريح في الرواية الأولى أن الأحرف السبعة

(١) قال ابن القيم: «وأما (حتى) فموضوعة للدلالة على أن ما بعدها غاية لما قبلها، وغاية كل شيء حده...» بدائع الفوائد (١/٣٤٣).

(٢) رواه مسلم (٣٣٠) ح [١٩٠٦].

(٣) المنهاج (٦/٣٢٧).

(٤) انظر: فتح الباري (٩/٣٠).

(٥) رواه مسلم (٣٢٩) ح [١٩٠٤].

إنما كانت في المرة الرابعة وهي الأخيرة<sup>(١)</sup>.

وإذا تقرر ذلك، فقد روي عن سمرة بن جندب<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه طريقان في حديث الأحرف السبعة؛ أحدها: أن رسول الله ﷺ قال: (نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ)<sup>(٣)</sup>؛ إلا أن إسناده ضعيف، وقد خالف المشهور، والطريق الآخر على الجادة، فعن بهز حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة: أن رسول الله ﷺ قال: (نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ)<sup>(٤)</sup>.

ويمكن توجيه حديث نزول القرآن على ثلاثة أحرف - أيضاً - بأن يقال: معناه: أن بعضه أنزل على ثلاثة أحرف كـ(جذوة) و(الرهب) و(الصدفين) يقرأ كل واحد على ثلاثة أوجه في هذه القراءات المشهورة، أو أراد: أنزل ابتداء على ثلاثة ثم زيد إلى سبعة<sup>(٥)</sup>، كما في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار... وفيه: ثم أتاه الثانية فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ) فقال:

(١) انظر: المنهاج (٦/٤٢٧).

(٢) هو: سمرة بن جندب بن هلال بن حريج بن مرة، يكنى أبا سعيد وقيل: أبا عبد الرحمن، وغزا مع النبي ﷺ غزوات كثيرة، توفي سنة ٥٨ هـ بسقوطه في ماء حار كان يتداوى منه. انظر: أسد الغابة (٢/٥٩٢).

(٣) رواه أحمد في المسند [٢٠٢٦٢]، وابن أبي شيبة في المصنف [٣٠١٢٤]، والطبراني في الكبير (٧/٢٠٦) [٦٨٥٣]، والحاكم في المستدرک (٢/٢٤٣)، قال أبو عبيد: «ولا نرى المحفوظ إلا السبعة؛ لأنها المشهورة» (فضائل القرآن ٢٠٣)، وقال الهيثمي في المجمع: «وإسنادهما ضعيف» (٧/١٥٢)، وقال محقق المسند: «إسناده ضعيف، فيه عننة الحسن البصري وهو مدلس، وقد اختلف على حماد بن سلمة في لفظه، فقد سلف عن بهز بن أسد عنه ولفظه: (نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ) وهو الصواب الذي تشهد له الأحاديث» (٣٣/٣٩٣). وانظر: طبقات المدلسين لابن حجر (٤٧).

(٤) رواه أحمد في المسند (٣٣/٣٧٨) [٢٠١٧٩]، وقال الهيثمي: «ورجال أحمد... رجال الصحيح» (٧/١٥٢)، وقال ابن كثير: «إسناده صحيح ولم يخرجوه» (فضائل القرآن ١/٤٠) ضمن التفسير.

(٥) انظر: المرشد الوجيز (٨٨).



(أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثم جاءه الثالثة فقال:  
 (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ) فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ  
 مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثم جاءه الرابعة... (١).  
 و(ثم) تدل على الترتيب مع التراخي (٢)، فيكون حكاية لما كان ثم  
 بعد ذلك تمت الزيادة، والله أعلم.



(١) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٢٣٦).

(٢) قال ابن مالك:

وَالْفَاءُ لِلتَّرْتِيبِ بِاتِّصَالٍ وَ(ثُمَّ) لِلتَّرْتِيبِ بِانْفِصَالٍ

شرح ابن عقيل (٢/٢٠٩).

## المطلب الثاني

### حقيقة الأحرف السبعة

من خلال جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بالأحرف السبعة، والنظر فيها، وفهم معانيها، والتأمل في مدلولاتها، واستخراج مكنوناتها، المتعلقة بحقيقة الأحرف السبعة، ظهر لي المعالم التالية:

أولاً: أن هذه الأحرف السبعة كلها منزلة من عند الله تعالى، نزل بها الروح الأمين كما يدل عليه قوله ﷺ لعمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما عندما اختلفا: (هَكَذَا أُنزِلَتْ) <sup>(١)</sup>.

والتنصيص على النزول كما في عموم الأحاديث؛ كقوله ﷺ: (إِنَّ الْقُرْآنَ أُنزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ) <sup>(٢)</sup>، وفي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ: أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ: أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ: أَقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ: أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ: أَقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ) <sup>(٣)</sup>.

واستعمال لفظ الإقراء؛ كقوله ﷺ: (أَقْرَأْنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ) <sup>(٤)</sup>.

كل هذا يدل على أن الأحرف السبعة توقيفية بخلاف ما قد يفهم من أن الأحرف السبعة تركت للاجتهاد، أو أن المراد بها التيسير والسعة

(١) رواه البخاري (٤٧٨) ح [٢٤١٩]، ومسلم (٣٣٠) ح [١٩٠٥].

(٢) رواه مسلم (٤٧٨) ح [٢٤١٩]. (٣) رواه مسلم (٣٣٠) ح [١٩٠٤].

(٤) رواه البخاري (٦٥٩) ح [٣٢١٩]، ومسلم (٣٣٠) ح [١٩٠٢].

وليس حقيقة العدد<sup>(١)</sup>، أو أنه كان مرخصاً للصحابة أن يقرؤوا بالمعنى وأن يبدلوا اللفظ المنزّل بمرادفه.

ويمكن توجيه قوله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ صَوَابٌ مَا لَمْ يُجْعَلْ عَذَابٌ مَغْفِرَةٌ أَوْ مَغْفِرَةٌ عَذَابًا)<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ عَلِيمًا حَكِيمًا غَفُورًا رَحِيمًا)<sup>(٣)</sup>.

بأن المراد - والله أعلم - ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها، وذلك أنها معانٍ متفق مفهومها مختلف مسموعها، ولا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجه يخالف وجهها أو يضاده، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده... وما أشبه ذلك<sup>(٤)</sup>.

وقد حكى الإجماع الإمام المازري<sup>(٥)</sup> على أنه لا يحل إبدال آية أمثال بآية أحكام، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي فَأَنسُبُ إِنِّي أَنْتَجِعُ إِلَّا مَا يُؤْتَى﴾ [يونس: ١٥]، وكذلك لا يجوز إبدال خواتم الآي فيجعل مكان (غفور رحيم) (سميع بصير)<sup>(٦)</sup> ما لم يتناقض المعنى، وهذا أيضًا فاسد؛ لأنه قد استقر الإجماع على منع تغيير القرآن أيًا كان.

ثانيًا: أن كل حرف من الأحرف السبعة شافية كافية.

- (١) وإلى هذا جنح القاضي عياض، انظر: إكمال المعلم (٣/١٨٧)، الإتيان (١/٣٠٩).
- (٢) رواه الإمام أحمد في المسند [١٦٣٦٦]، والطبري (١/٢٥)، وقال الهيثمي في المجمع: «ورجاله ثقات» (٧/١٥١)، وقال محقق المسند (٢٦/٢٨٥): «إسناده حسن».
- (٣) رواه الإمام أحمد في المسند [٨٣٩٠]، والطبري (١/١٢)، وقال محقق المسند: «إسناده حسن» (١٤/١٢٠).
- (٤) انظر: التمهيد (٨/٢٨٣ - ٢٨٤).
- (٥) انظر: المعلم بفوائد مسلم (١/٣٠٨).
- (٦) قال السندي: «أي كانت الأحرف هي رؤوس الآي فكان من الجائز أن يقول في موضع: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾». حاشية المسند (٦/٢٢).

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: ما حاك في صدري منذ أسلمت إلا أني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي فقلت: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر... وفيه: (حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ، فَكُلُّ حَرْفٍ شَافٍ كَافٍ)<sup>(١)</sup>.

فكل حرف منها شافٍ لصدور المؤمنين لاتفاقها في المعنى ولا اختلاف فيها أو تضاد، وعلى كونها من عند الله تعالى لا من عند غيره، وكافٍ في أداء المقصود من فهم المعنى وإظهار البلاغة والفصاحة والإعجاز، ودلالة على صدق من نزل عليه القرآن<sup>(٢)</sup>.

ولهذا أيُّ حرف قُري به جاز، وصحت القراءة، ووصف بأنه يقرأ كتاب الله تعالى، ولا تفضيل بين الأحرف، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رجلاً قرأ آية وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها فجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية وقال: (كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ فَلَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا)<sup>(٣)</sup>.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ عَلَى أَيِّ حَرْفٍ قَرَأْتُمْ فَقَدْ أَصَبْتُمْ فَلَا تَتَمَارَوْا فِيهِ فَإِنَّ الْمِرَاءَ فِيهِ كُفْرٌ)<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه النسائي (١٣٢) ح[٩٤٢]، وأحمد في المسند [٢١١٣٢]، والطبري (٣٠/١)، وابن حبان في صحيحه [٧٣٧]، وقال محقق المسند (٧٠/٣٥): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) انظر: فيض القدير (٥٤/٣)، وقد استدلل شيخ الإسلام بهذا الحديث على حسن صنع عثمان رضي الله عنه في جمع المصاحف، فقال رضي الله عنه: «إذا كان قد سوغ لهم أن يقرؤوه على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ مع تنوع الأحرف في الرسم، فلأن يسوغ ذلك مع اتفاق ذلك في الرسم وتنوعه في اللفظ أولى وأحرى، وهذا من أسباب تركهم المصاحف أول ما كتبت غير مشكولة ولا منقوطة؛ لتكون صورة الرسم محتملة للامرئين؛ كالتاء والباء... المفهومين». مجموع الفتاوى (٤٠٢/١٣).

(٣) رواه البخاري (٧١٦) ح[٣٤٧٦].

(٤) رواه أحمد في المسند [١٧٨١٩]، وقال الهيثمي في المجمع: «رواه أحمد ورجاله =

بل أمر رسول الله ﷺ بأن يقرأ بما تيسر منها؛ ففي قصة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم رضي الله عنه جميعاً قال رضي الله عنه: (إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ فَأَقْرَأُوا مِنْهُ مَا تَيْسَّرَ) <sup>(١)</sup>.

وما هذا وذاك إلا رحمة من رب العالمين، ومنة على هذه الأمة، ونعمة لهم، وتهوينٌ عليهم، فبيننا محمد ﷺ طلب من ربه التهوين على أمته والتخفيف عليهم والتوسعة لهم، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَيَّ حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ: أَنْ هَوِّنْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ: أَقْرَأْهُ عَلَيَّ حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ: أَنْ هَوِّنْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ: أَقْرَأْهُ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ، فَلَمْ يَكُلْ رَدَّةً رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةً تَسْأَلُنِيهَا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرَعُبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّىٰ يُرَاهِمُ ﷺ) <sup>(٢)</sup>.

وفي حديث آخر توسل إلى الله تعالى بالعمو وهو التجاوز والصفح، والمغفرة وهو الستر <sup>(٣)</sup>، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار، قال: فاتاه جبريل رضي الله عنه فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَيَّ حَرْفٍ)، فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ مَعَاْفَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثم أتاه الثانية فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَيَّ حَرْفَيْنِ) فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ مَعَاْفَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)،

= رجال الصحيح (١٥٠/٧)، وله شاهد من حديث أم أيوب رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ قال: (نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ، أَيُّهَا قَرَأْتَ أَجْرَاكَ)»، رواه أحمد في المسند [٢٧٤٤٣]، قال ابن كثير: «إسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة» (فضائل القرآن ٤٠/١).

(١) متفق عليه، وقد سبق تخريجه ص (٢٤٢).

(٢) رواه مسلم (٣٣٠) ح [١٩٠٤].

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٢٣٩، ٣٣٥).

ثم جاءه الثالثة فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ) فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطَبِّقُ ذَلِكَ)، ثم جاءه الرابعة فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابْتُمْ) (١).

ثالثاً: أن الأحرف السبعة نزل بها جبريل عليه السلام وقرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم وأقرأها الصحابة، واستقر ذلك عندهم، حتى اختفت مظاهر إنكار القراءة من بعضهم البعض، فالأحرف السبعة معلومة وليست من المتشابه الذي لا يدري معناه كما قاله بعض العلماء (٢)، ويشهد لذلك ما رواه أبي بن كعب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابْتُمْ) (٣).

وما قاله ابن مسعود رضي الله عنه في الاستدلال بقراءته لسورة (الليل) قال: أشهد أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا... (٤).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وهو عند أحجار المراء... وفيه: (فَمَنْ قَرَأَ مِنْهُمْ عَلَى حَرْفٍ فَلْيَقْرَأْ كَمَا عَلَّمَ، وَلَا يَرْجِعْ عَنْهُ) (٥).

بل لكل من الأحرف السبعة حدٌ لا يتجاوز فيه أو يزداد عليه، فقد

(١) رواه مسلم (٣٣٠) ح [١٩٠٦].

(٢) وهو: ابن سعدان النحوي، انظر: المرشد (٩٣)، البرهان (١/٣٠٥)، الإتيان (١/٣٠٩).

(٣) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٢٣٦).

(٤) رواه البخاري (١٠٧٢) ح [٤٩٤٤].

(٥) رواه أحمد في المسند [٢٣٢٧٣]، وقال محققه: «إسناده ضعيف، إبراهيم بن مهاجر - أحد رواة الحديث - ليس بذاك القوي، ولم يتابع عليه بهذا اللفظ» (٣٨/٣٠٧)، وانظر: التقريب (٣٤). وله شاهد من حديث ابن مسعود الذي رواه ابن حبان في صحيحه [٧٤٧]، والحاكم في المستدرک (٢/٢٤٣): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم... الحديث. قوله صلى الله عليه وسلم: (وَلَا يَرْجِعْ عَنْهُ) قال السندي: «ظناً أنه ليس بقرآن». حاشية المسند (١٣/٤١٣).

روي أن رسول الله ﷺ قال: (أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطْلَعٌ)<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: «(إِنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ حَدًّا)؛ يعني: لكل وجه من أوجهه السبعة حدًّا حده الله جل ثناؤه، لا يجوز لأحد أن يتجاوزه، وقوله: (وَإِنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرًا وَبَطْنًا) فظهره الظاهر في التلاوة وبطنه ما بطن من تأويله، وقوله: (وَإِنَّ لِكُلِّ حَدٍّ مِنْ ذَلِكَ مُطْلَعًا) فإنه يعني: أن لكل حدًّا من حدود الله التي حدها فيه من حلال وحرام وسائر شرائعه مقدارًا من ثواب الله وعقابه يعاينه في الآخرة ويطلع عليه»<sup>(٢)</sup>.

رابعًا: روي أن الأحرف السبعة أصناف من المعاني والأحكام والأمثال<sup>(٣)</sup>.

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَعَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ: زَاجِرٌ، وَآمِرٌ، وَحَلَالٌ، وَحَرَامٌ، وَمُحَكَّمٌ، وَمُتَشَابِهٌ، وَأَمْثَالٌ؛ فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ، وَأَفْعَلُوا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، وَأَنْتَهُوا عَمَّا نُهَيْتُمْ عَنْهُ، وَاعْتَبَرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَاعْمَلُوا بِمُحَكَّمِهِ، وَآمَنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)<sup>(٤)</sup> وهو ضعيف.

(١) رواه الطبري في التفسير (٢٢/١) واللفظ له، وأبو يعلي في مسنده [٥٤٠٣]، والطبراني في الكبير (١٠٥/١٠) [١٠١٠٧]، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع [١٣٣٨] (١٩٣)، فيه: «إبراهيم بن مسلم الهجري، قال عنه ابن حجر في التقريب (٣٤): لين الحديث رفع موقوفات».

(٢) تفسير الطبري (٦٦/١ - ٦٧).

(٣) انظر: المرشد الوجيز (١٠٧)، البرهان (٣٠٧/١)، الإتيان (٣٢٤/١).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه [٧٤٥]، والحاكم في مستدركه (٣١٧/٢)، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «منقطع». وقال ابن عبد البر: «وهذا حديث عند أهل العلم لا يثبت» (التمهيد ٨/٢٧٥).

ويمكن توجيه الحديث بأن يكون التفسير المذكور للأبواب وليست للحروف؛ أي: هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه<sup>(١)</sup>.

أو أن (زاجر وأمر...) استئناف كلام جديد؛ أي: أن القرآن زاجر وأمر... ولم يُرد به تفسير الأحرف السبعة، وإنما توهم ذلك من جهة الاتفاق في العدد، ويؤيد ذلك أن في بعض طرق الحديث عند الحاكم<sup>(٢)</sup> بالنصب (زاجرًا وأمرًا...) (٣).

وأيضًا ورود أحاديث تبين أن القرآن أنزل على خمسة أوجه، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ، وَاتَّبِعُوا غَرَائِبَهُ - وَغَرَائِبُهُ: فَرَائِضُهُ وَحُدُودُهُ - فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجِهٍ: حَلَالٍ، وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمْثَالٍ...) (٤) الحديث.

مما يدل على أنه ليس المراد بالأحرف السبعة أصنافًا من المعاني والأحكام... بل هي أوجه قرائية نزل عليها القرآن؛ توسعة ورحمة لهذه الأمة.

وقد حكى ابن عطية ضعف هذا القول؛ لأن الإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني<sup>(٥)</sup>.

قال المازري<sup>(٦)</sup> مفندًا القول بأن المراد بسبعة الأحرف سبعة معانٍ

(١) انظر: المرشد الوجيز (١٠٩). (٢) المستدرک (٧٣٩/١).

(٣) قاله أبو علي الأهوازي وأبو العلاء الهمداني، انظر: المرشد الوجيز (١٠٨)، فتح الباري (٣٨/٩)، الإتيان (٣٢٦/١)، وينظر كلام أبي عبيد في: الفضائل (٢٠٧).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٣٨٩/٤) [٢٠٩٥]، والمستغفري في الفضائل (١٨٧/١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٩٣٥)، وقال: «ضعيف جدًا» (١٣٣). قلت: «فيه مُعَارِكُ بن عباد أو ابن عبد الله وهو ضعيف». انظر: التقريب (٤٦٩). وفي حديث آخر في الفضائل للمستغفري (خمسة وجوه) (١٨٦/١).

(٥) المحرر الوجيز (٢٦/١).

(٦) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري نسبة إلى بلدة مازر بلدة في جزيرة =



مختلفة: «من ظن أن المراد بهذا سبعة معانٍ مختلفة؛ كالأحكام والأمثال والقصص... فخطأ؛ لأنه ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل حرف وإبدال حرف من السبعة بحرف آخر، وقد تقرر إجماع المسلمين أنه لا يحل إبدال آية أمثال بآية أحكام»<sup>(١)</sup>.

خامساً: رُوي أن الأحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة<sup>(٢)</sup>.

عن أبي بكرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (قَالَ جَبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ قَالَ مِيكَائِيلُ رضي الله عنه: اسْتَزِدُّهُ، فَاسْتَزَادَهُ، قَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، قَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدُّهُ، فَاسْتَزَادَهُ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ، قَالَ: كُلُّ شَافٍ كَافٍ مَا لَمْ تَخْتِمِ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، نَحْوَ قَوْلِكَ: تَعَالَى، وَأَقْبَلَ، وَهَلُمَّ، وَادْهَبَ، وَأَسْرِعَ، وَاعْجَلْ)<sup>(٣)</sup> وإسناده ضعيف.

وعند التأمل نجد أن هناك أوجهًا متغايرة في بعض وجوه القراءات اختلفت في اللفظ والمعنى معًا مع صحة المعنيين، مثل قوله تعالى:

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ

= صقلية، المالكي المحدث، مصنف المعلم في شرح مسلم، كان من كبار أئمة زمانه، توفي سنة ٥٣٦هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢٨٥/٤)، شذرات الذهب (١١٤/٤).

(١) المعلم بفوائد مسلم (٣٠٨/١ - ٣٠٩).

(٢) وهو قول سفيان بن عيينة وابن جرير ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء. انظر: تفسير الطبري (٧٥/١)، البرهان (٣١٣/١)، الإتيان (٣١٦/١).

(٣) رواه أحمد في المسند [٢٠٥١٤]، وابن أبي شيبة في المصنف [٣٠١٢٢]، وقال الهيثمي في المجمع: «رواه أحمد... وفيه: علي بن زيد بن جدعان وهو سيئ الحفظ وقد توبع، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح» (١٥١/٧). وعلي بن زيد بن جدعان: ضعيف، انظر: التقريب (٣٤٠). وقال محقق المسند: «صحيح لغيره دون قوله: «نحو قولك تعال وأقبل...» (١٤٦/٣٤)، فالمتابعة على أول الحديث أما آخره فهو من طريق علي بن زيد بن جدعان وهو سيئ الحفظ - كما سبق - ولم يتابع عليه.

يَفْرَعُونَ مَثْبُورًا ﴿ [الإسراء: ١٠٢] بفتح التاء في (علمت) وضمها<sup>(١)</sup>،  
فالقراءات القرآنية بينها اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتنافر<sup>(٢)</sup>.

كذلك كبار الصحابة وسادتهم في العلم والفقہ والقرآن قد اعتراهم  
الذهول لما سمعوا الأوجه المنزلة وسمعوا رسول الله ﷺ يقرأها كلها،  
فلم يحتملوا هذا الأمر في البداية، فوقعوا رهينة الشك والإنكار، وهذا  
يدل على أن الفرق بين تلك الأوجه المتغايرة كان مهمًا وواضحًا لا  
يمكن أن يحدث هذا لو كان مقتصرًا على استبدال بعض الألفاظ  
المترادفة ببعضها<sup>(٣)</sup>.

أو تكون من باب ضرب المثل على أن الأوجه القرائية وإن  
اختلفت في الألفاظ أو المعاني فهي متفقة في الدلالات والمبادئ  
والمقاصد، والله أعلم.

فتبين وَهَنَ هذا القول، وأن الحديث المستدل به ضعفه العلماء،  
وأن المراد بالأحرف السبعة غير هذا القول، والله أعلم.

وبعدما تبينت معالم حقيقة الأحرف السبعة، وظهرت حدودها  
واتحدت أطرافها برباط الأحاديث النبوية، وجامع دلالاتها وألفاظها،  
يمكن للباحث أن يخلص إلى أن أقرب عبارة يمكن أن تعرّف الأحرف  
السبعة وتحد بها، بأنها:

وجوه متعددة متغايرة منزلة من وجوه القراءة، يمكنك أن تقرأ بأي  
منها فتكون قد قرأت قرآنًا منزلاً، والعدد هنا مراد، بمعنى أن أقصى حد

(١) قرأ الكسائي بضم التاء، والباقون بفتحها. (انظر: السبعة ٣٨٥).

(٢) انظر: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات للأستاذ الدكتور: إبراهيم  
الدوسري (٢١) حيث فرق بين اختلاف التغيرات والتنوع، فالتغاير: اختلاف القراءات  
في اللفظ والمعنى معاً، مع صحة المعنيين كليهما، والتنوع: أن يختلف اللفظ والمعنى  
متحد.

(٣) انظر: حديث الأحرف السبعة للدكتور: عبد العزيز القارئ (٦٨).

يمكن أن تبلغه الوجوه القرآنية المنزلة هو سبعة أوجه، وذلك في الكلمة القرآنية الواحدة، ضمن نوع واحد من أنواع الاختلاف والتغاير، ولا يلزم أن تبلغ الأوجه هذا الحد في كل موضع من القرآن<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن يختصر بأنها: وجوه قرائية متعددة متغايرة منزلة، تصل إلى سبعة أوجه لا تتعدها، بأبيها قرأت تكون قد قرأت قرآناً<sup>(٢)</sup>.



(١) وهو التعريف الذي ارتضاه الأستاذ الدكتور: عبد العزيز القارئ، في كتابه حديث الأحرف السبعة (٦٥).

(٢) وتتميمًا للفائدة تجدر الإشارة إلى أن القراءات السبع أو العشر الموجودة الآن مشتملة على معظم تلك الحروف السبعة، وهي مشتملة على جميع الأحرف التي أثبتت في العرضة الأخيرة. (انظر: النشر لابن الجزري ١/١٤)، ولكن هل استقر ذلك في حياة النبي ﷺ أم بعد وفاته بإجماع من الصحابة؟ قال القرطبي: والأكثر على الأول، واختاره القاضي أبو بكر بن الطيب وابن عبد البر وابن العربي وغيرهم، ورأوا أن ضرورة اختلاف لغات العرب ومشقة نطقهم بغير لغتهم اقتضت التوسعة عليهم في أول الأمر... إلى أن انضبط الأمر في آخر العهد وتدرجت الألسن وتمكن الناس من الاقتصار على الطريقة الواحدة، فعارض جبريل النبي ﷺ القرآن مرتين في السنة الأخيرة، واستقر على ما هو عليه الآن... فنسخ الله سبحانه تلك القراءة المأذون فيها بما أوجبه من الاقتصار على هذه القراءة... نقل قوله الإمام الزركشي في البرهان (٣٠٤/١)، وأشار المحقق إلى تفسير القرطبي، ولم أجده بعد البحث والتأمل.

المطلب الثالث

نزول القرآن على سبعة أحرف

نزل القرآن على سبعة أحرف بعد مهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ففي حديث أبي بن كعب<sup>(١)</sup> ذكر لمكان قصة نزول الأحرف السبعة، وأن ذلك كان بالمدينة النبوية بعد مهاجره إليها.

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار، قال: فاتاه جبريل عليه السلام. الحديث<sup>(٢)</sup>.

والأضاة بوزن الحصاة وهو الغدير؛ موضع بالمدينة<sup>(٣)</sup>.

بل وورد تحديد المكان من المدينة، فعن حذيفة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لَقِيتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ أَحْجَارِ الْمِرَاءِ فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ إِنِّي أُرْسِلْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمَّيَّةٍ...) وفيه: (إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ)<sup>(٤)</sup>.

وأحجار الميراء بقاء<sup>(٥)</sup>.

(١) هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري، أبو المنذر أو أبو الطفيل، سيد القراء، وكان من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدرًا وما بعدها، قيل: هو أول من كتب للنبي ﷺ، توفي سنة ٢٠هـ وقيل: ١٩هـ. وقال عمر بن الخطاب لما مات: مات اليوم سيد المسلمين. انظر: الإصابة (٢٧/١).

(٢) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٢٣٩).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥٥/١)، مشارق الأنوار (١٣٣/١)، فتح الباري (٣٦/٩).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند، وقد سبق تخريجه ص (٢٣٥).

(٥) قاله مجاهد، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٣٥٥/٢)، لسان العرب (٨/٢٦٧)، خلاصة الوفاء (٥٤٤/٢).

بل قيل: إن نزول القرآن على سبعة أحرف كان بعد فتح مكة حيث إن إسلام هشام بن حكيم<sup>(١)</sup> بعد الفتح<sup>(٢)</sup>، وسورة الفرقان التي اختلف فيها مع عمر رضي الله عنه مكية، وإنه من المستبعد أن يكون نزول القرآن على سبعة أحرف قبل فتح مكة دون أن يعلم عمر رضي الله عنه ذلك وهو في دار الهجرة، كما يستبعد أن يكون هذا التنزيل قبل الفتح دون أن يثير ما أثاره بين عمر وهشام رضي الله عنهما وغيرهما<sup>(٣)</sup>.

فالحال في العهد المكي لا تستدعي تعدد الأحرف، ولكن بعد هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأصبحت مركز الإسلام، ومأرز الإيمان، بدأ القوم يهاجرون إليها فاجتمع فيها أصناف من قبائل العرب... وشُرع حينها جهاد الكفار والمشركين فبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فأصبح من الصعوبة بمكان أن يقرأ أولئك القوم القرآن بلغة قريش، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه التخفيف والتيسير على أمته، وحصلت الإجابة بنزول جبريل ومعه ميكائيل كما ورد تفصيل ذلك في سنن النسائي<sup>(٤)</sup> عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: ما حاك في صدري منذ أسلمت إلا أنني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي فقلت: أقرأنيها رسول صلى الله عليه وسلم ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله أقرأني آية كذا وكذا، قال: (نعم) وقال الآخر: ألم تقرني آية كذا وكذا، قال: (نعم)؛ إِنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَتَيَانِي فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَن يَمِينِي وَمِيكَائِيلُ عَن يَسَارِي

(١) هشام بن حكيم بن حزام القرشي الأسدي، أسلم يوم الفتح ومات قبل أبيه، قيل: استشهد بأجنادين، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم، انظر: الاستيعاب (٤/ ١٥٣٩)، الإصابة (٦/ ٥٣٨).

(٢) انظر: فتح الباري (٩/ ٣٢ - ٣٣).

(٣) انظر: الأحرف القرآنية السبعة للدكتور المطرودي (١٩ - ٢٠).

(٤) رواه النسائي (١٣٢) ح [٩٤٢]، وأحمد في المسند [٢١١٣٦]، والنسائي في الكبرى (١/ ٤٨٥) [١٠١٥]، وصححه ابن حبان في صحيحه [٧٣٧]، وقال محقق المسند: «إسناده على شرط الشيخين» (٣٥/ ٦٩).

فَقَالَ جِبْرِيلُ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ: بَلِ اسْتَزِدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ فَكُلُّ حَرْفٍ شَافٍ كَافٍ).

\* \* \*

المَبْحَثُ الخَامِسُ

المكي والمدني





## المَبْحَثُ الخَامِسُ

### المكي والمدني

#### مدخل:

ما سبق من علوم متعلق بجانب الزمان، وأما علم المكي والمدني فمتعلق بالمكان مما يوحيه (العنوان)، إلا أنه تحت مظلة النزول، وُحِدَ بالزمان - أيضًا - على الصحيح في تحديد الضابط بين المكي والمدني، وهو: أن ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني<sup>(١)</sup>. وهو من أشرف العلوم وأهمها؛ ولذا صدره الإمام السيوطي مقدمة علومه الثمانين، قال ابن حبيب النيسابوري<sup>(٢)</sup>: «من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيبها ما نزل بمكة والمدينة وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي... ثم قال: من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: البرهان (٢٧٣/١)، الإتقان (٤٥/١)، مناهل العرفان (١٩٥/١ - ١٩٦)، المدخل (١٩٩)، وقيل: «ما نزل بمكة فهو مكي وما نزل بالمدينة فهو مدني باعتبار المكان، وقيل: ما كان خطاباً لأهل مكة فهو مكي وما كان خطاباً لأهل المدينة فهو مدني باعتبار الخطاب» (انظر: المراجع السابقة) وأشهرها وأضبطلها ما أثبتته والله أعلم. انظر: المكي والمدني في القرآن الكريم للدكتور: الشايع (٧ - ١٧)، والمكي والمدني في القرآن الكريم للدكتور: عبد الرزاق حسين (٤٢/١ - ٤٥).

(٢) هو: أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، المفسر الواعظ، وصنف في التفسير والأدب، توفي سنة ٤٠٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣٧/١٧)، طبقات المفسرين للداودي (١٤٠).

(٣) التنبيه على فضل علوم القرآن (٣٠٧).

فيه يستعان على تفسير القرآن ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وتأريخ التشريع الإسلامي وغير ذلك<sup>(١)(٢)</sup>.

### هل ورد نص نبوي في هذا العلم؟

لم يرد نص من المعصوم على أن هذه الآية أو الآيات نزلت بمكة أو (مكية)، وأيضاً بالمدينة أو (مدنية) إلا ما روي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أُنزِلَ الْقُرْآنُ فِي ثَلَاثَةِ أَمَاكِنَ: مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالشَّامَ)<sup>(٣)</sup> وإسناده ضعيف.

وأيضاً يرد عليه ما صح نزوله في غير هذه المواضع؛ كالجحفة والطائف<sup>(٤)</sup> وغيرهما.

وقد التمس العلماء الحكمة من عدم ورود ذلك عن المصطفى ﷺ فقيل: إن النبي ﷺ لم يُؤمر به<sup>(٥)</sup>. وقيل: للإشارة إلى أن المقام مقام اجتهاد وتحري<sup>(٦)</sup>.

- (١) انظر: مناهل العرفان (١٩٧/١)، المدخل (١٩٧ - ١٩٨)، المكي والمدني للشايح (٢٣)، والمكي والمدني عبد الرزاق حسين (١٣٤/١ - ١٤١).
- (٢) من الكتب المتخصصة في هذا العلم: المكي والمدني في القرآن. محمد الشايح، المكي والمدني في القرآن الكريم. عبد الرزاق حسين.
- (٣) رواه الطبراني في الكبير (١٧١/٨) [٧٧١٧]، وقال الهيثمي في المجمع: «وفيه عُفير بن معدان وهو ضعيف» (١٥٧/٧). وقال ابن حجر: «عفير بن معدان ضعيف» (٣٣٣).
- (٤) ومن ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٣٠٢٦/٩) عن الضحاك قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه ﴿إِنَّ أَلْيَی فَرَضَ عَلَیْكَ الْقُرْآنَ لِرَأْسِكَ إِلَی مَعَاذٍ﴾ [القصص: ٨٥] (إلى مكة) قال ابن حجر: «وإسناده لا بأس به» (فتح الباري ٦٤٧/٨)، وأيضاً ما أخرجه البخاري عن كعب بن عجرة أنه قال: وقفت على رسول الله ﷺ بالحديبية ورأسي يتهافت قملاً فقال: (يُؤذِيكَ هَوَامُكَ؟) قلت: نعم، قال: (فَاخْلُقْ رَأْسَكَ) أو قال: (اخْلُقْ) قال: في نزلت هذه الآية ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ حَرِيصًا أَوْ يَوْمًا أَدَى مِنْ رَأْسِهِ﴾ الآية [البقرة: ١٩٦] (٣٥٩) [١٨١٥]. وقد سبق ذكر مثال ما نزل في غزوة تبوك وهي سورة المنافقون.
- (٥) قاله الباقلاني في الانتصار (٢٦٤/١).
- (٦) قاله ابن العربي في الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم (٩/٢).

وقيل: إن المسلمين في زمان النبي ﷺ لم يكونوا في حاجة إلى بيان منه ﷺ؛ لأنهم يشاهدون الوحي والتنزيل ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عياناً<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

ولكن تنبغي الإشارة إلى أن النبي ﷺ وإن لم يصرح بمكية الآيات أو مدنيها إلا أنه كان يعلم أماكن نزوله، ومتى نزل، وأين نزل وترتيبها، ويوليها عنايته واستحضاره، ولا أدل على ذلك من قوله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: (يَا عُمَرُ أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ النَّبِيِّ فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ؟!)<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال الأحاديث النبوية يمكن أن يُستدل على مكية أو مدنية الآية أو الآيات ببعض الأدلة والقرائن، ومن ذلك:

### أولاً: الاستدلال بتاريخ الواقعة:

كما في حادثة الإفك، وكانت في سنة ست من الهجرة<sup>(٣)</sup>.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب... وفيه: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل ما ينزل عليه. الحديث<sup>(٤)</sup>.

فيستدل بتاريخ الواقعة على أن الآيات العشر في سورة النور آيات مدنية بلا شك، والأصل أن السورة تكون آياتها كلها مكية، أو كلها مدنية<sup>(٥)</sup>.

(١) قاله الزرقاني في مناهل العرفان (١/١٩٦).

(٢) رواه مسلم (٢٢٨) ح [١٢٥٨].

(٣) انظر: فتح الباري (٨/٥٨١)، الرحيق المختوم (٣٢٥).

(٤) رواه البخاري، وقد سبق تخريجه ص (١٧٧).

(٥) انظر: المكي والمدني لحسين عبد الرزاق (١/١٤٨)، يقول رشيد رضا في تفسيره: =

وكما في حادثة نزول آية الحجاب فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزینب بنت جحش قال: وكان تزوجها بالمدينة فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار فجلس رسول الله ﷺ وجلس معه رجال بعدما قام القوم، حتى قام رسول الله ﷺ فمشى فمشيت معه حتى بلغ باب حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع فرجعت الثانية حتى بلغ حجرة عائشة، فرجع فرجعت فإذا هم قد قاموا فضرب بيني وبينه بالستر، وأنزل الله آية الحجاب<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الاستدلال بمكان الحادثة:

روى زيد بن أسلم عن أبيه رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل في قرآن فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال: (لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ اللَّيْلَةَ سُورَةً لَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) ثم قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]<sup>(٢)</sup>.

وورد التنصيص على مكان الواقعة، كما في المسند<sup>(٣)</sup> وفيه:

= «لما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل، فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند، صريحة المتن، سالمة من المعارضة والاحتمال» (٢٣٧/٧).

(١) رواه البخاري (١١٧٢) ح [٥٤٦٦]، مسلم (٦٠٢) ح [٣٥٠٢].

(٢) رواه البخاري (٨٦١) ح [٤١٧٧].

(٣) [١٨٩١٠]، وقال محققه: «إسناده حسن» (٢٢٠/٣١).

حتى إذا كان بين مكة والمدينة وسط الطريق فنزلت سورة الفتح. ومن الأمثلة كذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي... وفيه: فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم<sup>(١)</sup>.

والبيداء وذات الجيش موضعان قريبان من المدينة<sup>(٢)</sup>، فمن خلال معرفة مكان الحادثة يحكم على الآية أو الآيات بأنها مكية أو مدنية.

**ثالثاً: الاستدلال بسرد القصة على مكية الآية أو مدنيتهما:**

عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (جَاوَرْتُ بِحِجْرٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيْتُ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا فَاتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَنُّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا) قال: (فَدَنُّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا) قال: (فَنَزَلَتْ: ﴿يَأَيُّهَا الْمَدِينُ ۗ قُرْ فَأَنْذِرْ ۗ﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿[المدثر: ١ - ٣]﴾<sup>(٣)</sup>.

فيحكم على الآيات أنها نزلت بمكة.

**رابعاً: الاستدلال بأوائل ما نزل فهو مكي قطعاً:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم

(١) رواه البخاري (٩٥٥) ح[٤٦٠٧]، ومسلم (١٥٧) ح[٨١٦].  
(٢) والبيداء: هو الشرف الذي قدام ذي الحليفة من طريق مكة (خلاصة الوفا ٥٦٧/٢)، وذات الجيش: على بريد من المدينة بينها وبين العقيق ميلان وقيل: خمسة... (مشارك الأنوار ١/١٩٩)، قال النووي: «موضعان بين المدينة وخيبر» (المنهاج ٤/٤٦).  
(٣) متفق عليه، وقد سبق تخريجه ص(١٩٣).

حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد الليالي - ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: (اقْرَأْ) قَالَ: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ) قَالَ: (فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّلَاثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١ - ٣] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده... (١).

أو بأواخر ما نزل فهو مدني، كما في الحديث المرسل عن عطية بن قيس قال: قال ﷺ: (الْمَائِدَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ تَنْزِيلًا فَأَحِلُّوا حَلَالَهَا وَحَرَّمُوا حَرَامَهَا) (٢).

خامساً: الاستدلال على من نزلت فيهم الآية أو الآيات، أو المخاطبون بالآية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءٍ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظَهُرُوا﴾) قال: (كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْمَاءِ فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ) (٣).  
فالآية إذن نزلت بالمدينة.

(١) متفق عليه، وقد سبق تخريجه ص (١٦٣).

(٢) رواه أبو عبيد في الفضائل (١٢٨) مرسلًا، وانظر: الدر المنثور (١٥٠/٥)، وفي تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي قال: لم أجده مرفوعًا، وإنما وجدته موقوفًا (١/٣٧٧)، قلت: والموقوف رواه الترمذي في جامعه عن ابن عمرو بن العاص قال عنه الترمذي: «حديث حسن صحيح» [٣٠٣٦].

(٣) سبق تخريجه ص (٢٢٧).

ومما يلحق بعلم المكي والمدني:

### أولاً: النهاري والليلي:

وأكثر القرآن نزل نهاراً<sup>(١)</sup>، ومن أمثلته:

ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي... وفيه: حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم...<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عروساً بزینب بنت جحش، وكان تزوجها بالمدينة، فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار... وفيه: وأنزل الله آية الحجاب<sup>(٣)</sup>.

ومن أمثلة الليلي ما رواه عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (الْم تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١])<sup>(٤)</sup>.

وأيضاً ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه وفيه: (لَقَدْ أَنْزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةَ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ)، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١])<sup>(٥)</sup>.

ومما سبق يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينص على ما نزل عليه (ليلاً) دون غيره، ولعل السبب في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم يكون بين ظهراني أصحابه في النهار فلا يخفى عليهم شيء من شأنه وأمره، بخلاف الليل فإنه يكون في بيوت نسائه فلا يرونه أو يجالسونه فإذا أصبح أخبرهم بنزول الوحي أو غيره، والله أعلم.

(١) انظر: البرهان (١/٢٧٦)، الإتيان (١/١٣٧).

(٢) سبق تخريجه ص (٢٥٩).

(٣) سبق تخريجه ص (٢٦٠).

(٤) رواه مسلم (٣٢٨) [١٨١٩].

(٥) سبق تخريجه ص (٢٦٠).

### ثانيًا: الحضري والسفري:

ومن أمثلة الحضري قصة نزول آيات حادثة الإفك، ونزول آية الحجاب - وقد سبق ذكرهما - ومن الأمثلة كذلك قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه وفيه: «فأنزل الله توبتنا على نبيِّه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الآخر من الليل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة...»<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة السفري ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار فنزلت: ﴿وَأَلْمَسْتَ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] فإنا لتلقاها من فيه إذ خرجت حية من جحرها فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا فدخلت جحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَقِيَّتْ شَرُّكُمْ كَمَا وَقِيَّتُمْ شَرَّهَا)<sup>(٢)</sup>. وأيضًا قصة نزول آية التيمم - وقد سبق ذكرها -<sup>(٣)</sup>.

والحضري أكثر من السفري<sup>(٤)</sup>؛ لأن الأصل هو بقاء النبي صلى الله عليه وسلم في مكة أو المدينة بعد الهجرة، والسفر يكون لأمر عارض.

### ثالثًا: الصيفي والشتائي:

ومن أمثلة الصيفي، قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (يَا عُمَرُ أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ)<sup>(٥)</sup>. والشتائي قصة الإفك، وفيها: «حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه...»<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه البخاري (٩٧٤) [٤٦٧٧]، ومسلم (١٢٠٠) [٧٠١٦].

(٢) رواه البخاري (١٠٩٥) [٤٩٣١]، قال ابن حجر: «في رواية جرير (في غار) ووقع في رواية حفص بن غياث كما سيأتي (بمنى) وهذا أصح مما أخرجه الطبراني في الأوسط...» (الفتح ٨/٨٧٦).

(٣) وانظر مزيدًا من الأمثلة: في الإتيان (١٤/١ - ١٣٦)، الزيادة والإحسان (١/٢٧٤ - ٢٨٢).

(٤) انظر: الإتيان (١/١١٤). (٥) سبق تخريجه ص (٢٥٩).

(٦) سبق تخريجه ص (١٧٧).



## رابعاً: الفراشي:

ومن أمثلته ما روته أم سلمة رضي الله عنها في قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه، وفيها: فأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الآخر من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة، وكانت أم سلمة محسنة في شأني معنية في أمري، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَا أُمَّ سَلَمَةَ تَيْبَ عَلَيَّ كَعْبُ) قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره قال: (إِذْنُ يَحْطِمُكُمُ النَّاسُ، فَيَمْنَعُونَكُمُ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلِ) حتى إذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا. الحديث<sup>(١)</sup>.

ويشكل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حق عائشة رضي الله عنها: (مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافٍ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرَهَا)<sup>(٢)</sup>.

قال البلقيني: «ولعل هذا كان قبل القصة التي نزل الوحي فيها في فراش أم سلمة»<sup>(٣)</sup>، قال السيوطي: «ظفرت بما يؤخذ منه جواب أحسن من هذا فروى أبو يعلى في «مسنده» عن عائشة رضي الله عنها قالت: أعطيت تسعاً... وفيه: وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فينصرفون عنه، وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه...»<sup>(٤)</sup> وعلى هذا فلا معارضة بين الحديثين كما لا يخفى...»<sup>(٥)</sup>.

## خامساً: الأرضي والسماوي:

جميع القرآن أرضي؛ أي: أن جبريل عليه السلام نزل به على النبي صلى الله عليه وسلم،

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩٧٤) ح[٤٦٧٧]، ومسلم (١٢٠٠) ح[٧٠١٦].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧٧٢) ح[٣٧٧٥].

(٣) انظر: الإتيان (١/١٥٢).

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده [٤٦٢٦] (٨/٩٠)، قال الهيثمي في المجمع: «وفي إسناد

أبي يعلى من لم أعرفهم» (٩/٢٤١).

(٥) الإتيان (١/١٥٢ - ١٥٣).

يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا لِنزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣]، قال القرطبي: «وهذا يقتضي جميع القرآن»<sup>(١)</sup> والنزول يكون من الأعلى إلى الأسفل.

أما ما يمكن أن يستدل به على أن من القرآن ما تلقاه النبي ﷺ في السماء ما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه: «وأعطي خواتيم سورة البقرة...»<sup>(٢)</sup>.

ولكن يجاب عن ذلك بأن المراد إعطاؤه ﷺ إجابة الدعوات التي اشتملت عليها الآيات<sup>(٣)</sup>، أو أعطي البشارة بهما وبما تضمنته من وضع الإصر والأغلال على من كان قبلهم، ويعضد هذا ما اتفق عليه من أن جميع سورة البقرة مدنية، قال الحافظ ابن كثير: «والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف»<sup>(٤)</sup>. وقال ابن حجر: «واتفقوا على أنها - سورة البقرة - مدنية»<sup>(٥)</sup>؛ بل حكى ابن العربي الإجماع على مدنيتها<sup>(٦)</sup>. وقال السندي<sup>(٧)</sup>: «كأن المراد أنه قرر له إعطاءها، وأنها ستنزل عليه، وقيل له: هذه ستنزل عليك ونحوه»<sup>(٨)</sup>، والله أعلم.



(١) التذكار في أفضل الأذكار (٢٢٩).

(٢) سبق تخريجه ص (١٩٧).

(٣) انظر: تحفة الأحوذى (١١٦/٩)، مرقاة المفاتيح (٥٦٩/١٠).

(٤) تفسير ابن كثير (١٥٥/١). (٥) فتح الباري (٢٠١/٨).

(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم (٩/٢).

(٧) هو: أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي التتوي السندي المدني الحنفي، صاحب المؤلفات النافعة ومنها: «حاشية على مسند الإمام أحمد وحاشية على صحيح البخاري»، و«حاشية على سنن النسائي» وغيرها، توفي سنة ١١٣٦ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢٥٣/٦).

(٨) حاشية السندي على سنن النسائي (٢٢٤/١)، وانظر: فتح الملهم في شرح صحيح مسلم لبشير العثماني (١٩/٢).

## الفصل الثالث

### علوم القرآن المتعلقة بضبط القرآن

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: جمع القرآن.

المبحث الثاني: سور القرآن.

المبحث الثالث: آيات القرآن.

المبحث الرابع: أسماء القرآن وأوصافه.



## أَلْفَصْلُ الثَّلَاثُ

### علوم القرآن المتعلقة بضبط القرآن

مدخل:

بعد أن سبق ذكر العلوم المتعلقة بنزول القرآن من الوحي وأحواله، ونزول القرآن وأسبابه، والمكي والمدني، تأتي تباعاً العلوم المتعلقة بضبط القرآن، فهي مرحلة تالية لنزول القرآن الكريم.

وقد تعددت وسائل ضبط القرآن، إلا أن أهمها حفظه في الصدور وهي خصيصة هذه الأمة، ثم حفظه في السطور، وجمعه مرتب الآي والسور على وجه معجز، وترتيب باهر، أعجز البلغاء والفصحاء، وقهر الأعداء، ولا غرو فهو وحي رباني، ونظام إلهي...

ومن مظاهر ضبط القرآن تسميته بأسماء تكشف عن حقيقته وكنهه، وتدل على إرشاده وبركته، وتبين صدقه وحدوده، وذلك بأسماء وأوصاف سماها ووصفها أعرف الخلق بكتاب الخالق جلّ في علاه.

والعلوم المتعلقة بضبط القرآن الكريم هي: (جمع القرآن، سور القرآن، آيات القرآن، أسماء القرآن وأوصافه).





## المَبَحْثُ الْأَوَّلُ

### جمع القرآن

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: جمعه في الصدور.
- المطلب الثاني: جمعه في السطور.
- المطلب الثالث: كُتَّابُه.
- المطلب الرابع: إقراء القرآن الكريم.





## الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

### جمع القرآن

مدخل:

(جمع) أصل واحد يدل على تضام الشيء، يقال: جمعت الشيء جمعاً<sup>(١)</sup>.

وجمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعاً وجمّعه وأجمعه فاجتمع<sup>(٢)</sup>.  
وقد أنزل الله ﷻ كتابه الكريم معجزاً للبشرية، وحاوياً لكل ما فيه صلاحهم في الدين والدنيا، ومن رحمته سبحانه أن جعله خالداً لا يتغير مع مرّ السنين، أو تغير الأزمان، فهو مَعِينٌ لا ينضب، وموردٌ لا ينقطع، مهما نال منه المغرضون، أو ألحد فيه الملحدون، قال جلّ ذكره: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فكفى به ضماناً، وليس بعده متعقب.

ومن مظاهر حفظ القرآن الكريم جمعه في السطور ومن قبله في الصدور، وإقراؤه للناس وتعليمهم إياه، الصغير قبل الكبير، والعالم والجاهل...، وهي سُنَّةٌ سنّها خير المرسلين ﷺ واستمرت وستبقى إلى يوم الدين<sup>(٣)</sup>.

(١) مقاييس اللغة (جمع) (٢٠٧).

(٢) انظر: لسان العرب (٢/٢٠٠)، مختار الصحاح (جمع) (١١٠).

(٣) من المؤلفات في هذا العلم: «جمع القرآن في مراحل التاريخيه» (رسالة علمية) للباحث: محمد أبو زيد، مجموعة من البحوث العلمية المطروحة في الندوة العلمية =

## المطلب الأول

## جمعه في الصدور

نزل الكتاب العزيز على هذه الأمة ميسراً، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وشرع لهم حفظه كما ورد في صفة هذه الأمة: (وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ يَأْتِرُونَ عَلَيَّ أَنْصَافِهِمْ وَيُوضُونَ أَطْرَافَهُمْ، أَنَا جِبِلُّهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، يَصُفُّونَ لِلصَّلَاةِ كَمَا يَصُفُّونَ لِلْقِتَالِ)<sup>(١)</sup> الحديث.

بل ورتب عليه الأجور العظيمة، بالمكانة السامية في الدنيا، والدرجات العالية في الآخرة؛ إذ هو الأساس وعليه الاعتماد، وما بعده مكمل له، كما روى عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ... ) وفيه: (إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانُ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

= بعنوان: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه، المقامة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، إقرأ القرآن الكريم منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه للباحث: دخيل الدخيل.

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨٩/١٠) [١٠٠٤٦] وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٧٢/٨) حيث قال: «سنان بن الحارث - أحد الرواة - ترجم له ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، فهو مجهول الحال، ومن دونه لم أعرفهم».

(٢) رواه مسلم (١٢٤١) ح [٧٢٠٧].

قال ابن الجزري<sup>(١)</sup>: «ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على خط المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة... فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرأ في كل حال...»<sup>(٢)</sup>.

وقد أخبر الله في كتابه أن صدور أهل العلم قد استوعبت هذا القرآن وحفظته، كما قال سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْكُدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]؛ والكلام على حفظه وجمعه في الصدور يتناول وجوهاً:

### أولاً: حفظ النبي ﷺ للقرآن:

وقد حفظه النبي ﷺ كاملاً عن ظهر قلب، واجتهد في إتقانه وضبطه كما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَجَلَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما... فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَجَلَ بِهِ﴾ [١٦] إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. قال: جمعه له في صدرك وتقرؤه ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْهُ بِرَأْسِهِ﴾ قال: فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩]، ثم إن علينا أن تقرأه فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه<sup>(٣)</sup>.

(١) هو: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري، يكنى بأبي يوسف، كان حافظاً قارئاً محدثاً، ومن مصنفاته: «النشر في القراءات العشر»، «تحرير التيسير» وغيرهما، توفي سنة ٨٣٣هـ. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (٥٤١)، طبقات المفسرين للداودي (٣٢٠).

(٢) النشر (١٢/١ - ١٣).

(٣) رواه البخاري (١) ح [٥]، ومسلم (١٨٨) ح [١٠٠٤].

وأيضاً كان يمليه على الصحابة، ويقرئهم الآيات التي نزلت، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة وسبعين سورة. الحديث<sup>(١)</sup>، مع استحضار أنه صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ، وكان يؤم أصحابه رضي الله عنهم وهو القائل: (يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

وكذلك أن الله سبحانه لا يختار لخليله وصفيه من خلقه إلا كل ما هو أفضل وأجل وأكمل، وهو الموافق لقوله تعالى: ﴿سَتَقْرَبُكَ فَلَا تَنسَى﴾ [الأعلى: ٦] قال ابن عطية: «وَعَدَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَقْرَأَهُ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَا يَنْسَى نَسْيَانًا لَا يَكُونُ بَعْدَهُ تَذَكُّرٌ فَيُذْهِبُ الْآيَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَحْرُكُ شَفْتَيْهِ مَبَادِرَةً خَوْفًا مِنْهُ أَنْ يَنْسَى، وَفِي هَذَا التَّأْوِيلِ آيَةٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي أَنَّهُ أُمِّيٌّ وَحَفِظَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْوَحْيَ وَأَمَّنَهُ مِنْ نَسْيَانِهِ»<sup>(٣)</sup>.

ولقد كان لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، حيث أمرنا باقتفاء أثره، واتباع سنته، والسير على منهجه، ومن ذلك حفظ القرآن...

### ثانياً: فضله:

وردت أحاديث نبوية تبين فضل حفظ القرآن في الصدور، ومن

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٠٨٨) ح[٥٠٠٠].

(٢) رواه مسلم (٢٧١) ح[١٥٢٩].

(٣) وهو معنى قول قتادة ومالك بن أنس، المحرر الوجيز (٥٩١/٨)، ومعنى الاستثناء أن بعض القرآن ينساه النبي صلى الله عليه وسلم إذا شاء الله أن ينساه؛ كمنسوخ التلاوة كآية الرجم، أو ما يعرض نسيانه للنبي صلى الله عليه وسلم نسياناً مؤقتاً؛ كشأن عوارض الحافظة البشرية ثم يقبض الله له من يذكره به، قال الإسماعيلي: «النسيان من النبي صلى الله عليه وسلم لشيء من القرآن يكون على قسمين، أحدهما: نسيانه الذي يتذكره عن قرب، وذلك قائم بالطباع البشرية... والثاني: أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته وهو المشار إليه بالاستثناء في قول تعالى: ﴿سَتَقْرَبُكَ فَلَا تَنسَى﴾ ٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ». انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٧٩/٨)، البحر المحیط (٦٤٥/٨)، فتح الباري (٩/١٠٧)، التحرير والتنوير (٢٨٠/٣٠).

ذلك الفضل الذي يناله الحافظ في الدنيا قبل الآخرة، فبه يغبطه الخلق ويتمنون منال ما ناله وحصل عليه، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيَتْ مِثْلُ مَا أُوتِيَ فَلَانَ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ) الحديث<sup>(١)</sup>.

قال الإمام النووي: «قال العلماء الحسد قسمان: حقيقي ومجازي؛ فالحقيقي تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة، وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث: لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما»<sup>(٢)</sup>.

وبيّن شيخ الإسلام أن وجه تسمية الحسد في هذا الحديث لأن «مبدأ هذا الحب هو نظره إلى إنعامه على الغير وكراهته أن يتفضل عليه، ولولا وجود ذلك الغير لم يحب ذلك، فلما كان مبدأ ذلك كراهته أن يتفضل عليه الغير كان حسداً؛ لأنه كراهة تتبعها محبة، وأما من أحب أن ينعم الله عليه مع عدم التفاته إلى أحوال الناس فهذا ليس عنده من الحسد شيء».

ولهذا يبغض غالب الناس بهذا القسم الثاني، وقد تسمى المنافسة فيتنافس الاثنان في الأمر المحبوب المطلوب كلاهما يطلب أن يأخذه وذلك لكراهية أحدهما أن يتفضل عليه الآخر، كما يكره المستبقان كل منهما أن يسبقه الآخر...»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (١٠٩٣) ح [٥٠٢٦]، ومسلم (٣٢٨) ح [١٨٩٤].

(٢) المنهاج (٤٢١/٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١١٢/١٠) وما بعدها.

ووصف بأنه صاحب للقرآن، مصاحب له متعلق به، لا يفارقه ولا يتخلى عنه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ...) <sup>(١)</sup>. وفي «صحيح مسلم» <sup>(٢)</sup>: (وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ).

(صاحب) تطلق على كل من ألف شيئاً واختص به؛ كأصحاب النبي ﷺ وأصحاب الجنة...؛ أي: ألف تلاوته وقراءته والعمل به وحفظه، وهو أعم من أن يألفها نظراً من المصحف، أو عن ظهر قلب، فإن الذي يداوم على ذلك يذل له لسانه ويسهل عليه قراءته فإذا هجره ثقلت عليه القراءة وشقت عليه... <sup>(٣)</sup>.

وأيضاً تشبيهه بصاحب الإبل وهي من أنفس الأموال عند العرب وأغلاها ثمناً، ومما يتفاخر بها عندهم، فيحرصون على رعايتها والاهتمام بها، وحفظها من كل ما يسوؤها ويضيعها.

ويقاربه وصفه بأنه حامل القرآن، كما روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ) <sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (١٠٩٤) ح [٥٠٣١]، ومسلم (٣١٩) ح [١٨٣٩].

(٢) رواه مسلم (٣٢٠) ح [١٨٤٠].

(٣) انظر: إكمال المعلم (١٥٦/٣)، فتح الباري (١٠٠/٩).

(٤) رواه أبو داود (٦٨٤) ح [٤٨٤٣]، والطبراني في الأوسط [٦٧٣٦]، وقال الهيثمي في المجمع (٢١٥/٥): «وفيه عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون وثقه ابن حبان... وضعفه أبو داود وغيره وبقية رجاله ثقات». قال ابن حجر: «عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون صدوق يخطئ» (التقريب ٢٨٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٨٩/٣).

فهو حامل له يحويه بين جنبيه، يقرؤه في كل حين لا يفارقه،  
رطب به لسانه.

بل وَوَصِّفُوا بِأَنَّهُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتْهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَوْلِيَاؤُهُ الْمُقْرَبُونَ  
منه، المختصون به اختصاص أهل الإنسان به<sup>(١)</sup>، المتبعون لأوامره،  
المجتنبون لنواهيه، وكفى بها صفة، وأنعم به من أهل، فعن أنس بن  
مالك رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ)، قالوا: يا رسول الله  
من هم؟ قال: (هُمُ أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ)<sup>(٢)</sup>.

ووصف حافظ القرآن بأنه حبر، والحبر - بالكسر أو الفتح - هو  
العالم<sup>(٣)</sup>، وذلك إذا حفظ السبع الطوال من القرآن، فما ظنك بمن حفظ  
القرآن كله أو أكثره، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ  
الْأَوَّلَ فَهُوَ حَبْرٌ)<sup>(٤)</sup>.

وجعل كذلك مهراً للزواج تعظيماً للحافظ، وفضلاً للحفظ، فعن  
سهل بن سعد رضي الله عنه: أن امرأةً جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله  
جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر إليها  
وصوبه ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست،  
فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة  
فزوجنيها... وفيه: ثم قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً فأمر به فدعي فلما  
جاء قال: (مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟) قال: معي سورة كذا وسورة كذا

(١) انظر: حاشية السندي على المسند (١٩١/٧).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٣٣) ح [٢١٥]، والإمام أحمد في مسنده (٢٩٦/١٩) [١٢٢٧٩]، والنسائي في الكبرى (٢٦٣/٧) [٧٩٧٧]. قال البوصيري في المصباح (٢٩/١): «إسناده صحيح». وقال محقق المسند: «إسناده حسن».

(٣) انظر: حاشية السندي على المسند (٢٢٧/١٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٥٠١/٤٠) [٢٤٤٤٣]، والحاكم في المستدرک (١/٧٥٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال محقق المسند: «إسناده حسن».

وسورة كذا عدما قال: (أَتَقْرَأُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ) قال: نعم، قال: **أَذْهَبَ فَقَدْ مَلَكَتْهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**<sup>(١)</sup>.

فكل تلك الأوصاف وجميع هذه الخلال، هي جزء مما يناله الحافظ للقرآن من الجزاء، مع ما ادخر الله له من الثواب في الآخرة، ومن ذلك:

أنه يعصم من أكبر فتنة على وجه الأرض، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ)<sup>(٢)</sup>.

ويجيء يوم القيامة شفيحاً لأصحابه الذين قرؤوه وحفظوه وعملوا به، كما أخبر بذلك المعصوم صلى الله عليه وسلم في قوله: (اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيحاً لِأَصْحَابِهِ اقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَابَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا) الحديث<sup>(٣)</sup>.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يَتَمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ كَانَ حَمَلَهُ، فَيَتَمَثَّلُ خَصْماً دُونَهُ)، قال: (فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَمَلْتَهُ إِيَّايَ فَشَرُّ حَامِلٍ، تَعَدَّى حُدُودِي وَضَيَّعَ فَرَائِضِي، (وَرَكِبَ) مَعْصِيَتِي، وَتَرَكَ طَاعَتِي، فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ عَلَيَّ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ: فَشَأْنُكَ بِهِ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ، مَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يَكْبَهُ عَلَى صَخْرَةٍ فِي النَّارِ، وَيُؤْتَى بِالْعَبْدِ الصَّالِحِ، قَدْ كَانَ حَمَلَهُ (فَحَفِظَ) أَمْرَهُ، فَيَتَمَثَّلُ خَصْماً دُونَهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَمَلْتَهُ إِيَّايَ فَكَانَ خَيْرَ حَامِلٍ، حَفِظَ حُدُودِي وَعَمِلَ بِفَرَائِضِي، وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي، وَعَمِلَ

(١) رواه البخاري (١١٠٤) ح [٥٠٨٧]، ومسلم (٥٩٨) ح [٣٤٨٧].

(٢) رواه مسلم (٣٢٦) ح [١٨٨٣]. (٣) رواه مسلم (٣٢٥) ح [١٨٧٤].



بِطَاعَتِي، وَمَا يَزَالُ يَقْدِفُ لَهُ بِالْحُجَجِ، حَتَّى يُقَالَ: شَأْنُكَ بِهِ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ، فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يَكْسُوهُ حُلَّةَ الْإِسْتَبْرَقِ، وَيَعْقِدَ عَلَيْهِ تَاجَ الْمَلِكِ، وَيَسْقِيَهُ كَأْسَ الْخَمْرِ<sup>(١)</sup>.

وأن منزلته في الجنة عند آخر آية يقرؤها، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتَلُّ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا)<sup>(٢)</sup>.

قال الخطابي: «جاء في الأثر عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، يقال للقارئ: اقرأ وارتق في الدرج، على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة»<sup>(٣)</sup>.

ويلبس تاج الكرامة ويحلى بحلية الكرامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكِرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكِرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقُ وَتُرَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً)<sup>(٤)</sup>.

(١) أورده ابن حجر في المطالب العالية (٣٨٢/١٤)، وقال: «إسناد حسن».

(٢) رواه أبو داود في سننه (٢١٨) ح [١٤٦٤]، والترمذي في جامعه (٦٥٥) ح [٢٩١٤]، وقال: «حديث حسن صحيح»، وأحمد في المسند (٤٠٤/١١) [١٧٩٩]، وقال محققه: «صحيح لغيره».

(٣) معالم السنن (٢٥١/١)، والأثر رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٠/٦) [٢٩٩٥٢] عن عائشة رضي الله عنها وفيه: إن عدد درج الجنة على عدد آي القرآن. وضعفه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة (٢٣٩/٥).

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٦٥٥) ح [٢٩١٥]، وقال: «حديث حسن صحيح»، والحاكم في المستدرک (٧٣٨/١)، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، والبيهقي في الشعب (١٧٢/٤) [١٨٤٢]، ورواه الترمذي - أيضاً - موقوفاً وقال: «وهذا أصح»، والدارمي في مسنده موقوفاً أيضاً (٢٠٨٧/٤) [٣٣٥٤]، قال محققه - حسين أسد -: =

فألهم اجعلنا من أهل القرآن الحافظين له العاملين به حتى ننال الدرجات العلى والنعيم المقيم، يا رب العالمين.

### ثالثاً: الحث على حفظه والترغيب فيه:

ما سبق من الأحاديث، فيها الحث على حفظ القرآن، حيث اشتملت على أعظم جزاء وأبلغ ثناء على الحفظ في الدنيا والآخرة... إلا أن هناك أحاديث أُخِرَ فيها الأمر بالحفظ، والحث عليه، والترغيب فيه.

ومن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ)<sup>(١)</sup>.

قال القاضي عياض: «يحتمل والله أعلم أنه له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة، لاتصافه بوصفهم بحمل كتاب الله، ويحتمل أن يكون المراد: أنه عامل بعمل السفرة وسالك مسلكهم، كما يقال: فلان مع بني فلان، إذا كان يرى رأيهم ويذهب مذهبهم»<sup>(٢)</sup> فأي حث، وأعظم ترغيب، من مرافقة الملائكة السفرة الكرام البررة.

وفي مقابل ذلك ورد التنفير من حال الذي ليس في جوفه شيء من القرآن، أو ربما قليل من القرآن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ)<sup>(٣)</sup>.

= إسناده حسن... وروي عن شعبة مرفوعاً وموقوفاً، ولكن زائدة قد تابع شعبة على رفعه، فالمرفوع إليه المصير، والله أعلم.

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٠٦٧) ح [٤٩٣٧]، ومسلم (٣٢٢) ح [١٨٦٢].

(٢) إكمال المعلم (١٦٦/٣).

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٢٩١٣) [٦٥٣]، وقال: «حديث حسن صحيح»، والإمام =

وذلك أن القرآن إذا كان في الجوف يكون عامراً مزيناً بحسب قلة ما فيه وكثرته، وإذا خلا عما لا بد منه يكون كالبيت الخرب الخالي عما يعمره من الأثاث والتجمل<sup>(١)</sup>.

بل ورد الأمر بوجوب أدنى الحفظ، وهو ما تصح به صلاة المرء، كما جاء في حديث المسيء صلته: أن النبي ﷺ قال: (إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

وهي سورة الفاتحة كما يفسره حديث: (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)<sup>(٣)</sup>.

#### رابعاً: مكانة حافظ القرآن:

أعلى الله سبحانه شأن حافظ القرآن، وأعلى مكانه، وفضله على كثير من خلقه، كما قال ﷺ في الحديث الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ)<sup>(٤)</sup>.

وقرن إكرامه بإجلال المولى جلّ في علاه، كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ)<sup>(٥)</sup>.

وقد أمر المصطفى ﷺ بتقديم الحافظ أو الأكثر حفظاً في أعظم

= أحمد في مسنده (٤١٩/٣) [١٩٤٧]، والحاكم وصححه (٧٤١/١)، وقال الذهبي: «رواه قابوس بن أبي ضبيان عن أبيه.. وقابوس ضعيف» (ذخيرة الحفاظ ١/٥٥٥)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٣٠٥).

(١) انظر: تحفة الأحوذى (١٨٦/٨).

(٢) رواه البخاري (١٥١) ح [٧٥٧]، ومسلم (١٦٨) ح [٨٨٥].

(٣) رواه البخاري (١٥١) ح [٧٥٦]، ومسلم (١٦٧) ح [٨٧٤].

(٤) رواه مسلم (٣٢٩) ح [١٨٩٧]. (٥) سبق تخريجه ص (٢٧٨).

فريضة من فرائض الإسلام، أسوة به واقتداء بسنته، ففي الحديث: (يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً...) الحديث<sup>(١)</sup>، وفي الحديث الآخر: (.. فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا) الحديث<sup>(٢)</sup>.

هذه مكانة الحافظ في الدنيا، مع ما ينتظره من عظم الجزاء في الآخرة...

ومن ذلك تقديمه في اللحد، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: (أَيُّهُمُ أَكْثَرُ أَخَذًا لِلْقُرْآنِ) فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد. الحديث<sup>(٣)</sup>.

ورفعة الدرجات في الجنة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ وَارْقُ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتَلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تَقْرؤها) <sup>(٤)</sup>.

ويلبس تاج الكرامة، وحلة الكرامة، كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ) الحديث<sup>(٥)</sup>.

بل ويتعدى ذلك إلى والدي الحافظ ف (يُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَتَّوَمُّ لَهُمَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا فَيَقُولَانِ: يَا رَبِّ أَنَّى لَنَا هَذَا؟ فَيَقَالُ لَهُمَا: بِتَعْلِيمِ

(١) رواه مسلم (٢٧١) ح [١٥٢٩].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨٨٤) ح [٤٣٠٢]، وفي رواية أبي داود: (أَكْثَرُكُمْ جَمْعًا لِلْقُرْآنِ).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢٦٤) ح [١٣٤٣].

(٤) سبق تخريجه ص (٢٨١). (٥) سبق تخريجه ص (٢٨١).

وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ) الحديث<sup>(١)</sup>.

خامساً: حُفَاطُ الصَّحَابَةِ:

سارع الصحابة رضي الله عنهم - السباقون إلى كل خير، الحريصون على كل فضيلة - وهم يسمعون رسولهم صلى الله عليه وسلم وهو يذكر بين الفينة والأخرى الحث على حفظه، وفضل حافظ القرآن، ومكانته في الدنيا والآخرة... إلى حفظ القرآن وتلاوته آتاء الليل وأطراف النهار، حتى حفظه خلق كثير من الصحابة، يدل على ذلك أن نفرًا جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ابعث معنا رجالًا يعلمونا القرآن والسنة فبعث إليهم سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ: الْقُرَّاءُ. الحديث<sup>(٢)</sup>.

وقوله صلى الله عليه وسلم في مدحه للأشعريين: (إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفَقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ) الحديث<sup>(٣)</sup>.

وعلى رأس الحفظة خير الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتقديمه في الصلاة إبان مرض موته، وهو القائل: (يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ...) <sup>(٤)</sup>.

وأمر صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن من أربعة، فقال عليه الصلاة والسلام: (خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ؛ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (فَبَدَأَ بِهِ)، وَسَالِمِ مَوْلَى

(١) رواه الدارمي في مسنده (٢١٣٦/٤) [٣٤٣٤]، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٧)، والطبراني في الأوسط (٥٧٦٤)، وقال ابن حجر: «إسناده حسن» (المطالب العالية ٣٢٥/١٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٩٨) ح[١٠٠٢] وفيه: زهاء سبعين، ومسلم (٨٥١) ح[٤٩١٧].

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨٧٢) ح[٤٢٣٢]، ومسلم (١١٠٠) ح[٦٤٠٧].

(٤) سبق تخريجه ص(٢٧٦).

أَبِي حُدَيْفَةَ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ) متفق عليه (١).

وليس المراد هم من حَفِظَ الْقُرْآنَ فحسب، بل حَفِظَهُ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ: الْأَمْرُ بِالْأَخْذِ عَنْهُمْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي صَدَرَ فِيهِ ذَلِكَ الْقَوْلُ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَلَّا يَكُونَ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ شَارِكُهُمْ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ، بَلْ كَانَ الَّذِي يَحْفَظُونَ مِثْلَ الَّذِي حَفِظُوهُ بَلْ وَأَزِيدٌ، وَيَحْتَمَلُ: أَنَّهُ ﷺ أَرَادَ الْإِعْلَامَ بِمَا يَكُونُ بَعْدَهُ؛ أَي: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ يَبْقُونَ حَتَّى يَنْفَرُوا بِذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ يَرِدُ عَلَيْهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْفَرُوا بَلِ الَّذِينَ مَهَرُوا فِي تَجْوِيدِ الْقُرْآنِ بَعْدَ الْعَصْرِ النَّبَوِيِّ أَعْوَافَ الْمَذْكُورِينَ (٢).

سادساً: الأمر بمراجعة القرآن وتعاهده:

وَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ يَسِيرًا حَفِظَهُ، مَعَانًا حَافِظَهُ، إِلَّا أَنَّهُ مَأْمُورٌ بِمُرَاجَعَتِهِ وَتَعَاهُدِهِ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ قَالَ ﷺ: (تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهَوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ مِنَ عُقْلِهَا) (٣).

وَقَالَ ﷺ: (إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمَعْقَلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ) (٤).

فَمِثْلُهُ بِصَاحِبِ الْإِبِلِ الْمَعْقَلَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِبِلَ أَشَدَّ الْحَيَوَانَاتِ الْإِنْسِيَّةِ نَفُورًا، وَفِي تَحْصِيلِهَا بَعْدَ اسْتِمَاكَانِ نَفُورِهَا صُعُوبَةٌ (٥)، بَلْ تَفَلَّتْ الْقُرْآنَ وَنَسِيَانَهُ بَعْدَ حَفِظِهِ وَإِتْقَانِهِ، أَشَدَّ مِنْ تَفَلَّتْ الْإِبِلَ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: (لَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ مِنَ عُقْلِهَا) (٦).

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧٧٩) ح [٣٨٠٨]، مسلم (١٠٨٣) ح [٦٣٣٤].

(٢) انظر: شرح الكرماني (٢٦/١٥)، فتح الباري (٦٠/٩)، الإتيقان (٤٥٩/٢).

(٣) رواه البخاري (١٠٩٤) ح [٥٠٣٣].

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١٠٩٤) ح [٥٠٣١]، ومسلم (٣١٩) ح [١٨٣٩].

(٥) انظر: فتح الباري (١٠٠/٩).

(٦) سبق تخريجه، وتفصيت من الأمر تفصيلاً: إذا خرجت منه وتخلصت (النهاية في غريب

الحديث ٤٥٥/٣).

ومن الوسائل المعينة على المراجعة وتعاهد القرآن، تلاوة المحفوظ وتكراره، وقراءته بالليل والنهار، والقيام به في الصلاة، كما في الحديث: (وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ)<sup>(١)</sup>.

وفي مصنف ابن أبي شيبة<sup>(٢)</sup> عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: قال رضي الله عنه: (تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاتْلُوهُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَسْرَعُ تَفْصِيًّا مِنْ قُلُوبِ الرَّجَالِ مِنَ النَّعَمِ مِنْ عُقْلِهَا).

وفي الحديث الطويل الذي رواه الدارمي في «مسنده»<sup>(٣)</sup>، وفيه: (... وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنَ الَّذِي أَظْمَأْتِكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ) الحديث.

وفي مقابل الحث على المراجعة وتعاهد القرآن، ورد التحذير من نسيان المحفوظ، والترهيب منه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رضي الله عنه: (بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ نَسِيْتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّي)<sup>(٤)</sup>.

وقد أطنب العلماء رحمهم الله في المراد بالذم<sup>(٥)</sup>، ولعل أقربها أن

(١) رواه مسلم (٣٢٠) ح [١٨٤٠].

(٢) (٥٠٨/٥) ح [٨٦٦٠]، وأحمد في المسند (٥٥٥/٢٨) [١٧٣١٧]، والنسائي في الكبرى (٢٦٦/٧) [٧٩٨١]، وقال محقق مصنف ابن أبي شيبة - محمد عوامة -: إسناده حسن. ورواه في موضع آخر بـ «تعلموا القرآن واقتنوه» (٤٥٤/١٥) [٣٠٦١٣]؛ أي: الزموا.

(٣) (٢١٣٥/٤) [٣٤٣٤] وغيره.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١٠٩٤) ح [٥٠٣٢]، ومسلم (٣٢٠) ح [١٨٤١].

(٥) انظر: شرح ابن بطال (٢٧٠/١٠)، فتح الباري (١٠١/٩)، إكمال المعلم (١٥٥/٣)، المنهاج (٤٠٦/٥).

سبب الذم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن؛ إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهد بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره، فإذا قال الإنسان: نسيت الآية الفلانية فكأنه شهد على نفسه بالتفريط، فيكون متعلق الذم ترك الاستذكار والتعاهد؛ لأنه الذي يورث النسيان... فالمراد ذم الحال لا ذم المقال<sup>(١)</sup>، وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (... وَعَرَضْتُ عَلَيَّ ذُنُوبَ أُمَّتِي فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أَوْتِيهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا)<sup>(٢)</sup>.

وورد التحذير - أيضًا - من المراءة في الحفظ والقراءة؛ إذ هي مظنة ذلك، فعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّ أَكْثَرَ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّأُوهَا)<sup>(٣)</sup>.

والنفاق المراد في الحديث النفاق العملي<sup>(٤)</sup>، أو يكون اعتقاديًا وهو أن حفظهم نفيًا للتهمة عن أنفسهم وهم معتقدون تضييعه، كما كان حال المنافقين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup>.

وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من قراءة القرآن في حال النعاس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعَجَمَ الْقُرْآنُ

(١) انظر: فتح الباري (١٠١/٩)، إكمال المعلم (١٥٥/٣).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٧٨) [٤٦١]، والترمذي في جامعه (٦٥٥) [٢٩١٦]، وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، قال: وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه واستغربه، قال محمد: ولا أعرف للمطلب بن عبد الله بن حنطب سماعًا من أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم... قال عبد الله بن عبد الرحمن: وأنكر علي بن المدني أن يكون المطلب سمع من أنس» (٦٥٥)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٣٠٥).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢١٠/١١) [٦٦٣٣]، وابن أبي شيبة في المصنف (٧١/١٩) [٣٥٤٧٦]، وقال محقق المسند: حديث صحيح (٢١٠/١١).

(٤) انظر: حاشية المسند (٣٨٠/٤).

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣١/٤).



عَلَى لِسَانِهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَلْيَضْطَجِعْ<sup>(١)</sup>.

واستعجم إذا استغلق ولم ينطلق به لسانه لغلبة النعاس...<sup>(٢)</sup>.  
ويقاس عليه كل ما ألهى القلب، وأشغل الفكر؛ لأن المقصد الأساس  
من القراءة التدبر والتفكر في الآيات، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا  
لِيَذَّبَ بَرًّا، وَتَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وفي مقابله حث النبي ﷺ على استغلال الشرة: وهي النشاط  
والإقبال على القرآن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ  
لِهَذَا الْقُرْآنِ شِرَّةً، ثُمَّ إِنَّ لِلنَّاسِ عَنْهُ فِتْرَةً، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى الْقَصْدِ  
فَنِعِمَّا هُوَ، وَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى الْأَعْرَاضِ فَأُولَئِكَمُ بُورٌ)<sup>(٣)</sup>. قال  
الخطابي: «إن للقرآن شرة؛ معناه: إن للقارئ المبتدئ فيه رغبة ونشاطًا  
ومنه شرة الشباب وهي ميعته ونشاطه... والمعنى: مدح الاقتصاد في  
القراءة والأمر بالمواظبة عليه...»<sup>(٤)</sup>.



(١) رواه مسلم (٣١٩) ح [١٨٣٦].

(٢) انظر: المنهاج (٤٠٤/٦).

(٣) رواه سعيد بن منصور في سننه (٤٩٢/٢) [١٦٧]، وقال الهيثمي (١٦٨/٧ - ١٦٩):  
«فيه أبو معشر نجيب وهو ضعيف». قال ابن حجر: «نجيب بن عبد الرحمن السندي  
أبو معشر: ضعيف». (التقريب ٤٩١).

(٤) انظر: غريب الحديث للخطابي (١٩٩/١).

## المطلب الثاني

### جمعه في السطور

حفظ القرآن جم غفير من الصحابة رضي الله عنهم وفي مقدمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن ذلك لم يغن عن كتابته في السطور، وتقييده في الصحف؛ ولذا سمي بالقرآن والكتاب وهما من أكثر الأسماء ورودًا في القرآن الكريم والسنة النبوية ووصف بأنه في صحف<sup>(١)</sup>، وتسميته بالقرآن للدلالة على كونه متلوًا بالألسن، محفوظًا في الصدور، وتسميته بالكتاب باعتبار كونه مدونًا بالأقلام مقيدًا في الصحف<sup>(٢)</sup>.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي دعا كاتبًا من الصحابة وأملى ما نزل عليه، كما روى زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: كنت جاره صلى الله عليه وسلم فكان إذا نزل الوحي أرسل إلي فكببت الوحي<sup>(٣)</sup>.

وعند البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالسًا في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا: أن زيد بن ثابت رضي الله عنه أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَلْبُودُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥]. الحديث<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: كتاب أسماء القرآن وأوصافه في القرآن الكريم.

(٢) انظر: النبا العظيم (٥)، التحرير والتنوير (١/٢٢١).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٥/١٤٠) [٤٨٨٢]، والأوسط [٨٦٩٧]، وابن أبي داود في المصاحف ح [٥] (٣٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٧): «إسناده حسن».

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٥٧٥) ح [٢٨٣٢].

وقد نصّ العلماء رحمهم الله على أن القرآن الكريم كان مكتوبًا كله في عهد النبي ﷺ؛ كالحاكم<sup>(١)</sup>، وابن حجر والسيوطي وغيرهم<sup>(٢)</sup>، ولكنه مفرق في الرقاع واللخاف... غير مجموع في مكان واحد، ومما يدل عليه قوله ﷺ: (لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلَيْمَحُهُ)<sup>(٣)</sup>، ونهيه ﷺ عن أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو»<sup>(٤)</sup> والمراد المصاحف.

وعن البراء رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥] قال النبي ﷺ: (ادْعُوا فَلَانًا) فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف فقال: (اَكْتُبْ). الحديث<sup>(٥)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: ما كتبنا عن النبي ﷺ إلا القرآن<sup>(٦)</sup>.

وعن عثمان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ مما ينزل عليه الآيات فيدعو بعض من كان يكتب له ويقول له: (ضَعْ هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا) وتنزل عليه الآية والآيتان فيقول مثل ذلك.

(١) هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين أبو عبد الله بن البيع، صاحب التصانيف، منها: «المستدرک ومعرفة علوم الحديث»، توفي سنة ٤٠٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/١٦٨)، طبقات الشافعية (١/١٩٣).

(٢) انظر: المستدرک (٢/٦٦٨) حيث قال معلقًا على حديث «كنا نؤلف القرآن من الرقاع» وفيه الدليل الواضح أن القرآن إنما جمع في عهد النبي ﷺ، فتح الباري (٩/١٧)، الإتيان (٢/٣٧٨)، إرشاد الساري (٧/٤٤٦).

(٣) رواه مسلم (١٢٩٧) ح [٧٥١٠].

(٤) رواه البخاري (٦٠٦) ح [٢٩٩٠]، ومسلم (٣٨٣) ح [٤٨٣٩]، وقد بوب البخاري الحديث بقوله: باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو... وقد سافر النبي ﷺ وأصحابه في أرض العدو وهم يعلمون القرآن. وفي رواية عند أحمد في المسند [٥٤٦٥] (٩/٣٣٥): ينهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو.

(٥) رواه البخاري (٩٥٢) ح [٤٥٩٤].

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٦٤٩) ح [٣١٧٩].

الحديث<sup>(١)</sup>.

وهذا كله مما يدل على أن القرآن الكريم كان مكتوبًا في العهد النبوي، ومقيّدًا في اللخاف والعسب... والله أعلم.

وكانت الكتابة آنذاك بما هو متيسر في زمانهم، ومن ذلك، قوله ﷺ: (ادْعُ لِي زَيْدًا وَلِيَجِيءَ بِاللُّوْحِ وَالِدَوَاةِ وَالْكَتِفِ أَوْ الْكَتِفِ وَالِدَوَاةٍ) ثُمَّ قَالَ: (اَكْتُبْ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَلَمُودُونَ﴾ [النساء: ٩٥]) الحديث<sup>(٢)</sup>.

والدواة التي يكتب منها، والكتف عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم<sup>(٣)</sup>.

وعن البراء رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَلَمُودُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَيْدًا فَجَاءَ بِكَتِفٍ فَكَتَبَهَا. الحديث<sup>(٤)</sup>.

وقد عددها زيد بن ثابت<sup>(٥)</sup> رضي الله عنه، وهو أحد كُتَّابِ الوحي في قصة أمر أبي بكر رضي الله عنه له بجمع القرآن، فقال: «فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب»<sup>(٦)</sup>.

والرقاع: القطعة من الجلد أو الخرقه<sup>(٧)</sup>.

والعسب: جمع عسيب وهي جريدة من النخل مستقيمة، دقيقة

(١) رواه أبو داود في سننه [٧٨٦]، والترمذي في جامعه (٦٩٥) [٣٠٨٦]، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الحاكم في المستدرک (٢/٢٤١)، وابن حبان (١/٢٣١).

(٢) رواه البخاري (١٠٨٦) ح [٤٩٩٠].

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٣٤٩) [دوي]، النهاية (٤/١٣٠).

(٤) رواه البخاري (٥٧٥) ح [٢٨٣١].

(٥) هو: زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو أسامة مولى رسول الله ﷺ، واستشهد سنة ثمان في غزوة مؤتة وكان أميرًا على تلك الغزوة. الاستيعاب (٢/٥٤٦).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٩٧٤) ح [٤٦٧٩].

(٧) انظر: مختار الصحاح (رفع).

يكشط خوصها... فويق الكرب لم ينبت عليه الخوص، وما نبت عليه الخوص فهو السعف<sup>(١)</sup>.

### الغاية من كلا الجمعين :

وبعد إيراد ما تيسر من أحاديث نبوية في فضل جمع القرآن في الصدور والحث عليه، ومن بعده جمعه في السطور، يشار إلى أن المقصد في كلا الجمعين القيام بالقرآن حق القيام، من تلاوته والعمل به والائتمار بأوامره، واجتناب نواهيه؛ ولذا ورد التنبيه على ذلك من قوله ﷺ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: (لَا تَحَاسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ)<sup>(٢)</sup>.

وعن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا: (أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرَّجَالِ ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ). ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: (يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ) الحديث<sup>(٣)</sup>.

وقد وجه النبي ﷺ حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندما سأله عن الفتن، وفيه: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هل بعد هذا الخير من شر؟ فقال: (يَا حُدَيْفَةُ، تَعَلَّمَ كِتَابَ اللهِ وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ) يقولها لي ثلاث مرات<sup>(٤)</sup>.

وعن بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: (وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) انظر: لسان العرب (٢٤١/٦) (عسب).

(٢) سبق تخريجه ص (٢٧٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٤٨٧) ح [٧٠٨٦]، ومسلم (٧٣) ح [٣٦٧] واللفظ له.

(٤) رواه أبو داود في سننه [٤٢٤٦]، والإمام أحمد في المسند (٣١٧/٣٨) [٢٣٢٨٢]، وابن حبان في صحيحه (٢٩٩/١٣) [٥٩٦٣]، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٧/٣).

حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتِكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ بَعَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ بَعَارَةٍ، فَيُعْطِي الْمُلْكَ بِبَيْتِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوْمُ لَهُمَا الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمِ كُسِينَا هَذَا، وَيُقَالُ لَهُمَا: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ... الحديث<sup>(١)</sup>. وغير ذلك مما مر من الأحاديث.

وفي مقابله ورد الترهيب من ترك العمل به، والاكتفاء بمجرد الحفظ أو التلاوة المجردة الخالية من التدبر والعمل، ففي حديث الرؤيا الطويل الذي يرويه سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: (هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا) قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: (إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانٍ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيُتْلَغُ رَأْسُهُ فَيَتَدَهْدَهُ الْحَجْرُ هَا هُنَا فَيَتَّبِعُ الْحَجْرَ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ مَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ) وفيه: (أَمَا إِنَّا سُنْخِرُكَ، أَمَا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُتْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجْرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَكْثَرَ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَاؤُهَا)<sup>(٣)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص (٢٨٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٤٧٩) ح [٧٠٤٦].

(٣) سبق تخريجه ص (٢٨٨).

وذلك: «أنهم يحفظون القرآن نفيًا للتهمة عن أنفسهم وهم معتقدون  
تضييعه، وكان المنافقون في عصر النبي ﷺ بهذه الصفة»<sup>(١)</sup>.



(١) النهاية في غريب الحديث (٣١/٤).

المَطَلَبُ الثَّلَاثُ

كُتَابُهُ

كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي دعا أحد كُتَّابه وأملى عليه ما نزل - كما سبق - وكُتَّابه كثر، فمنهم من يكتب الوحي، ومنهم من يكتب الرسائل وغيرها<sup>(١)</sup>.

وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم يكتب الوحي القرآني، ومنهم<sup>(٢)</sup>:

عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعن كثير بن الصلت قال: كان سعيد بن العاص وزيد بن ثابت رضي الله عنهما يكتبان المصاحف فمروا على هذه الآية فقال زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَيْتَةَ)، فقال عمر: لما أنزلت هذه أتيت رسول الله ﷺ فقلت: أكتبنيها قال شعبة: فكأنه كره ذلك. الحديث<sup>(٣)</sup>.

وعثمان رضي الله عنه، ففي الحديث: فمد يده وقال: والله إنها لأول يد خَطَّتْ الْمُفَصَّلَ. الحديث<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: فتح الباري (٢٩/٩)، زاد المعاد (١١٣/١) البداية والنهاية (٨/٣٢١ - ٣٥٦).

(٢) وهم الذين وقتت على ما يُثبت كتابتهم بالرواية.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٧٢/٣٥) [٢١٥٩٦]، والنسائي في الكبرى (٤٠٦/٦) [٧١٠٧]، وصححه الحاكم في المستدرک (٤٠/٤)، وقال محقق المسند: «رجاله ثقات رجال الشيخين غير كثير بن الصلت، فقد روى له النسائي، وهو ثقة». قال ابن حجر: «كثير بن الصلت ثقة». (التقريب ٣٩٥).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣١٥/٢١) [٣٨٨٤٥]، والطبراني في الكبير (٨٤/١) [١١٩]، وابن أبي داود في المصاحف، وقال الهيثمي في المجمع (٩٤/٩): «إسناده =



وعلي بن أبي طالب عليه السلام، ففي الحديث الذي رواه البخاري <sup>(١)</sup> عن علي عليه السلام قال: ما كُتِبْنَا عن النبي ﷺ إلا القرآن وما في هذه الصَّحِيفَةِ. الحديث.

ومعاوية بن أبي سفيان <sup>(٢)</sup> عليه السلام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ: يا نبي الله ثلاث أعطيهن قال: (نعم) قال: عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجها قال: (نعم) قال: ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال: (نعم). الحديث <sup>(٣)</sup>

وفي «المسند» <sup>(٤)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت غلاما أسعى مع الصبيان قال: فالتفت فإذا نبي الله ﷺ خلفي مقبلا فقلت: ما جاء نبي الله ﷺ إلا إلي قال: فسعيت حتى أختبئ وراء باب دار، قال: فلم أشعر حتى تناولني، قال: فأخذ بقفاي فحطاني حطاة قال: (أذهب فادع لي معاوية) وكان كاتبه قال: فسعيت فقلت: أجب نبي الله ﷺ فإنه على حاجة. الحديث.

وقد نص العلماء على أنه كان يكتب الوحي <sup>(٥)</sup>، وفيه دلالة على كتابة الوحي مباشرة عند نزوله، ويشهد له حديث خارجة بن زيد بن

= حسن، وقال ابن حجر في المطالب العالية (٤٧/١٨) رجاله ثقات.

(١) في صحيحه (٦٤٩) ح [٣١٧٩].

(٢) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ولد قبل البعثة بخمس سنين وقيل: بسبع، أسلم بعد الحديبية وكنم إسلامه حتى أظهره عام الفتح، توفي سنة ٦٠هـ. انظر: الإصابة (١٥٤/٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١١٠١) ح [٦٤٠٩].

(٤) (٢١٧/٥) [٣١٩٤]، قال محققه: إسناده حسن، وأصله عند مسلم في صحيحه (١١٣٧) ح [٦٦٢٨].

(٥) انظر: البداية والنهاية (٣٥٤/٨)، تاريخ دمشق (٣٠٥/٣٤).

ثابت: أنه قال: دخل نفر على زيد بن ثابت رضي الله عنه فقالوا: حدثنا بعض حديث رسول الله ﷺ فقال: وما أحدثكم كنت جاره فكان إذا نزل الوحي أرسل إلي فكتبت الوحي...<sup>(١)</sup>.

وعبد الله بن سعد بن أبي السرح<sup>(٢)</sup>، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ فأزله الشيطان فلحق بالكفار فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وهو أول من كتب له بمكة من قريش<sup>(٤)</sup>، قال ابن عبد البر<sup>(٥)</sup>: «أسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله ﷺ وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد مشركًا وصار إلى قريش بمكة...»<sup>(٦)</sup>.

وحنظلة الأسدي<sup>(٧)</sup> رضي الله عنه، فعن أبي عثمان النهدي عن حنظلة

(١) سبق تخريجه ص (٢٩٢).

(٢) هو: عبد الله بن سعد بن أبي السرح بن الحارث بن حبيب القرشي العامري، يكنى أبا يحيى، وكان أخًا لعثمان بن عفان رضي الله عنه من الرضاعة، وكان يكتب الوحي فأزله الشيطان فلحق بالكفار فأمر النبي ﷺ يوم الفتح أن يقتل فاستجار له عثمان فأجاره النبي ﷺ فدخل في الإسلام وحسن إسلامه، توفي سنة ٣٦ هـ. انظر: الاستيعاب (٣/٩١٨)، الإصابة (٤/١٠٩).

(٣) رواه أبو داود في سننه [٤٣٥٨]، والنسائي (٥٦٨) [٤٠٧٤]، وصححه الحاكم في المستدرک (٤٧/٣)، وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٣/٣).

(٤) انظر: فتح الباري (٩/٢٩).

(٥) هو: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، إمام عصره في الحديث، وله تصانيف كثيرة منها: «التمهيد، والاستيعاب» وغيرهما، توفي سنة ٤٦٣ هـ. انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض (٤/٨٠٨)، وفيات الأعيان (٧/٦٦).

(٦) الاستيعاب (٣/٢٦٣).

(٧) هو: حنظلة بن الربيع وقيل: ابن الربيع - والأول أكثر - بن صيفي بن رباح التميمي، ويقال له حنظلة الأسدي والكاظم لأنه كان يكتب للنبي ﷺ، استشهد يوم أحد. انظر: الاستيعاب (١/٣٨٠)، أسد الغابة (٢/٣٨).

الأسدي رضي الله عنه قال: وكان من كُتَابِ رسول الله ﷺ <sup>(١)</sup>، ونص العلماء على أنه من كتاب الوحي <sup>(٢)</sup>، وغيرهم كثير <sup>(٣)</sup>.

وكان من أكثرهم كتابة للوحي زيد بن ثابت رضي الله عنه، حتى إن البخاري بوب (كاتب النبي ﷺ) <sup>(٤)</sup>، قال ابن حجر: «ولكثرة تعاطيه ذلك أطلق عليه الكاتب بلام العهد» <sup>(٥)</sup>.

ويدل عليه تخصيص النبي ﷺ بدعوته دون غيره كما في حديث البراء رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] قال النبي ﷺ: (ادْعُوا فُلَانًا) فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف فقال: (اُكْتُبْ...) الحديث <sup>(٦)</sup>، وفي الرواية الأخرى تسمية المبهم وهو زيد بن ثابت رضي الله عنه <sup>(٧)</sup>.

وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه» الحديث <sup>(٨)</sup>.

قال ابن عبد البر: «وكان زيد ألزم الصحابة لكتابة الوحي» <sup>(٩)</sup>.

أما ما رواه مسلم في «صحيحه» <sup>(١٠)</sup> عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب لرسول الله ﷺ فانطلق هاربًا حتى لحق بأهل الكتاب قال: فرفعه قالوا: هذا قد كان يكتب لمحمد فأعجبوا به فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم

(١) رواه مسلم (١١٩١) ح [٦٩٦٦].

(٢) انظر: البداية والنهاية (٣٤٠/٨)، العقد الفريد (٢٤١/٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٣٢١/٨) وما بعدها، كشف المشكل (٢٩٦)، العقد الفريد (٢٤١/٤).

(٤) صحيح البخاري (١٠٨٦).

(٥) فتح الباري (٢٩/٩).

(٦) رواه البخاري (٩٥٢) ح [٤٥٩٤].

(٧) البخاري (٥٧٥) ح [٢٨٣١].

(٨) رواه البخاري في صحيحه (١٠٨٦) ح [٤٩٨٩].

(٩) الاستيعاب (٦٨/١).

(١٠) (١٢١٣) [٧٠٤٠].

فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذًا. الحديث.

مما قد يتمسك به المبتدعة على حصول التغيير والتبديل في القرآن، فيقال: أنه لم يرد أنه كان يكتب الوحي، ولعل المراد كتابة الرسائل والكتب التي يوجهها رسول الله ﷺ إلى الملوك وغيرهم، قال الطحاوي<sup>(١)</sup>: «يحتمل أن يكون فيما كان رسول الله ﷺ يمليه على ذلك الكاتب من كتبه إلى الناس في دعائه إياهم إلى الله ﷻ، وفي وصفهم له ما هو جل وعز عليه من الأشياء التي كان يأمر ذلك الكاتب بها، ويكتب الكاتب خلافها ممّا معناها معناها إذا كانت كلها من صفات الله ﷻ...»<sup>(٢)</sup>. والله أعلم.



(١) هو: أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الفقيه الحنفي، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة، وصنف كتبًا كثيرة منها: أحكام القرآن ومعاني الآثار، توفي سنة ٣٢١ هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/٧٢)، طبقات المفسرين للداودي (٥٩).

(٢) شرح مشكل الآثار (٨/٢٤١).

## المطلب الرابع

## إقراء القرآن الكريم

يقال: قرأ يقرؤه ويقرؤه، قرءًا وقرءة وقرآنًا، فهو مقرؤٌ، وأقرأ غيره يُقرئه إقراءً، ومنه قيل: فلان المُقرئ، وأقرأه القرآن فهو مقرئ... .  
وقرأ ﷺ يقرؤه عليه وأقرأه إياه: أبلغه<sup>(١)</sup>.  
واستقرأه: طلب إليه أن يقرأ<sup>(٢)</sup>.

فالإقراء يكون سماعًا من الغير، أو عرضًا على الآخر، وقد طبق النبي ﷺ كلا المنهجين في تعلمه وتعليمه وإقراءه.

أولاً: السماع<sup>(٣)</sup>:

تلقى النبي ﷺ القرآن كله سماعًا من جبريل عليه السلام كما في حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس: في قوله ﷻ: ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفته فيشتد عليه فكان ذلك يعرف منه فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] أخذه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] إن علينا أن نجمله في صدرك وقرآنه فتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِئْ

(١) انظر: لسان العرب (٧/٢٨٣ - ٢٨٤)، القاموس المحيط (٦٢) (قرأ).

(٢) لسان العرب (٧/٢٨٤).

(٣) والسماع: أحد طرق التحمل والأخذ عن المشايخ، وهو السماع من لفظ الشيخ.  
انظر: لطائف الإشارات للقسطلاني (١/١٨١).

قُرْآنَهُ ﴿ [القيامة: ١٨] قال: أنزلناه فاستمع له ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتُهُ﴾ [القيامة: ١٩] أن نبينه بلسانك فكان إذا أتاه جِبْرِيلُ أَطْرُقَ فإذا ذهب قرأه كما وعده الله (١).

وأمر النبي ﷺ بعض أصحابه بالقراءة واستمع إليه، ومن ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: لقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة (٢). وعند البخاري عن علقمة قال: كنا بحمص فقرأ ابن مسعود سورة يوسف فقال رجل: ما هكذا أنزلت قال: قرأت على رسول الله ﷺ فقال: (أَحْسَنْتَ) (٣).

وأمر عليه الصلاة والسلام ميمونة (٤) زوجها أن تقرأ عليه سورة الشورى، فروى عبد الرزاق في مصنفه عن جعفر بن محمد: أن النبي ﷺ قرأ ذات ليلة ﴿حَمْدَ ﴿١﴾ عَسَقَ﴾ [الشورى: ١، ٢] فرددها مرارا ﴿حَمْدَ ﴿١﴾ عَسَقَ﴾ وهو في بيت ميمونة فقال: (يَا مَيْمُونَةُ أَمَعِكَ: ﴿حَمْدَ ﴿١﴾ عَسَقَ﴾ قالت: نعم قال: (فَأَقْرِيْنِيهَا فَلَقَدْ أَنْسَيْتُ مَا بَيْنَ أَوْلَاهَا وَآخِرِهَا) الحديث (٥). وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قرأت على رسول الله ﷺ النجم فلم يسجد فيها (٦).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قرأت على النبي ﷺ: (فَهَلْ مِنْ

(١) سبق تخريجه ص (١٧٩).

(٢) رواه مسلم (١٠٨٢) ح [٦٣٣٢].

(٣) ص (١٠٨٩) ح [٥٠٠١].

(٤) هي: ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية زوج النبي ﷺ، تزوجها النبي ﷺ سنة سبع في عمرة القضاء، توفيت سنة ٥١ هـ وقيل: ٦٣ هـ. انظر: أسد الغابة (٧/٢٩٥).

(٥) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٦١) [٥٩٧٦]، والطبراني في الكبير (٢٨/٢٤) [٧٥]، وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٠٢): رواه الطبراني ورجال الصريح غير شيخ الطبراني.

(٦) رواه أبو داود في سننه [١٤٠٤]، والترمذي في جامعه (١٥٠) [٥٧٦]، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه ابن حبان (٦/٤٦٨) [٢٧٢٦].

مُذَكِّرٍ)، فقال النبي ﷺ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٥] (١).

ولعل هذا الإقراء ليكون سُنَّةً لمن بعده؛ لتصحيح التلاوة وتجويد القراءة، وذلك أن القرآن الأصل فيه التلقي والمشافهة كما سيأتي بيانه، قال ابن بطال (٢): «معنى استماعه ﷺ القرآن من غيره ليكون عرض القرآن سُنَّةً...» (٣).

أو يكون الإقراء من أجل التدبر والفهم، والتفكير في الآيات القرآنية؛ لأن القارئ ربما انشغل ذهنه بأحكام القراءة والترتيل وغفل عن التدبر والتفكير، ومن ذلك أمره ﷺ لابن مسعود بأن يقرأ عليه، كما روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (أَقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ) قال: فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي) فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل (٤).

قال النووي وفيه: «استحباب استماع القراءة والإصغاء لها والبكاء عندها وتدبرها، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمتع له، وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه» (٥).

وقال ابن بطال في تعليقه على الحديث: «... ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه؛ وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٠٤٤) ح [٤٨٧٤].

(٢) هو: أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال البكري القرطبي ثم البلنسي ويعرف بابن اللجام، شرح صحيح البخاري، توفي سنة ٤٤٩ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٧/١٨)، الوافي بالوفيات (٥٦/٢١).

(٣) شرح ابن بطال (٢٧٧/١٠)، وانظر: فتح الباري (١١٧/٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩٤٩) ح [٤٥٨٢]، ومسلم (٣٢٣) ح [١٨٦٧].

(٥) المنهاج (٤١٤/٦).

وأنشط لذلك من نفس القارئ؛ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها...»<sup>(١)</sup>.

والأصل في الإقراء المشافهة، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضغاً وسبعين سورة»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث الآخر: «والله لقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيه إلى في»<sup>(٣)</sup>.

ولذا أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأخذ القرآن واستقرائه من أربعة، وزكى قراءتهم، إذ من الصعوبة بمكان أن يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ويستمع إلى تلاوة كل رجل منهم، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اسْتَقْرَأُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ؛ مِنْ: ابْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ وَأَبِي وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ)<sup>(٤)</sup>.

قال القاضي عياض: «سماهم - والله أعلم - لعلمه صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء أضبط لألفاظه وأتقن لأدابه، وإن كان غيرهم من المتقنين فيه أيضاً وأكثر فقهاً فيه منهم، أو يكون هؤلاء تفرغوا لأخذه عنه مشافهة عليه الصلاة والسلام، وبعضهم اقتصر على أخذه بعضهم من بعض، أو يكون هؤلاء انتصبوا لأن يؤخذ عنهم وتفرغوا لذلك وغيرهم شغل نفسه بغير ذلك، وقد يكون من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم... فأعلم أن هؤلاء بعده ممن يلجأ الناس إليهم في أخذ القرآن والقراءة عليهم، ومنتصبون لذلك رحم الله جميعهم»<sup>(٥)</sup>.

ونصّ على بعضهم في أحاديث أخرى، ومن ذلك حديث أنس بن

(١) شرح ابن بطال (١٠/٢٧٧ - ٢٧٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٠٨٨) ح [٥٠٠٠].

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧٦٨) ح [٣٧٤٣].

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧٧٠) ح [٣٧٥٨]، ومسلم (١٠٨٣) ح [٦٣٣٨].

(٥) إكمال المعلم (٧/٤٩٠ - ٤٩١)، وانظر: المنهاج (١٧/١٦)، وفتح الباري (٧/



مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَبَاءُ عَثْمَانَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَوُهُمْ أَبِي) <sup>(١)</sup>، وحديث: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ) <sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث الآخر عن حذيفة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله لو استخلفت قال: (إِنْ أَسْتَخْلِفُ عَلَيْكُمْ فَعَصَيْتُمُوهُ عَذَّبْتُكُمْ وَلَكِنْ مَا حَدَّثْتُكُمْ حُدَيْفَةً فَصَدَّقُوهُ وَمَا أَقْرَأَكُمْ عَبْدُ اللَّهِ فَأَقْرَأُوهُ) <sup>(٣)</sup>.

بل ورد التقييد بالوصف دون التسمية والتخصيص، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رجلاً يقرأ (حم) الثلاثين؛ يعني: (الأحقاف) فقرأ حرفاً وقرأ رجل آخر حرفاً لم يقرأه صاحبه وقرأت أحرفاً فلم يقرأها صاحبي فانطلقنا إلى النبي ﷺ فأخبرناه فقال: (لَا تَحْتَلِفُوا فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ)، ثم قال: (انظروا أقرأكم رجلاً فخذوا بقراءته) <sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الترمذي في جامعه (٨٦٤) [٣٨١٢]، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٥٤٤/٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٢١) ح [١٣٨]، والإمام أحمد في مسنده (٢١١/١) [٣٥]، والنسائي في الكبرى (٣٥٢/٧) [٨١٩٩]، وصححه الحاكم في مستدركه (٢٤٧/٢)، وقال: «صحيح الإسناد على شرط الشيخين». وقال الهيثمي في المجمع (٢٨٧/٩): «رواه أحمد والبخاري والطبراني»، وفيه عاصم بن أبي النجود، وهو على ضعفه حسن. وقال محقق المسند: «إسناده حسن».

(٣) الحديث رواه الترمذي في جامعه (٨٦٤) ح [٣٨١٢]، وقال: «حديث حسن»، وأبو داود الطيالسي (٥٩/١) [٤٤٢]، وقال محققه: «إسناده ضعيف»، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٧)؛ لأن في إسناده عثمان بن عمير. قال عنه ابن حجر: «عثمان بن عمير ضعيف واختلط وكان يدلّس ويغلو في التشيع» (التقريب ٣٢٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٥١/٦) [٣٨٠٣]، وقال محققه: «إسناده حسن من أجل عاصم - وهو ابن أبي النجود - وبقيّة رجاله ثقات رجال الشيخين». قال =

وربما استقرأ النبي ﷺ بعض أصحابه ليعلم أيهم أكثر أخذًا للقرآن، فيأمره عليهم؛ لأنه سيكون القائم على شؤونهم والناظر في أحوالهم، والمرجع عند اختلافهم، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن فأتى على رجل منهم من أحدثهم سنًا فقال: (مَا مَعَكَ يَا فُلَانُ؟) قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، قال: (أَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ؟) فقال: نعم قال: (فَأَذْهَبَ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ) الحديث<sup>(١)</sup>.

ثانيًا: العرض<sup>(٢)</sup>:

عرض النبي ﷺ القرآن على جبريل عليه السلام كما في الحديث: «إن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين وإنه عارضه الآن مرتين وأني لا أرى الأجل إلا قد اقترب» الحديث<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن حجر: «فإن ظاهره أن كلاً منهما كان يقرأ على الآخر، وهي موافقة لقوله: (يعارضه)...»<sup>(٤)</sup>.

فعرض القرآن على المقرئ المتقن سنة متبعة، سنها خير المرسلين ونبي العالمين محمد ﷺ، بل أمر رب العزة والجلال رسوله ﷺ بأن يقرأ على أحد الصحابة ويعرض عليه تلاوته، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

= ابن حجر: «عاصم ابن بهدلة صدوق له أوهام، حجة في القراءة». (التقريب ٢٢٨).

(١) رواه الترمذي في جامعه (٦٤٧) ح [٢٨٧٦]، وقال: حديث حسن، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٢٩٦).

(٢) حقيقته: تلاوة القرآن على الشيخ، وهو أحد أنواع طرق التحمل. انظر: لطائف الإشارات (١/١٨١).

(٣) رواه مسلم (١٠٧٦) ح [٦٣١٣].

(٤) فتح الباري (٩/٥٧).

أَهْلِي أَلِكْتَابِ ﴿ [البينة] قال: وسماني؟ قال: (نَعَمْ)، فبكى<sup>(١)</sup>.

وقد اجتهد العلماء في بيان الحكمة من ذلك فقال أبو عبيد<sup>(٢)</sup>:  
«معنى هذا الحديث أن يتعلم أبي قراءة رسول الله ﷺ لا أن رسول الله ﷺ  
يتعلم قراءة أبي رضي الله تعالى عنه»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن كثير بعد إيراد قصة أبي بن كعب ﷺ في حديث نزول  
القرآن على سبعة أحرف: «وهذا الشك الذي حصل لأبي في تلك  
الساعة، هو والله أعلم السبب الذي لأجله قرأ عليه رسول الله ﷺ قراءة  
إبلاغ وإعلام ودواء لما كان حصل له سورة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ  
أَلِكْتَابِ﴾ إلى آخرها؛ لاشتمالها على قوله: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا  
مُطَهَّرَةً ﴿١﴾ فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ﴾ [البينة: ٢، ٣]<sup>(٤)</sup> وقيل غير ذلك، إلا أن عرض  
القرآن على المتقن الحافظ طريقة نبوية، وسنة متبعة...

#### أحوال النبي ﷺ في الإقراء:

وكانت للنبي ﷺ أحوال كثيرة يعرض فيها القرآن على صحابته،  
ومن آمن به، ومن ذلك عرضه عليه الصلاة والسلام للآيات بعد نزولها  
مباشرة، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في  
غار بمنى إذ نزل عليه ﴿وَأَلْمَسْتَنِي﴾ [المرسلات] وإنه ليتلوها وإني لأتلقاها  
من فيه وإن فاه لرتب بها. الحديث<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧٦٨) ح [٣٧٤٣]، ومسلم (١٠٨٤) ح [٦٣٤٣].

(٢) هو: القاسم بن سلام مولاهم البغدادي الإمام أحد الأعلام وذو التصانيف الكثيرة في  
القراءات والفقه واللغة والشعر، توفي سنة ٢٢٤هـ. انظر: معرفة القراء الكبار (١/  
١٧١)، طبقات الحفاظ للسيوطي (٣٣).

(٣) انظر: السبعة لابن مجاهد (٥٥).

(٤) فضائل القرآن من تفسير القرآن العظيم (٣٧/١) وقيل غير ذلك. انظر: إكمال المعلم  
(٤٩٤/٧) وغيره.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣٦٣) ح [١٨٣٠].

قال ابن حجر: «أي: غضة طرية في أول ما تلاها، ووصفت هي بالرطوبة والمراد بالرطوبة رطوبة فيه؛ أي: أنهم أخذوها عنه قبل أن يجف ريقه من تلاوتها...»<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت آخر البقرة قرأهن النبي ﷺ عليهم في المسجد ثم حرم التجارة في الخمر<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: (أَنْزِلْتَ عَلَيَّ أَنْفًا سُورَةً فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخْمَرَ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١ - ٣]، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكُوثَرُ؟) قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. الحديث<sup>(٣)</sup>.

ويمكن أن يستدل به - أيضاً - على إقراء النبي ﷺ للجماعة في وقت واحد.

وربما أقرأ بعض أصحابه دون البعض؛ ولذا حصل النكير من فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قراءة هشام بن حكيم رضي الله عنه، فعن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لم يُقَرِّئِيهَا رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أَقْرَأْنِيهَا رسول الله ﷺ فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد قرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أفوده إلى رسول الله ﷺ... وفيه: (أَرْسَلُهُ أَقْرَأَ

(١) فتح الباري (٦/٤٣٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤١١) ح [٢٠٨٤].

(٣) رواه مسلم، سبق تخريجه ص (١٩٩).

يا هِشَامُ) فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: (كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ) ثم قال: (اقْرَأْ يَا حُمَيْرُ) فقرأت القراءة التي أقراني فقال رسول الله ﷺ: (كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ فَأَقْرُؤُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ)<sup>(١)</sup>.

وعن معدي كرب قال: أتينا عبد الله ﷺ فسألناه أن يقرأ علينا (طسم) المائتين، فقال: ما هي معي ولكن عليكم من أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الأرت قال: فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا<sup>(٢)</sup>.

قال السندي: «يحتمل أنه ما حفظها، أو حفظها لكن لا بالسمع من النبي ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: أقراني رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين من آل حم قال: يعني: الأحقاف قال: ... فرحت إلى المسجد فإذا رجل يقرأها على غير ما أقراني فقلت: من أقرأك؟ فقال رسول الله ﷺ، قال: فقلت لآخر: اقرأها فقرأها على غير قراءتي وقراءة صاحبي فانطلقت بهما إلى النبي ﷺ. الحديث<sup>(٤)</sup>.

وربما خص النبي ﷺ بالإقراء صاحب القصة، أو السائل خاصة، ومن ذلك ما رواه سهل بن حنيف ﷺ قال: أيها الناس اتهموا أنفسكم فإننا كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا،

(١) سبق تخريجه ص(٢٤٥).

(٢) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في المسند (٨٧/٧) [٣٩٨٠]، والطبراني في الكبير (٥٥/٤) [٣٦١٤]، وقال الهيثمي في المجمع (٨٤/٧): «رواه أحمد ورجاله ثقات» ورواه الطبراني.

(٣) حاشية السندي على المسند (٣/٣٦٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٨٨/٧) [٣٩٨١]، وقال محقق المسند: «إسناده حسن».

فجاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل، فقال: (بلى)، فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال: (بلى) قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال: (يا ابن الخطأبِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا) فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ فقال: إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدًا، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها فقال عمر: يا رسول الله أوفتح هو؟ قال: (نعم) (١).

أو تكون من باب التطمين والتصديق لقول ما، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي سلول يقول: «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا»، وقال أيضًا: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي أصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني، فأصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿يُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ١ - ٨] فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقرأها علي ثم قال: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ) (٢).

أو يكون الإقراء للتوجيه والتذكير والعظة والنصيحة، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا: ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [المتحنة: ١٢] ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها فقالت:

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٥٠) ح [٣١٧٢].  
 (٢) رواه البخاري في صحيحه (١٠٥٣) ح [٤٩٠١].

أسعدتني فلانة أريد أن أجزئها فما قال لها النبي ﷺ شيئاً فانطلقت ورجعت فبايعها<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أخبرته: أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ﴾ إلى قوله: ﴿عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٢ - ١٤] قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: (قَدْ بَايَعْتُكَ) كَلَامًا الْحَدِيث<sup>(٢)</sup>.

أو تكون للتعليم، كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى يقول: (مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ؟). وفيه: حتى بعثنا الله إليه من يثرب فأويناها وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم يبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رهطٌ من المسلمين. الحديث<sup>(٣)</sup>.

وكان النبي ﷺ يقرئ الصحابة في أغلب الأوقات، ويحرص على إقراءهم حتى إن ابن مسعود رضي الله عنه قال: والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعة وسبعين سورة<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٠٥١) ح [٤٨٩٢].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٠٥١) ح [٤٨٩١]، وفي المسند [٢٠٥٩٣] عن صَغَصَةَ بن مُعَاوِيَةَ عَمِّ الْفَرَزْدَقِ: إنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] قال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها. قال محقق المسند: «إسناده صحيح» (٢٠٠/٣٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٤٧/٢٢) [١٤٤٥٥]، وصححه ابن حبان (١٥/٤٧٥)، والحاكم في مستدركه (٦٨١/٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٤٦/٦): ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٤) رواه البخاري، سبق تخريجه ص (٢٧٦).

وهو أحد الأربعة الذين أمر ﷺ بأخذ القراءة منهم، وغيره مثله أو قريب منه، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان يخرج من الخلاء فيقرئنا القرآن ويأكل معنا اللحم ولم يكن يحجبه، أو قال: يحجزه عن القرآن شيء ليس الجنابة<sup>(١)</sup>.

بل كان ﷺ يخص الجن بالإقراء، كما ورد في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: (لَقَدْ قَرَأْتَهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ). الحديث<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه أبو داود في سننه ح[٢٢٩]، والنسائي (٣٥) ح[٢٦٦]، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (٢٥)، فيه كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال عنه ابن حجر: «ضعيف». (التقريب ٣٩٦).

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٧٤٧) ح[٣٢٩١]، والحاكم في مستدركه (٥١٥/٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الألباني: «حديث حسن». (صحيح سنن الترمذي ٣/٣٤٢).



## المَبْحَثُ الثَّانِي

### سور القرآن

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السور.

المطلب الثاني: ترتيب (تأليف) السور.

المطلب الثالث: هل يقال سورة كذا؟



## المَبْحَثُ الثَّانِي

### سور القرآن

#### مدخل:

السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع.. والسُور: جمع سُورة، وهي كل منزلة من البناء<sup>(١)</sup>.

والسورة: المنزلة، ومن القرآن معروفة؛ لأنها منزلة بعد منزلة: مقطوعة عن الأخرى والشرف، وما طال من البناء وحسن، والعلامة<sup>(٢)</sup>.

وجعل الكتاب العزيز مشتملاً على سور وأجزاء من رحمة ربِّ العالمين ولطفه بعباده، فالقارئ إذا ختم سورة ثم ابتداء في سورة أخرى كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله كالمسافر.. وأيضاً الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه، والصغير يتدرج في حفظه ويتشوف لما هو أكبر مقداراً وأطول مما حفظه فيكون مشجعاً له على المواصلة والمجاهدة وهكذا...<sup>(٣)</sup>.

وأيضاً للإشارة إلى أن كل سورة نمطٌ مستقل في الموضوعات، وفي الطول والقصر، فسورة يوسف تترجم عن قصته، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم... إلى غير ذلك، وأن الطول أو القصر

(١) مقاييس اللغة (سور) (٤٧٥).

(٢) القاموس المحيط (٥٢٧).

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (١/٢١٩).

ليس شرطًا في الإعجاز وقوة البيان، وأن التحدي بأقصر سورة كما التحدي بأطول سورة...<sup>(١)</sup>.

وفيه بث الطمأنينة بكمال القرآن وإتقانه، وحفظه من الزيادة والنقصان أو التحريف، فعدد سورته معروف، ومطلع كل سورة وخاتمها مشهودة، فأنى له التحريف وكيف تعتريه الزيادة أو النقصان بعد ذلك ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وتحسن الإشارة إلى أن تسمية القطعة المعينة من عدة آيات القرآن (سورة) من مصطلحات القرآن، وشاعت تلك التسمية عند العرب.. ولم تكن أجزاء التوراة أو الإنجيل.. مسماة سورًا عند العرب في الجاهلية ولا في الإسلام...<sup>(٢)(٣)</sup>.



(١) انظر: البرهان (١/٣٦٢)، الإتيان (٢/٤٢٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١/٨٤).

(٣) من الكتب في هذا العلم: أسماء سور القرآن وفضائلها للدكتور: منيرة الدوسري.

## المطبخ الأول

## أسماء السور

ضَمَّنَ النبي ﷺ في أحاديث كثيرة أسماء بعض السور، وعدَّدَ تسميات السورة الواحدة - أحياناً - وبعضها اكتفى بإيراد مطلعها لتمييزها عن غيرها، أو الجمع بين وصفين لتمييزها هي عن مثيلاتها... مع تقرير أن النبي ﷺ لم يرد عنه تسمية سور القرآن كلها، بل اكتفى ببعضها وخطَّ منهاجاً لتسمية السور سار عليه الصحابة ومن بعدهم في هذا العلم، كما سيأتي.

أولاً: السور التي نصَّ النبي ﷺ على أسمائها:

ورد عن المصطفى عليه الصلاة والسلام تسميات لعدد من سور القرآن الكريم، ومن ذلك:

١ - التسمية بالنظر إلى موضع السورة من القرآن؛ كتسمية سورة الفاتحة بفاتحة الكتاب، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ) (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: (هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيْتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ؛

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٥١) ح [٧٥٦]، ومسلم (١٦٧) ح [٨٧٤].

فَاتِحَةَ الْكِتَابِ... الحديث<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: «وسميت فاتحة الكتاب لأنه يفتح بكتابتها المصحف، وبقراءتها الصلوات، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب والقراءة»<sup>(٢)</sup>.

٢ - التسمية بالنظر إلى ذكر قصة تميزت بها عن غيرها، ومن ذلك تسمية سورة البقرة لورود قصة بقرة بني إسرائيل فيها، عن أبي مسعود البديري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الْأَيَاتُ مِنَ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)<sup>(٣)</sup>.

وعن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَلْ عِمْرَانَ) وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد... الحديث<sup>(٤)</sup>.

وتسمية سورة آل عمران لورود قصتهم فيها<sup>(٥)</sup>، وقد سبق ذكر التسمية في حديث النواس بن سمعان<sup>(٦)</sup> رضي الله عنه.

وتسمية سورة المائدة لورود قصة نزول المائدة التي طلبت من

(١) رواه مسلم (٣٢٦) ح [١٨٧٧]. (٢) تفسير الطبري (١/١٠٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨٢٤) ح [٤٠٠٨]، ومسلم (٣٢٦) ح [١٨٨٠].

(٤) رواه مسلم (٣٢٥) ح [١٨٧٦]، ووردت التسمية - أيضًا - في أحاديث أخر، انظر على سبيل المثال عند: مسلم ح [١٨٢٤، ١٨٧٤، ١٨٧٧]، والنسائي ح [٤٥٢]، والترمذي ح [٢٨٧٦، ٢٨٧٧]، مسند الإمام أحمد [١٧٧٦].

(٥) اختلف في المراد بعمران ف قيل: أبو موسى وهارون، وقيل: أبو مريم. انظر: التفسير الكبير (٨/٢٠ - ٢١)، زاد المسير (١/٣٧٥) قال الألوسي: «ويرجح كون المراد به أبا مريم، أن الله تعالى ذكر اصطفاها بعد، ونص عليه...» روح المعاني (٣/١٣١).

(٦) هو: النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو العامري الكلابي، له ولأبيه صحبة. انظر: الاستيعاب (٦/٤٧٨).

عيسى عليه السلام، حيث لم تذكر في سورة غيرها، فيروى في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الْمَائِدَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ نَزُولًا فَأَجَلُوا حَلَالَهَا وَحَرَّمُوا حَرَامَهَا)<sup>(١)</sup>.

وتسمية سورة الكهف لورود قصتهم فيها - أيضا - عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ)<sup>(٢)</sup>.

بل جاء عند الترمذي<sup>(٣)</sup> تسميتها بـ(سورة أصحاب الكهف) وذلك من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في قصة فتنة الدجال وفيه: (فَمَنْ رَأَاهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ). الحديث.

ويلحق به ما وردت القصة فيها وفي غيرها إلا أنه تكرر الاسم فيها أكثر من غيره فتسمى بذلك الاسم، كتسمية سورة هود، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت، قال: (شَيْبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)<sup>(٤)</sup>.

قال الزركشي: «... ولم يتكرر في واحدة من هذه السور... اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع [الصحيح أنها خمسة مواضع] والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا»<sup>(٥)</sup>.

٣ - التسمية بالنظر إلى موضوع السورة؛ كتسمية سورة النساء بهذا الاسم، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه: قال صلى الله عليه وسلم: (يَا عُمَرُ

(١) سبق تخريجه ص (١٩٤).

(٢) رواه مسلم (٣٢٦) ح [١٨٨٣].

(٣) جامع الترمذي (٥١٤) ح [٢٢٤٠].

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٧٤٨) ح [٣٢٩٧]، وقال: «حديث حسن غريب»، وصححه

الحاكم في مستدركه (٣٧٤/٢)، وقال: «حديث صحيح على شرط البخاري ولم

يخرجاه». وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٣٤٣).

(٥) البرهان (١/٣٦٨).

أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ؟! (الحديث<sup>(١)</sup>).

وذلك لورود أحكام النساء فيها أكثر من غيرها<sup>(٢)</sup>.

٤ - التسمية بالنظر إلى مطلع السورة، وخاصة إذا كانت مشتملة على اسم يميزها عن غيرها؛ ك(التكوير، الشمس، الفلق..). والأمثلة عليه كثيرة جداً، ومن ذلك تسمية النبي ﷺ سورة الفاتحة بسورة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: (أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟! [الأنفال: ٢٤])، ثم قال لي: (لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ)، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟! قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر: «و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من أسمائها»<sup>(٤)</sup>.

وأيضاً تسمية سورة الأعلى والشمس والليل بذكر أول السورة والاكْتِفَاءُ بِهِ، كما في حديث جابر بن عبد الله ﷺ. وفيه: فقال النبي ﷺ: (يَا مُعَاذُ أَفْتَانُ أَنْتَ - أَوْ فَاتِنٌ - (ثَلَاثَ مِرَارٍ) فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؛ فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ) الحديث<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك تسمية سورة البينة بـ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

(١) رواه مسلم (٢٢٨) ح [١٢٥٨]. (٢) انظر: البرهان (١/٣٦٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩٨٥) ح [٤٧٠٤].

(٤) فتح الباري (٨/١٩٨).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١٤٢) ح [٧٠٥]، مسلم (١٩٤) ح [١٠٤١].



عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة]) قال: وسماني لك؟ قال: (نعم) قال: فبكي<sup>(١)</sup>.

وأيضاً قوله ﷺ كما في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾)<sup>(٢)</sup>.

٥ - التسمية بالجمع بين وصفين للسورة إذا كان لها مثلات تشابهها، إلا أن أحاديثها لا تسلم من مقال، ومن ذلك تسمية النبي ﷺ لسورة غافر بـ(حم المؤمن)، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَمَّ الْمُؤْمِنِ إِلَى: ﴿إِنَّهُ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣] وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ حِينَ يُصْبِحُ حَفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُمَسِّي، وَمَنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يُمَسِّي حَفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُصْبِحَ)<sup>(٣)</sup>.

٦ - التسمية بالنظر إلى اسم بارز فيها، أو بما انفردت به، ومن ذلك تسمية النبي ﷺ لسورة الإخلاص بـ(الصمد)، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: (أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟! فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيْنَا يَطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: (اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ)<sup>(٤)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص(٩٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣٢٨) ح[١٨٩١]، وانظر: عند البخاري ح[٣٦٩، ٤١٧٧]، ومسلم ح[٨٨٧]، والنسائي ح[٩٥٤]، وأبي داود ح[١٤٠٠، ٣١٢١]، والترمذي ح[٢٨٩٣، ٣٣٣٣].

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٦٤٧) ح[٢٨٧٩]، وقال: «حديث غريب»، والدارمي في مسنده (٢١٣٢/٤) [٣٤٢٩]، وقال الألباني: «ضعيف»، انظر: ضعيف سنن الترمذي (٢٩٧)، فيه: عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، قال عنه ابن حجر: «ضعيف». (التقريب ٢٧٩).

(٤) رواه البخاري (١٠٩١) ح[٥٠١٥].

وهناك تسميات للسور كانت في عهد النبي ﷺ وتتداول، ولم يرد فيها شيء عن النبي ﷺ؛ ومن ذلك تسمية سورة الفرقان، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها فكدت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها فقال رسول الله ﷺ: (أُرْسَلُهُ، أَقْرَأُ) فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: (هَكَذَا أُنزِلْتُ) ثم قال لي: (اقْرَأْ) فقرأت فقال: (هَكَذَا أُنزِلْتُ) الحديث<sup>(١)</sup>.

وسورة المرسلات، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في غارٍ وقد أنزلت عليه: ﴿وَأَلْمَسْنَاكَ عُرْفًا﴾ فنحن نأخذها من فيه رطبة إذ خرجت علينا حية فقال: اقتلوها فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا فقال رسول الله ﷺ: (وَقَاهَا اللَّهُ شَرُّكُمْ كَمَا وَقَاكُمْ شَرَّهَا)<sup>(٢)</sup>.  
هذه مجمل التسميات التي وردت عن النبي ﷺ لسور القرآن.

### ثانياً: تعدد الأسماء للسورة الواحدة:

ورد عن النبي ﷺ تسميات عدة لبعض السور، ومن ذلك سورة الفاتحة سميت بسورة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ - وقد سبق ذكرها - وأيضاً أم القرآن، والسبع المثاني، والقرآن العظيم<sup>(٣)</sup>، عن أبي هريرة رضي الله عنه

(١) سبق تخريجه ص (٢٤٥).

(٢) رواه مسلم (٩٩٢) ح [٥٨٣٥].

(٣) وتسمية الفاتحة بهذا الاسم (القرآن العظيم) ليس بظاهر؛ لأن المراد - والله أعلم - القرآن كله، قال ابن حجر: «وفيه بحث لاحتمال أن يكون قوله: (وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ) محذوف الخبر، والتقدير: ما بعد الفاتحة، مثلاً، فيكون وصف الفاتحة انتهى بقوله: (هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي) ثم عطف قوله: (وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ)؛ أي: ما زاد على الفاتحة وذكر ذلك رعاية لنظم الآية». فتح الباري (١٩٩/٨)، وانظر: أسماء القرآن وأوصافه في القرآن الكريم (١٩٤).

قال: قال رسول الله ﷺ: (أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ) (١).

وأم الكتاب؛ كما في سنن أبي داود (٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي.

ومن الأسماء التي رويت: الصلاة، كما في الحديث: (.. فَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَضْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي... الحديث (٣).  
وسميت بذلك؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بقراءتها... (٤).

وسميت سورة البقرة بهذا الاسم - كما سبق - وسميت أيضًا بالزهراء (ومثلها سورة آل عمران)، كما في الحديث عنه ﷺ قال: (.. اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ) الحديث (٥).

وسميت سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ باسم المانعة المنجية، كما في الحديث: قال ﷺ: (هِيَ الْمَانِعَةُ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ؛ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) الحديث (٦).

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩٨٥) ح [٤٧٠٤].

(٢) [١٤٥٧]، والترمذي في جامعه (٧٠٦) ح [٣١٣٧]، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣) رواه مسلم (١٦٧) ح [٧٨٧]. (٤) المنهاج للنووي (٧٩/٣).

(٥) سبق تخريجه ص (٢٨٠).

(٦) رواه الترمذي في جامعه (٦٥٠) ح [٢٨٩٠]، وقال: «حديث حسن غريب»، والطبراني في الكبير [١٢٨٠١] [١٤٧/١٢] قال الألباني: «ضعيف إنما يصح منه قوله: هي المانعة». ضعيف سنن الترمذي (٣٠٠)، وانظر: السلسلة الصحيحة (١٣١/٣).

ويمكن أن يستدل بهذا الحديث على الأسماء التي كانت بإقرار من النبي ﷺ حيث ورد عن ابن مسعود قوله: «كنا نسميها في عهد رسول الله ﷺ المانعة»<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: تسمية المجموعة من السور:

ومن الاعتبارات التي وردت عن النبي ﷺ في تسمية السور، تسمية المجموعة من السور باسم واحد، ومن ذلك تسمية سورتي البقرة وآل عمران بالزهراوين - وقد سبق - وتسمية سورتي الفلق والناس بالمعوذات، كما في الحديث عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اقْرَأُوا الْمُعَوِّذَاتِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ)<sup>(٢)</sup>.

وسمى النبي ﷺ مجموعة من السور بأسماء فواتحها، ومن ذلك: ذوات (الر) و(حم) و(المسبحات)، كم جاء في الحديث: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله فقال: (اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ (الر)) فقال: كبرت سني واشتد قلبي وغلظ لساني قال: (فَاقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ (حم)) فقال مثل مقالته، فقال: (اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ الْمُسَبِّحَاتِ) فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله أقرئني سورة جامعة... الحديث<sup>(٣)</sup>.

وأطلق النبي ﷺ على سور القرآن كله أوصافاً جامعة له؛ كما روى

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠/١٤٢) [١٠٢٥٤]، وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٢٧): «رجاله ثقات».

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (١/٣٧٢)، وابن حبان في صحيحه (٥/٣٤٤) [٢٠٠٤]، والحاكم في مستدركه (١/٣٨٣)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وعند النسائي (أن أقرأ المعوذات في دبر كل صلاة) (١٣٣٧) [١٨٨].

(٣) رواه أبو داود في سننه (٢٠٩) ح [١٣٩٩]، والإمام أحمد في مسنده (١١/١٣٩) [٦٥٧٥]، وصححه الحاكم في المستدرک (٢/٥٨٠)، وقال محقق المسند: إسناده

واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعُ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِثْنَيْنِ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِثْنَيْنِ، وَفُضِّلَتْ بِالْمُفْصَلِ) <sup>(١)</sup>.

قال الإمام الطبري: «السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، ويونس في قول سعيد بن جبيرة. وإنما سميت هذه السور السبع الطوال؛ لطولها على سائر سور القرآن، وأما المثنون: فهي ما كان من سور القرآن عدد آيه مئة آية، أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص منها شيئاً يسيراً، وأما المثنائي: فإنها ما ثنى المثنين فتلاها، فكان المثنون لها أوائل، وكان المثنائي لها ثواني، وقد قيل: إن المثنائي سميت مثنائي لتثنية الله جلّ ذكره فيها الأمثال والخبر والعبر. . . وأما المفصل: فإنما سميت مفصلاً لكثرة الفصول التي بين سورها بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)» <sup>(٢)</sup>.

وبعد الدراسة والتأمل تبين لي أن جميع أسماء سور القرآن الكريم التي لم ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي مقيدة في المصاحف أو كتب التفسير لا تخرج - غالباً - عن تلك الاعتبارات التي خطها النبي صلى الله عليه وسلم وسار عليها. . .

وعليه فأسماء سور القرآن منها ما هو توقيفي من النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما هو عن الصحابة رضي الله عنهم، ومنها ما هو عمّن دونهم.



(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٨٨/٢٨) [١٦٩٨٢]، وأبو داود الطيالسي (١٣٦/١) [١٠١٢]، والطبراني في الكبير (٧٥/٢٢) [١٨٦]، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٤٦): «رواه أحمد وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقيّة رجاله ثقات»، وقال محقق المسند: إسناده حسن. قال ابن حجر: «عمران بن داود القطان: صدوق بهم». (التقريب ٣٦٦).

(٢) تفسير الطبري (٩٨/١ - ١٠١).

## المطلب الثاني

### ترتيب السور

اختلف العلماء رحمهم الله في مسألة ترتيب سور القرآن: هل هو بتوقيف من النبي ﷺ؟ أو أوكل ذلك إلى اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم؟، ونشأ بينهما قول ثالث: وهو أن أغلب السور توقيفي ما عدا سوراً مخصوصة... (١).

وحصر بعض العلماء الخلاف كله بأنه اختلاف صوري، قال ابن الزبير<sup>(٢)</sup>: «إن كان بتوقيف منه ﷺ فلا مجال للخصم بعد ذلك التحديد الجليل والرسم، وإن كان مما فوض فيه الأمر إلى الأمة بعده فقد أعمل الكل من الصحابة في ذلك جهده وهم الأملياء بعلمه، والمسلم لهم في وعيه وفهمه، والعارفون بأسباب نزول الآيات، ومواقع الكلمات، وإنما ألقوا القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله ﷺ... وكيفما دار الأمر، فمنه ﷺ عرف ترتيب السور، وعلى ما سمعوه منه بنوا جليل ذلك النظر، فإذا الخلاف هل ذلك بتوقيف قولي أم بمجرد استناد فعلي؟؟» (٣). وأشار

(١) انظر الأقوال في المسألة والاستدلال عليها عند: الزركشي في البرهان (٣٥٣/١) وما بعدها، الإتيان (٤٠٥/٢) وما بعدها، المدخل (٢٩٣)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن (١٣١) وما بعدها، المحرر في علوم القرآن (٢٠٣) وما بعدها.

(٢) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير العاصمي الثقفي الغرناطي، صنف في كثير من المعارف منها: إيضاح السبيل في شرح حديث جبريل، البرهان في تناسب سور القرآن، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، وغيرها، توفي سنة ٧٩٨هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٢٦٥/٤)، البدر الطالع (٣٣).

(٣) البرهان في تناسب القرآن (٧٩ - ٨٠).

الزركشي إلى قريب من ذلك في البرهان<sup>(١)</sup>.

ومن خلال التأمل في الأحاديث النبوية يتقوى القول بأن ترتيب السور القرآنية إنما هو بتوقيف من النبي ﷺ ويدل عليه:

أولاً: تقسيم النبي ﷺ لسور القرآن على أربعة أقسام، مما يدل على أن ترتيب السور هو من عند النبي ﷺ، عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِائِينَ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِائِيْنَ، وَفُضِّلَتْ بِالْمُقْصَلِ)<sup>(٢)</sup>.

فترتيب سور القرآن كان مشهوداً لدى الصحابة، ومتقرراً عندهم، وإلا لكان قول النبي ﷺ غير مفهوم، ولا مدرك عندهم، والله أعلم، قال أبو جعفر النحاس<sup>(٣)</sup>: «فهذا التأليف من لفظ رسول الله ﷺ وهذا أصل من أصول المسلمين لا يسعهم جهله؛ لأن تأليف القرآن من إعجازه...»<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع. الحديث<sup>(٥)</sup>.

والتأليف يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، وإذا وصلت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتاب<sup>(٦)</sup>، فهذا يدل على أن القرآن الكريم كان

(١) (١/٣٥٤ - ٣٥٥).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحوي المصري، أبو جعفر النحاس، صاحب المصنفات الكبيرة ومنها: تفسير القرآن، والناسخ والمنسوخ وغيرهما، توفي سنة ٣٣٨هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/٦٨)، شذرات الذهب (٢/٣٤٦).

(٣) الناسخ والمنسوخ (٢/٤٠٤).

(٤) رواه الترمذي (٨٨٨) ح [٣٩٥٤]، وقال: «حديث حسن غريب»، والإمام أحمد في مسنده (٤٨٤/٣٥) [٢١٦٠٧]، والطبراني في الكبير (٥/١٨٥) [٤٩٣٣]، وصححه ابن حبان (١/٣٢٠)، والحاكم في مستدركه (٢/٦٦٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥٤٨).

(٥) انظر: مقاييس اللغة (٧٠)، لسان العرب (١/١٨٨).

يجمع ويرتب بحضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وعلى مسمع ومرأى منه.

ثالثاً: الأحاديث النبوية المتضمنة لذكر السور القرآنية تجدها - غالباً - ترد مرتبة على ترتيب السور، ومن ذلك ما رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَ أَوْ يَنْبَغِي الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ) الحديث<sup>(١)</sup>.

وعندما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم السور التي شيبته أوردتها مرتبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت؟ قال: (شَيْبَتْنِي هُوْدٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ﴿١﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ﴿١﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ ﴿١﴾)<sup>(٣)</sup>.

فأوردتها صلى الله عليه وسلم مرتبة، وفي توجيه معاذ رضي الله عنه أمره صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ سوراً من المفصل وأوردتها مرتبة، قال صلى الله عليه وسلم: (يَا مُعَاذُ أَفْتَانُ أَنْتَ - أَوْ فَاتِنٌ - ثَلَاثَ مَرَارٍ فَلَوْلَا صَلَّيْتُ بِ-﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾-﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ﴿١﴾-﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغشَى﴾ ﴿١﴾؛ فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ) الحديث<sup>(٤)</sup>.

ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم نزول سورتي الفلق والناس رتبهما على ترتيب المصحف، عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الْمَ تَرَ

(١) رواه مسلم، سبق تخريجه ص(٣٢٣). (٢) سبق تخريجه ص(٣١٩).

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٧٦٠) ح[٣٣٣٣]، وقال: «حديث حسن غريب»، وفي المسند (٤٢٤/٨) [٤٨٠٦]، وقال محققه: «إسناده حسن، وصححه الحاكم في المستدرک (٤/٦٢٠)»، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٤) رواه البخاري، سبق تخريجه ص(٣٢٠).



آيَاتٍ أَنْزَلْتَ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرَ مِثْلَهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] (١).

رابعاً: عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيف قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني مالك في قبّة له... قال: كان كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا [وفيه]: فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلنا: لقد أبطأت عنا الليلة قال: (إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ جُزْئِي مِنَ الْقُرْآنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيءَ حَتَّى أُتَمَّهُ) قال أوس: سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل (٢).

وهو ضعيف الإسناد، ولكن يؤيده تنصيب النبي صلى الله عليه وسلم في أمر ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن يقرأ القرآن في سبع مما يدل على أنها سنة متبعة، وأكمل الطرق عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ) قال: قلت: إني أجد قوة، قال: (فَأَقْرَأْهُ فِي عِشْرِينَ لَيْلَةً) قال: قلت: إني أجد قوة، قال: (فَأَقْرَأْهُ

(١) رواه مسلم (٣٢٨) ح [١٨٩١]، وعند النسائي (١٣٣) ح [٩٥٤] عن عقبه بن عامر قال: اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فوضعت يدي على قدمه فقلت: أقرئني يا رسول الله سورة هود وسورة يوسف فقال: (لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٢٠٨) ح [١٣٩٣]، وابن ماجه في سننه (١٩٠) ح [١٣٤٥]، والإمام أحمد في مسنده (٨٩/٢٦) [١٦١٦٦]، وأبو داود الطيالسي [١١٠٨] (١/١٥١)، وقال محقق المسند: إسناده ضعيف، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود [١٠٦]. فيه: عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي قال عنه ابن حجر: صدوق يخطئ ويهم (التقريب ٢٥٣)، وعثمان بن عبد الله بن أوس قال عنه ابن حجر: مقبول. (التقريب ٣٢٥).

فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَيَّ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر معلقاً على حديث أوس بن أبي أوس<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه: «فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

أما حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المئة ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى فقلت: يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيحٌ سبح وإذا مر بسؤالٍ سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ. الحديث<sup>(٤)</sup>.

فيمكن توجيهه بأنه يدل على جواز مخالفة الترتيب أثناء القراءة في الصلاة، قال الإمام النووي: «قال العلماء: الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف فيقرأ الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم ما بعدها على الترتيب، وسواء قرأ في الصلاة أو في غيرها... ولو خالف المواولة فقرأ سورة لا تلي الأولى أو خالف الترتيب فقرأ سورة ثم قرأ سورة قبلها، جاز فقد جاء بذلك آثار كثيرة... وأما قراءة السور من آخرها إلى أولها فممنوع منعاً متأكداً، فإنه يذهب بعض ضروب الإعجاز ويزيل حكمة ترتيب الآيات...»<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن بطال: «لا نعلم أن أحداً منهم قال: إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي قراءة القرآن ودرسه، وأنه لا يحل لأحد أن يتلقن

(١) رواه البخاري (١٠٩٨) ح [٥٠٥٤]، ومسلم (٤٧٣) ح [٢٧٣٠] واللفظ له.

(٢) هو: أوس بن حذيفة بن ربيعة بن أبي سلمة، وهو أوس بن أبي أوس، توفي سنة ٥٩هـ. انظر: الاستيعاب (١/١٢٠)، الإصابة في تمييز الصحابة (١/١٥٠).

(٣) فتح الباري (٩/٥٤). (٤) رواه مسلم (٣١٥) ح [١٨١٤].

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن (٩٨ - ٩٩).

الكهف قبل البقرة، ولا الحج قبل الكهف..»<sup>(١)</sup>.

وأختم القول في هذه المسألة بما ذكره الشيخ صبحي الصالح في هذه المسألة، حيث قال: «لا يستند القسم الاجتهادي إلى دليل صحيح... [بل] يعتمد على حديث ضعيف جداً، بل هو حديث لا أصل له يدور إسناده في كل رواياته على يزيد الفارسي الذي رواه عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، ويزيد الفارسي هذا يذكره البخاري في الضعفاء فلا يقبل منه مثل هذا الحديث الذي ينفرد به، وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي قراءة وسماعاً وكتابة في المصاحف..»<sup>(٣)</sup>.

مع ما يقابله من أدلة كثيرة ودلالات عديدة، مستفادة من أحاديث نبوية كريمة، دالة بمجموعها على أن ترتيب سور القرآن الكريم كانت بتوقيف من النبي ﷺ. والله أعلم.

(١) شرح ابن بطال على البخاري (٢٣٩/١٠).

(٢) أراد ﷺ حديث: ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثني فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتموها في السبع الطول؛ ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: (ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا)، وإذا نزلت عليه الآية فيقول: (ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا)، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزلت بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» فوضعتها في السبع الطول. رواه أبو داود في سننه (١٢٣) ح [٧٨٦]، والترمذي في جامعه (٦٩٥) ح [٣٠٨٦]، والإمام أحمد في مسنده (٤٦٠/١) (٣٩٩)، وقال محققه: إسناده ضعيف ومثته منكر. قلت: ويشهد لذلك أن رسول الله ﷺ بعث علياً سنة تسع يؤذن بـ (براءة) كما عند البخاري في صحيحه (٨٠) [٣٦٩] مما يدل على أنهما سورتان منفصلتان، وقد علم الصحابة ذلك.. وقد صحح الحديث الجديع في كتابه (المقدمات الأساسية ١٢٤).

(٣) مباحث في علوم القرآن (٧٢).

## المطلب الثالث

### هل يقال: سورة كذا؟

إن الباحث في الأحاديث النبوية والمتأمل فيها، يجد أنها اشتملت في أحاديث كثيرة على تسمية السورة القرآنية بسورة كذا، كما روت عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ في المسجد فقال: (رَحِمَهُ اللهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهُنَّ مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا)<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: (أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤؟!])، ثم قال لي: (لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

وعند مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ... ثم إني لا أدع بعدي شيئاً أهم عندي من الكلاله ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلاله، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدري فقال يا عمر: (أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصِّيفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ؟! ) الحديث<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه (٥٢٨) ح [٢٦٥٥]، ومسلم (٣١٩) ح [١٨٣٧].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩٢١) ح [٤٤٧٤].

(٣) رواه مسلم، سبق تخريجه ص (٢٥٩).

فهذه الأحاديث وغيرها، وما سبقها من أحاديث في المطالب السابقة، تدل دلالة صريحة على استعمال النبي ﷺ في تسميته للسور هذا الأسلوب، والسير عليها، ومن بعده الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم. والأحاديث أكثر من أن تحصر، وهو مذهب جماهير العلماء<sup>(١)</sup>؛ بل حكى الإجماع الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ، فقال معلقاً على حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وفيه دليل على جواز قول: سورة النساء، وسورة البقرة، وسورة العنكبوت ونحوها، وهذا مذهب من يعتد به من العلماء والإجماع اليوم منعقد عليه، وكان فيه نزاع في العصر الأول، وكان بعضهم يقول: لا يقال: سورة كذا، وإنما يقال: السورة التي يذكر فيها كذا، وهذا باطل مردود بالأحاديث الصحيحة، واستعمال النبي ﷺ والصحابة من بعده والتابعين فمن بعدهم من علماء المسلمين، ولا مفسدة فيه لأن المعنى مفهوم»<sup>(٢)</sup>.

وقد استدل بکراهية التسمية باسم السورة، بالحديث الذي يُروى عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا تَقُولُوا: سُورَةَ الْبَقْرَةِ، وَلَا سُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، وَلَا سُورَةَ النَّسَاءِ، وَلَكِنْ: السُّورَةُ الَّتِي تُذَكَّرُ فِيهَا الْبَقْرَةُ، وَالسُّورَةُ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا آلُ عِمْرَانَ، وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ)<sup>(٣)</sup>؛ وهو ضعيف الإسناد.

وبحديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفيه: ... فقال عثمان:

(١) انظر: فتح الباري (١١٠/٩). (٢) المنهاج (٢١٤/٥).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط [٥٧٥٥]، والبيهقي في الشعب (٤٨/٥) [٢٣٤٦]، وقال: «عيسى بن ميمون منكر الحديث، وهو لا يصح، وإنما يروى فيه عن ابن عمر من قوله». قال ابن كثير في التفسير (١٥٦/١): «هذا حديث غريب لا يصح رفعه، وعيسى بن ميمون هذا هو أبو سلمة الخواص وهو ضعيف الرواية لا يحتج به»، وقال الهيثمي في المجمع (١٥٧/٧): «وفيه عيسى بن ميمون وهو متروك». (انظر: لسان الميزان ٤٠٧/٤).

كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: (ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا...) الحديث<sup>(١)</sup> وهو ضعيف الإسناد.

وعلى فرض صحته يمكن تأوله: «بأن ذلك كان في مكة حين كان المسلمون إذا قالوا: سورة الفيل وسورة العنكبوت مثلاً هزأ بهم المشركون، وقد رُوي أن هذا سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] فلما هاجر المسلمون إلى المدينة زال سبب النهي فُنسخ، وقد عَلِمَ الناس كلهم معنى التسمية»<sup>(٢)</sup>.

بل وَرَدَ عن النبي ﷺ تسمية السورة مباشرة من دون إضافة (سورة)، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقْرَةُ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ)<sup>(٣)</sup>.

وأيضاً ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت قال: (شَيْبَتْنِي هُوْدٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)<sup>(٤)</sup>، والله أعلم.



(١) سبق تخريجه ص (٢٩١).

(٢) التحرير والتنوير (٩٠/١).

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٦٤٧) ح [٢٨٧٦]، وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والإمام أحمد في مسنده (١٧/١٥) [٩٠٤٢]، وقال محققه: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٤) سبق تخريجه ص (٣١٩).

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

## آيات القرآن

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ترتيب الآيات توقيفي أم اجتهادي؟.

المطلب الثاني: أسماء الآيات.





## الْمَبْحَثُ الثَّلَاثُ

### آيات القرآن

مدخل:

الآية لها معانٍ متعددة، منها:

• العلامة؛ وهذه آيةٌ مَأْيَاةٌ؛ كقولك: علامة معلمة، والجمع: آيات وآي وآيَاءٌ<sup>(١)</sup>.

• الجمع؛ يقال: خرج القوم بآيتهم؛ أي: بجماعتهم<sup>(٢)</sup>.

والآية في الاصطلاح: هي طائفة من القرآن، ذات مبدأ ومقطع، مندرجة في سورة من القرآن<sup>(٣)</sup>.

وهذه التسمية (آية) من مبتكرات القرآن، سميت بذلك لأنها دليل على أنها موحى بها من عند الله إلى النبي ﷺ، ولأنها لوقوعها مع غيرها من الآيات جعلت دليلاً على أن القرآن منزل من عند الله وليس من تأويل البشر<sup>(٤)</sup>. . فهي حجة لمن جاء بها وصدقها وآمن بها، وحجة على من كفر بها وأعرض عنها.

فآيات القرآن دلائل صدقه، وتحقق ما وعد به، ووقوع ما حكم عليه، ومعجزات باهرات للناس جمعاء تدعوهم للإيمان بالله، واتباع ما

(١) انظر: مقاييس اللغة (أبي) [٨٥]، لسان العرب (أيا) (٢٩٣/١).

(٢) انظر: مختار الصحاح (أي ا) (٣٧).

(٣) انظر: البرهان (٣٦٤/١)، الإتيان (٤٣١/٢)، مناهل العرفان (٣٣٩/١).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٧٤/١).

جاء فيه والانتهاه عما نهى عنه، فالقرآن بحق كله آية، وآياته كلها قرآن<sup>(١)</sup>.



(١) من الكتب في هذا العلم: الآيات الملقبات في القرآن الكريم للدكتور: عبد الله الشثري، وعموم كتب عد الآي كالبيان للداني، والفرائد الحسان لعبد الفتاح القاضي.

## المطلب الأول

## ترتيب الآيات

نصّ العلماء على أن ترتيب آي القرآن الكريم توقيفي لا اجتهاد فيه، وأنه من عند الله تعالى، أمر به جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه في أم الكتاب على هذا الترتيب.

وقد حكى الإجماع على أن ترتيب آي القرآن توقيفي: ابن الزبير الثقفي<sup>(١)</sup> والزرکشي<sup>(٢)</sup>؛ قال البغوي<sup>(٣)</sup>: «الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله صلى الله عليه وسلم على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً، خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته... فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا شيئاً، أو أخرّوا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام إياه على ذلك...».

ويدل على ما سبق:

١ - حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً، إذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه

(١) انظر: البرهان في تناسب سور القرآن (٧٩) حيث قال: «ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه وأمره، من غير خلاف بين المسلمين، وإنما اختلف في ترتيب السور على ما هي عليه».

(٢) شرح السنة (٤/٥٢١).

(٣) انظر: البرهان (١/٣٥٣).

بالأرض، قال: ثم شخص ببصره فقال: (أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] <sup>(١)</sup>.

٢ - بل وورد النص القرآني بعدد آيات سورة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، جاء في الحديث عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: (ألم يقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟! [الأنفال: ٢٤]) ثم قال لي: (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد)، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟! قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته <sup>(٢)</sup>.

٣ - الأحاديث التي نص النبي صلى الله عليه وسلم فيها على عدد آيات مخصوصة، ومن ذلك ما رواه أبو مسعود البصري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفأته) <sup>(٣)</sup>. وما رواه مسلم <sup>(٤)</sup> عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) <sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند [١٧٩١٨] [٤٤١/٢٩]، وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٥٩٧): «إسناده لا بأس به». وقال الهيثمي في المجمع (٧/٤٩): «رواه أحمد وإسناده حسن».

(٢) سبق تخريجه ص (٣٢٠).

(٣) رواه البخاري (٨٢٤) ح [٤٠٠٨]، ومسلم (٣٢٧) ح [١٨٧٨].

(٤) (٣٢٦) [١٨٨٣].

(٥) وأما تخصيص ذلك بعشر آيات من أول الكهف فالذي يظهر فيها من الحكمة أن قوله تعالى: ﴿لِنُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢] يهون بأس الدجال وقوله: ﴿وَيُنذِرَ =

وبما رواه أبو داود في سننه وغيره<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ سُورَةَ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]).

٤ - الأمر بقراءة السورة على ترتيبها، والنهي عن التنكيس، عن سعيد بن المسيب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة فقال: (يَا بِلَالُ، مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ وَمِنْ هَذِهِ السُّورَةِ) قال: خلطت الطيب بالطيب، فقال: (اقْرَأِ السُّورَةَ عَلَى وَجْهِهَا) أو قال: (عَلَى نَحْوِهَا)<sup>(٢)</sup>.

٥ - قراءته صلى الله عليه وسلم لسور عديدة في الصلاة على ترتيب المصحف كسورة البقرة وآل عمران والنساء وق واقتربت... وغيرها<sup>(٣)</sup>.

### تحديد مطلع الآية ومقطعها:

وتحديدها من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد النص في بعض سور القرآن - كما سبق - ويؤيده حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال

= الثَّوْمِينِ الَّذِينَ يَمْلُوكُ الْعَالَمِينَ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿١﴾ تَنكِيبَ فِيهِ أَبَدًا ﴿الكهف: ٢، ٣﴾ يهون الصبر على فتن الدجال بما يظهر من نعيمه وعذابه وقوله: ﴿وَنُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤]، وقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، فذم من يدعي له ولدًا ولا مثل له فكيف يدعي الإلهية من هو مثل للخلق، فقد تضمنت الآيات ما يصرف فتنة الدجال إلى قوله: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةٌ وَبِقَوْلِنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدْنَا﴾ [الكهف: ١٠] فهؤلاء قوم ابتلوا فصبروا وسألوا صلاح أمورهم فأصلحت، وهذا تعليم لكل مدعو إلى الشرك. انظر: كشف المشكل (١٦٦/٢)، المنهاج (٤١٨/٤).

(١) (٢١٠) [١٤٠٠]، وابن ماجه (٥٤٠) [٣٧٨٦]، والنسائي في الكبرى (٢٦٢/٩) [١٠٤٧٨]، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٧/١).

(٢) رواه أبو عبيد في فضائله (٩٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٩٥/٢) [٤٢٠٩]، وابن أبي شيبة (٧٨/٦) [٨٩١٠]، وقال محققه - محمد عوامة -: حديث مرسل بإسناد حسن... ومراسيل سعيد بن المسيب صحيحة. وقال السيوطي: مرسل صحيح. انظر: الإتيان (٧٠١/٢).

(٣) انظر على سبيل المثال: الإتيان في علوم القرآن (٣٩٤/٢ - ٤٠٠).

رسول الله ﷺ: (مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِثْلِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَائِنِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ)<sup>(١)</sup>.

مما يدل على أن مطلع الآية ومقطعها معتبر، إلا أنه اختلف في عدد بعض آي السور بين الزيادة والنقصان<sup>(٢)</sup>، وقد التمس العلماء أسباباً لذلك الاختلاف واجتهدوا في ذلك<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال التأمل في السُّنَّة النبوية نجد إطلاق اسم الآية على أكثر من آية؛ كقوله ﷺ في الحديث الطويل المتفق عليه: .. قالوا: فالحمر يا رسول الله؟ قال: (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ آيَةُ الْجَامِعَةِ الْفَادَةِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] (٤).

وقوله ﷺ في تحريم الخمر: .. (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْخَمْرَ فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ آيَةُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا يَشْرَبْ وَلَا يَبِيعْ) قال: فاستقبل الناس بما كان عندهم منها في طريق المدينة فسفكوها... الحديث<sup>(٥)</sup>.

والمراد - والله أعلم - آيتا تحريم الخمر؛ وهما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَسْبَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

(١) رواه أبو داود في سننه (٢١٠) ح [١٣٩٨]، وصححه ابن خزيمة في صحيحه (١٨١/٢) [١١٤٤]، وابن حبان (٣١٠/٦) [٢٥٧٢]، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٧/١)، وانظر: حديث الترمذي (٧١٨) [٣١٧٣]، وفيه: .. ثُمَّ قَالَ ﷺ: (أَنْزَلَ عَلَيَّ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَقَامِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] حتى خَتَمَ عَشْرَ آيَاتٍ... الحديث سبق تخريجه في مبحث الوحي.

(٢) انظر على سبيل المثال: البيان في عدد آي القرآن لأبي عمرو الداني... وغيره.

(٣) انظر على سبيل المثال: البرهان (١/٣٥٠)، مناهل العرفان (١/٣٤٣).

(٤) رواه البخاري (٤٦٨) ح [٢٣١١]، ومسلم (٣٩٧) ح [٢٢٩٠].

(٥) سبق تخريجه ص (٢٣٠).

وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١] (١)  
فالآية الثانية بيان لعللة التحريم فهما نزلتا جميعاً، والله أعلم، وأطلق  
عليهما اسم (آية) مفردة.

ولعل المراد بـ(الآية) هنا اسم جنس فتشمل الآية الواحدة  
والآيات... أو يمكن الاستدلال بها على أن الحُطْبَ يسير والأمر هين  
في عدّ الآي وتحديد الفواصل، وأن من السور ما تكون معلومة العدد؛  
كالفاتحة والملك بالنص - كما سبق - ومنها ما اجتهد فيه الصحابة في  
عدد آياتها وتحديد فواصلها ولذلك اختلفوا، وأن العبرة بمطلع السورة  
وخاتمتها؛ ولذا ورد التحديد بالسورة دون الآية؛ لأنها معلومة المقدار،  
معروفة البداية والنهاية، والله أعلم.

### البسمة:

اتفق على أن البسمة (بسم الله الرحمن الرحيم) بعض آية من سورة  
النمل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل:  
٣٠]، وأنها ليست في فاتحة سورة (براءة).

واختلفوا في كونها آية من كل سورة أو جزء من آية، ومن خلال  
الأحاديث النبوية يتبين أنها ليست آية من كل سورة أو جزءاً من آية بدلالة  
قوله ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ سُورَةَ  
فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ  
الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]) (٢).

وآياتها ثلاثون من دون البسمة (٣)، وحديث السبع المثاني والقرآن  
العظيم، حيث افتتحها بـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولو كانت البسمة

(٢) سبق تخريجه ص (٣٤١).

(١) انظر: المنهاج (١١/١٩٠).

(٣) انظر: الإتيان (٢/٤٤٦).

من السورة لافتتح بها تقيداً بترتيب الآيات: (لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ) ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورةً هي أعظم سورة في القرآن؟! قال؟ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الحديث<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ: مَجَدَّنِي عَبْدِي) - وقال مرة: (فَوُضَّ إِلَيَّ عَبْدِي) - (فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

ولو كانت البسمة آية لاختلفت القسمة.. وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ لَا يَعْرِفُ فَضْلَ السُّورَةِ حَتَّى تُنَزَلَ عَلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ<sup>(٣)</sup>.

مما يدل على أنها ليست من السورة أو جزء آية منها، وإنما هي فاصلة بين السور، والله أعلم.

أما حديث أنس رضي الله عنه في قصة نزول سورة الكوثر: ... قال ﷺ: (أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةٍ) فَقَرَأَ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾) الحديث<sup>(٤)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص (٣٢٠).

(٢) سبق تخريجه ص (٣٢٣).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٧٨٨) ح [١٢٣]، وصحح إسناده ابن كثير في التفسير (١١٦/١)،

والحاكم في المستدرک (٣٥٥/١)، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين».

(٤) سبق تخريجه ص (١٩٩).



فلم يذكر أنها من السورة بل فيه أنها تقرأ أول السورة، وهذا سُنَّة فإنها تقرأ في أول كل سورة وإن لم تكن من السورة<sup>(١)</sup>، قال مكي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>: «من قال: إنها آية في أول كل سورة فقد زاد في القرآن مئة وثلاث عشرة آية، ولم يقل بذلك أحد من الصحابة ولا من التابعين، فالإجماع قد حصل على ترك عدها آية من كل سورة... وأيضًا قد أجمع أهل العدد من أهل الكوفة والبصرة والمدينة والشام على ترك عد البسمة آية في أول كل سورة، وإنما اختلفوا في عدها وتركها في سورة الحمد لا غير فهذه حجة قاطعة وإجماع ظاهر...»<sup>(٣)</sup>.

أما كونها آية في فاتحة الكتاب فلا يظهر ذلك - أيضًا - لما سبق ذكره من الأحاديث السابقة...<sup>(٤)</sup>، قال ابن العربي: «يكفيك أنها ليست من القرآن للاختلاف فيها، والقرآن لا يختلف فيه، فإن إنكار القرآن كفر، فإن قيل: ولو لم يكن قرآنًا لكان مدخلها في القرآن كافرًا؟ قلنا: الاختلاف فيها يمنع من أن تكون آية ويمنع من تكفير من يعدها من القرآن، فإن الكفر لا يكون إلا بمخالفة النص والإجماع...»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤٣٩/٢٢).

(٢) هو: مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ أبو محمد، وهو من أهل التبصر في علوم القراءات والعربية، ومن تأليفه: الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره، والموجز في القراءات وغيرها، توفي سنة ٤٣٧هـ. انظر: معرفة القراء الكبار (٣٤٩/١)، طبقات المفسرين للدودي (١١٤).

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٢/١ - ٢٣)، وهو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣٩/٢٢).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٥٨/١) وما بعدها.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٦/١)، ولمزيد من البحث في هذه المسألة انظر: التمهيد (٢١٠/٢٠) وما بعدها، المحرر الوجيز (٥٨/١) وما بعدها، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣٨/٢٢) وما بعدها، النشر في القراءات العشر (٢١٠/١) وما بعدها، المقدمات الأساسية (١٤١)، وعموم كتب الفقه والحديث.

وقد ردَّ شيخ الإسلام على من قال: إنها آية من سورة الفاتحة تتلى كما تتلى آيات السورة، وبين أنهم: «اعتمدوا على آثار منقولة بعضها عن الصحابة وبعضها عن النبي ﷺ، فأما المأثور عن الصحابة؛ كابن الزبير ونحوه ففيه صحيح وفيه ضعيف، وأما المأثور عن النبي ﷺ فهو ضعيف أو موضوع كما ذكر ذلك حفاظ الحديث كالدارقطني وغيره...»<sup>(١)</sup>.

وأقل القراءة المعتمدة للقرآن، آية واحدة سواء أكانت طويلة أم قصيرة، فقد ورد عنه ﷺ أنه قرأ آية واحدة في الصلاة بعد فاتحة الكتاب، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، والتي في آل عمران: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾ [آل عمران: ٦٤]<sup>(٢)</sup>.

بل وجزء آية فقد تلا ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأَخَذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] كما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صفة حجة الوداع، قال: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم ﷺ فقرأ: ﴿وَأَخَذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت... الحديث<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٤٤١).

(٢) رواه مسلم ص (٢٩٥) ح [١٦٩١].

(٣) رواه مسلم (٥١٤) ح [٢٩٥٠].

## المطلب الثاني

### أسماء الآيات

ورد عن النبي ﷺ تسمية آيات من كتاب الله تعالى، ووصف بعضها، والإشارة إلى مبدأ التسمية والإذن بالتوسع فيها لمن شاء، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بِسْمَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ) الحديث<sup>(١)</sup>.

سواء كان اسماً لها أو وصفاً فـ(كيت وكيت) يعبر بهما عن الجمل الكثيرة، والحديث الطويل، ومثلهما زيت وذيت<sup>(٢)</sup>.

وتسمية الآية تكون لأسباب متعددة تعلم من الآية، وهي:

١ - إما أن تكون بالنظر إلى لفظة بارزة فيها، فقد أقر النبي ﷺ تسمية آية الكرسي بهذا الاسم عندما حدثه أبو هريرة رضي الله عنه في قصته مع الشيطان، وفيه: فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود ثم تعود قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختتم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ:

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٠٩٤) ح [٥٠٣٢]، ومسلم (٣٢٠) ح [١٨٤١].

(٢) انظر: فتح الباري (١٠٠/٩)، عمدة القاري (٤٨/٢٠) نقله عن القرطبي.

(ما فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟) قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلماتٍ ينفعني الله بها فخليت سبيله قال: (ما هي؟) قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقراء آية الكرسي من أولها حتى تختم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلْحَى الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظٌ ولا يقربك شيطانٌ حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ: (أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعَلَّمُ مَنْ تُخَاطِبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟) قال: لا، قال: (ذَاكَ شَيْطَانٌ)<sup>(١)</sup>.

٢ - أو تكون بالنظر إلى مطلع الآية، كما روى أبي بن كعب ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَنْذِرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟!) قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَنْذِرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟!) قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلْحَى الْقَيُّومُ﴾ قال: فضرب في صدري وقال: (وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ)<sup>(٢)</sup>.

٣ - أو تكون بالنظر إلى محلها من السورة، فقد ورد عن النبي ﷺ تسمية أي من القرآن بالفواتح، كما ورد في حديث النواس بن سمعان ؓ في قصة الدجال وفيه: (إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُؤُ حَاجِبُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ؛ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أَشْبَهُهُ بِعَبْدِ الْعَزَّى بْنِ قَطَنِ، فَمَنْ

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٥٦) ح [٢٣١١]، ووردت التسمية من قول النبي ﷺ ولكن الحديث فيه ضعف فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل شيء سنَامٌ وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَفِيهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ هِيَ آيَةُ الْكُرْسِيِّ) قال أبو عيسى: «هذا حديثٌ غريبٌ» (٦٤٧) [٢٨٧٨]، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٢٩٧).

(٢) رواه مسلم (٣٢٧) ح [١٨٨٥].

أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ) الحديث (١).

ومرة بالخواتم، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما جبريل قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال: (هَذَا بَابٌ مِّنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبَشِيرٌ بِنُورَيْنِ أَوْتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ؛ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ)» (٢) وقوله ﷺ: (أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ!) (٣).

٤ - أو تكون بالنظر إلى وقت نزولها، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه: ثم إنني لا أدع بعدي شيئًا أهم عندي من الكلاله، ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلاله، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدري فقال: (يا عُمَرُ، أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ) الحديث (٤).

أي: الآية التي نزلت في الصيف (٥).

٥ - أو تكون بالنظر لما اشتملت عليه من المعاني، فقد وُصِفَ النبي ﷺ آيتي الزلزلة بما اشتملتا عليه من المعاني، وحتواته من الأصول، فعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث مانع الزكاة الطويل، وفيه: قالوا: فالحمر يا رسول الله؟ قال: (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَادَّةُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ

(١) سبق تخريجه ص (٣٠٩).

(٢) رواه مسلم، سبق تخريجه ص (١٩٧).

(٣) سبق تخريجه ص (١٧٧).

(٥) انظر: المنهاج (٤/٢١٤).

(٤) سبق تخريجه ص (١٧٧).

يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿١﴾ متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ويُروى تسمية آخر آية من سورة الإسراء ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا وَلَرَّ﴾، بآية العز، كما روى الإمام أحمد في «مسنده»<sup>(٢)</sup> عن سهل عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: (آيَةُ الْعِزِّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١] [الآية كُلُّهَا]). إسناده ضعيف.

هذه مجمل التسميات والأوصاف في الأحاديث النبوية لآيات القرآن، مع ورود أكثر من ذلك على لسان الصحابة ومن بعدهم، فأصل التسمية للآيات ووصفها وارد ومأثور عن المعصوم عليه الصلاة والسلام باعتبارات متنوعة، ومتعلقات مختلفة، وليس هناك مانع من استحداث تسميات أخرى متى ما بدت ظاهرة في الآية كما سبق تقريره مطلع (المطلب)، والله أعلم.



(١) سبق تخريجه ص (٣٤٢).

(٢) (٣٩٦/٢٤) [١٥٦٣٤]، والطبراني في الكبير (١٩٢/٢٠) [٤٣٠]، قال الهيثمي في المجمع (٥٢/٧): «رواه أحمد من طريقين في إحداهما: رشدين بن سعد وهو ضعيف، وفي الأخرى: ابن لهيعة وهو أصلح منه» وكذلك الطبراني. وقال محقق المسند: «إسناده ضعيف». قال ابن حجر: «رشدين بن سعد: ضعيف». (التقريب ١٤٩).

## المَبَحْثُ الرَّابِعُ

# أَسْمَاءُ الْقُرْآنِ وَأَوْصَافِهِ

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أسماء القرآن.

المطلب الثاني: أوصاف القرآن.





## المَبَحْثُ الرَّابِعُ

### أسماء القرآن وأوصافه

مدخل:

إن أصدق الأسماء وأدق الأوصاف لشيء ما، تكون ممن أنشأه أول مرة، وأضافه إلى نفسه، وقصره عليه دون غيره... أو تكون ممن علمه علم اليقين، وأحاط به وفهم محتواه وما اشتمل عليه مضمونه، ثم من دونهم في الفهم والمعرفة والعلم.

وقد نزل كتاب الله تعالى على أمة جاهلية تعيش في تخبط وظلام، وجهالة وضلالة، لا علم لها بكتاب، ولا معرفة لها بخطاب رباني، فذكر الله تعالى في ثناياه أسماء وأوصافًا تبين لهم حقيقته وصدقه وبيانه وإرشاده وبركته وتأثيره؛ ليؤمنوا بكتاب ربهم، ويهتدوا بخطاب خالقهم فهو أصدق القائلين وأحكم الحاكمين ﷺ.

وقد ضمن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة تلك الأسماء والأوصاف في الإشارة إلى الكتاب المنزل عليه، تصديقًا لها وإيمانًا بها، وأضاف إليها أوصافًا أخرى مما سيرد في ثنايا هذا المبحث.

مع الإشارة إلى أنها كلها - الأسماء والأوصاف - في الحقيقة أسماء في العرف النحوي؛ أي: ما يقابل الفعل، إلا أن الاسم - أيضًا - يطلق ويراد به ما يقابل الصفة، فالاسم: ما كان جنسًا غير مأخوذ من الفعل، نحو: رجل وفرس وعلم، والصفة: ما كان مأخوذًا

من الفعل، نحو: اسم الفاعل واسم المفعول كل ضارب  
ومضروب<sup>(١)(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) انظر: الكليات (٨٤).

(٢) من الكتب في هذا العلم: الهدى والبيان في أسماء القرآن للشيخ البليهي، أسماء القرآن للخمساوي، أسماء القرآن وأوصافه في القرآن الكريم للباحث.

## المطلب الأول

## أسماء القرآن

ذكر النبي ﷺ للقرآن أسماء وهي مذكورة في كتاب الله تعالى في مواضع عديدة، وهذه الأسماء منها ما هو علم أصلي عليه، ومنها ما هو علم بالغلبة... وما ورد في الأحاديث النبوية من أسماء للقرآن هي:

أولاً: القرآن:

واسم القرآن عَلَّمَ أصلي على الكتاب المنزل على هذه الأمة المحمدية حيث لم يسبق أن أطلق على غيره، قال ابن عاشور: «فاسم القرآن هو الاسم الذي جعل علماً على الوحي المنزل على محمد ﷺ ولم يسبق أن أطلق على غيره قبله، وهو أشهر أسمائه وأكثرها وروداً في آياته، وأشهرها دوراناً على ألسنة العلماء»<sup>(١)</sup>.

والأحاديث النبوية المشتملة على هذا الاسم أكثر من أن تحصر، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه في حديث المسيء صلاته قال: قال ﷺ: (إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: (أَبُهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا

(١) التحرير والتنوير (٧١/١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٥١) ح [٧٥٧]، ومسلم (١٦٨) ح [٨٨٥].

لِلْقُرْآنِ؟) الحديث<sup>(١)</sup>.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إني قد وهبت لك نفسي فقال رجل: زوجنيها قال: (قَدْ زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

واسم (القرآن) يطلق على جميع القرآن من فاتحة الكتاب إلى خاتمته بسورة الناس، ويطلق ويراد به بعض القرآن كما في حديث البراء رضي الله عنه قال: قرأ رجل الكهف وفي الدار الدابة فجعلت تنفر فسلم فإذا ضبابة أو سحابة غشيتة، فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (اقْرَأْ فُلَانُ، فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ)<sup>(٣)</sup>.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني وهبت منك نفسي، فقامت طويلاً، فقال رجل: زوجنيها. وفيه: فقال: (أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟! ) قال: نعم. الحديث<sup>(٤)</sup>.

علّق ابن حجر بقوله: «وتوجيهه أن بعض القرآن قرآن، وقد سماه الله شيئاً...»<sup>(٥)</sup>.

ويستدل بهذا الحديث أيضاً على أن القرآن أو بعضه يطلق عليه بأنه (شيء)، قال البخاري: «وسمى النبي صلى الله عليه وسلم القرآن شيئاً وهو صفة من صفات الله تعالى»<sup>(٦)</sup>.

واسم القرآن أكثر الأسماء وروداً في الأحاديث النبوية، بل والأوصاف أيضاً، وما ذاك إلا لأنه الاسم العلم الأصلي على الكتاب

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٦٤) ح [١٣٤٣].

(٢) سبق تخريجه ص (٢٠٩)، وهو مختصر من حديث طويل.

(٣) رواه البخاري (٧٤٠) ح [٣٦١٤]، ومسلم (٣٢٢) ح [١٨٥٦].

(٤) سبق تخريجه ص (٢٠٩). (٥) فتح الباري (١٣/٤٩٢).

(٦) صحيح البخاري (١٥٥٤).

العزیز، واختص به من دون سائر الكتب السماوية السابقة التي تشاركه في بعض الأسماء والأوصاف، أما ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عليه السلام الْقُرْآنُ فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَيُسْرَجُ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)<sup>(١)</sup>.

فالمراد بـ(القرآن) هنا القراءة وهي من أصل الكلمة الاشتقاقي على القول بأنه غير جامد<sup>(٢)</sup>، قال ابن حجر: «قيل: المراد بالقرآن القراءة، والأصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته، وقيل: المراد الزبور، وقيل: التوراة... والأول أقرب»<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: الكتاب:

وهذا الاسم علم بالغلبة<sup>(٤)</sup> على الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقد سمي به غيره من الكتب السابقة، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (نَحْنُ الْأَخْرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيِّدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ) الحديث<sup>(٥)</sup>.

والمراد كتب الأمم السابقة؛ كالتوراة والإنجيل والزبور... وغيرها.

وورد هذا الاسم في الأحاديث النبوية بأساليب مختلفة، ومن ذلك مجيئه معرفاً بـ(أل) كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضَمَّنِي

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧٠٢) ح[٣٤١٧].

(٢) انظر: ما سبق ذكره في تعريف القرآن واشتقاقاته.

(٣) فتح الباري (٥٥٤/٦)، وانظر: عمدة القاري (٧/١٦).

(٤) والغلبة هي: «أن يكون اللفظ في أصل الوضع عامّاً في أشياء ثم يصير بكثرة الاستعمال في أحدها أشهر، بحيث لا يحتاج ذلك الشيء إلى قرينة، بخلاف سائر ما كان واقعاً عليه اسماً كان؛ كابن عباس، أو صفة؛ كالأسود للحية» الكليات (٦٦٧).

(٥) رواه البخاري (١٧٧) ح[٨٩٦]، مسلم (٣٤٣) ح[١٩٧٧].

رسول الله ﷺ وقال: (اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا الْكِتَابَ) (١)؛ أي: القرآن؛ لأن اللام للعهد، أو لأن الجنس المطلق محمول على الكامل، والعرف الشرعي عليه (٢).

ومن الأساليب مجيئه مضافاً إلى لفظ الجلالة، كما روى عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: (أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟) فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: (أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعِ، وَمِنْ أَعْدَائِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ) (٣).

ومضافاً إلى كاف الخطاب، كما في حديث البراء رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَبِّعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ...). وفيه: (آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) الحديث (٤).

والمراد بالكتاب هنا القرآن، ويحتمل جنس الكتب المنزلة على الرسل (٥).

وهذا الاسم يتلو الاسم الذي قبله في كثرة وروده في الأحاديث النبوية.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٢) ح [٧٥].

(٢) انظر: عمدة القاري (٦٦/٢)، فتح الباري (١/٢٢٤).

(٣) رواه مسلم (٣٢٥) ح [١٨٧٣]. وانظر: الأحاديث الأخرى خ [٤٥٦، ٢٦٩٦، ٤٧٤٧]، م [٦٢٢٥، ٢٠٠٥].

(٤) رواه البخاري (٥٥) ح [٢٤٧]، مسلم (١١٧٧) ح [٦٨٨٢].

(٥) انظر: فتح الباري (١١/١٣٤).

## ثالثاً: الفرقان:

وهو اسم بالغلبة، ومعناه: الفارق بين الحق والباطل والصالح والطالح والنافع والضار... إلخ، أو النازل مفرداً ومنجماً في نيف وعشرين سنة، وليس دفعة واحدة كالكتب السابقة<sup>(١)</sup>.

وقد ورد هذا الاسم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه:  
 أنه قال: رأيت فيما يرى النائم لكأن في إحدى أصبعي سمناً وفي الأخرى عسلاً فأنا ألعقهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فقال: (تَقْرَأُ الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَةَ وَالْفُرْقَانَ) فَكَانَ يَفْرُقُهُمَا<sup>(٢)</sup>. وفي حديث  
 أبي بن كعب رضي الله عنه وفيه: ... قال: (تُحِبُّ أَنْ أَعْلَمَكَ سُورَةَ لَمْ يَنْزَلْ فِي  
 التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِنْهَا؟) قال: نعم  
 يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: (كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟) قال: فقرأ أم القرآن،  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي  
 الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِنْهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي)<sup>(٣)</sup>.



(١) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة (٩٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦٣٨/١١) [٧٠٦٧]، وقال محققه: إسناده حسن.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٦٤٦) [٢٨٧٥]، وقال: «حديث حسن صحيح»، والإمام أحمد في المسند (٣١١/١٤) [٨٦٨٢]، وقال محققه: إسناده صحيح.

## المطلب الثاني

### أوصاف القرآن

اشتملت الأحاديث النبوية على أوصاف للقرآن كثيرة، منها ما ورد ضمناً، ومنها ما خصص الحديث لها، إلا أنها لا تسلم من مقال.

والأحاديث المروية في ذكر أوصاف القرآن جملة، منها ما رواه الحارث بن الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث، قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم قال: أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةً) فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: (كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبْرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ. هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَسِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عِبَائِهِ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهُ الْجِنَّ إِذْ سَمِعْتُهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿...إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢]. مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>(١)</sup> وإسناده ضعيف.

(١) رواه الترمذي في جامعه (٦٥٣) ح [٢٩٠٦]، قال الترمذي: «حديث لا نعرفه إلا من =



إلا أن معانيه صحيحة، وأكثر الأوصاف المذكورة فيه وردت في القرآن وفي الأحاديث النبوية الأخرى إما باللفظ أو المعنى؛ كما سيأتي.

وروي حديث آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَادِبَةٌ اللَّهِ فَاقْبَلُوا مِنْ مَادِبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لَا يَزِيغُ فَيَسْتَعْتَبَ وَلَا يَعْوجُّ فَيَقْوَمَ وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يَخْلُقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، ائْتَلَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرْكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ كُلَّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ وَلَامٌ وَمِيمٌ)<sup>(١)</sup> وإسناده ضعيف أيضًا وهو كسابقه.

فالأوصاف الواردة جملة في الأحاديث النبوية لا تسلم من مقال، وقد ضعف إسنادهما جمع من العلماء، كما سبق.

والأوصاف الواردة ضمن الأحاديث النبوية كثيرة، وهي في منزلة واحدة ومرتبة متساوية؛ ولذا سأرتبها حسب الترتيب الهجائي:

= هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال». والدارمي في سننه (٢٠٩٨/٤) [٣٣٧٤] ورواه من طريق آخر بلفظ مقارب، وقال محققه: إسناده حسن. وضعف الألباني الحديث في ضعيف سنن الترمذي (٣٠٣)، والحديث مداره على الحارث بن الأعور وقد تكلم علماء الجرح والتعديل فيه، انظر: تهذيب التهذيب (١/٣٣١)، وقال الذهبي: «والجمهور على توهينه مع روايتهم لحديثه في الأبواب»، وهذا الشعبي يكذبه، ثم يروي عنه، والظاهر أنه كان يكذب في لهجته وحكاياته، وأما في الحديث النبوي فلا». (ميزان الاعتدال ١٧٢/٢).

(١) رواه الحاكم في مستدركه (١/٧٤١)، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وابن أبي شيبه في مصنفه (١٥/٤٦٣) [٣٠٦٣٠]، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/١٠٩)، وقال: «حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشبه أن يكون من كلام ابن مسعود». وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١/٤٣١)، ورواه موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه الدارمي في مسنده (٤/٢٠٨٤) [٣٣٥٠]، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٦٨) [٥٩٩٨].

## أولاً: آيات الله:

وصف النبي ﷺ القرآن بأنه آيات؛ وذلك لاشتماله على آيات، والآيات جمع آية وهي العلامة والدالة، فإذا كان أبعاض القرآن دالة بفصاحتها على صدق المدعى كانت آيات، وإذا كان منها ما يدل على الإخبار عن الغيوب فهي دالة على تلك الغيوب أيضاً، وهي كذلك دالة على دلائل التوحيد والنبوة والشرائع<sup>(١)</sup>.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدَّدَ لِيُذْرِكُ دَرَجَةَ الصَّوَامِ الْقَوَامِ بِآيَاتِ اللَّهِ بِحُسْنِ خُلُقِهِ وَكَرَمِ ضَرِيَّتِهِ)<sup>(٢)</sup>.

## ثانياً: البيئات:

وهي عموم الدلائل الدالة على صدق المدعي، وقد ورد في الأحاديث النبوية وصف القرآن وغيره بأنه (بيئات) كما في الحديث الطويل في صفة صلاة الكسوف وفيه: (وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ) - لا أدري أي ذلك قالت أسماء -: (فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ: مَا عَلِمَكَ بِهَذَا الرَّجُلِ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤَقِنُ) - لا أدري أي ذلك قالت أسماء -: (فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَاجْتَبْنَا وَأَطَعْنَا) ثلاث مرار... الحديث<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: التفسير الكبير (٣/١٨١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٢٩/١١) [٦٦٤٨]، وقال محققه: صحيح لغيره، وله شواهد.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه (٢٠٩) ح [١٠٥٣]، ومسلم (٣٦٥) ح [٢١٠٣]، وفي المسند: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى مَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى أَجْرًا، إِلَّا أَنْ تُؤَادُوا اللَّهَ...) الحديث (٤/٢٣٨) [٢٤١٥]، وهو موافق لقول الله تعالى: ﴿مَنْ لَّا أَتَاكُمُ عَلَيْهٖ بُرْهَانٌ﴾ [الشورى: ٢٣]... الآية.

والبينات التي جاء بها النبي ﷺ كثيرة ومتنوعة، ولكن أولى البينات الدالة على أنه رسول من رب العالمين حقًا الكتاب العزيز الذي جاء به على صفة الإعجاز والتحدي، وهو أعظمها وأجلها.

### ثالثًا: ثقیل:

وصف النبي ﷺ القرآن الكريم بأنه ثقیل، والثقل ضد الخفة<sup>(١)</sup>؛ وذلك لما يلقاه من الشدة عند نزول الوحي، أو أنه ثقیل على الكفار بإعجازه ووعده ووعيده، أو أنه ثقیل في الميزان، أو ثقیل في القدر والمكانة...<sup>(٢)</sup>.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمًا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: (أَمَا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوسِيكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوْلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ) فحث على كتاب الله ورغب فيه... الحديث<sup>(٣)</sup>.

### رابعًا: حبل:

والحبل: يدل على امتداد الشيء، ثم يحمل عليه<sup>(٤)</sup>.

وقد وصف النبي ﷺ القرآن بأنه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، فهو يقوي الصلة بالله تعالى، ويهدي للتي هي أقوم في الدنيا والآخرة، ويعلق القلب بما أخبر عنه من النعيم المقيم والخير الدائم... عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا

(١) انظر: مقاييس اللغة (١٦٩)، وقال: «الشاء والقاف واللام أصل واحد يتفرع منه كلمات متقاربة».

(٢) انظر: أسماء القرآن وأوصافه في القرآن الكريم (٢٠٣).

(٣) رواه مسلم (١٠٦١) ح[٦٢٢٥]. (٤) انظر: مقاييس اللغة (٢٧٠).

إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ... الحديث<sup>(١)</sup>.

قال السندي: «حَبْلٌ مَمْدُودٌ» ليرتقى به أهل الأرض إلى أهل السموات وقد جاء: (الْمَاهِرُ فِي الْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ...); أي: فعليكم مراعاته بعدي علماً وعملاً وحفظاً<sup>(٢)</sup>.

ووصف - أيضاً - بأنه سبب، وحقيقة السبب: الحبل، وكل شيء يتوصل به إلى غيره<sup>(٣)</sup> كما جاء في حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (أَبَشِّرُوا وَأَبْشِرُوا أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْنِي رَسُولُ اللَّهِ؟) قالوا: نعم قال: (فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا)<sup>(٤)</sup>.

#### خامساً: الحكمة:

وصف النبي ﷺ القرآن الكريم بأنه حكمة؛ لأنه ذو حكمة في تأليفه ونظمه وأسلوبه، وأحكامه وحكمه، ولأنه يجمع بين ذكر الحكم وبيان حكمته...<sup>(٥)</sup>.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي

(١) رواه الترمذي (٨٥٩) ح [٣٧٨٨]، وقال: حديث حسن غريب، والإمام أحمد في مسنده (١٧٠/١٧) [١١١٠٤]، وقال محققه: حديث صحيح بشواهد. قلت: وأصله عند مسلم كما سبق قريباً.

(٢) حاشية المسند (٦/٣٩٠). (٣) انظر: مختار الصحاح (٢٨١).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٦١/١٥) [٣٠٦٢٨]، وابن حبان في صحيحه (١/٣٢٩)، والطبراني في الكبير (١٨٨/٢٢) [٤٩١]، وقال الهيثمي في المجمع (١/١٦٩): رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٥) انظر: أسماء القرآن وأوصافه (٢٤٥).

أُتِنْتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَيْهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا<sup>(١)</sup>.

وورد في الحديث الآخر بيان أن المراد بالحكمة القرآن، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى أُتِنْتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ هَذَا الْكِتَابَ فَقَامَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَتَصَدَّقَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: «ووجه الحصر أن الطاعات إما بدنية أو مالية أو كائنة عنهما، وقد أشار إلى البدنية بإتيان الحكمة والقضاء بها وتعليمها. . والمراد بالقيام به العمل به مطلقاً أعم من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها ومن تعليمه، والحكم والفتوى بمقتضاه. . .»<sup>(٣)</sup>.

وفي دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بتعليم الكتاب، قال: (اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْحِكْمَةَ)<sup>(٤)</sup>.

قال ابن حجر: «وهو يؤيد من فسر الحكمة هنا بالقرآن»<sup>(٥)</sup>، والمراد - والله أعلم - القرآن الكريم كما في الحديث السالف: أن النبي ﷺ قال: (اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْكِتَابَ) رواه البخاري<sup>(٦)</sup>.

### سادساً: خير الحديث:

وصف النبي ﷺ القرآن بأنه خير الحديث، وهو من الأوصاف التي لم تذكر في القرآن، وإنما الوارد فيه (الحديث، وأحسن الحديث).

والقرآن خير الحديث بجزالة ألفاظه وقوة معانيه، مع يسر في

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢١) ح [٧٣]، ومسلم (٣٢٨) ح [١٨٩٦].

(٢) رواه البخاري (١٥٨١) ح [٧٥٢٩]، ومسلم (٣٢٨) ح [١٨٩٤].

(٣) فتح الباري (١/٢١٩). (٤) رواه البخاري (٧٧٠) ح [٣٧٥٦].

(٥) فتح الباري (٧/١٢٧). (٦) سبق تخريجه الهامش رقم (٤).

القراءة وسهولة في تدبرها . . وذلك مقارنة بحديث غيره من عموم البشر .  
 عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب  
 احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول:  
 (صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ)، ويقول: (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ)  
 الحديث<sup>(١)</sup>.

### سابعاً: الداعي:

وصف النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه الداعي إلى الله تعالى بالائتمار  
 بأوامره، والانتهاز عن نواهيه، فمن أجابه نجا، ومن أعرض عنه خسر،  
 وذلك من خلال ما تضمنه من وعد ووعيد، وأمر ونهي، وترغيب  
 وترهيب .

عن النّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:  
 (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصِّرَاطِ سُوَارَانِ فِيهِمَا  
 أَبْوَابٌ مُفْتَحَتٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ مُرَخَّاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ:  
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا). وفيه: (وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ،  
 وَالسُّوَارَانِ حُدُودُ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ  
 الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ عز وجل، والدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ  
 فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ)<sup>(٢)</sup>.

### ثامناً: فصل:

وصف القرآن في الأحاديث النبوية بأنه فصل، والفصل: هو الذي

(١) رواه مسلم (٣٤٧) ح [٢٠٠٥].

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٨٢/٢٩) [١٧٦٣٤]، والحاكم في مستدرکه (١/١٤٤)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه». وقال  
 محقق المسند: «حديث صحيح».

يفصل بين الحق والباطل فيميز هذا من هذا، ويفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، والقول الفصل بيان المعنى ضد الإجمال، فكون القرآن فصلاً يتضمن هذه المعاني كلها... (١).

عن عامر قال: كان رجل من أصحاب النبي ﷺ له إليه حاجة فمشى معه حتى دخل قال: فأحدى رجله في البيت والأخرى خارجه كأنه يناجي فالتفت فقال: (أَتَدْرِي مَنْ كُنْتُ أَكَلَّمُ؟! إِنَّ هَذَا مَلَكٌ لَمْ أَرَهُ قَطُّ قَبْلَ يَوْمِي هَذَا اسْتَأَذَنَ رَبُّهُ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيَّ، قَالَ: إِنَّا آتَيْنَاكَ أَوْ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فَصَلًّا وَالسَّكِينَةَ صَبْرًا وَالْفُرْقَانَ وَصَلًّا) وهو مرسل (٢).

#### تاسعاً: مصحف:

ورد في الأحاديث النبوية وصف القرآن الكريم بأنه (مصحف)، ولعل التسمية باعتبار ما سيكون في المستقبل من كتابته في الصحف؛ لأنهم مأمورون بكتابته بأي أداة كانت، كما هم مأمورون بقراءته، ويدل على ذلك تسميته بالكتاب والقرآن، وذلك باعتبار الكتابة والقراءة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ...) الحديث (٣).

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن (٦٧).

(٢) رواه الدارمي في مسنده (١/١٦٠) [١٠]، وقال محققه - حسين سليم أسد -: «مرسل رجاله ثقات».

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٣٧) ح [٢٤٢]، وقال ابن الملقن في البدر المنير: «إسناده حسن أكثر رجاله رجال الصحيح» (١٠٢/٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٩٧)، وعند الإمام أحمد في مسنده (٩/٣٣٥) [٥٤٦٥] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «سمعت رسول الله ﷺ ينهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو» قال محققه: «حديث صحيح». وأصله في الصحيحين. وابن أبي داود في المصاحف [٦٩١].

## عاشراً: النور:

وصف القرآن بـ(النور) في الأحاديث النبوية؛ وذلك لأنه يضيء للسالكين المتمسكين به طريقهم، وينير لهم دروبهم، ويدلهم إلى أفضل الأعمال وأعلى الأقوال والأخلاق، التي فيها عزهم ومجدهم ونجاحهم في الدنيا والآخرة.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمًا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: (أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوْلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ) فَحَثَّ عَلَيَّ كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ... الحديث<sup>(١)</sup>.

## الحادي عشر: كلام الله:

وصف النبي ﷺ القرآن بأنه كلام الله وكلماته، وأصلها (الكلم): وهو التأثير المدرك بإحدى الحاستين، فالكلام: يدرك بحاسة السمع، والكلم: بحاسة البصر<sup>(٢)</sup>.

فألفاظ القرآن ومعانيه تؤثر في ذهن السامع، وتلين قلب التالي، وتفيد القارئ والسامع فائدة لم تكن عنده...<sup>(٣)</sup>.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال: (أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؛ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي)<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (١٠٦١) ح[٦٢٢٥]. (٢) انظر: المفردات للراغب (٧٢٢).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/٣٧٥).

(٤) رواه أبو داود في سننه (٦٦٩) ح[٤٧٣٤]، والترمذي في جامعه (٦٥٧) ح[٢٩٢٥]، وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، وابن ماجه (٣١) ح[٢٠١]، =



وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول: (إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ؛ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَأَمَةٍ) <sup>(١)</sup>.

والمراد بـ(الكلمات) إما كلامه على الإطلاق ويدخل فيه القرآن دخولا أولياً، وإما مخصوصه بنحو المعوذتين، وقيل: القرآن <sup>(٢)</sup>.

### الثاني عشر: الهدى:

وصف النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه (الهدى)؛ إذ إنه مشتمل على الآيات الواضحات، والدلائل البينات، والمعالم الجليات، الهادية إلى خيري الدنيا والآخرة، فمن آمن به واتبعه هده لما هو أقوم، ومن كفر به وصد عنه ضل ضللاً بعيداً.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى خمًا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: (أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوْشِكُ أَنْ يَأْتِيَنَّ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبْ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ نَفْلَيْنِ، أَوْلَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالتَّوْرُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ) فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَعَبَ فِيهِ . . . الحديث <sup>(٣)</sup>.

= والإمام أحمد في مسنده (٣٧٠/٢٣) [١٥١٩٢]، وقال محققه: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٩١) ح [٣٣٧١]، وفي صحيح مسلم (١١٧٧) ح [٦٨٨٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغنتي البارحة قال: (أَمَّا لَوْ قُلْتِ جِئْتِ أُمْسَيْتِ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرِّيْكَ).

(٢) انظر: المنهاج (١٧/١٩٦)، فتح الباري (٦/٤٩٧)، عمدة القاري (١٥/٢٦٥).

(٣) رواه مسلم، سبق تخريجه قريباً، وانظر: الوصف الثاني من أوصاف القرآن [بينات].

### الثالث عشر: الوحي:

ورد وصف القرآن في الأحاديث النبوية بأنه وحي؛ وذلك أن الله تعالى أنزله بواسطة الوحي إلى محمد ﷺ، وفيه إثبات بأنه من عند الله تعالى وليس من عند غيره، ودليل على نزوله وأنه ليس بمخلوق أو حديث مفترى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)<sup>(١)</sup>.

والمعنى: أي: أن معجزتي التي جئت بها وتحديث بها قومي هي الوحي الذي أنزله الله علي، وهو القرآن الكريم، وذلك لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح والبرهان القاطع...<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) سبق تخريجه ص (٣١).

(٢) انظر: فتح الباري (٩/٩).

## الفصل الرابع

### التفسير

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: التفسير النبوي للقرآن

المبحث الثاني: بيان السُّنة النبوية للقرآن

المبحث الثالث: غريب القرآن.

المبحث الرابع: تعضيد السُّنة بالقرآن.



## الْفَصْلُ الرَّابِعُ

### التفسير

مدخل:

أعلى الله - سبحانه - شأن هذا التفسير وبين مكانته، وجلّى أهميته، في آيات كريمات من كتابه العزيز، فقال جلّ من قائل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، قال ابن كثير: «﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾؛ يعني: القرآن، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من ربهم؛ أي: لعلمك بمعنى ما أنزل عليك، وحرصك عليه، واتباعك له، لعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم، فتفصل لهم ما أجمل، وتبين لهم ما أشكل، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾؛ أي: ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤] قال ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup> معلقاً على الآية: «فإن الله ﷻ ابتعث محمداً رسوله ﷺ إلى الناس كافة وأنزل عليه الكتاب تبيناً لكل شيء، وجعله موضع الإبانة عنه.. فكان رسول الله ﷺ هو المبين عن الله ﷻ أمره، وعن كتابه معاني ما خوطب به الناس، وما

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٧٤).

(٢) هو: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس أبو محمد ابن أبي حاتم الرازي، له مصنفات كبيرة منها: «التفسير»، «علل الحديث»، «المراسيل» وغيرها، توفي سنة ٣٢٧هـ. انظر: طبقات الشافعية (١/١١١)، الوافي بالوفيات (١٨/١٥٨).

أراد الله ﷻ به وعني فيه، وما شرع من معاني دينه وأحكامه وفرائضه وموجباته وأدابه ومندوبه وسُنَّته التي سنَّها، وأحكامه التي حكم بها وآثاره التي بثَّها... فثبت ﷺ حجة الله ﷻ على خلقه بما أدى عنه، وبيَّن من محكم كتابه ومتشابهه، وخاصه وعامه، وناسخه ومنسوخه...»<sup>(١)</sup>.

وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان على أن السُّنة النبوية تفسر القرآن الكريم وتبيِّنه، وتدل عليه وتعبّر عن مجمله، كما حكاها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ...<sup>(٢)</sup>.

بل من تفسير القرآن ما لا يتوصل إلى علم تأويله وبيان معناه إلا ببيان الرسول ﷺ، قال ابن جرير: «فقد تبين بيان الله جلَّ ذكره أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه ﷺ ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ وذلك جميع ما فيه من وجوه أمره: واجبه وندبه وإرشاده، وصنوف نهيه... وما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله ﷺ لأمته، وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله ﷺ له تأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها، دالة أتمه على تأويله»<sup>(٣)</sup>.

وإذا عرف تفسير القرآن من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم<sup>(٤)</sup>.

وعموم السُّنة النبوية مع كتاب الله تعالى على ثلاث منازل - كما قال ابن القيم -:

«المنزلة الأولى: سُنَّة موافقة شاهدة بنفس ما شهد به الكتاب المنزل.

المنزلة الثانية: سُنَّة تفسر الكتاب، وتبين مراد الله منه، وتفيد

مطلقه.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤٣٢/١٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/١٣).

(١) الجرح والتعديل (٢/١).

(٣) تفسير الطبري (٦٨/١).

المنزلة الثالثة: سُنَّة متضمنة لحكم سكت عنه الكتاب فتبينه بياناً  
مبتدأ<sup>(١)</sup>.

وقد سبق ذكر طرف من مكانة السُنَّة النبوية في التشريع الإسلامي  
ومنزلتها من الدين<sup>(٢)</sup>.



(١) الطرق الحكمية (١/١٨٦).

(٢) انظر: التمهيد (١٩) وما بعدها.





المَبْحَثُ الْأَوَّلُ

## التفسير النبوي للقرآن

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحض على معرفة التفسير والتحذير من

تأويل القرآن بغير علم.

المطلب الثاني: مقدار بيان النبي ﷺ للقرآن.

المطلب الثالث: أقسامه.



## المطلب الأول

### الحض على معرفة التفسير والتحذير من تأويل القرآن بغير علم

تضمنت الأحاديث النبوية الحث على معرفة التفسير، والترهيب من تأويل القرآن بغير علم، ومن ذلك:

أولاً: الحض على معرفة التفسير:

حَثَّ النبي ﷺ على تعلم تفسير القرآن ومدارسته، وأن القرآن الكريم كتاب هداية ودلالة وبيان وليس هو للتلاوة فحسب، فقد دعا لابن عباس رضي الله عنهما بأن يعلمه الله تأويل الكتاب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **صَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْكِتَابَ) (١).**

قال ابن حجر: «والمراد بالكتاب القرآن؛ لأن العرف الشرعي عليه، والمراد بالتعليم ما هو أعم من حفظه والتفهم فيه» (٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بعض بيوت نساءه قال: فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلف عليها علي يخصفها، فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه، ثم قام ينتظره وقمنا معه، فقال: **(إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَيَّ تَأْوِيلَ هَذَا الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ**

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٢) ح [٧٥]، وفي رواية ابن ماجه في سننه (٢٥) ح [١٦٦]: **(اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْحِكْمَةَ وَتَأْوِيلَ الْكِتَابِ).**

(٢) فتح الباري (١/٢٢٤).

عَلَى تَنْزِيلِهِ) فاستشرفنا وفيما أبو بكر وعمر فقال: (لَا، وَلَكِنَّهُ خَاصِصٌ النَّعْلِ) الحديث<sup>(١)</sup>.

وهذا في سياق المدح والثناء، والأمر بتأويل القرآن والعمل به، قال السندي: «قوله: (مَنْ يُقَاتِلْ عَلَيَّ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ)؛ أي: يقاتل البغاة معتمداً فيه على تأويل القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلِيَّ تَبَغِي﴾ [الحجرات: ٩] وذلك لأن معرفة أن هؤلاء بغاة يستحقون القتال يحتاج إلى التأمل والفهم، فجعل قتال أولئك مبنياً على التأويل»<sup>(٢)</sup>.

وقد أمر النبي ﷺ برجوع الجاهل إلى العالم في تفسير القرآن الكريم، وسؤاله عن ذلك، حتى يتبين له المعنى ويحصل بعده العمل، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ، الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا، وَمَا جَهَلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَيَّ عَالِمِهِ)<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حبان معلقاً على الحديث: «وَقَوْلُهُ: (وَمَا جَهَلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَيَّ عَالِمِهِ) فِيهِ الزَّجْرُ عَنِ ضِدِّ هَذَا الْأَمْرِ؛ وَهُوَ أَلَّا يَسْأَلُوا مَنْ لَا يَعْلَمُ...» ثم بوب بقوله: «ذَكَرَ الْعَلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا قَالَ ﷺ: (وَمَا جَهَلْتُمْ فَرُدُّوهُ إِلَيَّ عَالِمِهِ)» وساق بسنده حديث ابن مسعود ؓ عن النبي ﷺ: (أَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ)<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٩٦/١٨) [١١٧٧٣]، والنسائي في الكبرى (٤٦٦/٧) [٨٤٨٨]، والحاكم في مستدركه (١٣٢/٣)، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وقال محقق المسند: حديث صحيح.

(٢) حاشية السندي (٤٥١/٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٦٩/١٣) [٧٩٨٩]، وصححه ابن حبان في صحيحه (٢٧٥/١) [٧٤]، وابن كثير في تفسيره (١٣/٢)، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٤) سبق تخريجه ص (٢٤٧).

## ثانيًا: التحذير من تأويل القرآن بغير علم:

رُوي التحذير من القول في القرآن بغير علم والترهيب منه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)<sup>(١)</sup> وإسناده ضعيف.

وعن جُنْدُب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﻋَظَمَ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ)<sup>(٢)</sup> وهو ضعيف الإسناد أيضًا.

إلا أن العلماء رحمهم الله علّقوا على مثل هذه الأحاديث وبينوا معناها وما اشتملت عليه، قال الترمذي: «هكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم، وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم، وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم»<sup>(٣)</sup>.

وقال الطبري معلقًا على الحديثين: «وهذه الأخبار شاهدة لنا على

(١) رواه الترمذي في جامعه (٦٦٣) ح [٢٩٥٠]، وقال: «حديث حسن صحيح»، والإمام أحمد في مسنده (٤٩٦/٣) [٢٠٦٩]، والنسائي في الكبرى (٢٨٥/٨) [٨٠٣٠]، وقال محقق المسند: إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى الثعلبي. وعبد الأعلى الثعلبي قال عنه الإمام أحمد: ضعيف الحديث، وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث (تهذيب التهذيب ٤٦٤/٢)، وحكم عليه ابن حجر في التقريب (٢٧٣) بقوله: «صدوق بهم». وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٣١٣).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٥٢٤) ح [٣٦٥٢]، والترمذي في جامعه (٦٦٣) ح [٢٩٥٢]، وقال: «حديث غريب، قد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم»، والنسائي في الكبرى (٢٨٦/٨) [٨٠٣٢]، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢٩٤)، وسهيل بن أبي حزم قال عنه ابن حجر: «ضعيف». التقريب (١٩٩).

(٣) جامع الترمذي (٦٦٣).

صحة ما قلنا؛ من أن ما كان من تأويل القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيلُ فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه وإن أصاب عين الحق فيه، فمخطئ في فعله ببقيله فيه برأيه، ولأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق، وإنما هو إصابة خارصٍ وظانٍ، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لا يعلم، وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده... فالقائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله ﷺ الذي جعل الله إليه بيانه، قائل ما لا يعلم، وإن وافق قوله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه؛ لأن القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به، وهذا هو معنى الخبر... عن جنذب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ)؛ يعني: أنه أخطأ في فعله، ببقيله فيه برأيه وإن وافق قوله ذلك عين الصواب عند الله...»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأثير: «النهي عن تفسير القرآن بالرأي لا يخلو إما أن يكون المراد به: الاقتصار على النقل والمسموع، وترك الاستنباط، أو المراد به: أمر آخر.

وباطل أن يكون المراد به: ألا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه، فإن الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن، واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من الرسول ﷺ، وإن النبي ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنهما فقال: (اللَّهُمَّ فَفِّهْ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)<sup>(٢)</sup>، فإن كان التأويل مسموعًا كالتنزيل؛ فما فائدة تخصيصه بذلك؟

(١) تفسير الطبري (١/٧٢ - ٧٤)، وانظر: تفسير ابن كثير (١/١١).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٢٥) [٢٣٩٧]، والطبراني في الكبير (١٠/٢٦٣) [١٠٦١٤]. وقال محقق المسند: إسناده قوي على شرط مسلم.

وإنما النهي يحمل على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه؛ ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى...

الوجه الثاني: أن يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسمع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية، كثر غلظه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي، فالنقل والسمع لا بد له منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط... ثم قال: وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي إليه<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: الأحاديث الإسرائيلية:

ويُلحق بالحض على التفسير والتحذير من القول في القرآن بغير علم، الأحاديث التي يرويها الصحابة أو التابعون عن أهل الكتاب، أو بما يسمى بـ(الأحاديث الإسرائيلية) فقد رخص النبي ﷺ الحديث عنهم، كما روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ:

(١) جامع الأصول (٢/٤ - ٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧١٢) ح [٣٤٦١].

(لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾  
الآية [البقرة: ١٣٦])<sup>(١)</sup>.

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (حَدَّثُوا  
عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ)<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال الرخصة في الحديث عن بني إسرائيل، والتحذير من  
الكذب على النبي ﷺ، والأمر بالأمانة وأخبارهم ولا نكذبها،  
استخلص العلماء رحمهم الله المنهج الذي يسار عليه في التعامل مع تلك  
الروايات الإسرائيلية، وهي كما قال شيخ الإسلام: «على ثلاثة أقسام:  
أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك  
صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا  
القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجاوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما  
لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني..»<sup>(٣)</sup>.



(١) رواه البخاري في صحيحه (٩٢٥) ح [٤٤٨٥].

(٢) (١٢٥/١٦) [١٠١٣٠]، ورواه أبو داود (٥٢٥) ح [٣٦٦٢]. وقال محقق المسند:  
صحيح لغيره.

(٣) مجموع الفتاوى (٣٦٦/١٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (٩/١).



## المطلب الثاني

### مقدار بيان النبي ﷺ للقرآن

مما لا شك فيه أن النبي ﷺ يعلم جميع ما نزل، ولا يخفى عليه منه شيء، عدا ما استأثر الله بعلمه<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤] مما يستلزم معه المعرفة التامة، والعلم الكامل بكل ما نزل، فضلاً عن الآيات الحاثئة على التدبر والتفكير والتعقل، وهو أكمل الخلق خلقاً وخلُقاً... (وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم - كالطب والحساب - ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم وديناهم؟!)<sup>(٢)</sup>.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حديث صفة الحج الطويل، وفيه: قال: وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به. الحديث<sup>(٣)</sup>.

وهم أقرب الخلق إليه وأعلم الناس به.

(١) قال ابن أبي الفضل المرسي: «جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا واهبها والمتكلم بها، ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم، مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس... رضي الله عن الجميع». نقله السيوطي في معترك الأقران (١/١٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٣٢/١٣).

(٣) رواه مسلم (٥١٤) ح [٢٩٥٠].

وجميع القرآن الكريم تأويله على ثلاثة أوجه:

أحدها: لا سبيل إلى الوصول إليه وهو الذي استأثر الله بعلمه، وحجب علمه عن جميع خلقه، وهو أوقات ما كان من آجال الأمور الحادثة التي أخبر الله في كتابه أنها كائنة، مثل: وقت قيام الساعة ووقت نزول عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، والنفخ في الصور وما أشبه ذلك.

والوجه الثاني: ما خص الله بعلم تأويله نبيه ﷺ دون سائر أمته وهو ما فيه مما بعباده إلى علم تأويله الحاجة، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول ﷺ لهم تأويله.

والثالث منها: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك علم تأويل غريبه وإعرابه، لا يوصل إلى علم ذلك إلا من قبلهم<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله<sup>(٢)</sup>.

وعليه فالنبي ﷺ بين أمته ما تحتاج إلى علم تأويله مما لا يمكن علمه إلا من طريقه عليه الصلاة والسلام، قال الزركشي: «ينقسم القرآن العظيم إلى ما هو بين بنفسه بلفظ لا يحتاج إلى بيان منه ولا من غيره، وهو كثير... وإلى ما ليس بين بنفسه فيحتاج إلى بيان، وبيانه إما في آية أخرى، أو في السنة؛ لأنها موضوعة للبيان، قال تعالى: ﴿لَتُنَبِّئَنَّ لِلنَّاسِ مَا

(١) تفسير الطبري (٧٠).

(٢) تفسير الطبري (٧٠)، وقال: «في إسناده نظر». قال ابن كثير: «والنظر الذي أشار إليه هو من جهة محمد بن السائب الكلبي، فإنه متروك الحديث لكن قد يكون إنما وهم في رفعه، ولعله من كلام ابن عباس، والله أعلم» (١٥/١)، قال ابن حجر في التقريب (٤١٥): «محمد بن السائب بن بشر الكلبي متهم بالكذب ورمي بالرفض».

نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿[النحل: ٤٤]﴾<sup>(١)</sup>.

وَيُسْتَأْنَسُ بِمَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ لَا يَفْسِرُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ إِلَّا آيَا بَعْدَ عَلَّمَنَ إِيَّاهُ جَبْرِيلُ<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري معلقًا على الحديث وموجهًا له: «فإن ذلك مصحح ما قلنا من القول في الباب الماضي قبل، وهو أن من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك تفصيل جمل ما في آيه، من أمر الله ونهيه، وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وسائر معاني شرائع دينه، الذي هو مجمل في ظاهر التنزيل، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة، لا يدرك علم تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أشبه ذلك مما تحويه آي القرآن، من سائر حكمه الذي جعل الله بيانه لخلقه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يعلم أحد من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بتعليم الله ذلك إياه بوحيه إليه، إما مع جبريل، أو مع من شاء من رسله إليه... ومن آي القرآن ما قد ذكرنا أن الله جل ثناؤه استأثر بعلم تأويله فلم يطلع على علمه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا، ولكنهم يؤمنون بأنه من عنده، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله.

فأما ما لا بد للعباد من علم تأويله فقد بين لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم ببيان الله ذلك له بوحيه مع جبريل وذلك هو المعنى الذي أمره الله ببيانه لهم... ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يفسر من القرآن شيئًا

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢١ - ٣٢٢).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٢٣/٨) [٤٥٢٨]، والطبري في تفسيره (٧٨/١) وقد أشار في تفسيره إلى العلة التي في إسناده التي لا يجوز معها الاحتجاج؛ لأن روايه لا يعرف في أهل الآثار، وهو جعفر بن محمد الزبيري، انظر: تفسير الطبري (١/٨٣)، وقال عنه البخاري: «لا يتابع في حديثه». وقال أبو الفتح الأزدي: «منكر الحديث». (انظر: لسان الميزان ٢/١٢٤). قال ابن كثير: «حديث منكر غريب» (تفسير ابن كثير ١٤/١)، وقال السيوطي: «حديث منكر» (الإتقان ٦/٢٤٥٤).

إلا آيا بعدد - هو ما يسبق إليه أوهام أهل الغباء - من أنه لم يكن يفسر من القرآن إلا القليل من آية واليسير من حروفه، كأن إنما أنزل إليه ﷺ الذكر ليرك للناس بيان ما أنزل إليهم، لا ليبين لهم ما أنزل إليهم!

وفي أمر الله جل ثناؤه نبيه ﷺ ببلاغ ما أنزل إليه، وإعلامه إياه أنه إنما نزل إليه ما أنزل ليبين للناس ما نزل إليهم، وقيام الحجة على أن النبي ﷺ قد بلغ وأدى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به، وصحة الخبر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقليله: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن -: ما ينبئ عن جهل من ظن أو توهم أن معنى الخبر الذي ذكرنا عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئاً إلا آيا بعدد، هو أنه لم يبين لأُمَّته من تأويله إلا اليسير القليل منه<sup>(١)</sup>.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن آخر ما نزل من القرآن آية الربا، وإن رسول الله ﷺ قبض ولم يفسرها، فدعوا الربا والريبة<sup>(٢)</sup>.

فيشهد لما سبق بأن النبي ﷺ بين لهم ما يحتاجون إليه، ولعل هذه الآية مما أشكل على بعضهم فودوا أنه قد بين لهم ذلك مع أنه ورد عنه رضي الله عنه تفسير الربا في أحاديث كثيرة، قال السندي: «ولم يفسرها»؛ أي: تفسيراً يغني عن الاجتهاد، وإلا قد ثبت تفسير الربا، حتى في رواية عمر رضي الله عنه أيضاً<sup>(٣)</sup>.

وأراد رضي الله عنه حديث عمر رضي الله عنه في الربا، وهو أن رسول الله ﷺ قال: (الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ،

(١) تفسير الطبري (٨١ - ٨٣) بتصرف يسير.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٣٢٥) ح [٢٢٧٦]، والإمام أحمد في مسنده (١/٣٦١) [٢٤٦]، وقال محققه: حديث حسن رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٣) حاشية السندي على المسند (١/١٦٤).

وَالْتَّمِرُ بِالتَّمْرِ رَبًّا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ رَبًّا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ) الحديث<sup>(١)</sup>.

وأما حكاية الخلاف في هذه المسألة على قولين مع نصب الأدلة والقائلين بها، فيبدو أنه خلاف لفظي، وخصوصة مفتعلة، وحاصله: أن النبي ﷺ بين لأصحابه ما يحتاجون إليه في تفسير القرآن... وهل يتصور أن النبي ﷺ فسر لأصحابه ألفاظ القرآن ودلالاته كلها وهم أهل بلاغة وفصاحة يدركون غالب معانيه ومدلولاته بلسانهم ولغتهم؟! والقرآن إنما نزل بلغتهم.

ولعل أول من حكى الخلاف في المسألة بذكر القولين المتقابلين، وأدلة كل قول، الدكتور: محمد حسين الذهبي<sup>(٢)</sup>، وباعثه - فيما يظهر - فهم عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي المقدمة، وهي قوله: «يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا...»<sup>(٣)</sup>.

إلا أن هذا الفهم والإيراد يردُّه ما قاله في نفس المقدمة: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر، فإن أعيانك ذلك فعليك

(١) رواه البخاري (٤٢١) ح [٢١٣٤]، ومسلم (٦٩٢) ح [٤٠٥٩].

(٢) في كتابه: التفسير والمفسرون (٣٧/١) يقول الدكتور خالد الباتلي في رسالته «الأحاديث المرفوعة الواردة في تفسير القرآن الكريم»: حاولت تتبع تسلسل البحث في هذه المسألة، فوجدت أن أول من نصب الخلاف في المسألة بذكر القولين المتقابلين، وأدلة كل قول، هو الدكتور محمد حسين الذهبي ت ١٣٩٧هـ وتتابع الناس بعده ممن كتب في المسألة... (٣٢) وإن كان أصل المسألة قد أشار إليه جملة من العلماء.

(٣) مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام (٧).



لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿ [النحل: ٤٤] القرآن كله، أن النبي ﷺ ترك من الكتاب متشابهاً من الآي، وآيات ليس فيها أحكام، فلم يبين كيفيتها لأمته، فلما فعل رسول الله ﷺ دل ذلك على أن المراد من قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] كان بعض القرآن لا الكل»<sup>(١)</sup>.

فتبين أن النبي ﷺ فسر للصحابة ما يحتاجون إليه من فهم معاني القرآن الكريم، وما يشكل عليهم في المراد منه، وما سوى ذلك فهم يعرفون معناه؛ لأنهم تلقوا أصول الفهم منه عليه الصلاة والسلام، فهم أعلم الناس بعد الرسول ﷺ فقد عايشوا التنزيل وشاهدوا الوقائع والأحوال التي من أجلها نزل القرآن الكريم، ثم هم بينوا لمن بعدهم... وهكذا.



## المطدب الثالث

### أقسامه

عموم السُّنة النبوية هي حقيقة بيان للقرآن وشارحة له، وأقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله مفسرة لما هو في كتاب الله تعالى، وموافقة له، وعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ قالت: ألسنت تقرأ القرآن؟ فإن خلق النبي ﷺ كان القرآن. الحديث<sup>(١)</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما من شيء إلا بُيِّن لنا في القرآن، ولكن فهمنا يقصر عن إدراكه، فلذلك قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: «السُّنة عندنا آثار رسول الله ﷺ والسُّنة تفسر، وهي دلائل القرآن»<sup>(٣)</sup>.

وقال الشاطبي: «السُّنة إنما جاءت مبيِّنة للكتاب، وشارحة لمعانيه؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، وقال: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وذلك التبليغ من وجهين: تبليغ الرسالة، وهو الكتاب، وبيان معانيه، وكذلك فعل ﷺ فأنت إذا تأملت موارد السُّنة وجدتها بياناً للكتاب، هذا هو الأمر العام فيها...»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (٣٠١) ح [١٧٣٩].

(٢) ذكره السيوطي في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسُّنة (٢٧)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة (١/١٥٦).

(٤) الموافقات (٣/٢٣٠).



إلا أن التفسير النبوي للقرآن أخص من ذلك، وهو ما يمكن تعريفه<sup>(١)</sup> بأنه: كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ظاهر في بيان معاني القرآن.

قيد بأنه (ظاهر): وهو - لغة -: خلاف الباطن، وهو الواضح المنكشف<sup>(٢)</sup>، فلا يتجاوز إلى غيره، أو يفسر بخلاف ما ورد، مع مراعاة ما ورد على سبيل المثال<sup>(٣)</sup>.

ومرتبته الثانية بعد تفسير القرآن بالقرآن، وهو يشمل النص والصريح، وأيضاً ما ورد في سياق غير التفسير كما في حديث الإسراء، وفيه: (ثُمَّ رُفِعَ لِيِ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يُعُودُوا فِيهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمُ) الحديث<sup>(٤)</sup>.

فهو تفسير ظاهر لقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١﴾ وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ مَّشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ [الطور: ١ - ٤].

(١) عرفه الشيخ الدكتور مساعد الطيار بأنه: كل قول أو فعل صدر عن النبي ﷺ صريحاً في إرادة التفسير. (مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير ١٣٩) إلا أنه يرد عليه إخراجاه للتقرير، وتقييده بالصريح (انظر: رسالة الدكتور خالد الباتلي [التفسير المرفوع.. ٤٤]) قلت: أيضاً من الأحاديث النبوية ما ليس بصريح في التفسير ولكن لا يمكن تفسير الآية إلا به، وإن كان السياق غير صريح في التفسير وستأتي أمثلة على ذلك.. وعرفه الدكتور خالد الباتلي بأنه: ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير في بيان معاني القرآن. (٤٤) ويرد عليه بأن ما ذكره هو عموم السنة النبوية؛ إذ السنة شارحة للقرآن ومبينة له - كما سبق الإشارة إليه - والقول بتفسير الآية من السنة النبوية كذا وكذا تتباين فيه الآراء ويختلف فيه الاجتهاد بين موافق ومخالف... فلا يمكن أن ينسب التفسير إلى السنة والدلالة غير ظاهرة.. والله أعلم.

(٢) انظر: لسان العرب (٣٦/٦)، المصباح المنير (٣٨٧/٢)، وعند علماء الأصول: ما احتمال معنيين هو في أحدهما أظهر. انظر: روضة الناظر (٥٦٣/٢).

(٣) ستأتي أمثلة عليه في ثنايا المطالب الآتية.

(٤) سبق تخريجه ص (١٤٨).

ويُخْرِج ما تَوَصَّل إليه المفسر بجهده واجتهاده، فليس كل من ربط بين الآية والحديث يسمى تفسيرا نبويا، فهو متوقف على صحته وسلامته.

وقيد بـ(في بيان معاني القرآن) ليخرج التعضيد<sup>(١)</sup>، وما ورد في السُّنَّة النبوية من أحكام زائدة على الكتاب العزيز.

وسياتي ذكر أمثلة على الأقوال والأفعال، وذلك عند بيان أنواع التفسير النبوي، أما التقرير فمن أمثلته:

ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبر من اليهود فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه تعجبًا وتصديقًا لقوله، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ...﴾ إلى قوله: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنه قال: لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل قال: احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتممت، ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، قال: فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له، فقال: (يَا عَمْرُو، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟! )، قال: قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك وذكرت قول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَجِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فتممت ثم صليت، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئًا<sup>(٣)</sup>.

(١) سياتي له مبحث خاص.

(٢) رواه البخاري (١٥٦٣) ح [٧٤٥١]، ومسلم (١٢١٤) ح [٧٠٤٦].

(٣) رواه أبو داود في سننه (٦٠) ح [٣٣٥]، والدارقطني في سننه (٣٢٩/١)، وصححه =

ويمكن تقسيم التفسير النبوي إلى نوعين:  
النوع الأول: بالنظر إلى أسلوب عرضه.  
النوع الثاني: بالنظر إلى معناه وما اشتمل عليه.

### أولاً: بالنظر إلى أسلوب عرضه:

حصل للنبي ﷺ أحوال عدة في أسلوب عرض التفسير النبوي،  
ومن تلك الأساليب:

١ - التفسير الصريح: وذلك بأن يورد النبي ﷺ الآية ثم يفسرها  
أو العكس؛ كتفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا  
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ الآية [البقرة: ١٤٣]، فعن  
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ  
فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ  
بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟  
فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ  
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ<sup>(١)</sup>.

فالنبي ﷺ فسّر هذه الآية بأن المراد بالشهادة الشهادة على عموم  
الناس في الآخرة... وأيضاً أن المراد بالوسط في الآية العدل.

ومن خلال المثال - السابق - يمكن تقسيم التفسير الصريح إلى  
قسمين، هما:

= الحاكم في مستدرکه (١/٢٥٨)، وقال الزيلعي في نصب الراية (١/٣٢٠): «والحاصل  
أن الحديث حسن أو صحيح».

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩٢٥) ح [٤٤٨٧]. قال ابن حجر: «والوسط: العدل، هو  
مرفوع من نفس الخبر، وليس بمدرج من قول بعض الرواة كما وهم فيه بعضهم».  
(فتح الباري ٨/٢١٦).

القسم الأول: أن تذكر الآية ثم تفسر؛ كالجاء الثاني من الحديث، ومن أمثلته كذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] فَبَدَلُوا فَادْخُلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِمُمْ وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ)<sup>(٢)</sup>.

القسم الثاني: أن يذكر التفسير ثم الآية؛ كالجاء الأول من الحديث، ومن أمثلته كذلك، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ)، وقال: (اقْرَأُوا إِنَّ شَيْئَكُمْ: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥])<sup>(٣)</sup>.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَشْتَبُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧])<sup>(٤)</sup>.

إلا أن التقسيم ليس مطَّردًا، فربما قُدِّم التفسير على الآية وفي رواية أخرى تقدم الآية على التفسير، كما في حديث البراء رضي الله عنه

(١) رواه البخاري (٦٩٩) ح [٣٤٠٣]، ومسلم (١٣٠٣) ح [٧٥٢٣].

(٢) رواه البخاري (١٠٦٨) ح [٤٩٣٨]، ومسلم (١٢٤٠) ح [٧٢٠٣]. وانظر زيادة من الأدلة عند: خ [٤٩٤٢]، م [٧١٩١]، م [٤٩٤٦].

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩٩٦) ح [٤٧٢٩]. قال ابن حجر: «القائل يحتمل أن يكون الصحابي، أو هو مرفوع من بقية الحديث». (فتح الباري ٨/٥٤١)، وانظر: عمدة القاري (٤٩/١٩).

(٤) رواه البخاري (٩٨٣) ح [٤٦٩٩]، ومسلم (١٢٤٤) ح [٧٢١٩]، وانظر مزيدًا من الأدلة عند: خ [٣٤٠٤]، خ [٤٧٣٠] م [٢٣٩٣]، الجامع لابن وهب [٢٩٩].

السابق<sup>(١)</sup>، وحديث صهيب رضي الله عنه في الرؤية، فروى الإمام أحمد عن صهيب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنَجِّزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟! أَلَمْ يُثَقَّلْ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وَجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ؟! قال: فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلَا أَقْرَبَ بِأَعْيُنِهِمْ)<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى في المسند أيضا تأخير الآية<sup>(٣)</sup>.

٢ - ما يصلح أن يكون تفسيرًا: وهو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث اشتملت على بيان لمعاني القرآن ظاهرة، إلا أنها لم ترد في سياق التفسير وبيان المعنى، ولا يمكن أن تُفسر الآية أو المفردة إلا بها، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا، ومنها:

عن سُمْرَةَ رضي الله عنها قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي قَالَا: الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنِ النَّارِ، وَأَنَا جَبْرِيْلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ)<sup>(٤)</sup>.

ففي هذا الحديث بيان لمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَدَاؤُا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكُوتُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فمالكُ هنا خازن جهنم استدلالًا بالحديث السابق.

وعن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرَّزْمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ

(١) عند البخاري التفسير ثم الآية، وفي مسلم العكس.

(٢) المسند (٣١/٢٧٠) [١٨٩٤١]، وقال محققه: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٣) مسند الإمام أحمد (٣١/٢٦٥) [١٨٩٣٥]، وأصل الحديث عند مسلم في صحيحه

(٩٢) [٤٤٩]، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦٦١) ح [٣٢٣٦].

ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمَحْرَمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ<sup>(١)</sup>.

ففيه بيان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦] في تسمية الأشهر الحرم.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: (شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا) الحديث<sup>(٢)</sup>.

ففيه تفسير لقوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]؛ أي: صلاة العصر<sup>(٣)</sup>.

أما إذا كانت الدلالة خفية فيحتاج المفسر إلى الربط بين الآية والحديث، إما استنتاجًا، أو استنباطًا مع بيان وجه الدلالة ومع ذلك ربما لا يُسَلَّمُ بأنه تفسير نبوي.

٣ - السؤال: وهو أن يكون التفسير واردًا لإجابة عن سؤال حصل، وله صور:

الصورة الأولى: سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل: ومثاله ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سَأَلْتُ جِبْرِيْلَ: أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟! قَالَ: أَكْمَلَهُمَا وَأَتَمَّهُمَا)<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩٧٠) ح [٤٦٦٢]، ومسلم (٧٤٣) ح [٤٣٨٣].

(٢) رواه مسلم (٢٥٥) ح [١٤٢٥].

(٣) وانظر مزيدًا من الأدلة عند: خ [٣٢٠٧]، [٣٢٣٦]، [٤٦٧٤]، [٤٦٩٨]، [٤٧٠١]، [٤٧١٧]، [٤٨٤٨]، [٤٩١٩]، م [٣٩٨]، د [٧٧٥]، [٢٨٩١]، ت [٣٣٠٨]، ن [٥٠٣]، ن ك [١١٥٠٥].

(٤) رواه ابن وهب في الجامع (١٥١/١) [٣٥٢]، وقال الهيثمي في المجمع (٨٧/٧): «رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، غير الحاكم بن أبان، وهو ثقة».

الصورة الثانية: سؤال النبي ﷺ لأصحابه، ومن أمثلته: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: (تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟) قلت: الله ورسوله أعلم قال: (فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] <sup>(١)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: (أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةِ) فقرأ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئَتَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣])، ثم قال: (أَتَذَرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟) فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحَدَنْتَ بَعْدَكَ) <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] قال: (أَتَذَرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا) قال: (فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا) <sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٠٢٤) ح [٤٨٠٢].

(٢) رواه مسلم، سبق تخريجه ص (١٩٩).

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٥٥٣) ح [٢٤٢٩]، وقال: «حديث حسن غريب»، وصححه ابن حبان (٣٦٠/١٦)، والحاكم في مستدركه (٢/٢٨١).

وسؤال النبي ﷺ إما لاسترعاء الأسماع وشد الأنظار، وإما للتشويق لسماع الإجابة، فيكون أبلغ في التأثير، وأرسخ في الأذهان.

الصورة الثالثة: سؤال الصحابة للنبي ﷺ عن معنى آية، وأمثله كثيرة، منها: عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَالشَّمْسُ بَجَرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨] قَالَ: (مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ) (١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَنَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣] قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يَرِاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا وَفِينَا سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ، وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: (لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ) (٢).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتٍ بَعْضُ نِسَائِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حِصْبَاءٍ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ ثُمَّ قَالَ: (هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا)؛ لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ (٣).

مع أن الأصل هو الابتداء بالتفسير من لدن النبي ﷺ، وذلك امتثالاً لقول الباري سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ثانياً: بالنظر إلى معناه وما اشتمل عليه:

حوت السنة النبوية أحاديث كثيرة في التفسير، متعددة المعاني

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٠٢٤) ح [٤٨٠٢]، ومسلم (٨٠) ح [٤٠٢].

(٢) رواه البخاري (١٠٥٢) ح [٤٨٩٧]، ومسلم (١١١٦) ح [٦٤٩٧].

(٣) رواه مسلم (٥٨٤) ح [٣٣٨٧]. وانظر: زيادة أدلة عند: خ [٣٣٦٠]، [٤٩٠٨]، م [٢٨٧]، ت [٢٢٧٣].



مختلفة الأساليب، وهي باعتبار معانيها وما اشتملت عليه:

١ - تفسير القرآن بالقرآن: وهو أصح طرق التفسير، ويأتي في المرتبة الأولى، فما أُجِمل في مكان جاء مفسراً في موضع آخر... وقد استعمل النبي ﷺ هذا الطريق، وفَسَّرَ آيَا من القرآن بالقرآن، ومن ذلك: ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أيننا لا يظلم نفسه؟ قال: (لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشُّرْكُ؛ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿بِئْسَ مَا لَشْرِكٍ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣])<sup>(١)</sup>.

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤])<sup>(٢)</sup>.

٢ - التفسير العملي: فسَّرَ النبي ﷺ آيَا من القرآن بعمله، امثالاً لأمر الله، واستجابة لداعي الرب ﷻ، ومن ذلك:

ما رواه سليمان بن بريدة عن أبيه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فسأله عن مواقيت الصلاة فقال: (اشْهَدْ مَعَنَا الصَّلَاةَ) فأمر بلالاً فأذن بغسل ف صلى الصبح حين طلع الفجر، ثم أمره بالظهر حين زالت الشمس عن بطن السماء، ثم أمره بالعصر والشمس مرتفعة، ثم أمره بالمغرب حين وجبت الشمس، ثم أمره بالعشاء حين وقع الشفق، ثم أمره الغد فنور بالصبح، ثم أمره بالظهر فأبرد، ثم أمره بالعصر والشمس بيضاء نفية لم

(١) رواه البخاري (١١) ح [٣٢]، ومسلم (٦٦) ح [٣٢٧].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩٦٠) ح [٤٦٢٧].

تخالطها صفرة، ثم أمره بالمغرب قبل أن يقع الشفق، ثم أمره بالعشاء عند ذهاب ثلث الليل أو بعضه - شك حرمي - فلما أصبح قال: (أَيْنَ السَّائِلُ؟ مَا بَيْنَ مَا رَأَيْتَ وَقْتُ) (١).

فهو تفسير عملي لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إلا يقول فيها: (سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ سَلِّينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) (٣).

٣ - تفسير المفردات: فقد فسّر النبي صلى الله عليه وسلم مفردات من القرآن، وهي على وجوه:

الوجه الأولي: تفسيرها باللغة: وهو تفسير، للمفردات بما هو مستعمل في اللغة، وانعقد عليه اللسان العربي الفصيح (٤)، ومن ذلك:

(١) رواه مسلم (٢٤٨) ح [١٣٩٢].

(٢) رواه البخاري ص (١٠٨١) ح [٤٩٦٧]، ومسلم (٢٠١) ح [١٠٨٦].

(٣) رواه البخاري (١٠١٣) ح [٤٧٧١]، ومسلم (١٠٨) ح [٥٠٤]، وانظر: زيادة أدلة عند: خ [٧٥٧]، [٨١٧]، [٤٧٤٧]، [٤٧٨٥]، [٤٧٨٩]، م [١٧٣٩]، ن [٥٠٣]، د [٧٧٥]، ت [٢٨٩١]، [٣٣٠٨].

(٤) وسيأتي لها حديث خاص في مبحث: غريب القرآن.

ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر في مناقبة ﴿الْعَلَمَ ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ [الروم: ١، ٢]: أَلَا احْتَطَطَ يَا أَبَا بَكْرٍ؛ فَإِنَّ الْبُضْعَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الثَّسْعِ<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون ترجيحاً لأحد المعنيين في اللغة، مثل تفسير القرء بالحيض دون الطهر، ومثله ما روته فاطمة بنت أبي حبيش رضي الله عنها: أنها سألت رسول الله ﷺ فشكت إليه الدم، فقال لها رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا ذَلِكَ عِرْقٌ فَانظُرِي إِذَا أَتَى قِرْوُوكَ فَلَا تَصَلِّي فَإِذَا مَرَّ قِرْوُوكَ فَتَطْهَرِي ثُمَّ صَلِّي مَا بَيْنَ الْقِرْءِ إِلَى الْقِرْءِ)<sup>(٣)</sup>.

قال الجصاص في أحكامه<sup>(٤)</sup>: «لغة النبي ﷺ أن القرء: الحيض،

(١) سبق تخريجه ص (٣٩٥).

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٧٢٥) ح [٣١٩١]، وقال: «حديث غريب حسن من هذا الوجه»، وحسنه ابن كثير في التفسير (٣٠٣/٦)، والمناجبة: المخاطرة والمراهنة. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢٦/٥). ومن الأدلة كذلك: ت [٢٥٣٣].

(٣) رواه أبو داود في سننه (٥٠) ح [٢٨٠]، والنسائي (٢٩) ح [٢١٢]، وقال: «هذا دليل على أن الأقرء حيض»، وابن ماجه في سننه (٨٧) ح [٦٢٠]، وقال ابن الملقن في البدر المنير (١٢٦/٣): «رجاله ثقات».

(٤) أحكام القرآن (٥٨/٢). والجصاص هو: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، الإمام الكبير، وله مصنفات منها: «أحكام القرآن»، و«شرح مختصر الطحاوي» وغيرها، توفي سنة ٣٧٠هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٨٤).

فوجب ألا يكون معنى الآية إلا محمولاً عليه؛ لأن القرآن لا محالة نزل بلغته ﷺ وهو المبين عن الله ﷻ مراد الألفاظ المحتملة للمعاني، ولم يرد لغته بالطهر، فكان حملة على الحيض أولى منه على الطهر... (١).  
**الوجه الثاني:** بيان معنى الآية، والمراد بها، وله عدة أحوال<sup>(١)</sup>،  
 ومن أمثلته:

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سَتِيرًا لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءً مِنْهُ، فَأَذَاهُ مَنْ أَذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: مَا يَسْتَرُ هَذَا التَّسْتُرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُذْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّتَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجْرٌ، ثَوْبِي حَجْرٌ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الْحَجْرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَيْسَهُ وَطْفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩] (٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاِكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا)، وقال: (ذَلِكَ الظِّلُّ الْمَمْدُودُ) (٣).

(١) ستأتي في المبحث القادم، وهي أوجه بيان السُّنة للقرآن.

(٢) رواه البخاري (٦٩٩) ح [٣٤٠٤]، ومسلم (١٠٤٢) ح [٦١٤٦].

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٥٧٣) ح [٢٥٢٤]، وقال: «حديث حسن غريب». وأصل الحديث في الصحيحين.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - وذكر له سدرة المنتهى - قال: (يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا مِئَةَ سَنَةٍ أَوْ يَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا مِئَةَ رَاكِبٍ - شَكَّ يَحْيَى - فِيهَا فَرَّاشُ الذَّهَبِ، كَأَنَّ ثَمَرَهَا الْقَلَالُ) <sup>(١)</sup>.

الوجه الثالث: تفسير المفردات بوجوه ورودها.

والوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان <sup>(٢)</sup>، ومثاله:

ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أين لم يظلم نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿بَيْتِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]) <sup>(٣)</sup>.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يُنكر على الصحابة تفسيرهم (الظلم) بسائر المعاصي، وإنما بيّن المعنى الصحيح للآية وهو أن (الظلم) المراد هو الشرك، استدلالاً بقول لقمان؛ إذ إن لـ (الظلم) وجوهاً متعددة.

٤ - الجمع بين الآيات: وذلك إما لبيان مراحل الشيء، أو ترتيبه،

أو الجمع بينها، وبالمثال يتضح المقال:

روى أبو أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وَسُقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧] قال: (يُقَرَّبُ إِلَيَّ فِيهِ فَيَكْرَهُهُ، فَإِذَا أُذْنِي مِنْهُ شَوَىٰ وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةٌ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥٧٧) ح [٢٥٤١]، وقال: «حديث حسن صحيح غريب». وانظر مزيداً من الأدلة عند: خ [٣٤٠٣]، [٤١١١]، [٤٧٣٠]، [٤٩٤٢]، م [٢٨٧]، [٢٩٨]، ت [٢٥٤٠]، [٢٥٨٧]، [٣١٣٦]، [٣١٥١]، [٣١٧٠]، [٣٢٤٤]، [٣٢٥٦]، ج [٤٢٤٤]، حم [١٩٩٢]، [٢١١٢٨].

(٢) سبق تخريجه ص (٤٠١).

(٣) الإتيان (٣/٩٧٥).

حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ؛ يَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، وَيَقُولُ: ﴿وَلَنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف: ٢٩] (١).

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] (٢).

٥ - التفسير بالمثال: ورد عن النبي ﷺ تفسيرات لبعض آي القرآن، إلا أن العلماء رحمهم الله حملوها على سبيل المثال، ولم يقصروا المعنى عليها، وذكروا أقوالاً أخرى، ومن أمثلته:

عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: (أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ سُوْرَةٌ)، فقرأ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣]، ثم قال: (أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟) فقلنا: الله ورسوله أعلم،

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥٨٦) ح [٢٥٨٣]، وقال: «حديث غريب»، والإمام أحمد في مسنده (٦١٥/٣٦)، وصححه الحاكم في مستدركه (٣٨٢/٢)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وقال محقق المسند: رجاله ثقات معروفون غير عبید الله بن بسر، فقد اختلف فيه على عبد الله بن المبارك، فقيل: عبید الله، وقيل: عبد الله بن بسر، ثم اختلف في تعيينه. قال الألباني: «لا نعرف عبید الله بن بسر إلا في هذا الحديث، وقد روى صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر صاحب رسول الله ﷺ غير هذا الحديث، وعبد الله بن بسر له أخ قد سمع من النبي ﷺ، وأخته قد سمعت من النبي ﷺ، وعبید الله بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث رجل آخر ليس بصاحب...». انظر: ضعيف سنن الترمذي (٢٦٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩٦٠) ح [٤٦٢٧].

قال: (فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ؛ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحَدَّثْتُ بِعَدَاكَ<sup>(١)</sup>) رواه مسلم.

فهذا تفسير نبوي للكوثر، إلا أن ابن عباس رضي الله عنهما فسره بالخير الكثير، كما عند البخاري<sup>(٢)</sup> عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه.

ومن الخير الكثير الذي أعطيه المصطفى عليه الصلاة والسلام النهر الذي في الجنة، ولذا قال أبو بشر - راوي الأثر - : قلت لسعيد بن جبيرة: فإن الناس يزعمون أنه نهرٌ في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه<sup>(٣)</sup>.

والمفسرون عند تفسيرهم للآية يحكون الخلاف في المراد بالكوثر، مع وروده مفسراً في السُّنَّة النبوية، وهم من أعلم الناس بالسُّنَّة النبوية وأطلعهم عليها... وما ذاك إلا لحملهم التفسير على سبيل المثال، والله أعلم<sup>(٤)</sup>.

وعن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة رضي الله عنها خرج النبي ﷺ غداً وعليه مرطٌ مرحلٌ من شعرٍ أسود، فجاء الحسن بن عليٍّ فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]<sup>(٥)</sup>.

(٢) (١٠٨٠) ح [٤٩٦٦].

(١) سبق تخريجه ص (١٩٩).

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر على سبيل المثال: تفسير الطبري (٦٧٩/٢٤) وما بعدها، المحرر الوجيز (٨/٦٩٩)، التفسير الكبير (١١٦/٣٢) وما بعدها.

(٥) رواه مسلم (١٠٦٧) ح [٦٢٦١].

وقد حكى المفسرون الخلاف في المراد بآل بيت النبي ﷺ على ثلاثة أقوال، فقول: هم زوجات النبي ﷺ خاصة، وقيل: هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة، وقيل: الآية شاملة لهم ولهن؛ جمعاً بين الآية والحديث... وأياً ما كان، فالمراد أنهم لم يقصروا المعنى على الحديث فحسب<sup>(١)</sup>، وما ذلك إلا لحملهم التفسير على سبيل المثال، أو الجزء، والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

٦ - التفسير بالتمثيل: فسّر النبي ﷺ آيات من القرآن بالتمثيل تقريباً للأفهام، وترسيخاً في الأذهان، وتنويعاً في أساليب التعليم<sup>(٣)</sup>، ومن ذلك:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فخط خطاً، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط، فقال: (هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ) ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]<sup>(٤)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿قُلْنَا بَحَلَّ رَبُّهُ لِلْحَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: فَأَوْمَأَ بِخُنْصَرِهِ، قال: (فَسَاخَ)<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: جلاء الأفهام (٢٣٦) وما بعدها، تفسير ابن كثير (٤٠١/٦) وما بعدها، الجامع للقرطبي (١٤٥/١٧) وما بعدها.

(٢) انظر مزيداً من الأدلة: م [٨٩٤]، [٦٣٢٥]، ت [٢٩٥٤]، ج [٢٠٢].

(٣) قال الفيروزآبادي: والتَّمَثَالُ: التمثيل.. ومثله له: صورته، وتمثل: تصور، قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مریم: ١٧] وتمثل بالشيء: ضربه مثلاً. بصائر ذوي التمييز (٤٨٢/٤).

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (٢) ح [١١]، وصححه ابن حبان (١/١٨١)، والحاكم في المستدرک (٢/٢٦١)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخبره»، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢١).

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤١١/٢٠)، والترمذي في جامعه بنحوه (٦٩٢) ح [٣٠٧٤]، وقال: «حديث حسن». وصححه الحاكم (٢٥/١)، وقال محقق المسند: صحيح على شرط مسلم.



قال السندي: يعني: أنه أخرج طرف الخنصر بيانا للتجلي، ولعل المراد به أنه تجلى له أدنى تجلي، كأنه بمنزلة إخراج الخنصر من الإنسان... (١).

٧ - الاستشهاد: قد يحدث النبي ﷺ بحديث ثم يستشهد بآية من القرآن أو آيات، يكون فيها تأكيداً لقوله، أو تصديقاً لمقوله، أو استنباطاً منه، ومن ذلك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ عُرُلًا)، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. الحديث (٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظالمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ)، قال: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رِيكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرِي وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَلِيْدٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَزُكُنَّ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨] (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ أَقْرَبُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿الْتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصْبَتُهُ مَنْ كَانُوا، فَإِنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي وَأَنَا مَوْلَاهُ) (٥).

(١) حاشية المسند (٦/١٨٤). ومن الأدلة كذلك: المعجم الكبير (١٧/٢٨٢) [٧٧٦].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦٨٤) ح [٣٣٤٩].

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩٧٨) ح [٤٦٨٦].

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩٦٢) ح [٤٧٣٥].

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١٠١٧) ح [٤٧٨١]، وانظر: زيادة أدلة عند =

وربما كان الاستشهاد بدلالة خفية من النص، وهو ما يطلق عليه: الاستنباط؛ وهو استخراج ما خفي المراد به من اللفظ<sup>(١)</sup>، ويمكن أن يمثل له:

بما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: لما نزلت سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١ - ٣] دَعَا رسول الله ﷺ فَاطِمَةَ رضي الله عنها فقال: (قَدْ نُعِيْتُ إِلَيَّ نَفْسِي) فبكت، فقال: (لَا تَبْكِي فَإِنَّكَ أَوْلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي) فضحكت، فراها بعض أزواج النبي ﷺ فقلن: يا فاطمة رأيناك بكيت ثم ضحكت؟! قالت: إنه أخبرني أنه قد نعت إليه نفسه فبكيت، فقال لي: (لَا تَبْكِي فَإِنَّكَ أَوْلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي) فَضَحِكْتُ<sup>(٢)</sup>.

٨ - التعليق على القراءة: قد يعلّق النبي ﷺ على الآية بكلام عام يناسبها، إما بموعظة وتذكير، أو حث وترغيب، أو تخويف وترهيب.. ومن ذلك:

ما رواه مُطَرِّف عن أبيه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] قال: (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ

= خ [٣٣٤٩]، [٣٣٦٠]، [٤٥٩٣]، [٤٦٣٥]، [٤٨٣١]، [٤٩٤٥]، م [٢٢٢]، [٢٥٩]، د [٢١٩٦]، [٢٧٤٠]، ت [٢٩٨٨]، [٢٩٨٩]، [٣٢٢٨]، واستشهادات النبي ﷺ لها صور متعددة ودواع مختلفة، ستأتي الإشارة إليها ضمن مبحث: الاستنباط من القرآن.

(١) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٣/٣٣٤)، وعزاه النووي إلى قول العلماء.

(٢) رواه الدارمي في مسنده (٢١٦/١) [٨٠]، والطبراني في الكبير (٣٢٩/١١) [١١٩٠٧]، وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٤٤): «وفي إسناده هلال بن خباب، قال يحيى: ثقة مأمون لم يتغير، وثقه ابن حبان وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح». قال ابن حجر في التقريب (٥٠٦): «هلال بن خباب صدوق تغير بأخرة». وقال محقق مسند الدارمي - حسين سليم أسد -: إسناده صحيح، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/١٦٨٤).

يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَنْتِ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتِ، أَوْ تَصَدَّقَتْ  
فَأَمْضَيْتِ<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ  
حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الزُّقُومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا  
مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ  
فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] قال: (مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفْرَجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ  
قَوْمًا، وَيَخْفِضَ آخَرِينَ)<sup>(٣)</sup>.

فهذه مجمل الطرق النبوية، والأساليب المحمدية، المتبعة في  
تفسير آي القرآن الكريم، وبيان معانيها، والتعليق عليها... اجتهدت في  
جمعها وترتيبها، وحرصت على الإلمام بها، وسعيت في حشد الأمثلة  
عليها، وأسأله سبحانه التوفيق.



(١) رواه مسلم (١٢٨٢) ح [٧٤٢٠].

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٥٨٧) ح [٢٥٨٥]، وقال: «حديث حسن صحيح»، والحاكم  
في مستدركه (٣٢٢/٢)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين».

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٣١) ح [٢٠٢]، وابن حبان في صحيحه (٤٦٤/٢)، وحسنه  
الألباني في صحيح ابن ماجه (٨٦)، وانظر: زيادة أدلة عند: ت [٣١١٦]،  
جه [٢٤٤٤].



المَبْحَثُ الثَّانِي

## بيان السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ لِلْقُرْآنِ

ويشتمل على سبعة مطالب:

- المطلب الأول: تخصيص العام.
- المطلب الثاني: بيان المجمل.
- المطلب الثالث: بيان المبهم.
- المطلب الرابع: بيان الألفاظ.
- المطلب الخامس: بيان المُشْكِلِ.
- المطلب السادس: تفصيل القصص.
- المطلب السابع: تقييد المطلق.



## المبحث الثاني

### بيان السُّنة النبوية للقرآن

للسُّنة النبوية مع القرآن الكريم أحوال؛ فتأتي مؤكدة لمعنى ورد فيه، أو زائدة عليه في الأحكام والتشريع، أو مبينة لمعانيه وأحكامه؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]؛ وهو ما قصدت إيراده، بذكر صورته مشفوعة بالأمثلة التفسيرية النبوية، ومن ذلك:

## المطلب الأول

## تخصيص العام

قد يرد في الكتاب العزيز كلامٌ عامٌ، فيخصّصه النبي ﷺ في معنى من المعاني.

ومن الأمثلة عليه:

ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: (لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشُّرْكَ؛ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿يَبْنَئُ لَا شُرْكَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؟!)(١).

فالنبي ﷺ خصّ الظلم في الآية بالشرك؛ إذ الظلم أنواع(٢)، وأعظمها الشرك بالله تعالى وهو المراد في الآية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَوْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨](٣).

(١) سبق تخريجه ص(٤٠١).

(٢) انظر: المفردات للراغب (٥٣٩) وما بعدها.

(٣) رواه البخاري (٩٦٢) ح[٤٦٣٥]، ومسلم (٧٨) ح[٣٩٦].



فقله تعالى: ﴿هَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ الآية [الأنعام: ١٥٨] خصّها النبي ﷺ بأية طلوع الشمس من مغربها وهي من علامات الساعة الكبرى<sup>(١)</sup>.



(١) وانظر مزيداً من الأدلة عند: خ[٤٦٨٦]، [١٤٩٢]، ت[٢٩٩٩]، [٣٠٧٩]، [٣١١٩]، [٣٢٩٥]، المستدرك [٢٩٩٣]، أمالي المحاملي [٤٥٨].

## المطلب الثاني

### بيان المجل

ورد عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة بين فيها مجمل بعض ما ورد في الآيات الكريمة، ومن ذلك:

ما رواه أبو بكرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ: ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ شَهْرٌ مُضَرٌّ...) الحديث<sup>(١)</sup>.

فالنبي ﷺ بين في هذا الحديث مجمل الأشهر الحرم الواردة في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كَتَبِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ﴾ الآية [التوبة: ٣٩].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧])<sup>(٢)</sup>.

فهذا فيه بيان أن تثبيت الله تعالى للمسلم في الآخرة يكون عند سؤال منكر ونكير في القبر.

(٢) سبق تخريجه ص (٢٢٨).

(١) سبق تخريجه ص (٣٩٨).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤] قال: (هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ) <sup>(١)</sup>.

فالنبي ﷺ يَبِينُ مجمل البشرى التي في الدنيا وهي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له.

\* \* \*

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥٢٢) ح [٢٢٧٣]، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه (٥٥٨) ح [٣٨٩٨]، وصححه الحاكم في مستدرکه (٣٧٠/٢)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٥١٠/٢). وانظر زيادة أدلة عند: خ [٣٢٠٧]، [٤٦٢٧]، [٤٨٧٨]، ت [٢٩٩٨]، [٣٠٣٩]، [٣٠٦١]، [٣١٢٦]، [٣١٣٥]، [٣١٥٢]، [٣١٩٠]، [٣٢٢٩]، [٣٢٣٠]، [٣٢٦٥]، حم [١٤٥١١]، [١٨٣٢١]، ن ك [٥٠١٧]، [١١٢٢٩].

## المَطَلَبُ الثَّلَاثُ

### بيان المبهم

قد يرد في القرآن الكريم ألفاظ مبهمة<sup>(١)</sup>، فبيّنها النبي ﷺ لصحابته ولمن جاء بعدهم، ومن ذلك:

ما رواه سَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: قال النبي ﷺ: (رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي قَالَا: الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنِ النَّارِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

ففيه بيان للمبهم في قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكِكُمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] وهو خازن النار أعادنا الله منها.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت، فقال رسول الله ﷺ: (سَعَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مَلَأَ اللَّهُ أَجْوَافَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا)، أو قال: (حَشَا اللَّهُ أَجْوَافَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا)<sup>(٣)</sup>.

وفيه بيان للمراد بالصلاة الوسطى في قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَيَّ

(١) والمبهم لغة هو: كلام لا يُعْرَفُ له وجهٌ يُؤْتَى منه، مأخوذ من قولهم: حائِظٌ مُبْهِمٌ إذا لم يكن فيه باب، ومنه يقال: رجلٌ مُبْهِمٌ إذا لم يُدْرَ من أين يُؤْتَى له. انظر: تهذيب اللغة (٦/١٧٩)، والمبهم في القرآن: كل ما ورد فيه غير مسمى باسمه الذي يعرف به من إنسان أو غيره. قواعد التفسير (١/١٤٤).

(٢) رواه البخاري (٦٦١) ح [٣٢٣٦].

(٣) رواه مسلم (٢٥٤) ح [١٤٢٥].

الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ ﴿البقرة: ٢٣٨﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] سُئِلَ عَنْهَا قَالَ: (هِيَ الشَّفَاعَةُ)<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) رواه الترمذي في جامعه (٧٠٨) ح [٣١٣٧]، وقال: «حديث حسن»، والإمام أحمد (٤٢٨/١٥) [٩٦٨٤]، وقال محققه: حسن لغيره.

وانظر مزيداً من الأدلة: ن [٣٢٢٤]، ت [٢٩٧٩]، [٣٠٦١]، [٣١١٨]، [٣١٣٥]، [٣١٥٢]، [٣٢٢٩]، [٣٢٣٠]، [٣٢٦٥]، [٣٢٧٥]، مي [٢٨٦٦]، ن ك [١١٥٠٥]، حم [١٠٤١]، [١١٠٧٣]، [١٤٥١١]، [٢١١١٩]، [٢٢٢٥٩]، المطالب العالية [٣٧٦٤].

## المطلب الرابع

### بيان الألفاظ

قد بيّن النبي ﷺ بعض ألفاظ القرآن، بأوجه مختلفة وقد سبق ذكر طرف منها<sup>(١)</sup>، ومن الأمثلة كذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِثَّةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)<sup>(٢)</sup>.

وهذا فيه بيان لمعنى الفردوس في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَدْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ؛ فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤])<sup>(٣)</sup>.

(١) وذلك في المبحث السابق.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥٦٧) ح [٢٧٩٠]، وعند الترمذي من حديث الربيع بنت النضر مرفوعاً وفيه: ... (وَالْفِرْدَوْسُ رُبُوءُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا) (٧١٨) [٣١٧٤]، وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٧٦١) ح [٣٣٣٤]، وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في سننه (٦١٨) ح [٤٢٤٤]، والحاكم في مستدرکه (٥٦٢/٢)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣/٣٦٤).

## المطلب الخامس

## بيان المشكل

قد يُشكّل على الصحابة شيءٌ من القرآن، فيسألون رسول الله ﷺ عنها فيبيّنه لهم، ومن ذلك:

ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه! فقال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣])<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن الزبير عن أبيه رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بِيَوْمٍ أَلْقَيْتُمَا عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ﴾ [الزمر: ٣١] قال الزبير: يا رسول الله، أكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: (نَعَمْ) فقال: إن الأمر إذن لشديد. الحديث<sup>(٢)</sup>.

= وانظر مزيداً من الأدلة عند: خ[٣٣٣٩]، [٤٤٧٨]، [٤٤٧٤]، ت[٣١٣٦]، [٣١٥١]، [٣١٦٤]، [٣١٧٠]، [٣١٧٤]، [٣٢٤٤]، [٣٣٢٠]، [٣٣٦٦]، ج[٤٢٩٨]، حم[١٥٦٢٤]، كنز العمال [٢٨٩٦]، [٢٩٥٠].

(١) سبق تخريجه ص(٤٠١).

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٧٣٦) ح[٣٢٣٦]، وقال: «حسن صحيح»، والحاكم في مستدركه (٤٧٢/٢)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٢٠/٣) وسيأتي مزيدٌ من الحديث عن هذا العلم في مبحث: مشكل القرآن.

## المطلبُ السادسُ

### تفصيل القصص

قد يفصلُ النبي ﷺ بعض القصص الواردة في القرآن الكريم، ويذكر من تفصيلاتها الكثير، ومن ذلك:

ما رواه أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قصة موسى عليه السلام مع الخضر، وهو حديث طويل معروف<sup>(١)</sup>.

وما ورد عن النبي ﷺ في قصة أصحاب الأخدود في الحديث الذي رواه صهيب الرومي رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>، ففيه ذكر لقصتهم، وتفصيل لها<sup>(٣)</sup>.

وأيضًا في قصة يأجوج ومأجوج الواردة في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ذكر الدجال وفيه: (وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلَهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهِدِهِ مَرَّةً مَاءً، وَيُحْصَرُ

= وانظر مزيدًا من الأدلة عند: م[٢١٣٥]، ت[٣٠٥٨]، [٣٠٩٥]، [٣١١١]، [٣١٢١]، [٣١٤٢]، [٣١٧١]، [٣٢٢٩]، [٣٢٣٦]، [٣٢٤٤]، [٣٢٦٠]، [٣٣٣٢]، حم[٣٠٢٦]، [١٤٥٢٠]، [١٧٩٩١]، [٢١١٠٨]، مسند الطيالسي [١٩٣٦]، الجامع لابن وهب [٢٧٣].

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٢١) ح[٧٤]، ومسلم (١٠٤٥) ح[٦١٦٣].

(٢) صهيب بن سنان الرومي يعرف بذلك لأنه أخذ لسان الروم إذ سبَّوه وهو صغير وهو نمري من النمر بن قاسط، شهد بدرًا مع النبي ﷺ، توفي سنة ٨٨هـ. انظر: الاستيعاب (٧٢٦/٢)، أسد الغابة (٣٨/٣).

(٣) رواه مسلم (١٢٩٧) ح[٧٥١١].



نَبِيِّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ  
 لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ  
 فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرَسِي كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ). الحديث<sup>(١)</sup>.



(١) رواه مسلم (١٢٧١) ح [٧٣٧٣].

## المَطْلَبُ السَّابِعُ

### تقييد المطلق

ربما ورد في القرآن دلالات مطلقة، فتأتي السُّنَّة النبوية بتقييدها،  
ومن ذلك:

ما رواه عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله بلغني ما ترى من الوجع، وأنا ذو مالٍ ولا يرثني إلا ابنةٌ لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: (لَا) قال: قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: (لَا، التُّكُّ وَالتُّكُّ كَثِيرٌ)<sup>(١)</sup>.

فالنبي ﷺ قيد مطلق قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَدَ وَصِيَّتِي يُوصِي بِهَا أَوْ دِينًا﴾ [النساء: ١١] بالثلث وما دونه.

وجاء أيضًا تقييد قطع اليد في السرقة ﴿فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] باليمنى، وبيان حد اليد، وكل ذلك في السُّنَّة العملية<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه البخاري (٥٥٥) ح [٢٧٤٢]، ومسلم (٧١٤) ح [٤٢٠٩].

(٢) وسيأتي مزيدٌ من الحديث عن هذا النوع في المبحث الخاص به.

المَبْحَثُ الثَّلَاثُ

غريب القرآن



## لِلْبَحْثِ الثَّلَاثِ

### غريب القرآن

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فألفاظه ظاهرة، ومعانيه مدركة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ لِنَزِيلٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ إِنَّهُ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿النحل: ١٠٣﴾ ووضفهُ بأنه عربي ومبين: فليبان أن اللغة العربية يوجد فيها ألفاظ وكلمات وتراكيب، ربما تشكل على كثير من العرب أو بعضهم، فذكر الله تعالى أن هذا القرآن نزل بلسان عربي مبين؛ أي: بين في نفسه، كاشف لما يراد منه، غير تارك لبساً لمن تدبره<sup>(١)</sup>.

إلا أنه ربما خفي على صحابة رسول الله ﷺ بعض معاني ألفاظه، فبيّنها النبي ﷺ ابتداءً بذكر معنى اللفظة في اللسان العربي، أو يصحح أحد المعنيين في الألفاظ المشتركة الواردة في الآية... أو غيرها، مما سيأتي في ذكر أوجه البيان النبوي لغريب القرآن.

وبيان غريب القرآن هو جزء من البيان الذي أمر به الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَفَكَّرُونَ ﴿النحل: ٤٤﴾ وهو يتعلق ببيان معاني مفردات ألفاظ القرآن الغربية<sup>(٢)</sup>

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآي والسور (٩٧/١٤) بتصرف يسير.

(٢) والغريب من الكلام: هو الغامض معناه، انظر: تهذيب اللغة (١١٨/٨).

بياناً لغويًا<sup>(١)</sup>.

وقد رُوي عن النبي ﷺ في الحث على الاعتناء بهذا العلم، والأمر به، أحاديث، إلا أن أسانيدنا ضعيفة، ولا تسلم من مقال، ومن ذلك: ما رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ، وَالتَّمَسُّوا عَرَابِيَّهُ). وهو ضعيف الإسناد<sup>(٢)</sup>.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ كُلَّهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ أَرْبَعُونَ حَسَنَةً، فَإِنْ أَعْرَبَ بَعْضَهُ وَلَحَنَ فِي بَعْضِهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عِشْرُونَ حَسَنَةً، وَإِنْ لَمْ يُعْرَبْ مِنْهُ شَيْئًا فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرٌ)<sup>(٣)</sup> وإسناده ضعيف أيضًا.

قال السيوطي: «المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن...»<sup>(٤)</sup>.

قال الراغب الأصفهاني<sup>(٥)</sup> مبيِّنًا أهمية العلم بغريب القرآن:

(١) انظر: المفردات للراغب (٥٤)، وفي اصطلاح كتب غريب القرآن قال د. الطيار: يراد به تفسير ألفاظ القرآن تفسيرًا لغويًا، وقد يكون هذا التفسير مدعومًا بالشواهد العربية، وقد يكون مجردًا من الشواهد، وهو الأكثر... وقد تتجاوز بعض كتب غريب القرآن إلى غير الألفاظ فتبينها؛ كالمبهمات وأسباب النزول وغيرها. التفسير اللغوي (٣٢٨).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٣٨٧/٤) [٢٠٩٣]، والحاكم في مستدركه (٤٧٧/٢)، وقال: «صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا»، وتعقبه الذهبي بقوله: «بل أجمع على ضعفه». وقال الهيثمي في المجمع (١٦٣/٧): «وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو متروك». قال ابن حجر في التقریب (٢٤٨): «متروك».

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٣٩٠/٤) [٢٠٩٨]، وحكم عليه الإمام الألباني بالوضع، أفته نوح بن أبي مريم وهو كذاب معروف. السلسلة الضعيفة [٦٥٨٢]، قال عنه ابن حجر في التقریب (٤٩٨): «ويعرف بالجامع لجمعه العلوم، لكن كذبوه في الحديث، وقال ابن المبارك: كان يضع».

(٤) الإتنان (٧٣٠/٣).

(٥) هو: الحسين بن محمد بن الفضل الأصفهاني، أبو القاسم الملقب بالراغب، أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل، وله تصانيف عدة منها: تفسير القرآن والمفردات في =

«فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه؛ كتحصيل اللين في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفرع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم...»<sup>(١)</sup>.

وفي مقابل أهميته ومكانته وأثره في تفسير كلام الله تعالى، تهيب كثير من السلف الخوض فيه، والكلام عنه خشية الزلل، والقول على الله بغير علم، قال الزركشي: «وهذا الباب عظيم الخطر، ومن هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن، وتركوا القول فيه حذرًا أن يزلوا فيذهبوا عن المراد، وإن كانوا علماء باللسان فقهاء في الدين، وكان الأصمعي وهو إمام اللغة لا يفسر شيئًا من غريب القرآن... وقال: واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركًا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر، وهذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أفصح قريش، سئل أبو بكر عن (الأب) فقال: أي: سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم...»<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم من الخطأ، جملة من ألفاظ القرآن بيانًا لغويًا، حيث فسرها لصحابته رضي الله عنهم، وذلك على أوجه.

= غريب القرآن وغيرها، اختلف في وفاته كثيرًا فقليل: ٥٠٢ هـ وقيل: ٤١٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/١٢٠)، الوافي بالوفيات (٢٩/١٣).

(١) المفردات (٥٤).

(٢) أخرجه أبو عبيد في الفضائل (٢٢٧). وقال ابن حجر: «منقطع». (فتح الباري ٦/٣٥٦).

(٣) البرهان (١/٣٩٨ - ٣٩٩).

## أوجه البيان النبوي لغريب القرآن:

بيان النبي ﷺ لألفاظ القرآن لغويًا قليل؛ وما ذاك إلا لعلم الصحابة بمدلولات الألفاظ ومعانيها، وهم عرب أقحاح، لم تخالطهم عجمة، أو تؤثر فيهم لُكْنَةٌ، إلا إنه يمكن تقسيمه إلى أوجه، هي:

١ - تفسيرها ابتداء:

فسّر النبي ﷺ ألفاظًا من القرآن ابتداء، ومن ذلك:

ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَشَهِدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ<sup>(١)</sup> رواه البخاري.

فبيّن النبي ﷺ أن معنى الوسط في الآية العدل، وأوسط الشيء أعدله...<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر في مناقبة ﴿التر ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ [الروم: ١، ٢]: (أَلَا احْتَطَّتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ الْبِضْعَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ) رواه الترمذي<sup>(٣)</sup>.

فسّر النبي ﷺ البضع ما بين الثلاثة إلى التسعة، وذلك في العدد، جاء في كتاب العين: والبضع من العدد ما بين الثلاثة إلى العشرة<sup>(٤)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص(٣٩٥).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١٠٥٢)، وقال: «الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف».

(٣) سبق تخريجه ص(٤٠٣).

(٤) العين (٢٨٦/١).



## ٢ - التفسير بالوجوه والنظائر:

قد يفسر النبي ﷺ الآية بالمعنى اللغوي، ولكن يقصرها على أحد وجوه المفردة، ومن ذلك:

ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أين لا يظلم نفسه! فقال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣])<sup>(١)</sup>.

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه<sup>(٢)</sup>، وله وجوه منها:

النقصان ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]،  
والجحد: ﴿وَأَنبَايَا نُمُودَ أَنفُسِهِمْ مَبِصَرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]؛ أي: جحدوا بأنها من عند الله.. ومنها الشرك، كما في المثال<sup>(٣)</sup>.

فالنبي ﷺ فسّر الظلم الوارد في الآية بالشرك، وهو أحد أوجه المفردة، ولم ينكر على الصحابة الفهم الذي تبادر إليهم.

ويُستدل بالمثل كذلك على مراعاة السياق القرآني في بيان المعنى اللغوي للآية، فسياق الآية يتحدث عن الشرك بالله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١] وقد فسّر

= وانظر زيادة من الأدلة عند: خ[٤٤٧٤]، ت[٢٥٣٣]، [٢٥٧٦]، [٢٥٨١]، [٣١٧٠]، [٣١٧٤]، [٣٢٤٤]، المستدرک [٥٠٧/٢]، [٣٦٥/٢].

(١) سبق تخريجه ص(٤٠١). (٢) انظر: مقاييس اللغة (٦١٧).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٥٨)، نزهة الأعين النواظر (٤٠/٢) وأوصلها إلى ستة أوجه.

النبي ﷺ مفردة (الظلم) ذات الأوجه المختلفة بأحدها وهو الشرك، وهو الأنسب للسياق... فيستفاد من ذلك مراعاة السياق القرآني في بيان المعنى اللغوي خاصة حتى لا يحصل الشطط، ويقع الخطل، قال الزركشي في ذكره للكتب المؤلفة في هذا العلم: «ومن أحسنها كتاب (المفردات) للراغب، وهو يتصيد المعاني من السياق؛ لأن مدلولات الألفاظ خاصة»<sup>(١)</sup>.

### ٣ - ترجيح معنى من الألفاظ المشتركة:

يُرد في اللغة العربية ألفاظ مشتركة، ذات معان متضادة، لا يمكن أن تجتمع في معنى واحد، قال السيوطي: «اللفظ المشترك: إما أن يتباينا، بألا يمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد؛ كالحيض والطهر، فإنهما مدلولوا (القرء) لا يجوز اجتماعهما لواحد في زمن واحد»<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك العسعس.

ومن الأمثلة النبوية على ترجيح معنى من الألفاظ المشتركة، ما روته فاطمة بنت أبي حبيش رضي الله عنها: أنها سألت رسول الله ﷺ فشكت إليه الدم، فقال لها رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا ذَلِكَ عِرْقٌ، فَانظُرِي: إِذَا أَتَى قُرْوِكَ فَلَا تُصَلِّي، فَإِذَا مَرَّ قُرْوِكَ فَتَطَهَّرِي، ثُمَّ صَلِّي مَا بَيْنَ الْقُرْءِ إِلَى الْقُرْءِ)<sup>(٣)</sup>.

فالنبي ﷺ فسّر القرء بالحيض، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ الآية [البقرة: ٢٢٨]. قال الجصاص في «أحكام القرآن»: «لغة النبي ﷺ أن القرء الحيض، فوجب ألا يكون معنى الآية إلا محمولاً عليه؛ لأن القرآن لا محالة نزل بلغته ﷺ وهو المبين عن الله ﷻ مراد الألفاظ المحتملة للمعاني، ولم يرد لغته بالطهر، فكان

(١) البرهان (١/٣٩٤).

(٢) المزهر في علوم اللغة والأدب (١/٣٠٤).

(٣) سبق تخريجه ص (٤٠٣).

حمله على الحيض أولى منه على الطهر. .»<sup>(١)</sup>.

وقال النسائي معلقاً على الحديث: «وهذا دليل على أن الأقرء  
حيض»<sup>(٢)</sup>.

٤ - صرف المعنى من المعنى اللغوي إلى المعنى الشرعي:

للألفاظ العربية معانيها اللغوية الخاصة بها، وقد يرد في البيان  
النبوي صرف المعنى اللغوي إلى معنى آخر، ومن ذلك:  
ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَيْسَ الْمَسْكِينُ  
بِالَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَا اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمَسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ؛  
افْرُؤُوا إِنِ شِئْتُمْ: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْكَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]»<sup>(٣)</sup>.

ففي الحديث بيان أن المسكين في اللغة ليس هو الذي ترده التمرة  
والتمرتان، واللقمة واللقمتان. . ولكن بين النبي ﷺ أن المسكين حقاً هو  
المتعفف، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ  
التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْكَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ  
خَيْرٍ فإِنَّ اللَّهَ بِوَعْدِهِمْ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣] قال الجصاص: «ولم يرد به نفي  
المسكنة عنه رأساً حتى تحرم عليه الصدقة، وإنما أراد: ليس حكمه  
كحكم الذي لا يسأل...»<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن بطال معلقاً على الحديث: «يريد (لَيْسَ الْمَسْكِينُ الَّذِي  
تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ) ليس المسكين المتكامل أسباب المسكنة؛ لأنه  
بمسألته يأتيه الكفاف والزيادة عليه، فيزول عنه اسم المبالغة في  
المسكنة، وإنما المسكين المتكامل أسباب المسكنة من لا يجد غنى  
ولا يتصدق عليه؛ كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ بَلَّ الْمَشْرِقِ

(١) أحكام القرآن (٥٨/٢).

(٢) المجتبى (٢٩).

(٣) رواه البخاري (٩٣٦) ح [٤٥٣٩]، ومسلم (٤١٨) ح [٢٣٩٤].

(٤) أحكام القرآن (٤/٣٣٤).

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ أَلْبَرَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴿الآية [البقرة: ١٧٧]﴾<sup>(١)</sup>.

ومثله حديث المُفْلِسِ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (أَتَذُرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه في تفسير سورة الكوثر، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: (أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ سُوْرَةٌ) فَقَرَأْتُ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣])، ثم قال: (أَتَذُرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟) فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ...) الحديث<sup>(٣)</sup>.

وأصل الكوثر في اللغة: الخير الكثير<sup>(٤)</sup>، فالنبي ﷺ فسره بالنهر الذي وعده الله إياه يوم القيامة: وهو بلا شك من أعظم الخير وأفضله. هذه أوجه البيان النبوي لغريب القرآن، ومجمل التطبيقات عليها، مع قلة الأحاديث في هذا العلم مقارنة بغيرها من أنواع البيان النبوي للقرآن الكريم.

\* \* \*

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/٥١٦ - ٥١٧)، وانظر: فتح الباري (٣/٤٣٣).

(٢) رواه مسلم (١١٢٩) ح [٦٥٧٩]. (٣) سبق تخريجه ص (١٩٩).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٠/١٠٢).

المَبْحَثُ الرَّابِعُ

تَعْضِيدُ السُّنَّةِ بِالْقُرْآنِ



## الْبَحْثُ الرَّابِعُ

### تعزید السنّة بالقرآن

التعزید: أصله من (عضد)، والعین والضاد والذال، أصل صحيح يدل على عضو من الأعضاء، ويستعار في موضع القوة والمعین، يقال: عضدت الرجل عضداً؛ أي: أعتته وصرت له معیناً وناصرًا<sup>(١)</sup>.

والقرآن والسنّة أصل مصادر التشريع الإسلامي، يتفقان ولا يمكن أن يختلفا في حكم من الأحكام، وهما في الحجية رتبة واحدة ومنزلة مساوية<sup>(٢)</sup>، قال الشاطبي: «فكل واحد من الكتاب والسنّة يعضد بعضه بعضاً ويشد بعضه بعضاً، وقال تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيْنًا﴾ [المائدة: ٣]»<sup>(٣)</sup>.

وقال الزركشي: «اعلم أن القرآن والحديث أبداً متعاضدان على استيفاء الحق وإخراجه من مدارج الحكمة، حتى إن كل واحد منهما يخص عموم الآخر، ويبين مجمله»<sup>(٤)</sup>.

وللسنّة النبوية مع القرآن الكريم أحوال ثلاث لا رابعة لها، هي: الحال الأولى: سنّة موافقة شاهدة بنفس ما شهد به كتاب الله تعالى.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٧٥٨)، القاموس المحيط (٣٨٢)، المصباح المنير (٤١٥/٢).  
 (٢) انظر: التمهيد (١٩)، قال ابن القيم: «والذي يجب على كل مسلم اعتقاده أنه ليس في سنن رسول الله ﷺ الصحيحة سنة واحدة تخالف الكتاب» (الطرق الحكيمة ١/١٨٦)، وانظر: رسالة كيف يجب علينا أن نفسر القرآن للأباني (٣٥).  
 (٣) الموافقات (٥٨/٢). (٤) البرهان (٢/٢٥٦).

الحال الثانية: سُنَّةُ تفسر الكتاب، وتبين مراد الله منه، وتفيد مطلقه.

الحال الثالثة: سُنَّةُ متضمنة لحكم سكت عنه الكتاب فتبينه بياناً مبتدأ<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: «ولا يجوز رد واحدة من هذه الأقسام الثلاثة، وليس للسُّنَّةُ مع كتاب الله منزلة رابعة... والذي نُشهد الله ورسوله به: أنه لم تأت سُنَّةٌ صحيحة واحدة عن رسول الله ﷺ تناقض كتاب الله وتخالفه البتة، كيف ورسول الله ﷺ هو المبين لكتاب الله، وعليه أنزل، وبه هداه، وهو مأمور باتباعه، وهو أعلم الخلق بتأويله ومراده...»<sup>(٢)</sup>.

وأغلب السُّنَّةُ النبوية تأتي على الحال الأولى وهي: موافقتها لما في الكتاب المنزل، وهو التعضيد، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله»<sup>(٣)</sup>.

وقال سعيد بن جبير<sup>(٤)</sup> رضي الله عنه: «ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله»<sup>(٥)</sup>.

ولهذا كثيراً ما يبوب المحدثون بالآيات على الأحاديث<sup>(٦)</sup>، وقد أفرد

(١) انظر: الرسالة للشافعي (٩١ - ٩٢)، الطرق الحكمية (١٨٦/١ - ١٨٧)، إعلام الموقعين (٣١٥/٢).

(٢) الطرق الحكمية (١٨٧/١).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه (٤٢٥/٢)، وقال: «صحيح الإسناد»، والطبراني في المعجم (٢٣٣/٩).

(٤) هو: سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد ويقال: أبو عبد الله الأسدي، الوالي مولاهم الكوفي، ثقة ثبت فقيه، استشهد سنة ٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٢١/٤)، تقريب التهذيب (٢٣٤).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٢٠١٥/٦)، وإسناده صحيح. انظر: تحقيق الإنقان في علوم القرآن (١٩٠٧/٥).

(٦) انظر على سبيل المثال: كتاب التفسير من صحيح البخاري، وأبواب تفسير القرآن من جامع الترمذي وغيرهما.



الإمام أبو الحكم ابن برجان<sup>(١)</sup> تفسيراً مستقلاً اعتنى فيه بهذا العلم وسماه: الإرشاد، إلا أنه لم يكمله<sup>(٢)</sup>. وقال: «ما قال النبي ﷺ من شيء فهو في القرآن، أو فيه أصله، قُرْب أو بَعْد، فهمه من فهمه، وعَمِه عنه من عَمِه، قال تعالى: ﴿مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]»<sup>(٣)</sup>.

فالتعزید هو: موافقة السنّة النبوية للقرآن الكريم في الدلالة والمعنى، بحيث يتجلى المعنى، ويقوى الاستدلال، (فهذا البيان من العلم جليل، وحظه من اليقين جليل)<sup>(٤)</sup>.

إذن فعموم السنّة النبوية لا يمكن بحال أن تخالف الكتاب المنزّل، وأن أغلبها توافقه في الدلالة والمعنى... وقد نصّ النبي ﷺ على ذلك في أحاديث، منها:

أولاً: قوله: (اقرؤوا إن شئتم):

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِمَيَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧])<sup>(٥)</sup>.

(١) هو: الشيخ الإمام أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال المغربي الإفريقي ثم الأندلسي الأشبيلي، له تصانيف كثيرة منها: «تفسير القرآن» ولم يكمله، «شرح أسماء الله الحسنى»، توفي سنة ٥٣٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٧٣/٢٠)، طبقات المفسرين للداودي (١٦٩).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٧٣/٢٠) وهو مخطوط، وقد نقل الزركشي أمثلة منه في البرهان (٢٥٦/٢) وما بعدها.

(٣) البرهان (٢٥٦/٢).

(٤) من قول ابن برجان، انظر: البرهان (٢٥٧/٢).

(٥) رواه البخاري (٦٦٣) ح [٣٢٤٤]، ومسلم (١٢٢٨) ح [٧١٣٢] جعل الآية من قول أبي هريرة رضي الله عنه، وفي رواية أخرى عند البخاري من قول أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الثالثة من دون إيراد الآية.. قال الداودي هو من قول أبي هريرة، ورد عليه ابن التين =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّابِحُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ: ﴿وَزَلَّ مَمْدُورٌ﴾ [الواقعة: ٣٠])<sup>(١)</sup>.

ثانياً: قوله: (صدق الله في كتابه):

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ فَقَدْ صَامَ الدَّمْرَ كُلَّهُ)، ثم قال: (صَدَقَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠])<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: الاكتفاء بقراءة الآية بعد إيراد الحديث:

كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ) قال عبد الله: ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] إلى آخر الآية<sup>(٣)</sup>.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ). وفيه: فقال: (اعْمَلُوا فِكْلَ مُيسَّرٍ، أَمَا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ

= وقال: «الظاهر خلافه وأنه من قوله». انظر: عمدة القاري (١٥٣/١٥ - ١٥٤).

(١) رواه البخاري (٦٦٤) ح [٣٢٥٢]، ومسلم (١٢٢٩) ح [٧١٣٦] إلا أنه لم يورد الآية، وانظر مزيداً من الأدلة عند: خ [٣٢٩٩]، [١٤٧٦]، م [٧٠٤٥]، ن [٤٨٧].

(٢) رواه النسائي (٣٣٢) ح [٢٤١١]، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٦٨/٢).

(٣) رواه مسلم (٧١) ح [٣٥٧].

السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيَسْرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ  
 أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ جَحَلَ وَاسْتَفْتَىٰ ۝٨  
 وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ١٠] (١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَا مِنْ رَجُلٍ  
 لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي عُنُقِهِ شُجَاعًا)، ثم قرأ علينا  
 مصداقة من كتاب الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ  
 فَضْلِهِ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٠] الحديث (٢).

هذه بعض الأمثلة التي نصّ النبي صلى الله عليه وسلم فيها على تعزید السنّة النبوية  
 للكتاب الكريم، مما يفسح المجال للصحابة والتابعين ومن بعدهم  
 الاجتهاد في الربط بين الحديث والآية والعكس، قال ابن برّجان:  
 «فأعلمهم - أي: النبي صلى الله عليه وسلم - مواضع حديثه من القرآن، ونبههم على  
 مصداق خطابه من الكتاب، ليستخرج علماء أمته معاني حديثه طلبًا  
 لليقين، ولتستبين لهم السبيل، حرصًا منه صلى الله عليه وسلم على أن يزيل عنهم  
 الارتباب، وأن يرتقوا في الأسباب» (٣).

وقد حصل ذلك كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ  
 يُولَدُ فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرِيَمَ وَابْنَهَا)، ثم يقول  
 أبو هريرة واقروءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ

(١) رواه البخاري (١٠٧٣) ح [٤٩٤٨]، مسلم (١١٥٣) ح [٦٧٣١].

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٦٧٧) ح [٣٠١٢]، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه  
 الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١١/٣)، وأصله في صحيح البخاري (٢٧٨)  
 ح [١٤٠٣]، وانظر مزيدًا من الأدلة عند: د [٣٥٩٩] ت [٢٩٦٩]، [٢٩٩٥]، [٣١٧٠]،  
 [٣٢٢٨]، [٣٢٥٢].

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/٢٥٨).

الرَّجِيمِ ﴿آل عمران: ٣٦﴾<sup>(١)</sup>.

وأورد الإمام ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَكَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١] أقوال الأئمة في المراد بـ(أحاطت به خطيئته) قيل: أحاط به شره، وقيل: الكبيرة الموجبة، ثم قال: «وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى والله أعلم، ويذكر هنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> بسنده عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكُنَّهُ)»<sup>(٣)</sup>.

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر، وأوسع من أن تقصر.. ولكن حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

(١) رواه البخاري (٩٣٨) ح [٤٥٤٨]، ومسلم (١٠٤٠) ح [٦١٣٣]، وانظر: الفصل للوصل المدرج في النقل للخطيب البغدادي (١/١٧٣).

(٢) المسند (٣٦٧/٦) [٣٨١٨]، وقال محققه: حسن لغيره.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/٣١٩ - ٣٢٠).

# أَفْصَلُ أُنْحَامِسُ

## علوم القرآن

### المتعلقة بدلالة الألفاظ

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: المحكم والمتشابه.

المبحث الثاني: النسخ.

المبحث الثالث: العام والخاص.

المبحث الرابع: المطلق والمقيد.



## الْفَضْلُ الْخَامِسُ

### علوم القرآن المتعلقة بدلالة الألفاظ

تمهيد:

اشتمل كتاب الله تعالى على أوامر ونواهٍ، وحكم وأحكام، وترغيب وترهيب... ، بدلالات مختلفة، وأساليب لفظية متنوعة.

وقد اعتنى علماء التفسير وعلوم القرآن بدراسة تلك الدلالات، وبيان مدلولاتها، وإيضاح متعلقاتها، استجابة لأمر الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] وطلباً لمعرفة الأحكام الشرعية، وفهماً للدلالة النصية، ونفيًا للتعارض والاختلاف، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ومن الآثار الواردة في ذلك ما رواه معمر قال: بلغني أن علياً عليه السلام مرَّ بقاص، فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال: المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله<sup>(٢)</sup>.

(١) مصنف عبد الرزاق (٣/٢٢٠)، وقال محقق (الناسخ والمنسوخ للنحاس د. سليمان اللاحم): في إسناده محمد بن جعفر شيخ المؤلف ذكره الخطيب ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وبقيّة رجاله ثقات (١/٤١٠). مع الإشارة إلى أن السلف يطلقون النسخ على كل ما هو رفع للحكم سواء بنسخ أو تخصيص أو تقييد.

(٢) تفسير الطبري (٩/٥).

مستدلين بكتاب الله تعالى، وبالسُّنَّةِ النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم؛ حيث اشتملت على أحاديث تأسيسية لهذه العلوم، فضلاً عما ورد فيها من أمثلة تطبيقية كثيرة. ومن تلك العلوم المتعلقة بدلالة الألفاظ: (المحكم والمتشابه، والنسخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد).





## الْبَحْثُ الْأَوَّلُ

### المحكم والمتشابه

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الإحكام، مفهومه وأنواعه.

المطلب الثاني: التشابه، مفهومه وأنواعه.



## الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

### المحكم والمتشابه

مدخل:

أنزل الله ﷻ كتابه الكريم محكمًا من الزيادة والنقص، والدَّخَل واللبس، والخلل والباطل، قال تعالى: ﴿كُنْتُ أَتَكْتَمُ بِئِنَّكُمْ﴾ [هود: ١] قال ابن جرير: «معناه: أحكم الله آياته من الدخل والخلل والباطل.. وذلك أن إحكام الشيء إصلاحه وإتقانه، وإحكام آيات القرآن إحكامها من خلل يكون فيها، أو باطل يَقْدِرُ ذو زيغ أن يطعن فيها من قِبَلِهِ..»<sup>(١)</sup>.

وأصل كلمة (محكم) الحاء والكاف والميم (حكم)، وهو أصل واحد يدل على المنع، وسميت حَكَمَة الدابة لأنها تمنعها، يقال: حَكَمْتُ الدابة وَأَحَكَمْتُهَا...<sup>(٢)</sup>.

ومتشابهًا في الإحكام والإتقان، سواء في الألفاظ وتراكيبها، أو في المعاني ودلالاتها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ لَلْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣] قال سعيد بن جبیر: يشبه بعضه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا، ويدل بعضه على بعض<sup>(٣)</sup>.

وأصل كلمة (متشابه) الشين والباء والهاء (شبه)، وهو أصل واحد

(١) تفسير الطبري (١٢/٣١٠).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٢٥٨)، لسان العرب (٢/٥٤٠).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٠/١٩١).

يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفاً يقال: شَبِهَ، وشَبَّهَ، وشَبَّيْهَ، والمتشابه والمتشابهات: أي: التماثلات<sup>(١)(٢)</sup>.



(١) انظر: مقاييس اللغة (٥٢٦)، مختار الصحاح (٣٢٨).

(٢) ومن الكتب المؤلفة في هذا العلم: متشابه القرآن دراسة موضوعية لعدنان زرزور، متشابه القرآن لإبراهيم الخولي، محكم ومتشابه القرآن لغازي عناية، المتشابه لحسين نصار، دراسات الأحكام والنسخ لمحمد حمزة، المحكم والمتشابه في القرآن العظيم لعبد الرحمن المطرودي.

## المطلب الأول

### الإحكام، مفهومه وأنواعه

بيّن النبي ﷺ أن القرآن الكريم كلّ صواب، لم يتطرق إليه خلل، ولم يشبهه شك، ولم يعتره نقص.

عن عبد الله بن طلحة عن أبيه عن جده قال: قرأ رجل عند عمر رضي الله عنه فغير عليه، فقال: قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير علي، قال: فاجتمعنا عند النبي ﷺ قال: فقرأ الرجل على النبي ﷺ فقال له: (قَدْ أَحْسَنْتَ) قال: فكأن عمر وجد من ذلك، فقال النبي ﷺ: (يَا عُمَرُ إِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ صَوَابٌ مَا لَمْ يُجْعَلْ عَذَابٌ مَغْفِرَةٌ أَوْ مَغْفِرَةٌ عَذَابًا)<sup>(١)</sup>.

فدلالة الحديث تدل أن القرآن كله محكم، ومفهوم الإحكام هنا الإتقان والكمال، والحسن والتمام، فألفاظه محكمة في الدلالة على المعاني بأبلغ كلام، وأوجز عبارة، مع اشتغالها على أقصى ما تحتمله أشرف لغة للبشر من معانٍ... ومحكم في معانيه لا يعترها نقص، أو يخالطها قصور، متكافئة في الشرف والحسن... فهو معجز في أحكامه وحكمه، ومعانيه ودلالاته، وأوامره ونواهيها، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، وهذا هو الإحكام العام.

ويطلق المحكم من القرآن مقابل المتشابه، كما في قوله تعالى:

(١) رواه الإمام في مسنده (٢٨٥/٢٦) [١٦٣٦٦]، وقال محققه: إسناده حسن، وقال الهيثمي في المجمع (١٥١/٧): «رجاله ثقات»، وقال السيوطي: «أسانيده جياذ» (الإتقان ١/٣٨١).

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

وفي الحديث المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ نَزَلَ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ؛ زَاجِرٍ وَآمِرٍ، وَحَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ، فَأَجِلُوا حَلَالَهُ وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ) الحديث<sup>(١)</sup>.

وقد اجتهد العلماء في بيان معنى المحكم المقابل للمتشابه، فمما قيل: المحكم ما عرف المراد منه: إما بالظهور، وإما بالتأويل.  
وقيل: ما وضع معناه.

وقيل: الذي وعد عليه ثواباً أو عقاباً.

وقيل: الذي تأويله تنزيهه بجعل القلوب تعرفه عند سماعه<sup>(٢)</sup>.

وقال الطبري: «ما عرف العلماء تأويله، وفهموا معناه وتفسيره...»<sup>(٣)</sup> وقيل غير ذلك.

ولعل أقربها إلى عموم الآية ومجموع الأحاديث النبوية الواردة في المحكم والمتشابه - سيأتي إيرادها في المطلب القادم - والجمع بين معنيي المحكم والمتشابه -: ما قاله الإمام الخطابي في تعريفه للمحكم

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٢٠/٣) [٧٤٥]، والحاكم في مستدركه (٣١٧/٢) وقد سبق تخريجه، وعند البيهقي في الشعب (٣٨٩/٤) [٢٠٩٥]: «فإن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام، ومحكم ومتشابه...» وإسناده ضعيف، فيه معارك بن عباد وهو ضعيف (التقريب ٤٦٩).

(٢) انظر الأقوال عند: الزركشي في البرهان (١٩٩/٢)، والإتقان (١٣٣٦/٤)، متشابه القرآن لعدنان زرزور (٧٥).

(٣) وهو مروي عن جابر بن عبد الله بن رثاب. تفسير الطبري (١٩٩/٥).

أنه: هو الذي يعرف بظاهر بيانه تأويله، وبواضح أدلته باطن معناه<sup>(١)</sup>.

وهو يقرب من القول الأول، والله أعلم.

فالمحكم يكون ظاهر المعنى، واضح الدلالة، سواء بنفسه كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وما شابهها.

أو ببيان العلماء له وتفسيرهم إياه، كبيان معنى (دهاقا) (غساقا) (الغاسق).. وما شابهها، وعليه رأي الطبري ومن تبعه؛ كما سبق<sup>(٢)</sup>. وهو معنى التشابه النسبي<sup>(٣)</sup>.

ويطلق المحكم مقابل المنسوخ، كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ)<sup>(٤)</sup>.

وسأتي الحديث عنه في المبحث القادم.

وعليه يحمل تأويلات بعض العلماء للمحكم والمتشابه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الآيات المحكمات، هن الناسخات التي يعمل بهن، وأما المتشابهات، فهن المنسوخات<sup>(٥)</sup>.

\* \* \*

(١) انظر: أعلام الحديث (٣/١٨٢٥)، عمدة القاري (١٨/١٣٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/١٩٩)، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٣/٢٧٥).

(٣) ستأتي الإشارة إليه في المطلب القادم.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤٢٠) ح [٢٨٨٥]، وابن ماجه (٢٢) ح [٥٤]، والحاكم في مستدركه (٤/٣٦٩)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (٢٢٣) وفيه: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي ضعيف في حفظه (التقريب ٢٨٢).

(٥) تفسير الطبري (٥/١٩٤).

## المطدب الثاني

## التشابه، مفهومه وأنواعه

القرآن الكريم كله متشابه في الإحكام والإتقان، فأياته متماثلة في الحسن، متشابهة في الكمال، متكافئة في المعاني، متساوية في الفصاحة والبلاغة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ لَحْدِيثٍ كَلِمًا مَّتَشَبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣] قال مجاهد: يشبه بعضه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا، ويدل بعضه على بعض<sup>(١)</sup>. وهذا هو مفهوم التشابه العام للقرآن الكريم.

إلا أن المتشابه أيضًا يطلق ويراد به ما اشتبه منه مراد المتكلم على السامع؛ لاحتماله وجوهاً مختلفة<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ)<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير الطبري (١٩١/٢٠).

(٢) انظر: الكليات للكفوي (٨٤٥)، لسان العرب (٢٣/٤) مادة: (شبه).

(٣) رواه البخاري (٩٣٨) ح[٤٥٤٧]، ومسلم (١١٦٢) ح[٦٧٧٥].



وهو المتشابه الذي يقابل المحكم من القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، وقد اجتهد العلماء في بيان معناه، ومما قيل في ذلك: المتشابه هو ما استأثر الله بعلمه؛ كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور<sup>(٢)</sup>.

وقيل: ما احتمل أوجهًا مختلفة.

وقيل: ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره.

وقيل: ما لا يُدرَى إلا بالتأويل<sup>(٣)</sup>.

ولعل أشملها أن المتشابه هو: ما اشتبه فلم يتلق معناه من لفظه،

ولم يدرك حكمه من تلاوته، وهو على ضربين:

أحدهما: ما إذا رد إلى المحكم واعتبر به، علم معناه.

والآخر: ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته.

وهو الذي يتبعه أهل الزيغ، فيطلبون تأويله ولا يبلغون، فيرتابون

فيه فيفتنون به<sup>(٤)</sup>.

ولذا جاء التوجيه النبوي بالتحذير من هذا الصنف من الناس كما

في حديث عائشة رضي الله عنها السابق.

فالمتشابه على ضربين:

### الضرب الأول: المتشابه النسبي:

وهو الذي يعلمه العلماء والراسخون في العلم، يقول ابن الأثير:

(١) وقد سبق إيراد الأحاديث التي تفيد بأن القرآن اشتمل على المحكم والمتشابه في المطلب السابق.

(٢) وهو قول عبد الله بن جابر بن رثاب، واختيار ابن جرير الطبري (١٩٩/٥).

(٣) انظر: الأقوال مفصلة عند الزركشي في البرهان (٢/٢٠٠)، الإتنان (٤/١٣٣٦)، المحكم والمتشابه في القرآن الكريم د. المطرودي (٥٧ - ٦٢).

(٤) وهو تعريف الإمام الخطابي. أعلام الحديث (٣/١٨٢٥) عمدة القاري (١٨/١٣٨).

«ولسنا ممن يزعم: أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم، وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى.

ولم ينزل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عباده، ويدل به على معنى ما أراد، فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال، وتعلق علينا بعله.

وهل يجوز لأحد أن يقول: إن رسول الله ﷺ لم يكن يعرف المتشابه؟!

وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته، فقد علم علياً التفسير، ودعا لابن عباس رضي الله عنهما...

ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ في المتشابه إلا أن يقولوا: ﴿ءَأَمَّا بِيَدِهِ كُلُّ مَنَ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] لم يكن للراسخين فضل على المتعلمين، بل على جهلة المسلمين؛ لأنهم جميعاً يقولون: ﴿ءَأَمَّا بِيَدِهِ كُلُّ مَنَ عِنْدَ رَبِّنَا﴾<sup>(١)</sup>.

ولذا روي عن النبي ﷺ الأمر برد المتشابه إلى أولي العلم، كما في حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اعْمَلُوا بِالْقُرْآنِ، وَأَحْلُوا حَلَالَهُ وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ، وَافْتَدُوا بِهِ وَلَا تَكْفُرُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَمَا تَشَابَهَ عَلَيْكُمْ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ أَوْ إِلَى الْأَمِيرِ مِنْ بَعْدِي كَيْمَا يُخْبِرُوكُمْ) الحديث، وإسناده ضعيف<sup>(٢)</sup>.

(١) تأويل مشكل القرآن (٦٦ - ٦٧)، وقال الشيخ ابن عثيمين: «التشابه نوعان: تشابه نسبي، وتشابه مطلق، والفرق بينهما: أن المطلق يخفى على كل أحد، والنسبي يخفى على أحد دون أحد». (القول المفيد ١٩٦/٢).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩/١٠) [١٩٤٩٠]، والطبراني في الكبير (٢٠/٢٢٥) [٥٢٥]، وصححه الحاكم في مستدركه (٧٥٧/١)، وقال الذهبي: «عبيد الله، قال أحمد: تركوا حديثه»، وقال الهيثمي في المجمع (١/١٧٠): «عبيد الله بن أبي حميد - راوي الحديث - قد أجمعوا على ضعفه». وقال ابن حبان في المجروحين (٢/٦٥) =

قال شيخ الإسلام: «والله ورسوله إنما ذم من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فأما من تدبر المحكم والمتشابه كما أمره الله وطلب فهمه ومعرفة معناه، فلم يذمه الله بل أمر بذلك ومدح عليه..»<sup>(١)</sup>.

وقد حصل لصحابة رسول الله ﷺ تشابه في بعض الآي، فسألوا رسول الله ﷺ عنها فبينها لهم، ومن الأمثلة على ذلك:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لما قدمت نجران سألتوني، فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَتَأَخَتِ هَرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْمَوْنَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ)<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: (لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا) قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي ﷺ: (قَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿سَمِ نَجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مريم: ٧٢])<sup>(٣)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: (عَلَى الصَّرَاطِ)<sup>(٤)</sup>.

= «كان ممن يقلب الأسانيد، ويأتي بالأشياء التي لا يشك من الحديث صناعته أنها مقلوبة، فاستحق الترك لما كثر في روايته».

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٢٧٥)، ولاين عطية في المحرر الوجيز كلام جيد في هذه المسألة. انظره: (١٦١/٢ - ١٦٣).

(٢) رواه مسلم (٩٥٣) ح[٥٥٩٨]. (٣) رواه مسلم (١٠٩٩) ح[٦٤٠٤].

(٤) رواه مسلم (١٢١٦) ح[٧٠٥٦]، وانظر مزيداً من الأدلة: د[٤٣٣٨]، [٤٣٤١]، ت[٣٠٩٥]، [٣١٤٢]، [٣٢٢٢]، حم[١٧١٦٥]، الجامع لابن وهب [٢٨٣].

وهذا هو التشابه النسبي، الذي إذا رُدَّ إلى العالم به بيَّنه، وردَّه إلى المحكمات اللاتي هن أم الكتاب، قال شيخ الإسلام: «ولا يجوز أن يكون الرسول ﷺ وجميع الأمة لا يعلمون معناه كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ»<sup>(١)</sup>.

وربما كان إنشاء هذا التشابه النسبي من أجل الفتنة، وضرب كتاب الله تعالى بعضه ببعض، ليس بحثاً عن الحق، وإنما طلبٌ للباطل، وبتُّ للشبه، فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْكِتَابَ وَاللَّبْنَ) قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِالْكِتَابِ؟ قَالَ: (يَتَعَلَّمُهُ الْمُتَأَفِّقُونَ ثُمَّ يُجَادِلُونَ بِهِ الَّذِينَ آمَنُوا) فَقِيلَ: وَمَا بِاللَّبَنِ؟ قَالَ: (أَنَاسٌ يُحِبُّونَ اللَّبْنَ فَيَخْرُجُونَ مِنَ الْجَمَاعَاتِ وَيَتْرَكُونَ الْجُمُعَاتِ)<sup>(٢)</sup>.

وقد حذر النبي ﷺ من ذلك أشد تحذير، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ، فَقَالَ: (إِنَّمَا هَلَاكُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ)<sup>(٣)</sup>.

ورود التوجيه النبوي في حال الاختلاف بالقيام والتفرقة، وعدم الاستمرار، فعن جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا اتَّخَفْتُمْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا)<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٣٩٠)، وانظر: (١٧/٤٠٠).

(٢) رواه الإمام في مسنده (٢٨/٥٥٥) [١٧٣١٨]، والطبراني في الكبير (١٧/٢٩٥) [٨١٦]، وقال محقق المسند: حديث حسن، ابن لهيعة - وإن كان سئ الحفظ - قد روى عنه هذا الحديث عبد الله بن يزيد المقرئ، وروايته عنه سالحة، وهو متابع أيضًا.

(٣) رواه مسلم (١١٦١) ح [٦٧٧٦]. (٤) رواه مسلم (١١٦١) ح [٦٧٧٧].

## الضرب الثاني: المتشابه المطلق:

وهو الذي يخفى على الناس كلهم، مثل: كيفية صفات الله تعالى، وحقائق ما أخبر الله به من نعيم الجنة وعذاب النار، ووقت قيام الساعة.

وقد جاء التوجيه النبوي بالتحذير من الخوض فيه والاستماع له، كما في حديث عائشة رضي الله عنها السابق، وفيه: قال رسول الله ﷺ: (فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ).

قال ابن حجر: «عَلِمُ بعض المتشابه مختص بالله تعالى، وأن من حاول معرفته هو الذي أشار إليه في الحديث، بقوله: (فَاحْذَرُوهُمْ)»<sup>(١)</sup>.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزَلْ لِيُكَذَّبَ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَأَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِهِ)<sup>(٢)</sup>.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفتقروا في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: (بِهَذَا أَمِرْتُمْ) أو (لِهَذَا خُلِفْتُمْ؟! تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ؟! بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَّةُ قَبْلَكُمْ)<sup>(٣)</sup>.

وروي عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا ثَلَاثَ خِلَالَ: أَنْ يُكْثَرَ لَهُمْ مِنَ الْمَالِ فَيَتَحَاسَدُوا فَيَقْتَتِلُوا، وَأَنْ يُفْتَحَ لَهُمُ الْكِتَابُ فَيَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ بِيَتَّبِعِي تَأْوِيلَهُ،

(١) فتح الباري (٢٦٦/٨).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٩٢/٤)، وعزاه ابن كثير في التفسير (١١/٢) إلى ابن مردويه وساق إسناده، وإسناده حسن (محقق الإتيان في علوم القرآن ١٣٤٣/٤).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (١٤) ح [٨٥]، وقال البوصيري في (مصباح الزجاجة ١/١٤): «إسناد صحيح رجاله ثقات».

وَلَيْسَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (الْحَدِيثُ<sup>(١)</sup>).

قال السيوطي بعد إيرادِه لطائفة من الأحاديث السابقة: «فهذه الأحاديث والآثار تدل على أن المتشابه مما لا يعلمه إلا الله، وأن الخوض فيه مذموم..»<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٩٣/٣) [٣٤٤٢]، قال ابن كثير (١١/٢): «غريب جداً»، وقال الهيثمي في المجمع (١٢٨/١): «فيه محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه ولم يسمع من أبيه». قال أبو حاتم: «لم يسمع من أبيه شيئاً، حملوه على أن يحدث فحدث». تهذيب التهذيب (٥١٤/٣).

(٢) الإتيان (١٣٤٦/٤).

## المَبْحَثُ الثَّانِي

### النسخ

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: زمان النسخ ووقوعه.

المطلب الثاني: أنواعه.





## المَبْحَثُ الثَّانِي

### النسخ

#### مدخل:

من رحمة الله تعالى بهذه الأمة المحمدية، أن خصَّها بالنسخ دون سائر الأمم قبلها، وذلك لِحِكْمِ منها: بيان فضل الله عليهم ورحمته بهم، والتيسير والتخفيف عليهم<sup>(١)</sup>، وتَعْظِيمِ الأجر والمثوبة لهم<sup>(٢)(٣)</sup>.  
والنسخ لغة: الرفع، والإزالة<sup>(٤)</sup>.

واصطلاحًا: اختلفت عبارات العلماء في التعريف به، وبيان حقيقته، إلا أنه اختلاف متقارب، وأقوال متشابهة.. ولعل من أجمعها وأوجزها أن يقال: هو رفع حكم دليل شرعي أو لفظه، بدليل شرعي<sup>(٥)</sup>.  
وبعض العلماء أضاف قيدًا وهو كون الرفع - الناسخ - متراخٍ عن الحكم المرفوع - المنسوخ -<sup>(٦)</sup> إلا أن قيد (رفع حكم..) يفيد

- (١) وذلك في نسخ الأثقل إلى الأخف كنسخ تقديم الصدقة بين يدي مناجاة النبي ﷺ.
- (٢) كنسخ الحكم وبقاء التلاوة، فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه، أو يكون للابتلاء والاختبار.
- (٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/١٦٠)، الإتيان (٤/١٤٣٦، ١٤٤٨).
- (٤) انظر: العين (٤/٢٠١)، مقاييس اللغة (٩٨٩)، لسان العرب (٨/٥٣٣).
- (٥) وهو تعريف الشيخ محمد بن عثيمين، انظر: تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة) (١/٣٤٦)، ويقرب منه تعريف الزرقاني في مناهل العرفان (٢/١٩١)، حيث قال: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي. إلا أنه لم يشمل ما نسخ تلاوته وبقي حكمه.
- (٦) انظر: الغزالي في المستصفى (١/٨٦)، والآمدي في الإحكام (٣/١١٣)، وابن قدامة في الروضة (١/٢٨٣) وغيرهم.

التأخر، ولا يسمى رافعاً حتى يكون متأخراً عن المرفوع.  
مع الإشارة إلى أن هذا الاصطلاح عند الأصوليين ومن تابعهم،  
وإلا فالنسخ عند المتقدمين أعمُّ من ذلك، حيث يدخل فيه الخاص،  
والاستثناء، والتقييد. قال الشاطبي: «وذلك أن الذي يظهر من كلام  
المتقدمين أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين،  
فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخاً، وعلى تخصيص العموم بدليل  
متصل أو منفصل نسخاً، وعلى بيان المبهم والمجمل نسخاً، كما يطلقون  
على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخاً؛ لأن جميع ذلك  
مشترك في معنى واحد، وهو أن النسخ في الاصطلاح المتأخر اقتضى أن  
الأمر المتقدم غير مراد في التكليف، وإنما المراد ما جاء به آخرًا،  
فالأول غير معمول به، والثاني هو المعمول به»<sup>(١)(٢)</sup>.



(١) الموافقات (٣/١٠٨)، ولشيخ الإسلام وتلميذه كلام نحو من كلامه. انظر: مجموع  
الفتاوى (١٤/١٠١)، إعلام الموقعين (١/٣٥).

(٢) والمؤلفات في هذا العلم كثيرة جداً منها المتقدم ومنها المعاصر، ومن ذلك:  
«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» لمكي بن أبي طالب، نواسخ القرآن لابن الجوزي،  
والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد، والنسخ في القرآن الكريم لعبد الرحمن  
المطرودي، ودراسات الإحكام والنسخ في القرآن الكريم لمحمد حمزة.

## المطلب الأول

## زمان النسخ ووقوعه

الناسخ والمنسوخ لا يمكن أن يكون إلا في زمن نزول الوحي، وذلك في حياة النبي ﷺ حتى وفاته، حيث انقطع الوحي بموته عليه الصلاة والسلام، قال مكي بن أبي طالب: «لا يجوز النسخ إلا قبل وفاة النبي ﷺ، وغير جائز أن يتوفى رسول الله ﷺ وقرآن يتلى، ثم يجمع المسلمون على إسقاطه من التلاوة بعده»<sup>(١)</sup>.

وقد أشار النبي ﷺ إلى النسخ بقوله وفعله وتقريره، ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ)<sup>(٢)</sup>.

والآية المحكمة؛ أي: غير منسوخة، قال الخطابي: «والآية المحكمة، هي كتاب الله، واشترط فيها الأحكام؛ لأن من الآي ما هو منسوخ لا يعمل به، وإنما يعمل بناسخه.»<sup>(٣)</sup>.

(١) الإيضاح (٥٢).

(٢) سبق تخريجه ص(٤٥٥)، وفي مصنف عبد الرزاق (٣/٣٦٣) [٥٩٨٢] عن الزهري أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ حين أصبح فقال: إنها كانت معي سورة فذهبت لأقرأها فما أقدر عليها، فقال له آخر: وأنا أيضاً كانت معي فما قدرت عليها، قال: ما أدري أرجلان أم ثلاثة، فدخلوا على النبي ﷺ فقال: (إِنَّهَا رُفِعَتْ فِي قُرْآنٍ رُفِعَ) وهو مرسل، ومراسيل الزهري ضعيفة. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٣٣٩).

(٣) معالم السنن (٤/٨٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما الناس في الصبح بقباء، جاءهم رجل، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وأمر أن يستقبل الكعبة، ألا فاستقبلوها، وكان وجه الناس إلى الشام، فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة<sup>(١)</sup>.

فأول الأمر كان النبي ﷺ ومن معه من الصحابة يصلون إلى الشام، حتى أنزل الله تعالى ما أنزل من الأمر باستقبال القبلة، فوَلَّى رسول الله ﷺ ومن معه وجوههم قبل المسجد الحرام، ففيه امتثال لأمر الله تعالى، وبيان لوقوع النسخ، والعمل به.

ومن التقرير ما رواه سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه رضي الله عنه: أن النبي ﷺ صلى في الفجر، فترك آية، فلما صلى، قال: (أَفِي الْقَوْمِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ؟! ) قال أبي: يا رسول الله نسخت آية كذا وكذا أو نسيتهما؟ قال: (نُسِيَتْهُمَا)<sup>(٢)</sup>.

ولذا أجمع العلماء على صحة وقوع النسخ وإمكانيته، قال ابن الجوزي: «انعقد إجماع أهل العلم على هذا، إلا أنه قد شذ من لا يلتفت إليه<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩٢٦) ح [٤٤٩٠].

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٨٠/٢٤) [١٥٣٦٥]، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (٦٩/٢)، وقال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) ومن ذلك أبو مسلم الأصفهاني حيث زعم أن النسخ مستحيل، وأجاب عما ثبت نسخه بأنه من باب التخصيص، وليس من باب النسخ؛ وذلك لأن الأحكام النازلة ليس لها أمد تنتهي إليه، بل أمدّها إلى يوم القيامة، فإذا نسخت فمعناه أننا خصصنا الزمن الذي بعد النسخ؛ أي: أخرجناه من الحكم. . (انظر: تفسير ابن كثير (٣٨٣/١)، مناهل العرفان (٢٢٣/٢)، تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين (سورة البقرة) (٣٤٩/١)، وعده الشيخ ابن عثيمين خلافاً لفظياً لأنهم متفقون على جواز هذا الأمر.

(٤) نواسخ القرآن (١٠٨).

وقال ابن كثير: «والمسلمون كلهم متفقون على جواز النسخ في أحكام الله»<sup>(١)</sup>.



(١) تفسير ابن كثير (١/٣٨٣).

## المطلب الثاني

### أنواعه

للسنخ أنواع كثيرة ذكرها مؤلفو كتب أصول الفقه وعلوم القرآن وغيرهم، ومن الأنواع المتعلقة بالأحاديث النبوية، نسخ القرآن بالسنة، ونسخ السنة بالقرآن.

#### أولاً: نسخ القرآن بالسنة:

اختلف في مسألة نسخ القرآن الكريم بالسنة النبوية<sup>(١)</sup>، بين مثبت ومانع، وقد روي فيها حديث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كَلَامِي لَا يَنْسَخُ كَلَامَ اللَّهِ، وَكَلَامُ اللَّهِ يَنْسَخُ كَلَامِي، وَكَلَامُ اللَّهِ يَنْسَخُ بَعْضُهُ بَعْضًا)<sup>(٢)</sup>.

والحديث ضعيف، ولو صح لكان عمدة في بابه، ولعلي أذكر أبرز

(١) مع اتفاقهم على جواز نسخ القرآن بالقرآن، قال الشوكاني: «لا خلاف في جواز نسخ القرآن بالقرآن ونسخ السنة المتواترة بالسنة المتواترة، وجواز نسخ الآحاد بالآحاد». إرشاد الفحول (٣٢٣) قلت: وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ أَحَادِيثَنَا يَنْسَخُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَتَسْخِ الْفُرْآنِ) رواه الدارقطني في سننه (٢٥٥/٥) وفيه: محمد بن الحارث بن زياد الحارثي وهو ضعيف (انظر: التقريب ٤٠٨) وأيضاً محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي وهو ضعيف (التقريب ٤٢٦) فالحديث ضعيف.

(٢) رواه الدارقطني في سننه (٢٥٥/٥) [٤٢٧٧] وفيه: جبرون بن واقد الإفريقي، قال عنه الذهبي: «متهم»، فإنه روى بقلة حياء عن سفيان، عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً - وساق الحديث - وحديثاً بعده ثم قال: «وهما موضوعان»، (الميزان ٣٨٧/١)، وقال عنه في ذخيرة الحفاظ (١٩٢١/٤): «منكر الحديث».

أدلة القولين، ومن قال بها على وجه الاختصار<sup>(١)</sup>.

الرأي الأول: المنع من نسخ القرآن بالسُّنَّة، واستدلوا:

١ - بقوله تعالى: ﴿وَمَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] والسُّنَّة لا تساوي القرآن ولا تكون خيراً منه<sup>(٢)</sup>.

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].

٣ - وقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] فالله تعالى هو المختص بالمحو والإثبات. وغيرها من الأدلة العامة.

قال بهذا الرأي الإمام الشافعي، وأحمد في رواية، ورجحه ابن قدامة<sup>(٣)</sup>، وابن تيمية<sup>(٤)</sup>.

الرأي الثاني: جواز نسخ القرآن بالسُّنَّة، واستدلوا:

١ - أنه لا يترتب على القول به محذور لذاته أو لغيره.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

(١) وليس هذا ميدان صالح للإسهاب في ذكر الاختلاف والردود...، ومن أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلى مظان المسألة، ومن ذلك: كتب أصول الفقه عموماً، كتب علوم القرآن كالبرهان (١٦٢/٢) وما بعدها، الإتيان (١٤٣٧/٤)، مناهل العرفان (٢٥٤/٢) وما بعدها، الكتب المفردة كنواسخ القرآن لابن الجوزي (١١٩) وما بعدها، والنسخ في القرآن لمصطفى زيد (٢٨١/١)، والنسخ في القرآن الكريم للمطرودي (٤١) وما بعدها.

(٢) انظر: روضة الناظر (٣٢٤/١).

(٣) هو: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم المقدسي الحنبلي، أبو محمد موفق الدين، صاحب المصنفات الكبيرة ومنها: «عمدة الأحكام»، «المغني»، «الكافي» وغيرها، توفي سنة ٦٢٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦٥/٢٢)، الوافي بالوفيات (٣٧/١٧).

(٤) انظر: روضة الناظر (٣٢٥/١)، مجموع الفتاوى (١٩٥/١٧).

يُوحَى ﴿ [النجم: ٣، ٤] فَالسُّنَّةُ قِطْعِيَّةُ الثَّبُوتِ، وَهِيَ وَالكِتَابُ الْمَنْزَلُ مَصْدَرُهُمَا وَاحِدٌ، فَالْتَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ كِلَاهُمَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى.

٣ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَدْلَةِ.

قَالَ بِهَذَا الرَّأْيِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ، وَعِزَّاهُ الشُّوكَانِيُّ إِلَى الْأَكْثَرِينَ<sup>(١)</sup>، وَرَجَّحَهُ الشُّنْقِيطِيُّ<sup>(٢)</sup>، وَابْنُ عَثِيمِينَ<sup>(٣)</sup>.

وَعَلَى الْقَوْلِ بِجَوَازِ نَسْخِ الْقُرْآنِ بِالسُّنَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ مِثَالَ صَالِحٍ يُمْكِنُ أَنْ يُمَثَلَ بِهِ، وَأَنْ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى نَسْخِ الْقُرْآنِ بِالسُّنَّةِ إِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ لِحُكْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: «كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِمَّا يَدْعَى نَسْخَهُ بِالسُّنَّةِ عِنْدَ مَنْ يَرَاهُ فَهُوَ بَيَانٌ لِحُكْمِ الْقُرْآنِ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «وَبِالْجُمْلَةِ فَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ نَسَخَ بِسُنَّةِ بِلَا قُرْآنٍ»<sup>(٥)</sup>.

ثُمَّ وَجَّهَ مِنْ قَالٍ: بِنَسْخِ قَوْلِهِ ﷺ: (خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا)<sup>(٦)</sup> بِقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - مَدَّ الْحُكْمَ إِلَى غَايَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ تِلْكَ الْغَايَةِ، لَكِنِ الْغَايَةُ هُنَا مَجْهُولَةٌ، فَصَارَ هَذَا يُقَالُ: إِنَّهُ نَسَخَ، بِخِلَافِ الْغَايَةِ الْبَيِّنَةِ فِي نَفْسِ الْخُطَابِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَمَرُوا النَّبِيَّ إِلَى الْأَيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فَإِنَّ هَذَا لَا يُسَمَّى نَسْخًا بِلَا رَيْبٍ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ جِلْدَ الزَّانِي ثَابِتٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ الرَّجْمُ كَانَ قَدْ أَنْزَلَ فِيهِ قُرْآنٌ يَتْلَى ثُمَّ نَسَخَ لَفْظُهُ وَبَقِيَ حُكْمُهُ...»<sup>(٧)</sup>.

(١) إرشاد الفحول (٣٢٣).

(٢) انظر: مذكرة في أصول الفقه (١٢٦).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية (٦/٢).

(٤) البرهان (١٧٤/٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٩٨/٢٠).

(٦) رواه مسلم (٧٤٩) ح [٤٤١٦].

(٧) مجموع الفتاوى (٣٩٨/٢٠).



قال الزرقاني بعد عرضه للأقوال والأدلة والردود عليه وترجيح الرأي الثاني: «من هذا العرض يخلص لنا أن نسخ القرآن بالسُّنَّة لا مانع يمنعه عقلاً ولا شرعاً، غاية الأمر أنه لم يقع لعدم سلامة أدلة الوقوع، كما رأيت»<sup>(١)</sup>.

فالأمر هين، والخطب يسير؛ إذ لا يترتب عليه شيء عملي، أو يتوقف عليه حكم شرعي، والله أعلم.

### ثانياً: نسخ السُّنَّة بالقرآن:

وهذه المسألة متعلقة بما قبلها؛ إذ جمهور العلماء على وقوع النسخ<sup>(٢)</sup>، ورُوي في الحديث: (وَكَلَامُ اللَّهِ يَنْسَخُ كَلَامِي)<sup>(٣)</sup>.

وخالف في ذلك الشافعي مستدلاً بكون السُّنَّة مبينة للكتاب<sup>(٤)</sup>.  
ومن الأمثلة على نسخ السُّنَّة بالقرآن:

الأمر باستقبال الكعبة بالمسجد الحرام، دون بيت المقدس، كما هو الحال في أول الإسلام، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدْ رَأَى نَقْلَبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] فتوجه نحو الكعبة. الحديث<sup>(٥)</sup>.

فدلاً على أن أول الأمر كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة

(١) مناهل العرفان (٢/٢٦٢).

(٢) انظر: الإحكام للآمدي (٣/١٦٢)، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٧٧)، الإحكام لابن حزم (٤/٥٠٥)، روضة الناظر (١/٣٢١)، مناهل العرفان (٢/٢٦٢).

(٣) سبق تخريجه ص (٤٧٠) وهو ضعيف، وإلا كان حجة في بابه.

(٤) انظر: الرأي الأول في المسألة السابقة؛ إذ الحجة واحدة، وهي أن السُّنَّة مبينة للكتاب فكيف ينسخ المبين؟.

(٥) رواه البخاري (٨٦) ح [٣٩٩]، ومسلم (٢١٤) ح [١١٧٦].

يصلون قبل بيت المقدس، حتى أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ زَيَّ نَقَلْبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾ الآية [البقرة: ١٤٤]، فولوا وجوههم قبل البيت الحرام، وعليه فالأظهر وقوع نسخ السُّنة النبوية بالقرآن الكريم، والأمثلة عليه كثيرة<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) انظر: المراجع السابقة.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ  
العام والخاص



## المَبْحَثُ الثَّلَاثُ

### العام والخاص

مدخل:

أنزل الله ﷻ كتابه الكريم مشتملاً على أوامر ونواهٍ، وترغيب وترهيب، وقصص وأمثال... إلخ، بدلالات متنوعة، وأساليب مختلفة. ومن تلك الدلالات: العام والخاص، والعام هو: اللفظ المستغرق لجميع أفرادهِ، من غير حصر<sup>(١)</sup>.

وقيد بأنه: من غير حصر ليخرج الألفاظ المحصورة بالألفاظ؛ كالعشرة مثلاً، فلا يكون من صيغ العموم<sup>(٢)</sup>.

والخاص هو: اللفظ الدال على محصور بشخص أو عدد<sup>(٣)</sup>.

والتخصيص: قصر العام على بعض أفرادهِ بدليل يدل على ذلك<sup>(٤)</sup>.

### الأصل أن العام يكون عاماً، والخاص خاصاً:

تأتي الآية بخطاب عام يحوي كل ما تحمله من معنى، وتشمله من أفراد، وربما قصر المعنى على بعضها بآية قرآنية أو سنة نبوية فتخصص بها، ويبقى أن الأصل العمل بعموم اللفظ حتى يثبت تخصيصه،

(١) انظر: الإتيان (٤/١٤١٢)، روضة الناظر (٢/٦٦٢) من دون: (من غير حصر)،

الأصول من علم الأصول (٣٩).

(٢) انظر: مذكرة أصول الفقه (٣١٩). (٣) الأصول من علم الأصول (٤٤).

(٤) انظر: مذكرة أصول الفقه (٣٤٢).

وبخصوص المخصوص حين يثبت تخصيصه، قال الطبري: «حكم الله فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ على العموم الظاهر دون الخصوص الباطن، إلا أن يخص بعض ما عمه ظاهر التنزيل كتاب من الله أو رسول الله، وأن التنزيل أو الرسول ﷺ إن خص بعض ما عمه ظاهر التنزيل بحكم خلاف ما دل عليه الظاهر، فالمخصوص من ذلك خارج من حكم الآية التي عمت ذلك الجنس خاصة، وسائر حكم الآية على العموم»<sup>(١)</sup>.

وقد بين النبي ﷺ ذلك من خلال أحاديث نبوية، ومنها ما ورد في عموم تحريم الخمر وأنه يشمل الشرب وأيضاً البيع، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً أهدى لرسول الله ﷺ راوية خمر، فقال له رسول الله ﷺ: (هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَمَهَا؟! ) قال: لا فسار إنساناً، فقال له رسول الله ﷺ: (بِمَ سَارَرْتَهُ؟) فقال: أمرته ببيعها، فقال: (إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا) الحديث<sup>(٢)</sup>.

فالآية عامة في تحريم الخمر شربه وبيعه والتجارة به، وأن ذلك كله داخل في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه، فقال: (مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ مَنْزِلَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ) قالوا: يا رسول الله فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟! قال: (لَا، اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسِرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ)، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ

(١) تفسير الطبري (١٠١/٢).

(٢) رواه مسلم (٦٨٩) ح [٤٠٤٤].

بِالْحَسَنِ ﴿٦﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَيُرِيدُ الْمُسْرَى﴾ [الليل: ٥ - ١٠] الحديث<sup>(١)</sup>.  
 فدل الخبر أن كل نفس ميسرة لما خلقت له، وهي إما أن تيسر  
 لعمل أهل الجنة فتعمل به، وإما أن تيسر لعمل أهل النار فتعمل به،  
 أعاذنا الله من ذلك.

ومن أمثلة التخصيص، ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: تصدق  
 على مولاة لميمونة بشاة فماتت، فمر بها رسول الله ﷺ فقال: (هَلَّا  
 أَخَذْتُمْ إِيَّاهَا فَدَبَغْتُمُوهُ فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ) فَقَالُوا: إِنَّهَا مَيْتَةٌ، فقال: (إِنَّمَا حَرَّمَ  
 أَكْلَهَا)<sup>(٢)</sup>.

فدل الحديث على أن قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتَهُ وَالذَّمُّ وَالْحَمُّ  
 الْغَنَزِيرِ﴾ [المائدة: ٣] مخصوص بالأكل دون غيره؛ كالانتفاع بالإهاب...  
 فهذا من تخصيص السنة النبوية لعموم القرآن الكريم.  
 والقرآن الكريم يخصص بآية منه سواء اتصلت بالآية، أو وردت في  
 موضع آخر، وأيضًا بالسنة النبوية؛ إذ كلاهما وحي من الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين التخصيص والمثال:

قد يرد في السنة النبوية تفسير للآية ظاهره أنه تخصيص لمعنى  
 الآية، ولكنه - على الأظهر - على سبيل المثال وليس التخصيص،  
 فلا يقصر المعنى العام عليه؛ إذ الأصل العموم حتى يرد ما يخصص<sup>(٤)</sup>،  
 ومن ذلك ما رواه عقبه بن عامر رضي الله عنه: أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ  
 وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]:

(١) سبق تخريجه ص(٤٤٢).

(٢) رواه البخاري (٢٩٨) ح[١٤٩٢]، ومسلم (١٥٦) ح[٨٠٦].

(٣) انظر: الإتيان (١٤١٧/٤) وقد ذكر أمثلة على التخصيص المتصل والمنفصل من  
 القرآن، وأيضًا بأمثلة من تخصيص القرآن بالسنة.

(٤) وقد سبق ذكر أمثلة على هذا النوع في التفسير النبوي.

(أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ)<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير في تفسيره للآية: «مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» [الأنفال: ٦٠] يقول: ما أظقتكم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيول...» ثم ذكر حديث عقبه بن عامر رضي الله عنه وقول عكرمة والسدي، ثم قال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمي وغير ذلك ورباط الخيل، ولا وجه لأن يقال: عني بالقوة معنى دون معنى من معاني القوة، وقد عمَّ الله الأمر به.

فإن قال قائل: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بيَّن أن ذلك مراد به الخصوص بقوله: (أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ) قيل له: إن الخبر، وإن كان قد جاء بذلك فليس في الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمي خاصة دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة؛ لأنه إنما قيل في الخبر: (أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ) ولم يقل: دون غيرها، ومن القوة أيضاً السيف والرمح والحرية، وكل ما كان معونة على قتال المشركين؛ كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم...»<sup>(٢)</sup>، والله أعلم.

وعليه يُحمل تعدد أقوال مفسري السلف ومن بعدهم للآية مع ورود التفسير النبوي فيها، وما ذاك إلا لحملهم التفسير على أنه للمثال وليس التخصيص، ومن ذلك تفسير الكوثر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ﴾ فسره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه النهر الذي أعطاه الله في الجنة، وأورد المفسرون أقوالاً أخرى، وفي ذلك يقول سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه.

(٢) تفسير الطبري (١١/٢٤٤).

(١) رواه مسلم (٨٥٧) ح [٤٩٤٦].



قال أبو بشرٍ: قلت لسعيدٍ: إن أناسًا يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه<sup>(١)</sup>.

### هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

قد ترد الآية لسبب معين مروى عن صحابة رسول الله ﷺ أو لحادثة حصلت، فهل تقصر على ذات السبب أو تلك الحادثة، أم أن العبرة بعموم اللفظ، ويدخل فيها ما شابهها في الحكم، والقياس عليها؟

فَصَلِّ الْقَوْل فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ بتوجيه ذلك الصحابي الذي نزلت فيه آيات من القرآن، فظنها خاصة به، فبيّن النبي ﷺ أنها له ولمن عمل بها من أمته، وأنها وإن نزلت على سبب فلا تخصص به، فعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أن رجلاً أصاب من امرأةٍ قبله، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه: ﴿وَأَقْرَبُ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤] قال الرجل: ألي هذه؟ قال: (لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي)<sup>(٢)</sup>.

بل ورد عن النبي ﷺ ما هو أعمُّ من ذلك، في حمل الآية على غير سياقها الذي وردت فيه، كما روى الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ طرده وفاطمة، فقال: (أَلَا تُصَلُّونَ؟! ) فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا ببعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: (﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤])<sup>(٣)</sup>.

وهذه الآية جاءت في سياق الكفار الذين يجادلون في آيات الله

(١) صحيح البخاري (١٠٨٠).

(٢) رواه البخاري (٩٧٨) ح [٤٦٨٧]، ومسلم (١١٩٧) ح [٧٠٠١]، وفي رواية للبخاري قال ﷺ: (لَجَمِيعِ أُمَّتِي كُلُّهُمْ).

(٣) رواه البخاري (٢٢٢) ح [١١٢٧]، ومسلم (٣١٦) ح [١٨١٨].

تعالى، وكفروا بها، ومع ذلك استدل بها النبي ﷺ على مجادلة علي رضي الله عنه له.

ومن الأمثلة كذلك تقرير النبي ﷺ لفعل عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما استدل بآية في غير سياقها، قال رضي الله عنه: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمنت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: (يَا عَمْرُو، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟) فأخبرته بالذي منعي من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً<sup>(١)</sup>.

إذ الآية في سياق أكل الأموال بالباطل، والمتاجرة في الحرام.. فأقره النبي ﷺ على استدلاله بها.

فتبين أن العبرة بعموم اللفظ، دون خصوص السبب، وأنَّ حمل الآية على عموم العموم والاستدلال بها من غير تقييدها بالسياق الذي وردت فيه، واعتبارها كقاعدة قرآنية، وارد عن النبي ﷺ. والله أعلم.

### عموم خطابات النبي ﷺ في القرآن:

يرد في كتاب الله تعالى خطاب موجه للنبي ﷺ والمراد به هو وعموم أمته على السواء، وليس خاصًا به فحسب، وإن صدرت الآية بتوجيه الخطاب إليه؛ ولذا استدل النبي ﷺ بفاتحة سورة الطلاق على فعل ابن عمر رضي الله عنهما، فقد جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: كيف ترى في رجلٍ طلق امرأته حائضًا؟ فقال: طلق ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر رسول الله ﷺ فقال: إن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض، فقال له النبي ﷺ: (لِيُرَاجِعَهَا) فردها، وقال:

(١) رواه أبو داود في سننه، وقد سبق تخريجه ص (٣٩٤) وهو حديث صحيح.

(إِذَا طَهَّرْتَ فَلْيُطَلِّقْ أَوْ لِيُؤْمِسْكَ) قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ [الطلاق: ١] في قبل عدتهن<sup>(١)</sup>.

فهذه الآية شاملة للنبي ﷺ وأمه على سواء، وقد التمس المفسرون الحكمة من تصدير الآية بخطاب النبي ﷺ وأنه للتشريف والتكريم والتعظيم<sup>(٢)</sup>.

وعموم الخطاب الموجه للنبي ﷺ في القرآن على ثلاثة أقسام:

الأول: يتوجه الخطاب إليه ﷺ ولا يكون داخلاً فيه قطعاً، وإنما يراد به الأمة بلا خلاف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] فكل صيغ الخطاب هنا موجهة للنبي ﷺ وهو قطعاً ليس مراداً بذلك لعدم وجود والدين له في وقت نزولها.

الثاني: أن يكون خاصاً به لا يدخل معه غيره مطلقاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

الثالث: وهو الشامل له ولغيره من أمته؛ كفاتحة سورة الطلاق<sup>(٣)</sup>.



(١) رواه مسلم (٦٣٠) ح [٣٦٧٠].

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣٢٧/٨)، تفسير القرآن العظيم (١٤٢/٨).

(٣) انظر: تنمة أضواء البيان (٤٠٣/٥).



المَبْحَثُ الرَّابِعُ

المطلق والمقيد



## المَبْحَثُ الرَّابِعُ

### المطلق والمقيد

مدخل:

دلالات نصوص الوحيين متنوعة، وإفادتها للأحكام الشرعية مختلفة، ومن تلك الدلالات: المطلق والمقيد.

والمطلق هو: الدال على الماهية بلا قيد<sup>(١)</sup>.

ومثال المطلق: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] وذلك في كفارة اليمين، فلم تقيد بأنها متتابعة، كما في كفارة القتل والظهار، فالدلالة هنا مطلقة حيث دلَّت على الماهية بلا قيد.

والمقيد: ما دلَّ على الماهية بقيد<sup>(٢)</sup>.

ومثاله: تقييد الصيام في كفارة القتل والظهار بالتتابع، قال تعالى في كفارة القتل: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٢].

والفرق بين المطلق والعام، أن المطلق يقتصر حكمه على فرد من أفراده دون الجميع، كإعتاق الرقبة فإنه إذا أعتق رقبة لا يلزمه إعتاق الباقي، أما العموم فإن حكمه يعمُّ جميع أفراده بالتساوي، فإذا قتلنا

(١) الإتيان (٤/١٤٨٦)، وانظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٣/٣).

(٢) انظر: إرشاد الفحول (٢٧٨).

مشرکًا ثم وجدنا آخر وجب قتله أيضًا<sup>(١)</sup>.

وما قيل في العام والخاص<sup>(٢)</sup> من مسائل تأصيلية، يقال في المطلق والمقيد، وينطبق عليه؛ إذ المطلق والمقيد مصطلحان لم يردا في السُّنة النبوية أو في كتاب الله بالمعنى الاصطلاحي، وإنما ذكر لهما تطبيقات من كلام السلف على الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ف«المطلق والمقيد كالعام مع الخاص، فما جاز تخصيص العام به، يجوز تقييد المطلق به، وما لا فلا، فيجوز تقييد الكتاب بالكتاب، وبالسُّنة، والسُّنة بالسُّنة وبالكتاب، وتقييدهما بالقياس، والمفهومين، وفعل النبي ﷺ وتقريره»<sup>(٣)</sup>.

ومما يمكن التمثيل به على تقييد السُّنة النبوية لمطلق الكتاب العزيز، ما ورد في كفارة الأذى، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ورد تقييد الصيام بثلاثة أيام، كما في حديث كعب بن عُجرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ قَالَ لَهُ: (لَعَلَّكَ أَذَاكَ هَوَامُّكَ؟! ) قال: نعم يا رَسُولَ اللَّهِ، فقال رسول الله ﷺ: (أَحْلِقْ رَأْسَكَ، وَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، أَوْ أَنْسُكْ بِشَاةٍ)<sup>(٤)</sup>.

وكذلك تقييد الوصية الواردة في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يُؤْمِرُ بِهَا أَوْ دِينٍ﴾ [النساء: ١١] بالثلث، كما في حديث عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قال: مرضت فعادني النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ادع الله أن

(١) انظر: العقد المنظوم في الفرق بين الخصوص والعموم للقرافي (٢٨٢/١) وهناك فروقات أخرى، ولكن ليس هذا محل لإيرادها وبسطها.

(٢) في المبحث السابق.

(٣) حاشية العطار على جمع الجوامع (٨٤/٢)، وانظر: الإلتقان (١٤٨٦/٤)، الزيادة والإحسان لابن عقيلة (١٧٤/٥).

(٤) رواه البخاري (٣٥٩) ح [١٨١٤]، ومسلم (٤٩٩) ح [٢٨٧٧].



لا يردني على عقبي، قال: (لَعَلَّ اللهُ يَرْفَعُكَ وَيَنْفَعُ بِكَ نَاسًا) قلت: أريد أن أوصي، وإنما لي ابنة، قلت: أوصي بالنصف؟ قال: (النَّصْفُ كَثِيرٌ) قلت: فالثلث؟ قال: (الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ) أو: (كَبِيرٌ) قال: فأوصى الناس بالثلث فجاز ذلك لهم<sup>(١)</sup>.



(١) رواه البخاري (٥٥٥) ح[٢٧٤٤]، ومسلم (٧١٤) ح[٤٢٠٩].



## أَلْفَصْلُ السَّادِسُ

### علوم القرآن المتعلقة بالمعاني

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: الاستنباط من القرآن.

المبحث الثاني: مشكل القرآن.

المبحث الثالث: موهم التعارض والاختلاف.

المبحث الرابع: أمثال القرآن.

المبحث الخامس: مفردات القرآن.



## الْفَصْلُ السَّادِسُ

### علوم القرآن المتعلقة بالمعاني

تمهيد:

تنوعت أنواع علوم القرآن، واختلفت مشاربها، وتعددت موضوعاتها، وما ذاك إلا لارتباط هذا العلم بالكتاب الكريم، الذي لا تزيف به الأهواء، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، كتاب فيه بيان لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] فكل ما لنا فيه مصلحة فقد بينه القرآن الكريم، وما ليس لنا فيه مصلحة فإنه لا حاجة إلى ذكره<sup>(١)</sup>، فاعتنى العلماء باستخراج تلك المعاني، واستخلاص تلك الدرر، من المعين الذي لا ينضب، والزداد الذي لا ينفد، وجعلوا لها قواعد وضوابط، تضبط الفهم، وتُحْكِم الاستدلال، مستفيدين من المنهج النبوي، ومستنيرين بالطريق المحمدي ﷺ، الذي سار عليه، في بيان مكنون القرآن، وحل مشكله، وإزالة موهم التعارض بين آياته، وإيضاح أمثاله ومثله، والكشف عن مفرداته... وذلك في علوم سميت بعدُ بـ(الاستنباط، ومشكل القرآن، وموهم التعارض والاختلاف، ومفردات القرآن)، وسأعرض في هذا

(١) انظر: روح المعاني (٢١٦/١٤)، الإكليل في استنباط الدليل (٢٣٥/١)، جواهر القرآن للغزالي (٤٤/١)، وتفسير القرآن الكريم (سورة يس) لابن عثيمين (٢٥٠).

الفصل بيان التأصيل النبوي لتلك العلوم المتعلقة بالمعاني في المباحث التالية.



## الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

### الاستنباط من القرآن

مدخل:

أثنى الله تعالى في كتابه الكريم على أهل العلم الذين يستنبطون الأحكام، ويستخرجون الدلالات، من الأدلة القولية، والنصوص الشرعية، ويبينونها للناس، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، قال ابن القيم: «وقد مدح الله تعالى أهل الاستنباط في كتابه، وأخبر أنهم أهل العلم»<sup>(١)</sup>.

وأصل كلمة استنباط (نبط): وهي تدل على استخراج شيء، واستنبطت الماء: استخرجته، والاستنباط: الاستخراج<sup>(٢)</sup>.

وإصطلاحاً: استخراج ما خفي المراد به، من اللفظ<sup>(٣)</sup>.

والاستنباط يكون بالنظر في الأدلة، والتأمل فيها، ثم استخراج ما

(١) إعلام الموقعين (١/٢٢٥).

(٢) الصحاح للجوهري (٣/١١٦٢)، مقاييس اللغة (٩٧٢).

(٣) وهو قول النووي وعزاه إلى العلماء، فقال ﷺ: «قال العلماء: الاستنباط... انظر: تهذيب الأسماء واللغات (اللغات ٤٦٤)، وهناك تعريفات أخرى ولكن لعل أقربها هو ما ذكرته، انظر: منهج الاستنباط من القرآن الكريم (٣٣ - ٤٥)؛ حيث أوردها وناقشها.

خفي من المعاني والدلالات.. فهو قدر زائد على مجرد فهم اللفظ فحسب، قال ابن القيم: «ومعلوم أن الاستنباط إنما هو استنباط المعاني والعلل، ونسبة بعضها إلى بعض، فيَعْتَبِرُ ما يصح منها، بصحة مثله ومشبهه ونظيره، ويلغي ما لا يصح، هذا الذي يعقله الناس من الاستنباط...»

ومعلوم أن ذلك قدر زائد على مجرد فهم اللفظ؛ فإن ذلك ليس طريقه الاستنباط، إذ موضوعات الألفاظ لا تنال بالاستنباط، وإنما تنال به العلل والمعاني، والأشباه والنظائر.. والله سبحانه ذم من سمع ظاهراً مجرداً فأذاعه وأفشاه، وحمد من استنبط من أولي العلم حقيقته ومعناه»<sup>(١)(٢)</sup>.

وفي النظر إلى السُّنَّةِ النبوية، والتأمل فيها، نجد أن النبي ﷺ قد حثَّ على الاستنباط، وأقره، وطبقه، كما سيأتي في سياق الأمثلة التالية.

#### - الحث على الاستنباط:

حَثَّ النبي ﷺ على الاستنباط، وأثنى على المستنبطين، ومن ذلك: ما رواه أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟! قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟! قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: فضرب في صدري، وقال: (وَاللَّهُ لِيَهْتِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ)<sup>(٣)</sup>.

(١) إعلام الموقعين (١/٢٥٥).

(٢) ومن الكتب المؤلفة في هذا العلم: سبيل الاستنباط من الكتاب والسُّنَّةِ لمحمد توفيق سعد، منهج الاستنباط من القرآن الكريم لفهد بن مبارك الوهي.

(٣) رواه مسلم (٣٢٧) ح [١٨٨٤].



فآية الكرسي لَمَّا اشتملت على ذكر عظيم الأسماء لله تعالى والصفات له سبحانه، واحتوائها على التوحيد وتمجيد الرب وتعظيمه، استدل أُبَيُّ رضي الله عنه على فضلها وعظم ثواب قارئها، فأجاب بها النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله، فكانت الدعوات الصادقة، والثناء عليه، من لدن النبي صلى الله عليه وسلم «قال الطيبي: سؤاله عليه الصلاة والسلام من الصحابي قد يكون للحث على الأسماع، وقد يكون للكشف عن مقدار علمه وفهمه، فلما راعى الأدب أولاً، ورأى أنه لا يكتفي به، علم أن المقصود استخراج ما عنده من مكنون العلم، فأجاب»<sup>(١)</sup>.

ففي الحديث حثٌّ من النبي صلى الله عليه وسلم على الاستنباط، والثناء على المستنبطين إذا تحروا الصحة، وأصابوا الحق. والله أعلم.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعثه إلى اليمن، قال: (كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَّضَ لَكَ قَضَاءً؟) قال: أقضي بكتاب الله، قال: (فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟) قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟) قال: أجتهد رأبي ولا آلو، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ)<sup>(٢)</sup>.

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٩/٥).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٥١٦) ح [٣٥٩٢]، والدارمي في مسنده (٢٦٧/١) [١٧٠]، والإمام أحمد في مسنده (٣٣٣/٣٦) [٢٢٠٠٧]، وقال محققه: إسناده ضعيف لإبهام أصحاب معاذ وجهالة الحارث بن عمرو، لكن مال إلى القول بصحته غير واحد من المحققين من أهل العلم؛ كابن العربي، والخطيب البغدادي، وابن القيم، قال الخطيب البغدادي (الفقيه والمتفقه ١/١٨٩ - ١٩٩): «إن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم... لما تلقتها الكافة عن الكافة غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها...»، وقال ابن القيم: «فهذا الحديث وإن كان عن غير مسمين، فهم أصحاب معاذ، فلا يضره ذلك؛ لأنه يدل على شهرة الحديث وأن الذي حدث به الحارث بن عمرو، جماعة من أصحاب معاذ لا واحد منهم، =

ففي الحديث حثُّ على الاستنباط من القرآن الكريم، وإقرار من النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الرجوع إلى كتاب الله تعالى وإلى السُّنة النبوية عند القضاء، والرجوع إليهما يشمل الاستدلال بهما، كذلك الاستنباط منهما لما خفيت دلالاته، من الأدلة الشرعية.

وعند التأمل في الحديثين السابقين نجد أنهما اتفقا في الصفة التي قابل بها النبي ﷺ إجابة كِلا الصحابين، وهي الضرب في الصدر تقريراً وتأيداً لكِلا الإجابتين؛ وذلك لاحتوائها على شيء خفي، يكون فيه إعمال للفكر، وتحريك للعقل، وهو الاستنباط من القرآن الكريم والسُّنة النبوية؛ إذ هو قدر زائد على مجرد فهم اللفظ، والله أعلم.

ونبينا ﷺ لما نزلت عليه سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ استنبط منها دنو أجله، كما روى ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فقال: (قَدْ نُعِيْتُ إِلَيَّ نَفْسِي) فبكت، فقال: (لَا تَبْكِي، فَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي) فضحكت، فرأها بعض أزواج النبي ﷺ فقلن: يا فاطمة رأيناك بكيت ثم ضحكت، قالت: إنه أخبرني أنه قد نعت إليه نفسه فبكيت، فقال لي: (لَا تَبْكِي فَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي). فضحكت<sup>(١)</sup>.

فالنبي ﷺ استنبط من نزول السورة دنو أجله، وذلك بدلالة خفية اشتملت عليها ذات السورة، وقد أبان ابن القيم عن طرف من تلك

= وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم لو سمي، كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحل الذي لا يخفى... «إعلام الموقعين (١٠٢/١).

(١) سبق تخريجه ص (٤١٠).

الدلالات الخفية التي اشتملت عليها هذه السورة، فقال: «وهذا من أدق الفهم والطفه، ولا يدركه كل أحد، فإنه سبحانه لم يعلق الاستغفار بعمله، بل علقه بما يحدثه هو سبحانه من نعمة فتحه على رسوله ودخول الناس في دينه، وهذا ليس بسبب للاستغفار، فعلم أن سبب الاستغفار غيره وهو حضور الأجل، الذي من تمام نعمة الله على عبده، توفيقه للتوبة النصوح والاستغفار بين يديه ليلقى ربه طاهرًا مطهرًا من كل ذنب...»

ويدل عليه أيضًا: قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ﴾ [النصر: ٣] وهو ﷺ كان يسبح بحمده دائمًا، فعلم أن المأمور به من ذلك التسبيح بعد الفتح ودخول الناس في هذا الدين، أمر أكبر من ذلك المتقدم، وذلك مقدمة بين يدي انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وأنه قد بقيت عليه من عبودية التسبيح والاستغفار التي ترقيه إلى ذلك المقام بقية فأمره بتوفيتها.

ويدل عليه أيضًا: أنه سبحانه شرع التوبة والاستغفار في خواتيم الأعمال، فشرعها في خاتمة الحج، وقيام الليل، وكان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثًا، وشرع للمتوضئ بعد كمال وضوئه أن يقول: اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين؛ فعلم أن التوبة مشروعة عقيب الأعمال الصالحة فأمر رسوله بالاستغفار عقيب توفيقه ما عليه من تبليغ الرسالة والجهاد في سبيله حين دخل الناس في دينه أفواجًا، فكأن التبليغ عبادة قد أكملها وأداها فشرع له الاستغفار عقيبها...»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن سعدي: «ووجه ذلك: أن عمره عُمرٌ فاضل، أقسم الله

(١) إعلام الموقعين (١/٣٥٣ - ٣٥٤) بتصرف يسير.

به، وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار كالصلاة والحج وغير ذلك، فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى»<sup>(١)</sup>.

ويلحق بالاستنباط ما يتصل بالاستشهادات النبوية بالآيات القرآنية، والاقْتَباس:

### أولاً: الاستشهادات النبوية بالآيات القرآنية:

ومما يمكن أن يلحق بهذا العلم، الاستشهادات القرآنية التي استشهد بها النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، وهي على أوجه مختلفة، ودواعٍ متعددة... وقد سبق ذكر طرف منها بغرض التفسير، وبيان العام والخاص، والمطلق والمقيد، وبيان المبهم، وتبيين المجمل، وتفصيل القصص...، ومن ذلك - أيضًا -:

١ - تقوية الحديث وتأكيده، وذلك بالاستدلال بآية يكون فيها تقوية لدلالة الحديث، وتأكيده له، ومن ذلك:

ما رواه علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعده وقعدنا حوله، ومعه مخرصة فنكس فجعل ينكت بمخرصته، ثم قال: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ) قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: (مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ)، فقال: (اعْمَلُوا فِكُلِّ مَيْسَرٍ، أَمَا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيَيْسَرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيَيْسَرُونَ

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٩٦).

لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ)، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَرَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْمُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥ - ١٠] <sup>(١)</sup>.

## ٢ - الاستشهاد بالآية للموعظة والتذكير، ومن ذلك:

ما رواه جرير رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم في صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب، فقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ...﴾ إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِيَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حتى قال: (وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ). الحديث <sup>(٢)</sup>.

## ٣ - الاستشهاد بالآية لبيان أصل من أصول الدين، ومن ذلك:

ما رواه ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم: أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الدباء والحتم والمزفت والنقير، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] <sup>(٣)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص(٤٤٢)، وانظر مزيداً من الأدلة عند: خ[١٤٠٣]، [٣٢٥٢]، [٤٨١١]، م[١٥٦٠]، [٢٣٤٦]، [٧٠٤٥]، ن[٤٨٧]، [٢٤١١]، د[١٤٧٩]، [٤٣٣٦]، [٤٤٩٥]، ت[٢٦١]، [٢٩٨٨]، [٢٩٩٥]، حم[١٥]، [١١٣١]، [١١٠٦٦]، [١١٧٣١]، [١١٧٣١].

(٢) رواه مسلم (٤١٠) ح[٢٣٥١]، وانظر زيادة أدلة عند: ن[١٤٠٥]، حم[٢٧٣٥]، [٢٢١٨٧].

(٣) رواه النسائي في المجتبى (٧٦٤) [٥٦٤٦]، والإمام أحمد في مسنده (٣٢٩/٥) =

ففي الحديث بيان لحجية السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، ومكانتها من التشريع الإسلامي.

#### ٤ - الاستشهاد بالآية لتقرير حكم شرعي، ومن ذلك:

ما رواه عمر رضي الله عنه: أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: إن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض، فقال له النبي ﷺ: (لِيُرَاجِعَهَا) فَرَدَّهَا، وقال: (إِذَا طَهَّرْتَ فَلْيُطَلَّقْ أَوْ لِيُمْسِكْ) قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ﴾ [الطلاق: ١] في قبل عدتهن<sup>(١)</sup>.

#### ٥ - الاستشهاد بالآية في عمل دنيوي صالح، ومن ذلك:

ما رواه أبو سكينه - رجل من المحررين - عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتَيْهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥] فندر ثلث الحجر، وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة، ثم ضرب الثانية، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتَيْهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فندر الثلث الآخر، فبرقت برقة، فرأها سلمان، ثم ضرب الثالثة، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتَيْهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه، وجلس، قال سلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت ما تضرب ضربة إلا كانت معها برقة، قال له رسول الله ﷺ: (يَا سَلْمَانُ رَأَيْتَ ذَلِكَ؟) فقال: إي والذي بعثك

= [٣٣٠٠]، والنسائي في الكبرى (٢٩٣/١٠) [١١٥١٤]، وصححه الحاكم في مستدرکه (٤٨٣/٢)، وقال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(١) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٤٨٣)، وانظر زيادة أدلة عند: خ [٤٤٧٤]، م [٦٤٠٤]، د [٢١٩٦].

بالحق يا رسول الله قال: (فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأُولَى رُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنِي) الحديث<sup>(١)</sup>.

فما جاء في الحديث يدل على جواز الاستشهاد بالقرآن فيما يحسن ويجمل، من أمور الدنيا وغيرها<sup>(٢)</sup>.

٦ - الاستشهاد بالآية في غير السياق الذي وردت فيه، ومن ذلك:

ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة، فقال: (أَلَا تُصَلُّونَ؟!) فقلت: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت له ذلك، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]<sup>(٣)</sup>.

فالآية واردة في سياق المشركين، ومع ذلك استدل بها النبي صلى الله عليه وسلم على مجادلة علي رضي الله عنه، عندما أمرهما بقيام الليل، قال ابن حجر: «وفيه جواز الانتزاع من القرآن»<sup>(٤)</sup>.

قال شيخ الإسلام: «إن تلا الآية عند الحكم الذي أنزلت له أو ما يناسبه من الأحكام فحسن، ومن هذا الباب ما بينه الفقهاء من الأحكام الثابتة بالقياس، وما يتكلم فيه المشايخ والوعاظ، فلو دعي الرجل إلى معصية قد تاب منها، فقال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رُزُقًا﴾ [الأعراف: ٨٩] ونحو ذلك لكان حسناً»<sup>(٥)</sup>.

وبين هذا النوع والذي قبله تقارب؛ إذ المثال صالح لكلا النوعين، والله أعلم.

(١) رواه النسائي في المجتبى (٤٣٨) [٣١٧٨]، وفي الكبرى (٣٠٣/٤) [٤٣٧٠]، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٩٩/٢).

(٢) التمهيد (٢/٢٢٣)، وذلك في تعليقه على حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في غزوة خيبر، سيأتي لاحقاً في الاقتباس.

(٣) سبق تخريجه ص (٤٨١)، ومن الأدلة كذلك: د [٣٣٤]، فضائل أبي عبيد [١٠].

(٤) فتح الباري (٣/١٦). (٥) مختصر الفتاوى المصرية (٥٧٨).

٧ - الاستشهاد لتصديق الكلام، ومن ذلك:

ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] (١).

٨ - الاستشهاد للإنكار، ومن ذلك:

ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول ﷺ وهو في أرضٍ يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبي، فما أول أشراف الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: (أخبرني بهنَّ جبريلُ أنفًا) قال: جبريل؟ قال: (نعم)، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبِيبِ فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] الحديث (٢).

قال ابن حجر: «ظاهر السياق أن النبي ﷺ هو الذي قرأ الآية ردًّا لقول اليهود، ولا يستلزم نزولها حينئذ وهذا هو المعتمد» (٣).

هذه مجمل الأوجه التي من أجلها استشهد النبي ﷺ بأي من القرآن، وأوردها في ثنايا كلامه، وضمنها أحاديثه، ويضاف إليها ما أريد به التفسير

(١) سبق تخريجه ص (٣٩٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩٢٣) ح [٤٤٨٠].

(٣) فتح الباري (٢٠٨/٨).



وبيان العام والخاص والمطلق والمقيد؛ كما سبقت الإشارة إليه<sup>(١)</sup>.

ومن خلال الأمثلة السابقة، يتبين أن استشهادات النبي ﷺ بأي من القرآن، يكون بإيراد آية، أو جزء آية - كما في حديث علي رضي الله عنه في قيام الليل - أو بأكثر من آية للموضوع الواحد، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنِ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنِ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

### ثانيًا: الاقتباس:

ومما يلحق بهذا العلم - أيضًا - الاقتباس، وحقيقته: تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن، لا على أنه منه<sup>(٣)</sup>؛ أي: بالألّا يقال فيه: قال الله تعالى، ونحوه<sup>(٤)</sup>.

والاقتباس والتضمين بمعنى<sup>(٥)</sup>.

(١) اطّلت - لاحقًا - على مقالة للدكتور: عصام الحميدان بعنوان: الآيات القرآنية التي استشهد بها النبي ﷺ ودلالات استشهاده بها (أحاديث الصحيحين) وذلك في مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد السادس، ص(١٤ - ٨٣)، وقد أورد أوجهًا كثيرة، وأغراضًا عديدة استعملها النبي ﷺ في استشهاده بالآيات القرآنية في أحاديث الصحيحين، بلغت: عشرين وجهًا.

(٢) رواه مسلم (٤٠٩) ح[٢٣٤٦].

(٣) الإتيان (٧١٩/٢)، وانظر: الاقتباس أنواعه وأحكامه (١٣ - ٢٢).

(٤) الإتيان (٧١٩/٢).

(٥) انظر: البرهان (١١٣/٢) نقله عن القاضي الباقلاني، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (٢٦٤/٢).

ومنهم من فرّق بينهما وذكر أن الاقتباس يخص القرآن والحديث، على ألا يدمج قوله تعالى أو كلامه بكلام الآخرين، والتضمين يخص الشعر<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة على الاقتباس في الأحاديث النبوية، ما رواه أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ غزا خيبر، فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس، فركب نبي الله ﷺ وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر، وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله ﷺ ثم حسر الإزار عن فخذه حتى إني أنظر إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ فلما دخل القرية قال: (اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبْتُ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُتَنَدِّرِينَ) قالها ثلاثاً... الحديث<sup>(٢)</sup>.

علق السيوطي على قوله ﷺ: (إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ...) فقال: «هو من أدلة جواز الاقتباس من القرآن، وهي كثيرة لا تحصى»<sup>(٣)</sup>.

وعن الفريعة بنت مالك بن سنان رضي الله عنها: أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدره، فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه، فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي، فإني لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: (نَعَمْ)، قالت: فخرجت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد، دعاني أو أمر بي، فدعيت له فقال: (كَيْفَ قُلْتِ؟) فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن زوجي، فقال: (امْكُثِي فِي بَيْتِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) الحديث<sup>(٤)</sup>.

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (٢/٢٦٤).

(٢) رواه البخاري (٨١) ح[٣٧١]، ومسلم (٦٠٠) ح[٣٤٩٧].

(٣) شرح سنن النسائي (٦/١٣٢).

(٤) رواه أبو داود في سننه (٣٣٥) ح[٢٣٠٠]، والترمذي في جامعه ص(٢٩٣) =

قال صاحب عون المعبود: «هذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَزِّمُوا عُقَدَةَ النَّكَّاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ونظائر الاقتباس في الأخبار كثيرة»<sup>(١)(٢)</sup>.

والاقتباس على ثلاثة أقسام:

مقبول: وهو ما كان في الخطب والمواعظ والعهود.

مباح: ما كان في الرسائل والقصص والكتابات.

مردود: وهو على ضربين:

الأول: ما نسبه الله تعالى إلى نفسه، ثم ينسبه الكاتب أو القائل

إليه.

الثاني: تضمين آية في معنى هزل<sup>(٣)</sup>.



= ح [١٢٠٤]، ومالك في موطأه (٦٥٧) ح [١٧٠٧]، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه ابن حبان في صحيحه (١٢٨/١٠) [٤٢٩٢]، والحاكم في مستدركه (٢/٢٢٦).

(١) عون المعبود (٦/٢٨٩).

(٢) وانظر مزيداً من الأدلة عند: خ [٧]، [٢٤٤١]، [٢٤٧٨]، [٣٣٤٨]، [٤٤٨٥]، ن [٢٠٨٥]، ت [٢٩٧٥]، سي [٣٣٧٤]، حسم [٦٥٧٠]، [١٢٣٩٤]، [١٨٢٨٣]، [٢٥٠٩٠] وهي كثيرة جداً لا يمكن أن تحصى، كما ذكره السيوطي.

(٣) انظر: الإتيان (٢/٧٢١) نقله عن ابن حجة، وقال: «هذا التقسيم حسن جداً». وانظر أيضاً: البرهان (٢/١١٣).

## الْمَبْحَثُ الثَّانِي

## مُشْكِلُ الْقُرْآنِ

مدخل:

أنزل الله تعالى كتابه الكريم تبياناً لكل شيء، وهداية لكل من آمن به واتبع سبيله، فلا خير إلا أمر به وحث عليه، ولا شر إلا نهى عنه وحثر منه، وذلك بدلالات مختلفة، وأساليب متنوعة، منها الصريح، ومنها ما دون ذلك، فتفاوتت فهم الدارسين له، المتبعين لأوامره ونواهيه، وحصلت إشكالات على بعضهم في معاني الألفاظ، وما اشتملت عليه من دلالات ظاهرة وخفية، وكل هذا مصداقاً لقول الباري سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، فاحتاج المفضلون إلى الفاضل، والمتعلم إلى العالم، ليجلي له ما أشكل، ويوضح ما التبس عليه.

وأصل كلمة المشكل (ش ك ل)، ومعظمه من باب المماثلة، تقول: هذا شكّل هذا؛ أي: مثله، ومن ذلك يقال: أمر مُشْكِل، كما يقال: أمر مشتبه، وحرف مشكِل؛ أي: مشتبه ملتبس<sup>(١)</sup>.

واصطلاحاً: ما أشكل معناه على السامع، ولم يصل إلى إدراكه إلا بدليل آخر<sup>(٢)</sup>، وهذا الدليل إما من القرآن أو السنة، أو الإجماع، أو القياس، أو بسؤال عالم.

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٧/١٠)، مقاييس اللغة (٥١١).

(٢) وهو تعريف ابن عقيلة المكي في كتابه (الزيادة والإحسان ١٣٤/٥).

والمشكـل هو من المتشابه النسبي<sup>(١)</sup>، الذي يعلمه بعض الناس دون بعض، فيكون معلومًا للراسخين في العلم، وذلك بالتدبر في المعاني، والرد إلى المحكم، قال شيخ الإسلام: «ولهذا كان السلف يسمون ما أشكل على بعض الناس حتى فهم منه غير المراد: متشابهًا..»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن قتيبة: «ومثل المتشابه المشكل، وسُمي مشكلًا: لأنه أشكل؛ أي: دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله..»<sup>(٣)(٤)</sup>.

وما يقع من إشكال في فهم الآيات ليس راجع إلى ذات الآية وما تضمنته من الهداية والدلالات، بل هو راجع إلى فهم القارئ والدارس لمعنى الآية، فالقرآن يصدق بعضه بعضًا على حد قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقد أشكل على بعض الصحابة رضي الله عنهم زمن نزول الوحي، فهم بعض ما نزل من الآيات، أو فهمت على غير وجهها، أو خفي معناها... فبيّن لهم النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الصحيح لمعانيها، ومن أوجه بيان النبي صلى الله عليه وسلم لما أشكل على بعض الصحابة، ما يلي:

١ - بيان معنى خفي: قد يخفى على بعض الصحابة معنى الآية، فيسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها، فيبين له ذلك، ومن الأمثلة عليه: ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى:

(١) وقد سبقت الإشارة إلى علم المحكم والمتشابه، وذكر نوعي المتشابه، وحقيقة كل منهما.

(٢) نقض أساس التقديس (٤٩٥/٢) مخطوط.

(٣) تأويل مشكل القرآن (٦٨).

(٤) ومن الكتب المؤلفة في هذا العلم: مشكل القرآن الكريم لعبد الله المنصور، الأحاديث المشكـلة الواردة في تفسير القرآن الكريم د. أحمد القصير.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨] قال: (مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ)<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعبٍ رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] قالوا: كَيْفَ نَصَلِّي عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قال: (قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

وربما كان المعنى الخفي مستنكراً عند الصحابة، حيث لم يسبق لهم مثال سابق، أو علم سالف، أو لم تتصوره فهمهم، وتصل إليه مداركهم، فيسألون النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة عن المعنى، ومن الأمثلة على ذلك: ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عَبَّكَ: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: (عَلَى الصَّرَاطِ)<sup>(٣)</sup>.

وعن مسروق قال: سألتنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: (أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَيَّ تِلْكَ الْقَنَادِيلُ) الحديث<sup>(٤)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص (٣٩٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥٨/٣٠) [١٨١٣٣]، والطبراني في الكبير (١٥٥/١٩) [٢٨٧]، وقال محقق المسند: حديث صحيح، وأصل الحديث في الصحيحين. ومن الأدلة كذلك: د [٢٨٨٩]، [٤٣٤١]، ط [١٨٧٣].

(٣) رواه مسلم (١٢١٦) ح [٧٠٥٦]. (٤) رواه مسلم (٨٤٥) ح [٤٨٨٥].

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، فإننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟! فقال: (بلى) فقال: أليس قتلنا في الجنة وقتلاهم في النار؟! قال: (بلى) قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟! فقال: (يا ابن الخطاب إني رسول الله ولكن يضيّعني الله أبداً) فانطلق عمر إلى أبي بكرٍ فقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: (نعم) <sup>(١)</sup>.

ففي الأحاديث السابقة علامات الاستفهام بادية على الصحابة عندما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ تلك الآيات عند نزولها، وذلك راجع إلى مجمل ما سبق ذكره من الأسباب - قريباً - والله أعلم.

٢ - بيان المتشابه اللفظي: قد يشكل على بعض الصحابة فهم الآية، وذلك بسبب التشابه اللفظي الوارد في الآية، فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الصحيح، ومن ذلك:

ما رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿حَقَّ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] عمدت إلى عقالي أسود وإلى عقالي أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، فقال: (إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ

(١) رواه البخاري (٦٥٠) ح [٣١٨٢]، مسلم (٧٩٦) ح [٤٦٣٣] وفيه: «فنزّل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح، فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فتح هو؟ قال: (نعم)، فطابت نفسه ورجع».

ومن الأدلة كذلك: ت [٣٣٢٣]، [٣٣٥٦]، حم [٢٤٣٦٨]، الجامع لابن وهب [٢٨٣].

اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ<sup>(١)</sup>.

والخيط في أصل اللغة يطلق ويراد به امتداد الشيء في دقة، ومنه الخيط المعروف<sup>(٢)</sup>، فالصحابي ﷺ عمل بما فهم من معنى الآية، فأشكل عليه، فبيّن له النبي ﷺ المعنى الصحيح في الآية، إذ الخيط له عدة إطلاقات في اللغة، وفي رواية: (إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا)<sup>(٣)</sup>؛ والمعنى: إن وسادك إن كان يغطي الخيطين اللذين أراد الله فهو إذن عريض واسع، ولهذا قال في إثر ذلك: (إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ)، فكأنه قال: فكيف يدخلان تحت وسادتك، وقوله: (إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا)؛ أي: إن الوساد الذي يغطي الليل والنهار، لا يرقد عليه إلا قفا عريض<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وقالوا: أين لا يظلم نفسه؟! فقال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]) الحديث<sup>(٥)</sup>.

إذ الظلم له وجوه في اللغة، وقد فسر الصحابة رضوان الله عليهم الظلم في الآية بأحد وجوهه، فأشكل عليهم، فبيّن النبي ﷺ المعنى الصحيح المراد بالآية.

٣ - تصحيح معنى الآية: ربما اجتهد بعض الصحابة ﷺ في تفسير

(١) رواه البخاري (٣٧٨) ح [١٩١٦]، ومسلم (٤٤٤) ح [٢٥٣٣].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣١٩)، مختار الصحاح (١٩٥)، لسان العرب (٣/٢٦٥).

(٣) رواها البخاري ح [٤٥١٠].

(٤) انظر: فتح الباري (٤/١٧١)، عمدة القاري (١٠/٢٩٤).

(٥) سبق تخريجه ص (٤٠١).



الآية، فيردُّ النبي ﷺ تفسيرهم، ويبين لهم المعنى الصحيح المراد منها، ومن ذلك:

ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لَا يَا بِنْتَ الصُّدَيْقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا يُقْبَلَ مِنْهُمْ) الحديث<sup>(١)</sup>.

وأيضاً من الأمثلة، المثالان السابقان، وهما حديثا عدي بن حاتم<sup>(٢)</sup> وابن مسعود رضي الله عنهما<sup>(٣)</sup>.

وفي المقابل ربما ورد السؤال مباشرة من الصحابة عن تفسير الآية، فيبين لهم النبي ﷺ المراد، كما في حديث كعب بن مالك<sup>(٤)</sup> رضي الله عنه في كيفية الصلاة على النبي ﷺ<sup>(٥)</sup>، وذلك عندما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وغير ذلك من الأمثلة.

(١) رواه الترمذي في جامعه (٧١٩) ح[٣١٧٥]، وابن ماجه (٦١١) ح[٤١٩٨]، والإمام أحمد في مسنده (١٥٦/٤٢) [٢٥٢٦٣]، وقال محققه: إسناده ضعيف لانقطاعه، عبد الرحمن بن سعيد بن وهب لم يدرك عائشة رضي الله عنها فيما قاله أبو حاتم، انظر: المراسيل لابن أبي حاتم (١٢٧)، وصححه الحاكم في مستدركه (٤٢٧/٢).

(٢) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن امرئ القيس ولد الجواد المشهور أبو طريف، أسلم في سنة تسع وقيل: سنة عشر، وكان نصرانياً قبل ذلك، وثبت إسلامه، توفي سنة ٦٨هـ. انظر: الإصابة (٤٦٩/٤) أسد الغابة (١٠/٤).

(٣) كذلك من الأدلة: حم[١٧١٦٥].

(٤) هو: كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري الخزرجي السلمي يكنى أبا عبد الله وقيل: أبو عبد الرحمن شهد العقبة اختلف في شهوده بدرًا، وهو أحد الثلاثة الذين خُلفوا، وكان من شعراء رسول الله ﷺ، توفي سنة ٥٠ وقيل: ٥٣هـ. انظر: الاستيعاب (٣/١٣٢٣)، أسد الغابة (٤/٥١٤).

(٥) وقد سبق ذكره قريباً ص(٥١٠).

٤ - بيان موهم التعارض والاختلاف: قد يُشكِل على بعض الصحابة رضي الله عنهم، فهم بعض الآيات، وذلك بسبب توهم التعارض أو الاختلاف، فبيِّن لهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، ومن الأمثلة:

ما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لما قدمت نجران سألتني فقالوا: إنكم تقرؤون: ﴿يَتَأَخَتَ هُرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك، فقال: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ)<sup>(١)</sup>.

وعن أم مبشر رضي الله عنها: أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: (لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا) قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَلَنْ يَنْكُرَ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قَدْ قَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿ثُمَّ نَتَجَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مريم: ٧٢])<sup>(٢)</sup>.

ففي الحديثين إيراد لتوهم التعارض أو الاختلاف الحاصل من الصحابة، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الإشكال ببيان المعنى الصحيح، ورد التعارض والاختلاف المنفيين عن الكتاب العزيز: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(٣)</sup> [النساء: ٨٢].

٥ - بيان مرجع الضمير: قد يشكِل على الصحابة رضي الله عنهم معرفة مرجع الضمير المذكور في الآية، فيسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبيِّن لهم المراد، ومن ذلك:

ما رواه مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدةٍ منهن فقد أعظم على الله الفرية،

(١) رواه مسلم (٩٥٣) ح [٥٥٩٨].

(٢) رواه مسلم (١٠٩٩) ح [٦٤٠٤] ومن الأدلة كذلك: م [١٥٧٣].

(٣) وسيأتي مزيد بيان وإيضاح لهذا العلم، في الحديث الخاص به.

قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْعَلِيِّنَ﴾ [التكوير: ٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: (إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِّنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) الحديث<sup>(١)</sup>.

فقد أشكل على الصحابة رضوان الله عليهم معرفة من المراد بالذي رآه النبي ﷺ أهو الرب ﷻ، أم جبريل ﷺ، فسألوا النبي ﷺ فأخبرهم.

هذه مجمل استشكالات الصحابة، وأسبابها الداعية إليها، وأوجه البيان النبوي لتلك الاستشكالات، مما يدل على أن النبي ﷺ كان يحرص على دفع تلك الإشكالات، وبيان المعنى الصحيح المراد بالآية، حتى لا تفهم على غير معناها، أو تحمل على معنى باطل.

\* \* \*

(١) رواه مسلم (٩٠) ح [٢٨٧].

## المَبْحَثُ الثَّلَاثُ

### موهم التعارض والاختلاف

مدخل:

أصل التعارض (عرض) ومنه: عَرَضَ الشيءَ يَعْرِضُ واعترض: انتصب ومنع، وصار عارضًا كالخشبـة المنتصبـة في النهر والطريق تمنع السالكين، ويقال: اعترض الشيء دون الشيء؛ أي: حالـه دونـه...<sup>(١)</sup>.

وحقيقة موهم التعارض والاختلاف في القرآن: هو ما يوهـم التعارض بين آياته، أو بين آية وحديث، وذلك في الظاهر، وحقيقة أن لا تعارض<sup>(٢)</sup>.

وقد أنزل الله تعالى كتابه المعظم سالمًا من التعارض، منزهاً عن الاختلاف، فأحكامه وحكمه، وأوامره ونواهيه، وأمثاله وقصصه، يفوق بعضها بعضًا في الإحكام والإنقان، لا يزيغ فيستعجب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، «وقد سئل بعض العلماء عن قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] قال: أخبر أنه لا يقسم بهذا، ثم أقسم به في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَالرَّيْثُونَ ۝ وَالطُّورِ ۝ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١ - ٣]

(١) انظر: مقاييس اللغة (٧٢٧)، لسان العرب (١٨٠/٦). وفي قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين مجموعة رسائل علمية (ماجستير) في موهم التعارض بين القرآن والسنة دراسة نظرية تطبيقية على سور القرآن الكريم.

(٢) انظر: البرهان (١٧٦/٢)، وقد عرّفه الأصوليون بأنه: تقابل دليلين على سبيل الممانعة. انظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار (٦٠٥/٤).

قال: أي الأمرين أحب إليك أجيبك ثم أقطعك، أو أقطعك ثم أجيبك؟ قال: بل اقطعني ثم أجبني، فقال له: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال، وبين ظهراي قوم، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا، وعليه مطعنا، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به، وأسرعوا بالرد عليه»<sup>(١)</sup>.

وصدق الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قال ابن قتيبة: «الاختلاف نوعان: اختلاف تغاير، واختلاف تضاد، فاختلاف التضاد لا يجوز، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن، إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ.

واختلاف التغاير جائز، وذلك في مثل قوله: ﴿وَأَذَكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]؛ أي: بعد حين، و(بعد أمة)؛ أي: بعد نسيان له، والمعنيان جميعا وإن اختلفا صحيحان..»<sup>(٢)</sup>.

وقال الكرمانى<sup>(٣)</sup> عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]: «الاختلاف على وجهين: اختلاف تناقض، وهو ما يدعو فيه أحد الشيين إلى خلاف الآخر كما زعم بعض الملحده في بعض من الآيات... ولا تناقض فيها ولا تباين بحمد الله، وهذا هو الممتنع على القرآن، واختلاف تلازم، وهو ما يوافق الجانبين كاختلاف وجوه القراءات، واختلاف مقادير السور

(١) البرهان في علوم القرآن (١٧٧/٢) حيث نقله عن الخطابي عن ابن أبي هريرة يحكي عن أبي العباس بن سريج.

(٢) تأويل مشكل القرآن (٣٣).

(٣) هو: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرمانى ثم البغدادي، الإمام العلامة في التفسير والحديث والفقه، ومن مصنفاته: «شرح البخاري وحاشية على تفسير البيضاوي إلى سورة يوسف»، توفي سنة ٧٨٦هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢٩٨).

والآيات، واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ والأمر والنهي والوعد والوعيد<sup>(١)</sup>.

وموهم التعارض والاختلاف هو في الحقيقة نوع من أنواع المشكل<sup>(٢)</sup>، الذي يعترى البعض دون الكل، وقد أمر المتعلم بسؤال العالم عن ما جهل، أو ظن تعارضاً، أو ارتاب في اختلاف، قال تعالى: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

وقد حصل ضرب من ذلك للصحابة رضي الله عنهم زمن نزول القرآن، ومن ذلك توهم التعارض في آية، أو بين قوله ﷺ وآية من كتاب الله تعالى، أو بين فعله عليه الصلاة والسلام وآية من كتاب الله تعالى؛ إذ هما مصدرا التشريع، وأساس الأحكام، فأزال النبي ﷺ ذلك الإشكال، وأزاح التعارض والاختلاف، ببيان التوجيه الصحيح لدلالة الأدلة المتوهم تعارضها واختلافها، وفيما يلي عرض أمثلة على ما سبق:

### أولاً: توهم التعارض والاختلاف في آية:

عن الْمُغْبِرَةِ بن شُعْبَةَ رضي الله عنه قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرؤون: ﴿يَتَأَخَتِ هَرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْمُونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ)<sup>(٣)</sup>.

(١) غرائب التفسير (١/٣٠١).

(٢) وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٣) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٤٥٩).

فأهل نجران سألو المغيرة بن شعبة<sup>(١)</sup> رضي الله عنه عما توهموا فيه التعارض والاختلاف في كتاب الله تعالى، حيث ظنوا أن (هارون) الوارد في الآية هو أخو موسى عليه السلام، فكيف يذكر مع مريم وبينهما سنوات طويلة... فلما رجع المغيرة رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم سأله، فأزاح هذا التوهم بقوله: (أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسْمَوْنَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ)<sup>(٢)</sup> وهذا فيه حث ضمنى من النبي صلى الله عليه وسلم على المبادرة بكشف التوهم، وإزالة التعارض عن أفهام العامة، حتى لا يتعمق في النفوس فيحصل ما هو أعظم وأبشع.

وفيه بيان من النبي صلى الله عليه وسلم في كشف التعارض والاختلاف المتوهم، وذلك برد المعنى الفاسد ببيان المعنى الصحيح للآية الكريمة.

ثانياً: توهم التعارض بين قوله صلى الله عليه وسلم وآية من كتاب الله تعالى:

قد يحصل لبعض الصحابة رضي الله عنهم توهم التعارض والاختلاف بين قوله عليه الصلاة والسلام وبين آية من كتاب الله تعالى، فيبادر بإيراد التعارض على النبي صلى الله عليه وسلم، فيكشف له ذلك التعارض المتوهم، ويبين التوجيه الصحيح، للمعنى المراد، ومن ذلك:

ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدِّبَ) فقلت: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فقال: (لَيْسَ ذَلِكَ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدِّبَ)<sup>(٣)</sup>.

(١) هو: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي أبو عيسى وأبو محمد، وكان يقال له: مغيرة الرأي وكان من دهاة العرب، توفي سنة ٥٠هـ عند الأكثر. انظر: الإصابة (١٠/٣٠٠).

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٧١٣) ح [٣١٥٥].

(٣) رواه البخاري (٢٨) ح [١٠٣]، ومسلم (١٢٤٥) ح [٧٢٢٥].

فالحديث فيه إشارة إلى المحاسبة وهو تحرير الحساب، فيستلزم المناقشة، ومن عُذِبَ فقد هلك... ووجه المعارضة أن لفظ الحديث عام في تعذيب كل من حُوسِبَ، ولفظ الآية دالٌّ على أن بعضهم لا يعذب، والجمع بينهما أن المراد بالحساب في الآية العرض وهو إبراز الأعمال وإظهارها، فيعرف صاحبها بذنوبه ثم يتجاوز عنه، ويؤيده حديث ابن عمر رضي الله عنهما في النجوى وفيه: (يَذْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ وَيَقُولُ: عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقْرُرُهُ ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ) <sup>(١)</sup>.

أما قوله ﷺ: (مَنْ حُوسِبَ)؛ أي: نوقش هلك، وعُذِبَ بعذاب الله تعالى.

ففهمت عائشة رضي الله عنها أن حديث النبي ﷺ فيه معارضة للآية، فرد ذلك النبي ﷺ ببيان المعنى الصحيح للآية، وأن المراد بالحساب هو العرض، أما من حوسب فإنه يعذب، أجازنا الله من ذلك.

وعن أم مبشر رضي الله عنها: أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: (لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا) قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدَهَا﴾ [مریم: ٧١] فقال النبي ﷺ: (قَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ): ﴿ثُمَّ نَجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مریم: ٧٢] <sup>(٢)</sup>.

فحفصة رضي الله عنها توهمت تعارضاً بين قول النبي ﷺ والآية، فاعترضت اعتراض استرشاد وطلباً للحق، لا ردّاً لقوله عليه الصلاة والسلام، فبين

(١) رواه البخاري (٩٧٧) ح [٤٦٨٥]، انظر: فتح الباري (١١/٤٨٩ - ٤٩٠).

(٢) رواه مسلم (١٠٩٩) ح [٦٤٠٤].



النبي ﷺ المعنى الصحيح للورود وذلك بالاستدلال بالآية التي بعدها، وأن معنى الورود في الآية المرور على الصراط، لا الدخول فيها، قال ابن جرير بعد أن ساق الأقوال في معنى الورود في الآية: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنه المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم بها على الصراط المنصوب على متن جهنم، فجاج مسلم، ومكسد فيها»، ثم ساق أحاديثه نبوية وفي مطلعها حديث أم مبشر رضي الله عنها (١).

وهو ما رجحه النووي، وغيره (٢).

ثالثاً: توهم التعارض بين فعله ﷺ وبين آية من كتاب الله:

كان النبي ﷺ يقصر الصلاة في حال السفر، وذلك من حين خروجه من المدينة حتى يرجع إليها، سواء أنشأ السفر للجهاد في سبيل الله، أو غيره كسفره لحج بيت الله الحرام، وقد أمر الله تعالى في كتابه الأمر بقصر الصلاة في حال الخوف، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، فتوهم بعض الصحابة التعارض والاختلاف بين فعل النبي ﷺ وقصره للصلاة في السفر الذي لا يكون فيه خوفاً، مع أن الآية قصرت القصر في حال الخوف فقط.. فعن يعلي بن أمية قال: قلت: لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فقد أمن الناس؟ فقال: عجبت مما عجبت منه،

(١) تفسير الطبري (٦٠١/١٥) وهو مروى عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٤٧/١٦)، وانظر: مرقاة المفاتيح (٣٦٩/١١).

فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: (صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ) <sup>(١)</sup>.

فبيّن النبي ﷺ: أن هذه صدقة من الله تعالى ورخصة لعباده تفضل بها عليهم؛ ولذا اختار جمع من المفسرين أن المراد بالآية قصر الكيفية وذلك في صلاة الخوف، لا الكمية فإنها جاءت في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، بدلالة الحديث السالف، وممن قال بذلك ابن جرير، والجصاص، وابن كثير، والشنقيطي <sup>(٢)</sup> وغيرهم، والله أعلم.



(١) رواه مسلم (٢٧٩) ح [١٥٧٣].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٢٢/٧)، أحكام القرآن للجصاص (٢٣٠/٣)، تفسير القرآن العظيم (٣٩٦/٢)، أضواء البيان (٤٠٤/١)، التفسير الكبير (١٤/١١)، تفسير المنار (٢٩٧/٥).

## لِلْبَحْثِ الرَّابِعِ

### أمثال القرآن

مدخل:

والمثل في أصل اللغة (م ث ل): أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، والمثل والمثل كشيء وشبهه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا؛ لأنه يذكر مورى به عن مثله في المعنى<sup>(١)</sup>.

وحقيقة المثل: تقريب المعاني المعقولة بأشياء محسوسة، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر<sup>(٢)</sup>.

وقد امتن الله تعالى على هذه الأمة المحمدية بأن أنزل عليها خير الكتب، مصداقاً لما قبله، ومهيماً عليها: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، فيه الحلال والحرام، والمحكم والمتشابه، والقصص والأمثال، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

(١) انظر: مقياس اللغة (٩٣٨)، تهذيب اللغة (٧٠/١٥) مختار الصحاح (٦١٤).

(٢) انظر: الأمثال القرآنية لابن القيم (٢٧)، أمثال القرآن للميداني (٣٣)، وللمثل إطلاقات أخرى، منها: القول السائر: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]، وبمعنى الوصف للشيء: ﴿تَمَثَّلَ لَمَنْتَهُ أَلَى وَوَيْدَ الْمُنْقَوُونَ فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَلَا غَيْرَ مَاسِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَرَّ يَنْفَرُ طَمَنَهُ﴾ ... الآية [محمد: ١٥]، وبمعنى النظير: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْنِ وَالْأَصْبِ وَالْبَعِيرِ وَالسَّيِّعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [هود: ٢٤]. انظر: أمثال القرآن للميداني (١٩ - ٤٢)، الأمثال القرآنية (١/٤٢ - ٨٦)، الأمثال في القرآن (٢٧) وما بعدها.

وإن من أعظم علومه علم أمثاله، قال الماوردي<sup>(١)</sup>: «من أعظم علوم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه لا اشتغالهم بالأمثال، وإغفالهم المُمَثَّلَات، والمَثَل بلا مُمَثَّل كالفرس بلا لجام، والناقة بلا زمام»<sup>(٢)</sup>.

وقد عدّه الشافعي مما يحب على المجتهد معرفته من علوم القرآن، حيث قال: «ومن جماع علم كتاب الله العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب، والمعرفة بناسخ كتاب الله ومنسوخه... ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، المبينة لاجتناب معصيته»<sup>(٣)(٤)</sup>.

وضرب الأمثال في القرآن الكريم يستفاد منه أمور كثيرة، منها: التذكير والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة محسوسة... وغيرها، فإذا كانت هذه وغيرها مما اشتملت عليه الأمثلة القرآنية، ناسب أن يمتن الله تعالى بها على عباده، قال تعالى: ﴿وَصَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]<sup>(٥)</sup>.

(١) هو: علي بن محمد بن حبيب البصري أبو الحسن الماوردي الشافعي صاحب التصانيف الكثيرة، ومنها: «الحاوي في الفقه وتفسير القرآن» وغير ذلك، توفي سنة ٤٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٦٤/١٨) طبقات المفسرين للداودي (١٢٠).

(٢) الإتقان (١٩٣٣/٥) وأشار المحقق إلى أنه لم يجده في مظانه من تفسيره، وهو في أمثال القرآن المنسوب إليه (٢/ب).

(٣) الرسالة (٤٠ - ٤١).

(٤) ومن الكتب المؤلفة في هذا العلم: أمثال القرآن لابن القيم وقد ضمنه مؤلفه في إعلام الموقعين، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله د. عبد الله الجربوع، الأمثال في القرآن د. محمد الفياض.

(٥) انظر: البرهان (١١٨/٢)، ونقل عنه السيوطي في الإتقان (١٩٣٤/٥)، أمثال القرآن (٥٩ - ٦٠)، الأمثال القرآنية القياسية (١/١٥٤ - ١٧٦).

## الأمثال القرآنية في الأحاديث النبوية:

اشتملت بعض الأحاديث النبوية على ذكر هذا العلم وأنه أحد العلوم المتعلقة بالقرآن، والحث على الاعتبار بالأمثال، والاتعاظ منها، إلا أنها أحاديث لا تسلم من مقال، ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَعَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ: زَاجِرٌ، وَأَمِيرٌ، وَحَلَالٌ، وَحَرَامٌ، وَمُحْكَمٌ، وَمُتَشَابِهٌ، وَأَمْثَالٌ، فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ وَافْعَلُوا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيْتُمْ عَنْهُ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) الحديث (١).

وفي سنن سعيد بن منصور: عن عبد العزيز بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ ﻻ يُنَزِّلُ هَذَا الْقُرْآنَ آمِرًا وَزَاجِرًا، وَسُنَّةً خَالِيَةً، وَمَثَلًا مَضْرُوبًا، فِيهِ نَبَأُكُمْ، وَنَبَأُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبْرٌ مَنْ بَعْدَكُمْ) الحديث (٢) وغيرها.

إلا أنها أحاديث قد تكلم فيها أهل العلم، وضعفوها.

وقد يرد عن النبي ﷺ تفسير للمشبه به في المثل الوارد في الآية الكريمة، ومن ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: (أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ؛ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلَا

(١) إسناده ضعيف، وقد سبق تخريجه ص(١٤٨)، وروي أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في شعب الإيمان للبيهقي، وتاريخ بغداد (٧٧/٨) وفيه: أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجِهٍ: حَلَالٍ، وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمْثَالٍ، فَأَعْمَلُوا بِالْحَلَالِ، وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ، وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ، وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ) وفي إسناده معارك بن عباد أو ابن عبد الله العبدي وهو ضعيف. انظر: التقريب (٤٦٩).

(٢) رواه سعيد بن منصور (٢٧٢/٢)، وقال محققه - سعد الحميد -: سنده ضعيف جدًا، وفيه عبد العزيز بن عبيد الله قال عنه الذهبي: واو. (الكاشف ٢٠١/٢).

وَلَا وَلَا، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ؟) قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكرٍ وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً، قال رسول الله ﷺ: (هِيَ النَّخْلَةُ) الحديث<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الحديث تفسير للمشبه به في المثال؛ إذ الشجر له أنواع كثيرة، ففسر النبي ﷺ الشجرة هنا بأنها: النخلة، وذلك بطولها وثباتها وبركتها.

### الأمثال النبوية للقرآن الكريم:

وإن مما يمكن أن يلحق بعلم أمثال القرآن، تلك الأمثال التي ضربها النبي ﷺ للقرآن الكريم<sup>(٢)</sup>، وذلك في بيان فضله، والحض على حفظه، والأمر بقراءته وتلاوته، وإليك بيانها:

#### أولاً: فضل القرآن:

أورد النبي ﷺ أمثلة نبوية للقرآن تبين فضله، وعلو مكانته، وشرف الأمة التي نزل فيها، وعظم أجرها، وفضل ثوابها، ومن ذلك:

(١) رواه البخاري (٩٨٢) ح [٤٦٩٨] وقد بَوَّبَ له بقوله: باب: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا نَائِبٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، ومسلم (١٢٢٤) ح [٧٠٩٨]، وعند الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: أتني رسول الله ﷺ بقناع عليه رطب، فقال: (مَثَلُ ﴿كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا نَائِبٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ١) تَوَقَّ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥] قال: (هِيَ النَّخْلَةُ) ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] قال: (هِيَ الْحَنْظَلُ).. (٧٠٥) [٣١١٩]، وقال: «روى غير واحد مثل هذا موقوفاً، ولا نعلم أحداً رفعه غير حماد بن سلمة، ورواه حماد بن زيد ومعمّر وغير واحد ولم يرفعه». قال الألباني: صحيح موقوفاً، ضعيف مرفوعاً (ضعيف سنن الترمذي ٣٣٠).

(٢) اشتملت الأحاديث النبوية على جملة كبيرة من الأمثلة النبوية، حتى إن الإمام الترمذي في جامعه أفرّد كتاباً بعنوان: أبواب الأمثال عن رسول الله ﷺ وهي جديرة بأن تفرّد في دراسة مستقلة.

ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (إِنَّمَا أَجْلُكُمْ فِي أَجَلٍ مِّنْ خَلَا مِّنَ الْأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَمَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَالًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ، بِقِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، قالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء؟! قال: هَلْ ظَلَمْتُمْكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟! قالوا: لا، قال: فَذَاكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ شِئْتُ) <sup>(١)</sup>.

ففي هذا الحديث دلالة على أن هذه الأمة المحمدية أمرت بأعمال قليلة ورتب عليها أجور كبيرة، مقارنة بالأمم السابقة؛ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ومن ذلك - على سبيل المثال - قراءة القرآن الكريم والثواب المترتب على تلاوته، وصيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء...، ففيه بيان فضيلة هذه الأمة على غيرها من الأمم السابقة، «وثبوت الفضل لها بما ثبت من فضل كتابها الذي أمرت بالعمل به» <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَنْجَرِجَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الثَّمَرَةِ؛ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ) <sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه (١١٥) ح [٥٥٧].

(٢) فتح الباري (٨٥/٩)، وانظر: (٥٤/٢).

(٣) رواه البخاري (١٠٩٢) ح [٥٠٢١]، ومسلم (٣٢٢) ح [١٨٦٠]، ومن الأمثلة كذلك

قصة تفسير أبي بكر للرؤيا التي قصت على النبي ﷺ ففسرها أبو بكر رضي الله عنه وفيه:

وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن، حلاوته تنطف، فالمستكثر من =

ففي الحديث ضرب من الأمثلة التي حكاها النبي ﷺ لأحوال الناس مع قراءة القرآن، وقد بين الشراح لهذا الحديث تلك الأمثلة، والربط بينها<sup>(١)</sup>، وفيه بيان لفضل القرآن الكريم، وعلو شأنه، وأثره على من آمن به وقراه، وأكثر من تلاوته، وتمثيله بالأترجة التي هي من أطيب الفاكهة التي تجمع بين طيب الطعم والريح، والفوائد الكثيرة الأخرى، «ووجه التشبيه في التمثيل المذكور مجموع الأمرين، طيب المطعم وطيب الرائحة لا أحدهما على التفريق... ولما كان طيب المطعم وطيب الرائحة في النفس المؤمنة عقليين، وكانت الأمور العقلية لا تبرز عن موصوفها إلا بتصويرها بصورة المحسوس المشاهد، شبهه ﷺ بالأترجة الموجود فيها ذلك حسًا؛ تقريبًا للفهم والإدراك، فطيب المطعم في النفس المؤمنة الإيمان؛ لأنه ثابت في النفس، هي به طيبة الباطن كثبوته في الأترجة، وطيب الرائحة فيه يرجع إلى قراءته القرآن؛ لأن القراءة قد يتعدى نفعها إلى الغير فينتفع بها المستمع كما أن طيب رائحة الأترجة تتعدى وينتفع بها المستروح...»<sup>(٢)</sup>.

وقد بؤب الإمام البخاري في صحيحه للحديثين السابقين بقوله: باب: فضل القرآن على سائر الكلام، قال ابن حجر في بيان مناسبة الحديثين للباب: «ومطابقة حديث أبي موسى ﷺ للترجمة من جهة ثبوت فضل قارئ القرآن على غيره؛ فيستلزم فضل القرآن على سائر الكلام، كما فضل الأترج على سائر الفواكه.

ومناسبة حديث ابن عمر ﷺ من جهة ثبوت فضل هذه الأمة على

= القرآن والمستقل... الحديث رواه البخاري في صحيحه [١٤٧٩] [٧٠٤٦].

(١) انظر: فتح الباري (٨٤/٩)، عمدة القاري (٢٥/٢٠٠)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٠٢/٢٤)، التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي (٧/٣١٨٥).

(٢) قاله الأبي، انظر: إكمال المعلم (٤١٤/٢).



غيرها من الأمم وثبوت الفضل لها بما ثبت من فضل كتابها الذي أمرت بالعمل به<sup>(١)</sup>.

ثانيًا: حفظ القرآن:

حثَّ النبي ﷺ في أحاديث كثيرة على حفظ كتاب الله تعالى<sup>(٢)</sup>، بأساليب كثيرة، ومن ذلك ضرب المثل لحافظ القرآن، وفيه بيان لمنزلته الرفيعة، وعظم ثوابه، فقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ: أنه قال: (مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ)<sup>(٣)</sup>.

فمثل النبي ﷺ حافظ القرآن بأنه مع السفارة الكرام البررة، وذلك في الحفظ والقراءة، والمنزلة العالية في الآخرة، وهذا فضل كبير، وشرف عظيم، والمعنى: أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقًا للملائكة السفارة، لاتصافه بوصفهم بحمل كتاب الله، ويحتمل أن يكون المراد: أنه عامل بعمل السفارة وسالك مسلكهم، والله أعلم<sup>(٤)</sup>.

ثالثًا: تعاهد القرآن، ومراجعته:

حضَّ النبي ﷺ على تعاهد القرآن الكريم، وحثَّ على مراجعته ومداومة قراءته، بأساليب متنوعة، ومن تلك الأساليب، ضرب الأمثلة المعقولة بأشياء محسوسة، ومن ذلك تمثيل صاحب القرآن بصاحب الإبل؛ إن عقلها أمسكها، وإن تركها ذهبت؛ فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ

(١) فتح الباري (٨٥/٩).

(٢) سبق ذكر الأحاديث في ذلك في مبحث جمع القرآن.

(٣) رواه البخاري (١٠٦٧) ح [٤٩٣٧]، ومسلم (٣٢٣) ح [١٨٦٢].

(٤) انظر: إكمال المعلم (١٦٦/٣)، فتح الباري (٧٧٥/٨).

الْمُعَقَّلَةِ؛ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أُمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ<sup>(١)</sup>.

فصاحب القرآن المصاحب له في ليله ونهاره إن تعاهد حفظه، وتلا كتاب ربه وراجعه، وإلا ذهب عنه ونُسِيَهُ، وذلك كصاحب الإبل إن تعاهد إبله بالحفظ والعناية بقيت، وإن أمهلها وتركها دون حفظ ومتابعة شردت، قال ابن حجر: «شبه درس القرآن واستمرار تلاوته، بربط البعير الذي يخشى منه الشراد، فما زال التعاهد موجودًا فالحفظ موجود، كما أن البعير ما دام مشدودًا بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر؛ لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورًا وفي تحصيلها بعد استمکان نفورها صعوبة..»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَابَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا) الحديث<sup>(٣)</sup>.

مثل النبي صلى الله عليه وسلم أجر من قرأ الزهراوين وعمل بهما أنه يأتي يوم القيامة، وكأنهما (غمامتان)؛ أي: سحابتان تظلان صاحبهما عن حرّ الموقف، أو (غَيَابَتَانِ) وهي بالياءين ما يكون أدون منهما في الكثافة وأقرب إلى رأس صاحبهما، كما يفعل بالملوك فيحصل عنده الظل والضوء جميعًا، (أَوْ فِرْقَانِ)؛ أي: طائفتان من طير (صَوَافٍ) جمع صافة، وهي الجماعة الواقعة على الصف أو الباسطات أجنحتها متصلًا بعضها ببعض، وهذا أبين من الأولين؛ إذ لا نظير له في الدنيا إلا ما وقع لسليمان عليه الصلاة والسلام<sup>(٤)</sup>.

(٢) فتح الباري (١٠٤/٩).

(١) سبق تخريجه ص (٢٧٨).

(٣) رواه مسلم (٣٢٥) ح [١٨٧٤].

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح (١٧/٥)، التيسير بشرح الجامع الصغير (٩٣/١)، الديباج على صحيح مسلم (٤٠٠/٢).

ومن الأساليب كذلك أن يمثل النبي ﷺ لعمل فاضل، بأجر القائم القارئ لآيات الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: ما يعدل الجهاد في سبيل الله ﷻ؟ قال: (لَا تَسْتَطِيعُوهُ) قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: (لَا تَسْتَطِيعُونَهُ)، وقال في الثالثة: (مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجَعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى)<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الحديث بيان لفضيلة القراءة والتلاوة لكتاب الله تعالى، وأنها من أفضل الأعمال، ولذا شبه النبي ﷺ أجر المجاهد في سبيل الله بأجر القائم القانت بآيات الله، مما يفيد عظم أجر القراءة وفضل تعاهد كتاب الله. فالقراءة والتعاهد هنا مشبه به مما يستلزم فضيلة ذات العمل المشبه به؛ إذ لو لم يكن فاضلاً لما شبه به، والله أعلم.

وقد رويت أحاديث تمثل من تعلمه وقراه وقام به بجراب محشو مسكاً، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أو كي على مسك<sup>(٢)</sup>، وكذلك «لو جعل القرآن في إهاب، ثم ألقى في النار ما احترق»<sup>(٣)</sup>. وكلها لا تسلم من مقال، وقد ضعفها أهل العلم.

(١) رواه مسلم (٨٤٣) ح [٤٨٦٩].

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٦٤٧) ح [٢٨٧٦]، وابن ماجه في سننه (٣٣) ح [٢١٧]، والنسائي في الكبرى (٨١/٨) [٨٦٩٦]، قال الترمذي: «حديث حسن». وقال النسائي: «إسحاق بن عبد الواحد لا أعرفه.. وقد رواه غير عبد الحميد بن جعفر فأرسله، والمشهور مرسل». وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٢٩٦). قال ابن حجر عن إسحاق بن عبد الواحد: «قال أبو علي الحافظ النيسابوري فيما نقل عنه ابن الجوزي: متروك الحديث». (تهذيب التهذيب ١/١٢٤).

(٣) رواه الدارمي في مسنده (٢٠٨٦/٤) [٣٣٥٣]، والطبراني في الكبير (٣٠٨/١٧) [٨٥٠]، قال الهيثمي في المجمع (١٥٨/٧): «وفيه ابن لهيعة وفيه خلاف». وقال محقق الدارمي - حسين سليم أسد -: «إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة. فالحديث ضعيف لضعف ابن لهيعة، قال ابن حجر: «عبد الله بن لهيعة صدوق، خلط بعد احتراق كتبه... انظر: التقريب (٢٦٢).

لِلْبَحْثِ الْخَامِسِ

مفردات القرآن

مدخل:

أصل كلمة المفردات (ف ر د) وهو: أصل واحد صحيح يدل على وحدة، ومن ذلك السدرة الفاردة؛ أي: انفردت عن سائر السدر، والفريد: الدر إذا نظم وفصل بينه بغيره<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن يقال في وصف هذا العلم بأنه: كل ما ورد عن النبي ﷺ أو غيره في وصف آية أو آيات أو سورة بوصف جامع لا بقصد التفضيل، وإنما من أجل شمولية المعنى الذي اشتملت عليه، وانفردت به عن مثيلاتها<sup>(٢)</sup>.

وهو يختلف عن فضائل القرآن وخصائصه وخواصه، فليس الغاية من المفردات بيان التفضيل أو ذكر خصيصة من الخصائص، وإنما بيان حقيقة المعنى وما اشتملت عليه الآية أو الآيات من دلالات ومعاني انفردت بها عما سواها من الآيات المماثلة لها في المعنى؛ ولذا أورد الإمام السيوطي علم (مفردات القرآن) بعد كتاب أفضل القرآن وفاضله.. مما يدل على الاختلاف بينهما، والله أعلم.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٨١٦)، مفردات القرآن للراغب (٦٢٩).

(٢) ولم يرد عن السيوطي أو ابن عقيلة تبين لمعنى المفردات، وإنما اكتفوا بذكر الأمثلة والاستشهاد عليها، وقد عرفه د. حازم حيدر في كتابه (علوم القرآن بين البرهان والانتقان ٥٠١) بقوله: الذي يظهر لي أن مقصود الجلال - أي: السيوطي - ﷺ: آيات اختصت بمعنى غلب عليها، بحيث يمنع هذا المعنى الاختلاط مع معاني أخرى.

والقرآن الكريم اشتمل على أوامر ونواهي، ومواعظ وتذكير، وحكم وأمثال، بأساليب متنوعة، ومعاني مختلفة، منها العام والخاص، والحث والزجر، والتخويف والرجاء...، وقد نصَّ سلف هذه الأمة على طرف منها ودلّلوا عليها، ومن ذلك ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه: «إن أجمع آية في القرآن للخير والشر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]»<sup>(١)</sup>.

وعنه رضي الله عنه قال: إن أكبر آية في القرآن تفويضًا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].. وأشد آية في القرآن فرحًا: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ الآية [الزمر: ٥٣]»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن المبارك<sup>(٣)</sup>: إن أرجى آية في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيَلِصَفُحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]»<sup>(٤)</sup>.

فاعتني العلماء بتلك الدلالات، وجمعوا تلك الأقوال، حتى أفردوها بعلم مستقل سمي بـ(مفردات القرآن)<sup>(٥)</sup>، لينضم إلى العلوم الأخرى المتعلقة بالقرآن الكريم.

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٣٨٨/٢)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين».

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٣٤/٩) [٨٦٦١]، وقال الهيثمي في المجمع (١٢٦/٧):

«رواه الطبراني... ورجاله رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف».

قال عنه ابن حجر: «صدوق له أوهام، حجة في القراءة» (التقريب ٢٢٨).

(٣) هو: عبد الله بن المبارك يكنى أبا عبد الرحمن كان أبوه تركيًا من التجار من بني

حظلة، وقد أثنى عليه العلماء كثيرًا، قال أحمد بن حنبل: «ما رفع الله تعالى

ابن المبارك إلا بخبيثة عنده»، توفي سنة ٨١هـ. انظر: صفة الصفوة (٤/١٣٦).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١٢٠٨) ضمن حديث الإفك.

(٥) انظر: الإتيان في علوم القرآن (٦/٢١٥٩)، الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي

(٦/٤١٨)، وقد أشار إليه الزركشي في البرهان (٢/٧٨).

وقد ورد عن النبي ﷺ أحاديث في مفردات القرآن، ومن ذلك التنصيص على آيتي الزلزلة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] بأنها جامعة فاذة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في بيان إثم مانع الزكاة، وفيه: قالوا: فالحمر يا رسول الله؟ قال: (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَةُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾<sup>(١)</sup>.

فوصف النبي ﷺ هاتين الآيتين بأنهما جامعتان فاذتان، وذلك في بيان عموم الخير، وعموم الشر... حيث حوت معاني كثيرة، وانفردت عن مثيلاتها من الآيات الحاثية على فعل الخير، والتحذير من الشر، قال ابن عبد البر: «يعني - والله أعلم -: أنها آية منفردة في عموم الخير والشر، ولا أعلم آية أعم منها؛ لأنها تعم كل خير وكل شر، فأما الخير فلا خلاف بين المسلمين أن المؤمن يرى في القيامة ما عمل من الخير ويثاب عليه، وأما الشر فله رضي الله عنه أن يغفر وله أن يعاقب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتٍ﴾ [هود: ١١٤]<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنِّي لِأَعْلَمُ آيَةً لَوْ أَخَذَ النَّاسُ بِهَا لَكَفَّتْهُمْ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]<sup>(٣)</sup>.

إذ لو صح هذا الحديث لعدت هذه الآية من مفردات القرآن التي

(١) سبق تخريجه ص (٣٤٢).

(٢) التمهيد (٤/٢١٩ - ٢٢٠).

(٣) رواه ابن ماجه (٦١٤) ح [٤٢٢٠]، والدارمي في مسنده (١٧٩٢/٣) [٢٧٦٧]، والإمام أحمد في مسنده (٤٣٦/٣٥) [٢١٥٥١]، وقال محققه: إسناده ضعيف لانقطاعه، فإن أبا السليل - ضُرَيْبُ بْنُ نُفَيْرٍ - لم يدرك أبا ذر. انظر: تهذيب الكمال (٣١٠/١٣) وفيه: روى عن أبي ذر ولم يدركه.

نصَّ عليها النبي ﷺ؛ حيث اشتملت على معنى عظيم انفردت به عن مثيلاتها من الآيات المبينة لثمرات تقوى الله تعالى على الفرد المسلم. وقد وردت أحاديث نبوية أخرى في هذا العلم، سواء في الآيات، أو في السور، إلا أنها لا تسلم من مقال، وقد ضعفها أهل العلم<sup>(١)</sup>.



(١) انظر مزيدًا من الأدلة عند: حم [٢٢٣٦٢]، فضائل أبي عبيد (١٢٤)، (١٢٨)، السيوطي نقل حديثًا عزاه إلى أبي ذر الهروي في فضائل القرآن (٢١٦١/٦).





## الفصل السابع

### علوم القرآن

### المتعلقة بقراءة القرآن وخصائصه

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: القراءات القرآنية.

المبحث الثاني: تلاوة القرآن.

المبحث الثالث: تجويد القرآن.

المبحث الرابع: فضائل القرآن.

المبحث الخامس: خصائص القرآن.



## أَلْفُضْلُ السَّابِعِ

### علوم القرآن المتعلقة بقراءة القرآن وخصائصه

تمهيد:

إن ثمرة جُلِّ العلوم السابقة، وخلاصة دلالاتها، معرفة ما صحت تلاوته وقَبِل، والعلم بما ترك منها وردّ، مع ما احتف بها من آداب وأحكام وفضائل وخصائص، حتى تؤدي على نحو ما نزل عليه هذا الكتاب العزيز؛ قال تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]؛ أي: أمرنا بترتيل قراءته والتمهل بالألا يعجل في قراءته بأن تبين جميع الحروف والحركات بمهل، وذلك كقوله تعالى ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]؛ أي: اقرأه بترسل وثبت<sup>(١)</sup>، حتى تحصل التلاوة الصحيحة التي يتبعها - غالبًا - إقامة الأوامر، واجتناب المناهي، والاتعاظ بالمواعظ... التي من أجلها نزل هذا الكتاب العزيز؛ ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِنُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]؛ إذ هي نقطة البداية، وبداية العمل في طاعة الله تعالى، على نور من الله رجاء وعد الله، والخوف من وعيد الله تعالى، فكم من عبادة توقفت على معرفة قراءة آيات من كتاب الله تعالى. وهذه العلوم هي: (القراءات القرآنية، تلاوة القرآن، تجويد القرآن، فضائل القرآن، خصائص القرآن) وقد اشتملت السُّنة النبوية على أحاديث كثيرة تتعلق بهذه العلوم، يمكن من خلالها تأصيل تلك العلوم، وبيان المنهج النبوي فيها، وإليك بيانها من خلال المباحث التالية:

(١) انظر: الكشاف (٤/٣٤٨)، التحرير والتنوير (٨/٢٠).



المَبْحَثُ الأَوَّلُ

## القراءات القرآنية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مصدرها.

المطلب الثاني: حقيقتها.

المطلب الثالث: توجيه القراءات.



## الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

### القراءات القرآنية

مدخل:

لما أظهر الله تعالى دينه، ونصر نبيه ﷺ على من حاربه من العرب، دخل الناس في دين الله أفواجًا، وقدموا المدينة مبتغيين القرب منه ﷺ وتعلم أمور الدين، وأحكام الشريعة، فدعا النبي ﷺ - وهو الرحيم بأمته - ربه تعالى بأن يخفف على أمته قراءة القرآن، فاستجاب الله تعالى له، كما ورد في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان عند أضاة بني غفار<sup>(١)</sup>، ... قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ)، فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثم أتاه الثانية فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ)، فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثم جاءه الثالثة، فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ)، فقال: (أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثم جاءه الرابعة، فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَأَيَّمَا حَرْفٍ قَرَأْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا)<sup>(٢)</sup>.

(١) الأضاة - بوزن الحصاة -: الغدير، وأضاة بني غفار موضع بالمدينة، ومنازل بني غفار غربي سوق المدينة. انظر: النهاية في غريب الحديث (١/٥٥)، مشارق الأنوار (١/١٣٣).

(٢) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٢٣٦). وقد سبق الحديث عن الأحرف السبعة، وماهيتها، والتعريف بها، في المبحث الخاص بالأحرف السبعة، (٢٣٥).

وكان جبريل عليه السلام يعارض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل سنة مرة واحدة في شهر رمضان، فلما دنا أجله عليه الصلاة والسلام، عارضه القرآن مرتين، وقد تلقى الصحابة رضي الله عنهم ذلك عنه، فكانت بعدُ مستندًا للصحابة في جمع الأمة على المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه وأرسلها إلى الأمصار، حيث كُتبت على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة، وهو من جملة الأحرف السبعة، وأرسل مع كل مصحف قارئ؛ إذ الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط.

قال ابن الجزري: «وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف، وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى، مما كان مأذونًا فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتًا مستفيضًا أنه من القرآن، وجُردت المصاحف جميعها من النقط والشكل، ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط، وكان من جملة الأحرف التي أشار إليها صلى الله عليه وسلم بقوله: (أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ)<sup>(١)</sup> فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما صرح به غير واحد من السلف؛ كمحمد بن سيرين وعبيدة السلماني وعامر الشعبي<sup>(٢)</sup>.

فلما كتب عثمان رضي الله عنه المصاحف، ووجهها إلى الأمصار، حملهم على ما فيها، وأمرهم بترك ما خالفها، فقرأ أهل كل مصر مصحفهم الذي وُجّه إليهم على ما كانوا يقرؤون قبل وصول المصحف إليهم مما يوافق خط المصحف، وتركوا من قراءتهم التي كانوا عليها ما يخالف خط المصحف، فاختلفت قراءة أهل الأمصار لذلك مما لا يخالف الخط، وسقط من قراءتهم كلهم ما يخالف الخط، ونقل ذلك الآخر عن

(٢) النشر (١/١٤).

(١) سبق تخريجه ص(٢٣٦).



الأول في كل مصر، فاختلف النقل لذلك، حتى وصل النقل إلى القراء السبعة والعشرة...، فاختلّفوا على حسب اختلاف أهل الأمصار، لكن لم يخرج واحد منهم عن خط المصحف فيما نقل<sup>(١)</sup>.  
وعلم القراءات القرآنية هو: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، معزواً لناقله<sup>(٢)</sup>.



(١) انظر: الإبانة لمكي بن أبي طالب (٥٣ - ٥٤).

(٢) وهو تعريف ابن الجزري، انظر: منجد المقرئين (٤٩)، وعرف بتعريفات غير ذلك، إلا أنها مقاربة، انظر: البرهان في علوم القرآن (٣١٨/١)، إتحاف فضلاء البشر (٦٧/١)، وغيرهما.

## المطلب الأول

### مصدر القراءات

من خلال ما سبق إيراده في المدخل، يتقرر وبلا امتراء أن القراءات القرآنية توقيفية، أخذها الآخر عن الأول، ونقلها جماعة عن جماعة، وجيل عن جيل، من لدن النبي ﷺ إلى وقتنا الحاضر<sup>(١)</sup>.

فمصدر القراءات هو الوحي، وثبت بالأدلة القطعية أن القرآن لفظه ومعناه هو من عند الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِشُرَاهِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَسْبَغْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢] وغير ذلك من الأدلة المستفيضة التي تنص على مصدر القرآن الكريم.

والقراءات القرآنية هي من جملة الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، وقد بين النبي ﷺ مصدرها في قوله: (أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

فالقراءات السبع والعشر متواترة فرشاً وأصولاً، حال اجتماع القراء وافتراقهم<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/٤٦٩).

(٢) سبق تخريجه ص (٢٣٦).

(٣) انظر: منجد المقرئين (٨٠ - ٨١) و (١٩٧ - ٢١٢)، حيث أورد كلام أبي شامة ورد عليه، ودعم قوله بالأدلة والنقول عن العلماء، إلا أنه عدل عن قوله في كتابه النشر، =

## المطلب الثاني

### حقيقة القراءات

من المتقرر أن النبي ﷺ كان يُقرئ الصحابة رضي الله عنهم جميع ما أنزل إليه من كتاب ربه، وذلك امتثالاً لأمره سبحانه في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، فتلقى الصحابة القرآن كاملاً عن النبي ﷺ، وأقرأ الصحابة بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup>، كما قال ﷺ: (اسْتَقْرَأُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ، وَأَبِي بَنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ)<sup>(٢)</sup>.

وتلقى أبناء الصحابة القرآن من آبائهم، وهكذا تلقى القرآن جيل عن جيل، وجماعة عن جماعة، متواتراً حتى وقتنا الحاضر، وكل ذلك تحقيقاً لوعده الله الصادق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ونسبة القراءات إلى القراء السبعة أو العشرة، إنما هي نسبة اصطلاحية؛ لمكانة الإمام، ومداومته عليها، ولزومه لها، وإلا فكل أهل

= وقال: «وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف، انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم، ولقد كنت أجنح إلى هذا القول، ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف» النشر (١٨/١)، وتعقبه عليه الأئمة ومنهم الصفاقسي حيث قال: قول محدث لا يعول عليه، ويؤدي إلى تسوية غير القرآن بالقرآن... والتواتر مذهب الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثين والقراء. انظر: غيث النفع في القراءات السبع (١/٢٦٩ - ٢٧٠)، والبنا في إتحاف فضلاء البشر (١/٧١).

(١) ومر سابقاً أوجه إقراء النبي ﷺ في مبحث جمع القرآن (الإقراء).

(٢) رواه البخاري (٧٧٠) ح [٣٧٥٨].

بلدة كانوا يقرؤونها تلقوها جيلاً عن جيل، وجماعة عن جماعة، ولو انفراد واحد بقراءة دون أهل بلدة لم يوافقه أحد، بل ويحذرونه، ويحذرون الناس منه.

أما ما ورد في القراءات من الأحاديث المسندة إلى النبي ﷺ فقليل بالنسبة للقرآن كاملاً<sup>(١)</sup> إلا أنه مما يُجزم به، ولا يمكن أن يرتاب فيه، أن النبي ﷺ أقرأ الصحابة كل القرآن، والصحابة أقرؤوه من بعدهم، وهكذا تلقته أمة عن أمة، وجيل عن جيل، قال علي رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤا كما علمتم<sup>(٢)</sup>.

وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: القراءة سنة<sup>(٣)</sup>.

وقد سبق تقرير ذلك مطلع المبحث.

وانحصار الأسانيد ولو كانت آحادية في طائفة معينة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم؛ إذ مع كل واحد منهم في طبقته ما يبلغها حد التواتر؛ لأن القرآن قد تلقاه من أهل كل بلد الجُم الغفير طبقة بعد طبقة، وجيلاً بعد جيل، ولو انفراد أحد بوجه دون أهل تلك البلد لم يوافقه على ذلك أحد<sup>(٤)</sup>.

(١) وقد اجتهد بعض المصنفين بجمعها، ومن ذلك: الإمام أبو داود في سننه (٥٦٢ - ٥٦٦) وبلغت أحاديثه (٣٩)، والترمذي في جامعه (٦٥٨ - ٦٦١) وعدد الأحاديث (٢٢)، والحاكم في مستدركه (٢٣٠/٢ - ٢٥٧)، وعدد الأحاديث (١١٠)، وأكثرهم جمعاً لها الإمام أبو عمر الدوري في كتابه: جزء فيه قراءات النبي ﷺ حيث بلغت: (١٣٠) حديثاً.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٠٠/٢) [٨٣٢]، وابن حبان في صحيحه (٢١/٣) [٧٤٦]، والحاكم في مستدركه (٢٢٣/٢). وقال محقق المسند: إسناده حسن.

(٣) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢٦٢/٢)، والطبراني في الكبير (١٣٣/٥) [٤٨٥٥]، وصححه الحاكم في مستدركه (٢٤٤/٢)، وقال: «صحيح الإسناد». وقال محقق سنن سعيد بن منصور - سعد الحميد -: حسن لذاته.

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (٧٢/١ - ٧٣)، لطائف الإشارات (٧٨/١)، المنهاج في الحكم على القراءات (٣١) لـ د. إبراهيم الدوسري.

- وقد تَرَدُّ أحاديث نبوية في القراءات القرآنية إلا أنها ضعيفة من حيث الإسناد الذي وصل إلينا، ومع ذلك يقرأ بها؛ حيث تواترت عن الصحابة ومن بعدهم، ونقلها جيل عن جيل، مما يجزم معه بصحتها وقبولها، وذلك أن الأمة تلتقت القراءات السبع بل العشر بالقبول، فلا يمكن أن تجتمع على ضلالة، ومن ذلك:

ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ: (وما هو على الغيب بظنين) بالظاء<sup>(١)</sup>.

وبهذه القراءة قرأ ابن كثير<sup>(٢)</sup> و أبو عمرو<sup>(٣)</sup> والكسائي<sup>(٤)</sup>.

ورُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَّأٍ فِي مَسَاكِينِهِمْ)<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٢/٢٦٧)، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «إسحاق متروك». وقال ابن حجر في التقريب (٤١): «إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة الأموي مولاهم المدني متروك».

(٢) هو: عبد الله بن كثير بن المطلب الإمام العابد، إمام المكيين في القراءة، أصله فارسي، وكان دارياً بمكة وهو العطار، تصدر للإقراء وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن، توفي سنة ١٢٠هـ. انظر: المنتظم (٧/٢٠٣)، معرفة القراء (١/٨٦).

(٣) هو: أبو عمرو بن العلاء بن عمار العريان التميمي، ثم المازني البصري، شيخ القراء والعربية، أخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة، فعرض بمكة على مجاهد وغيره، وإليه انتهت الإمامة في القراءة في البصرة، توفي سنة ١٥٤هـ. انظر: معرفة القراء (١/١٠٠)، وفيات الأعيان (٣/٤٦٦).

(٤) انظر: التيسير (٢٢٠)، السبعة (٦٧٣). والكسائي هو: علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي، مولاهم الكوفي، أبو الحسن، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات، توفي سنة ١٨٩هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/٢٩٥)، معرفة القراء (١/١٢٠).

(٥) رواه الحاكم في مستدركه (٢/٢٧١)، وقال الذهبي: «لم يصح». وفيه: محمد بن عبد الرحمن البيلماني: ضعيف، كما قال ابن حجر في التقريب (٤٢٦)، وأبوه كذلك: عبد الرحمن بن البيلماني، قال ابن حجر في التقريب (٢٧٩): ضعيف. ومن الأدلة كذلك، انظر: قراءات النبي صلى الله عليه وسلم [١٢٤]، [١٢٨].

وهي قراءة نافع<sup>(١)</sup> وأبي عمرو وعاصم<sup>(٢)</sup> وابن عامر<sup>(٣)</sup> وابن كثير<sup>(٤)</sup>.

- وربما صحت الرواية، إلا أنها مخالفة للعرضة الأخيرة التي كتبها زيد بن ثابت رضي الله عنه في حضرة كبار الصحابة، ووقع الإجماع عليها، فلا يؤخذ بها؛ لأنها محمولة على النسخ أو التفسير، حيث أجمعت الأمة على أن المعتمد في القراءة ما بعد العرضة الأخيرة، ومن ذلك:

ما رواه علقمة قال: قدمنا الشام، فأتانا أبو الدرداء رضي الله عنه فقال: أفيكم أحد يقرأ علي قراءة عبد الله؟ فقلت: نعم أنا، قال: فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]؟ قال: سمعته يقرأ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالذَّكْرِ وَالْأُنْثَى﴾ قال: وأنا والله هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها ولكن هؤلاء يريدون أن أقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ [الليل: ٣] فلا أتابعهم<sup>(٥)</sup>.

قال ابن حجر: «ولعل هذا مما نسخت تلاوته، ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء رضي الله عنه ومن ذكر معه...»<sup>(٦)</sup>.

(١) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم، أبو رويم المقرئ المدني، قرأ على طائفة من تابعي المدينة، وأقرأ الناس دهرًا طويلًا، توفي سنة ١٦٩ هـ. انظر: معرفة القراء (١٠٧/١)، سير أعلام النبلاء (٣٣٦/٧).

(٢) هو: عاصم بن أبي النجود الأسدي، مولاهم الكوفي، القارئ الإمام أبو بكر أحد السبعة واسم أبيه بهدلة على الصحيح، إليه انتهت الإمامة في القراءة بالكوفة، وكان من أحسن الناس صوتًا، توفي سنة ١٨٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٥٦/٥)، معرفة القراء (٨٨/١).

(٣) هو: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم، الإمام الكبير، مقرئ الشام، وأحد الأعلام، أبو عمران اليحصبي، روي أنه سمع قراءة عثمان رضي الله عنه، وقيل: قرأ عليه نصف القرآن ولم يصح، توفي سنة ١١٨ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٢/٥)، معرفة القراء (٨٢/١).

(٤) انظر: التيسير (١٨٠)، السبعة (٥٢٩).

(٥) رواه البخاري (١٠٧٢) ح [٤٩٤٣]، ومسلم (٣٣٢) ح [١٩١٦].

(٦) فتح الباري (٩٠٤/٨).

وعن أبي يونس مولى عائشة رضي الله عنه: أنه قال: أمرتني عائشة رضي الله عنها أن أكتب لها مصحفًا، وقالت: إذا بلغت هذه الآية فأذني: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨] فلما بلغت أذنتها، فأملت علي: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ وصلاة العصر ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] قالت عائشة: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup>.

قال مكّي بن أبي طالب في معرض كلامه عن أقسام القراءة الواردة: «... والقسم الثاني: ما صح نقله عن الأحاد وصح وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف، فهذا يقبل ولا يقرأ به، لعلتين إحداهما: أنه لم يؤخذ بإجماع، إنما أخذ بأخبار الأحاد، ولا يثبت قرآن به بخبر الواحد.

والعلة الثانية: أنه مخالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على مغيبه وصحته، وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به..» <sup>(٢)</sup>.

- وقد يستدل الصحابة رضي الله عنهم على صحة القراءة، بحكاية تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك:

ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ فَيقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعُونَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَنَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) [الحج: ٢٢] الحديث <sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٥٤) ح[١٤٢٧]، ومن الأدلة كذلك: د[٣٩٩٣].

(٢) الإبانة (٥٨).

(٣) رواه البخاري (١٠٠٠) ح[٤٧٤١]، ومسلم (١١٣) ح[٥٣٢].

وهي قراءة السبعة، عدا حمزة<sup>(١)</sup> والكسائي قرأها بدون ألف (سكري)<sup>(٢)</sup>.

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرضٍ يخترف، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبي، فما أولُ أشرافِ الساعة؟ وما أولُ طعامِ أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: (أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ أَنْفًا)، قال: جبريل؟ قال: (نَعَمْ)، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبِيبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٩٧] الحديث<sup>(٣)</sup>.

وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر وحفص<sup>(٤)</sup> عن عاصم؛ بكسر الجيم والراء وحذف الهمزة وإثبات الياء<sup>(٥)</sup>.

- ومن ذلك أيضًا: تعليم النبي صلى الله عليه وسلم القراءة للصحابة، وتصحيحها إن أخطؤوا في التلاوة، ومن ذلك:

ما رواه أبو وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] قال: وإنما نقرؤها كما علمناها<sup>(٦)</sup>.

(١) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام أبو عمارة الكوفي، تصدر للإقراء مدة، وقرأ عليه عدد كثير، وكان إمامًا حجة قائمًا بكتاب الله تعالى، حافظًا للحديث، توفي سنة ١٥٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/٩٠)، معرفة القراء (١/١١١).

(٢) انظر: السبعة (٤٣٤)، التيسير (١٥٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩٢٣) ح [٤٤٨٠].

(٤) هو: حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود، أبو عمرو الأسدي، الكوفي المقرئ، صاحب الإمام عاصم وابن زوجة عاصم، توفي سنة ١٨٠هـ. انظر: معرفة القراء (١/١٤٠)، الوافي بالوفيات (٦٢/١٣).

(٥) انظر: السبعة (١٦٦)، التيسير (٧٥). ومن الأدلة كذلك: [٣٩٧٧]، قراءات النبي صلى الله عليه وسلم [٩٠].

(٦) رواه البخاري (٩٨٠) ح [٤٦٩٢].



وبفتح الهاء والتاء وعدم الهمز قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي، وبضم التاء قرأ ابن كثير<sup>(١)</sup>.

وعن الأسود بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه قال: قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم (فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [القمر: ١٥]<sup>(٢)</sup>.

- وقد يُستدل بأحاديث نبوية على صحة قراءة قرآنية، ومن ذلك:

ما رواه زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، كان يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبَخْلِ وَالْهَرَمِ) الحديث<sup>(٣)</sup>.

(والبخل) بفتح الباء قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقر بضم التاء وإسكان الخاء<sup>(٤)</sup>.

وقد أورد هذا الحديث أبو عمر الدوري<sup>(٥)</sup> وساقه ضمن أحاديث تحت عنوان: ومن سورة النساء، وكأنه أراد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(٦)</sup> [الحديد: ٢٤].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حمار

(١) انظر: السبعة (٣٤٧)، الإقناع (٢/٦٧٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦٨٠) ح [٣٣٤١].

(٣) رواه البخاري (١٣٤٧) ح [٦٣٦٩]، ومسلم (١١٨١) ح [٦٩٠٦]، وأبو داود في سننه (٥٦٣) ح [٣٩٧٢]، وقد أشار ابن الأثير في جامع الأصول إلى رواية أبي داود، فقال: «أراد تحريك الخاء والباء بالفتح». جامع الأصول (٤/٣٥٢).

(٤) انظر: السبعة (٢٣٣)، التيسير (٩٦)، وذلك في سورتي النساء والحديد.

(٥) هو: حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صبهان مولا هم الدوري الضريير، نزيل سامراء، مقرئ الإسلام وشيخ العراق في وقته، طال عمره وقصد من الآفاق وازدحم عليه الحذاق لعلو سنده وسعة علمه، توفي سنة ٢٤٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/٥٤١)، معرفة القراء (١/١٩١).

(٦) جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم (٨٣).

والشمس عند غروبها، فقال: (هَلْ تَدْرِي أَيَّنَ تَعْرُبُ هَذِهِ؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (فَإِنَّهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنِ حَامِيَةٍ)<sup>(١)</sup>.

(حامية) قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي، والباقون بغير ألف مع الهمز<sup>(٢)</sup>.

وقد ساق أبو عمر الدوري هذا الحديث ضمن أحاديث سورة الكهف، وأراد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: ٨٦]<sup>(٣)</sup>.

والقراءتان الواردة عن النبي ﷺ في الآية الواحدة يحكم لهما بحكم الآيتين، يقول شيخ الإسلام: «فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً، لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى، ظناً أن ذلك تعارضاً...»<sup>(٤)</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك، ما رود عن النبي ﷺ في قراءة قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، حيث ورد عنه ﷺ: أنه قرأها بدون الألف، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: شكوا الناس إلى رسول الله ﷺ فحوط المطر، فأمر بمنبرٍ فوضع له في المصلى ووعده الناس يوماً يخرجون فيه،

(١) رواه أبو داود في سننه (٥٦٦) ح [٤٠٠٢]، والإمام أحمد (٣٦٣/٣٥) [٢١٤٥٩]، وصححه الحاكم في مستدركه (٢٦٧/٢)، وقال: «صحيح الإسناد». وقال محقق المسند: إسناده صحيح.

(٢) انظر: السبعة (٣٩٨)، التيسير (١٤٥).

(٣) جزء فيه قراءات النبي ﷺ (١٤٢)، ومن الأدلة كذلك: م [١٥٦٢] في قوله: (فإن يطعموا أبا بكر وعمر يرشدوا). انظر: جزء فيه قراءات النبي ﷺ (٧٥)، (٢٨)، (٣٠)، (٤٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٩١/١٣).

قالت عائشة: فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر ﷻ وحمد الله ﷻ ثم قال: (إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَذْبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﷻ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ) ثُمَّ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) الحديث<sup>(١)</sup>.

وأيضًا بالألف، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتَيْتَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ: مَجَدَّنِي عَبْدِي، وقال مرة: (فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي) الحديث<sup>(٢)</sup>.

وقرأ عاصم والكسائي بالألف: (مالك)، والباقون: (ملك) بغير ألف<sup>(٣)</sup>.

ولكلا القراءتين نوع من الخصوصية والتميز، لا يتوفر في الآخر فـ(المالك) يقدر على ما لا يقدر عليه المَلِك من التصرف بما هو مالك له، بالبيع والهبة، ونحو ذلك، كما أن (المَلِك) يقدر على ما لا يقدر عليه المالك، مما يعود إلى تدبير الملك وحياطته، ورعاية مصالح الرعية، فالمالك أقوى من الملك في بعض الأمور، والملك أقوى من

(١) رواه أبو داود في سننه (١٧٥) ح [١١٧٣] وعلّق عليه بقوله: «هذا حديث غريب إسناده جيد، أهل المدينة يقرؤون (ملك يوم الدين) وإن هذا الحديث حجة لهم». والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٣٩٤) [٦٢٠٢]، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٢١).

(٢) رواه مسلم (١٦٧) ح [٨٧٨].

(٣) انظر: السبعة (١٠٤)، وقال: وقد رويًا جميعًا عن النبي ﷺ.

المالك في بعض الأمور<sup>(١)</sup>.

وقد كره قوم الإمامة<sup>(٢)</sup> استدلالاً بحديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أُنزِلَ الْقُرْآنُ بِالتَّفْخِيمِ: ﴿كَهَيْتَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٨]، «عُذْرًا» وَ«نُذْرًا»، وَ«الصَّدَقَيْنِ»، وَ«أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ» [الأعراف: ٥٤]، وَأَشْبَاهُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ)<sup>(٣)</sup>.

إلا أنه حديث ضعفه العلماء، وذكر السيوطي<sup>(٤)</sup> أوجهها في توجيه هذا الحديث.

وما رُوي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما همَز رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا الخلفاء، وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم<sup>(٥)</sup>. فهو حديث ضعيف لا يحتج به، وقد خالف ما تواتر عليه النقل، قال أبو شامة: «هذا حديث لا يحتج به، وموسى بن عبيدة الربذي<sup>(٦)</sup> ضعيف عند أئمة الحديث»<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: فتح القدير (١/٨٨)، وقد جمع طرفاً من ذلك د. أحمد الخراط في كتابه «الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة» ودرس (٨١) آية من الذكر الحكيم.

(٢) الإمامة هي: تقريب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه. انظر: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات (٣١).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه (٢/٢٣١)، وابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء (١/١٤)، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «لا والله، العوفي مجمع على ضعفه، وبكار ليس بعمدة، والحديث وإه منكر». انظر: لسان الميزان (٦/٢٩٨).

(٤) الإتيان (٢/٥٩٧).

(٥) رواه الحاكم في مستدركه (٢/٢٥١) وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي، قال عنه ابن حجر في التقريب (٤٨٤): «ضعيف».

(٦) هو: موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي، أبو عبد العزيز المدني، كان عالماً، وقد ضعف العلماء حديثه، توفي سنة ١٥٣ هـ. انظر: التقريب (٤٨٤).

(٧) إبراز المعاني (٧/٢)، وانظر: الإتيان في علوم القرآن (٢/٦٢٨).

## المطلب الثالث

### توجيه القراءات

ويراد به بيان وجوه القراءات في اللغة والتفسير، وبيان المختار منها<sup>(١)</sup>.

وقد اعتنى العلماء بهذا العلم، وألفوا فيه مؤلفات، ومن ذلك: الحجة لأبي علي الفارسي، الكشف عن أوجه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب، والموضح في تعليل وجوه القراءات، والمحتسب في توجيه الشواذ.. وغيرها.

وقد اعتنى به الأئمة، حيث أوردوا أصولاً متنوعة، وقواعد مختلفة، في توجيه القراءات، والاحتجاج لها - فضلاً عن تلك المؤلفات التي اختصت بهذا الجانب - وفي مقدمة تلك الأصول: الاستدلال بالأحاديث النبوية على توجيه القراءة، والاحتجاج لها؛ إذ هي وحي من الله تعالى، وصاحبها ﷺ أفصح العرب وأبلغهم، ومن ذلك:

قال أبو علي الفارسي<sup>(٢)</sup>: «قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (مسومين) بكسر الواو، وقرأ الباقون (مسومين) بفتح الواو... قال: ومسومين يكون مُعَلِّين، ويكون مرسلين... وذكر لبعض شيوخنا أن

(١) انظر: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات (٤٦).

(٢) هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفسوي أبو علي الفارسي، صاحب التصانيف، وله كتاب: «الحجة في علل القراءات» وكتاب «الإيضاح والتكملة»، توفي سنة ٣٧٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/٣٧٩).

الاختيار عنده الكسر؛ لما جاء في الخبر أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: (سَوِّمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ سَوِّمَتْ) <sup>(١)</sup> فنسب الفعل إلى الملائكة <sup>(٢)</sup>.

وقال مكِّي بن أبي طالب: ﴿وَأَخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] قرأه نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر عمن كان قبلنا... وقرأ باقي القراء بكسر الخاء على الأمر بأن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وبذلك أتت الروايات عن النبي ﷺ، ورُوي أن النبي ﷺ أخذ بيد عمر رضي الله عنه فلما أتيا المقام قال عمر: «هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال النبي ﷺ: (نَعَمْ)، فقال عمر: أفلا نتخذه مصلى؟!». الحديث <sup>(٣)</sup>.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، فالكتاب والسنة يتعاضدان في الدلالة والأحكام، ولا يمكن أن يختلفا أو يتعارضا، والاحتجاج بالأحاديث النبوية من أقوى الأصول، التي يحتج بها على صحة القراءة، أو ترجيحها.

ففائدة الاحتجاج والتوجيه أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه، أو مرجحاً له <sup>(٤)</sup>.



(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٤/٦).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٧٧/٣).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٦/١)، وابن أبي داود في المصاحف (٢٤١)

[٣٠١]، وأصله عند البخاري (٩٢٤) ح [٤٤٨٣] وفيه: (وافقت ربي في ثلاث..

الحديث). الكشف لمكي بن أبي طالب (٢٦٣/١).

(٤) انظر: الإتيان (٥٣٦/٢).

## المَبْحَثُ الثَّانِي

# تلاوة القرآن

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أحكام التلاوة.

المطلب الثاني: آداب التلاوة.

المطلب الثالث: السجدة.





## الْمَبْحَثُ الثَّانِي

### تلاوة القرآن

#### مدخل:

من نعمة الله تعالى على العبد أن يعلمه القرآن أو بعضه، ويسعى في أن يكون القرآن حجة له لا عليه؛ لأن الكتاب الكريم مشتمل على أوامر ونواهي، وقصص وعبر، وموعظة وتذكير، فإذا استحضر علو شأنه بكونه ظرفاً لكتاب الله تعالى، وصدوره مصحفاً له، انكفت نفسه عند التوفيق عن الرذائل، وأقبلت على العمل الصالح النافع، اللذين يكون بهما نجاته في الآخرة، وفلاحه في الدنيا.

وأكبر معين على ذلك تلاوة كتاب الله، ومداومة قراءته، وقد أمر تعالى نبيه ﷺ بقراءته وترتيله؛ قال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا مَا فَرَقْتَهُ لِقَرَاءٍ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال سبحانه: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، فكفى بالقرآن واعظاً، وكفى بالقرآن مذكراً<sup>(١)</sup>.

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)<sup>(٢)</sup>.

(١) مستفاد من مقدمة الإمام الزركشي لهذا العلم في كتابه البرهان (٢/ ٨١ - ٨٢).

(٢) رواه الترمذي (٧٧١) ح [٣٣٧٥]، وابن ماجه في سننه (٥٤١) ح [٣٧٩٣]، والإمام أحمد في مسنده (٢٤٠/٢٩) [١٧٦٩٨]، وصححه الحاكم في مستدركه (٢/ ٦٧٢). وقال محقق المسند: إسناده صحيح.

ومن أعظم الذكر وأفضله تلاوة كتاب الله تعالى .  
وقد حوت السُّنة النبوية أحاديث كثيرة جداً<sup>(١)</sup> في آداب التلاوة  
وأحكامها، والأصل أن الأدب إذا ورد في السُّنة النبوية فإنه يأخذ حكم  
أحد الأحكام الشرعية التكليفية، وعليه فسأوردها جميعاً ضمن المطلب  
الآتي .



(١) ولعل الأحاديث في هذا العلم من أكثر الأحاديث النبوية وروداً بعد التفسير، حيث بلغت (٢٥٠) حديثاً، وذلك حسب الجمع الذي قمت به .

## المطلب الأول

## آداب التلاوة، وأحكامها

للتلاوة آداب كثيرة، وردت عن النبي ﷺ، منها ما يكون قبل التلاوة، ومنها ما يكون أثناء التلاوة، ومنها ما يكون بعد التلاوة، ومن تلك الآداب:

## أولاً: الآداب التي تكون قبل التلاوة:

■ الطهارة لمس المصحف: حيث روي حديث مرسل عن النبي ﷺ عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم: أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم: (أَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ)<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مالك في الموطأ (٩٠/١) [٢٣٤]، والدارمي في مسنده (١٤٥٥/٣) [٢٣١٢]، والدارقطني في سننه (٢١٩/١) [٤٣٥]. قال ابن كثير: «وهذه وجادة جيدة، قد قرأها الزهري وغيره، ومثل هذا ينبغي الأخذ به، وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم، وعبد الله بن عمر، وعثمان بن أبي العاص، وغيرهم وفي إسناد كل منها نظر». (تفسير القرآن العظيم ٥٤٥/٧)، وقال محقق مسند الدارمي - حسين سليم أسد: إسناده ضعيف. والحديث إسناده ضعيف، إلا أن جماعة من العلماء صححوا الحديث من حيث الشهرة، قال ابن حجر: «وقد صحح الحديث بالكتاب المذكور جماعة من الأئمة، لا من حيث الإسناد، بل من حيث الشهرة... قال ابن عبد البر: هذا كتاب مشهور عند أهل السير، معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة يستغنى شهرتها عن الإسناد؛ لأنه أشبه المتواتر في مجيئه، لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة... تلخيص الحبير (١٨/٤)، وللاستزادة في تخريج الحديث مراجعة التلخيص الحبير (١/١٣١)، ورسالة: كتاب رسول الله ﷺ لعمر بن حزم، دراسة حمد العثمان.. وقد بحث هذه المسألة د. عمر السبيل رحمه الله في بحث محكم بعنوان: حكم الطهارة لمس القرآن الكريم، وتوصل إلى تحريم مس المصحف على المحدث حدثاً أصغر (٣٣).

بخلاف قراءته فإنه لا يشترط لها الطهارة، كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أنه بات ليلةً عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي خالته، فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شئ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه... الحديث<sup>(١)</sup>.

وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من الخلاء فيقرئنا القرآن، ويأكل معنا اللحم، ولم يكن يحجبه - أو قال: يحجزه - عن القرآن شيء ليس الجنابة<sup>(٢)</sup>.

■ استعمال السواك: وذلك عند قراءة القرآن، ففي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه أمر بالسواك وقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَامَ الْمَلِكُ خَلْفَهُ فَتَسَمَّعَ لِقِرَاءَتِهِ، فَيَدْنُو مِنْهُ - أو كلمة نحوها - حَتَّى يَضَعَ فَاؤَ عَلَى فِيهِ، فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْمَلِكِ، فَطَهَّرُوا أَقْوَاهُمْ لِلْقُرْآنِ)<sup>(٣)</sup>.

■ الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم: كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل في الصلاة من الليل، كبر ثلاثاً،

(١) رواه البخاري (١٨٣) ح [٤٤]، ومسلم (٣١٠) ح [١٧٨٩].

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤٣) ح [٢٢٩]، والنسائي (٣٥) ح [٢٦٦]، وابن ماجه (٨٤) ح [٥٩٤]، والإمام أحمد في مسنده (٧٠/٢) [٦٣٩]، وقال محققه: إسناده حسن. وانظر مزيداً من الأدلة: ت [١٣١]، حم [٦٢٧].

(٣) رواه البزار في مسنده (٢١٤/٢) [٦٠٣]، وقال: «هذا الحديث لا نعلمه يروى عن علي رضي الله عنه بإسناد أحسن من هذا الإسناد». وقال الهيثمي في المجمع (٩٩/٢): «رواه البزار ورجاله ثقات». وقال السيوطي في الإتقان (٦٧٠/٢): «إسناده جيد». وروي موقوفاً عن علي رضي الله عنه في سنن ابن ماجه (٤٤) ح [٢٩١].

وسبح ثلاثاً، وهلل ثلاثاً، ثم يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمَزِهِ وَنَفْخِهِ وَشِرْكِهِ)<sup>(١)</sup>.

وللاستعاذة صيغ متعددة، حتى قال بعض العلماء: ليس للاستعاذة حد يُنتهى إليه، مَنْ شاء زاد ومن شاء نقص<sup>(٢)</sup>.

قال السخاوي: «والذي عليه إجماع الأمة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، وأما غير هذا اللفظ فغير متفق عليه»<sup>(٣)</sup>. وذلك لورود الأمر بها في القرآن الكريم.

وقد ورد النص فيها كما في حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنَّهُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) الحديث<sup>(٤)</sup>.

■ البسملة قبل التلاوة: عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: (أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةٍ)، فَقَرَأْتُ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣]) الحديث<sup>(٥)</sup>.

وربما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم الآية أو الآيات بدون استعاذة ولا بسملة، ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم كأنني أنظر إليه حين يجلس بيده، ثم أقبل يشقههم حتى جاء النساء، معه بلال، فقال:

(١) رواه الترمذي في جامعه (٦٥٧) ح[٢٩٢٢]، والإمام أحمد في مسنده (٥١٢/٣٦)، وقال محققه: حسن لغيره. والحديث له شواهد عند أبي داود في سننه (١٢١) [٧٧٥] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عنه الألباني: سنده حسن تمام المنة في التعليق على فقه السنة (١٧٦).

(٢) انظر: النشر (٢٥١/١). (٣) جمال القراء (٢٧١/٢).

(٤) رواه البخاري (١٢٩٧) ح[٦١١٥]، ومسلم (١١٣٩) ح[٦٦٤٦].

(٥) رواه مسلم، سبق تخريجه ص(١٩٩).

(يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعَنَّكَ) الآية [المتحنة: ١٢]، ثم قال حين فرغ منها... الحديث<sup>(١)</sup>.

■ الشاء على الله تعالى قبل إيراد الآية أو الآيات: عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: (إِنِّي ذَاكِرٌ لِكَ أَمْرًا فَلَا عَلَيكَ إِلَّا تَعَجَّلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوِيكَ) قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: (إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتَن تَرْضَكِن الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ إلى: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]. الحديث<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث أنس ؓ في حادثة الإسراء، وفيه: قال ﷺ: (ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ؑ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ؛ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] الحديث<sup>(٣)</sup>.

وهذا فيه حسن أدب مع الله تعالى، وتهيؤ لتلاوة الآية أو الآيات، وتمييز لكلامه ﷺ عن غيره<sup>(٤)</sup>.

### ثانيًا: الآداب المتعلقة بأثناء التلاوة:

■ اختيار المكان المناسب: اختيار ومن ذلك القراءة والإقراء في بيوت الله تعالى، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال ﷺ وفيه: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ

(١) رواه البخاري (١٩٣) ح [٩٧٩].

(٢) رواه البخاري (١٠١٨) ح [٤٧٨٥]، ومسلم (٦٣٢) ح [٣٦٨١].

(٣) رواه مسلم (٨٢) ح [٢٥٩].

(٤) انظر مزيدًا من الأدلة عند: خ [٢٤٦٨]، [٤٤٨٧]، م [٢٣٥٣]، حم [٢٦٤٧٠].

عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) الحديث<sup>(١)</sup>.

وورد عنه ﷺ: أنه كان يقرأ القرآن وهو مضطجع، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقرأ القرآن ورأسه في حجرِي وأنا حائض<sup>(٢)</sup>.

فجميع الأماكن والأحوال والأوقات صالحة للقراءة فيها، عدا الأماكن المستقدرة، التي ينزه عنها تلاوة كتاب الله تعالى فيها، ففي الحديث قال ﷺ: (وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ) الحديث<sup>(٣)</sup>.

أي: تقرأه في كل حال، قائمًا وقاعدًا، ماشيًا وراكبًا، مضطجعًا ومستلقيًا، مقيمًا ومسافرًا...<sup>(٤)</sup>.

ونهى عن القراءة في الركوع والسجود، وذلك في الصلاة، ففي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال: (أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقِمْنَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ)<sup>(٥)</sup>.

ويلحق باختيار المكان المناسب: اختيار الزمن المناسب، حيث ورد الحث الضمني على تلاوة كتاب الله تعالى في الليل خاصة؛ حيث تسكن النفس، ويتفرغ القلب من علائق الدنيا، ليتصل بعالم العلو والرفعة

(١) رواه مسلم، سبق تخريجه ص(٢٠٧)، وانظر مزيدًا من الأدلة: خ[٢٠٨٤]، م[٦٦١].

(٢) رواه البخاري (١٥٨٦) ح[٧٥٤٩].

(٣) رواه مسلم، سبق تخريجه ص(٢٧٤)، وانظر: خ[٣٩٠٦]، م[٨٢٦].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤٦٢/٢١)، مناهل العرفان (١/٢٤٣).

(٥) رواه مسلم (١٩٩) ح[١٠٧٤].

بالخالق ﷺ، ومن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَقَامَ بِهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ... الحديث<sup>(١)</sup>).

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إِيكُمْ خَافَ إِلَّا بِقَوْمٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ ثُمَّ لِيَرْقُدْ، وَمَنْ وَثَقَ بِقِيَامِ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ مِنْ آخِرِهِ، فَإِنَّ قِرَاءَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَحْضُورَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ)<sup>(٢)</sup>.

■ الترتيل: وكنهه: تبين القراءة، وإتباع بعضها بعضاً على تأنٍ وتؤدة، مع تجويد اللفظ وحسن تأديته وتقويمه<sup>(٣)</sup>.

وقد كانت قراءة النبي ﷺ مرتلة، فعن البراء رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قرأ في العشاء باليتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه<sup>(٤)</sup>.

وأثنى ﷺ على الذين يحسنون أصواتهم، ويرتلون قراءتهم، وبين منزلتهم في الآخرة، فعن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس فسكت فسكت، فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: (اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ) قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان

(١) رواه البخاري (١٠٩٣) ح [٥٠٢٥].

(٢) رواه مسلم (٣٠٦) ح [١٧٦٧]. وانظر مزيداً من الأدلة: ن [١٦١٦]، [١٧٨٤]، جه [٣٧٨١]، حم [٦٦٢٦].

(٣) الموضح في وجوه القراءات وعللها (١/١٥٥).

(٤) رواه البخاري (١٥٣) ح [٧٦٩]، ومسلم (١٩٣) ح [١٠٣٩]، وانظر مزيداً من الأدلة عند: خ [٤٢٨١]، [٥٠٤٥]، م [١٧١٢]، ن [١٠٢٤]، حم [٢٦٤٧٠].



منها قريباً فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها، قال ﷺ: (وَتَدْرِي مَا ذَاكَ) قال: لا، قال: (تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَّتْ لِصَوْتِكَ) الحديث<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنَزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ)<sup>(٢)</sup>.

بل أمر النبي ﷺ بتحسين القراءة عند تلاوة القرآن، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (رَبِّتُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ)<sup>(٣)</sup>.

ويلحق بالترتيل الجهر والإخفات بالتلاوة، وقد ورد عن النبي ﷺ كلا الأمرين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لِسَيِّءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)<sup>(٤)</sup>.

وعن غضيف بن الحارث قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: أرايت

(١) رواه البخاري (١٠٩٢) ح [٥٠١٨]، وانظر مزيداً من الأدلة عند: خ [٤٢٣٢]، خ [٥٠٤٨]، جه [١٣٣٨]، [١٣٣٩]، [١٣٤٠].

(٢) سبق تخريجه ص (٢٨١) وهو حديث صحيح، وانظر: خ [٤٩٣٧].

(٣) رواه أبو داود في سننه (٢١٨) ح [١٤٦٨]، والنسائي (١٤١) ح [١٠١٦]، وابن ماجه (١٩٠) ح [١٣٤٢]، والإمام أحمد في مسنده (٤٥١/٣٠) [١٨٤٩٤]، والدارمي في مسنده (٢١٩٤/٤). وقال محقق المسند: إسناده صحيح. وانظر مزيداً من الأدلة: خ [٧٥٢٧]، مي [٣٣٩١]، [٣٥٤٤]، فضائل أبي عبيد (٨٠)، وبحث العلماء هنا مسألة: هل الأفضل القراءة في المصحف أو بدونه، وفيه حديث عند أبي عبيد في الفضائل (٤٦)، وحديث عند الطبراني (٢٢١/١) [٦٠١]، وحديث في لمحات الأنوار (٣١٥/١) إلا أن العلماء تكلموا فيها وحكموا عليها بالضعف. انظر هذه المسألة عند: النووي في التبيان (٥٧)، وقال: والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على التفصيل. وابن كثير في فضائل القرآن (٦٨/١)، وابن حجر في الفتح (٧٨/٩)، والسيوطي في الإتقان (٦٩٢/٢).

(٤) رواه البخاري (١٠٩٣) ح [٥٠٢٣]، ومسلم (٣٢٠) ح [١٨٤٧]، وانظر مزيداً من الأدلة: خ [٧٥٤٧]، شرح معاني الآثار (٣٤٤/١).

رسول الله ﷺ، وفيه: كان يجهر بالقرآن أم يخفت به؟ قالت: ربما جهر به، وربما خفت، قلت: الله أكبر الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة. الحديث<sup>(١)</sup>.

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ)<sup>(٢)</sup>.

وقد جمع العلماء بين الجهر بالقراءة والإخفات، بأن الإخفات أفضل حيث خاف الرياء، أو تأذى به مصلون أو نيام بجهره، والجهر أفضل في غير ذلك؛ لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همّه إلى الفكر، والتدبر والتأمل في آيات الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

قال السيوطي: «ويدل لهذا الجمع حديث أبي داود بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: (أَلَا إِنَّ كَلِّكُمْ مُنَاجَ رَبِّهِ، فَلَا يُؤْذِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ) أو قال: (فِي الصَّلَاةِ)»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أبو داود في سننه ص(٤٢) ح[٢٢٦]، وابن ماجه (١٩٢) ح[١٣٥٤]، والإمام أحمد في مسنده (٤٠/٢٤٠)، وقال محققه: إسناده صحيح، وانظر مزيداً من الأدلة: ط [٢٢٥]، مصنف ابن أبي شيبة [٣٠١٧٥].

(٢) رواه أبو داود في سننه (١٩٩) ح[١٣٣٣]، والترمذي (٦٥٦) ح[٢٩١٩]، والنسائي (٣٥٤) ح[٢٥٦٢]، والإمام أحمد في مسنده (٥٩٨/٢٨) [١٧٣٦٨]، وصححه ابن حبان في صحيحه (٨/٣)، والحاكم في مستدرکه (٧١٤/١). وقال محقق المسند: إسناده صحيح.

(٣) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (١٠٥).

(٤) الإتيقان (٢/٦٩١). والحديث رواه أبو داود في سننه (١٩٩) ح[١٣٣٢]، والإمام أحمد في مسنده (٣٩٣/١٨) [١١٨٩٦]، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه السيوطي.

■ الاستماع للتلاوة والإنصات لها: وذلك إذا كانت تقرأ عليه،  
عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]  
قال: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، كان يحرك شفثيه. وفيه:  
فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه  
النبي ﷺ كما أقرأه. الحديث<sup>(١)</sup>.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (أقرأ عليّ  
الْقُرْآنَ) قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: (نَعَمْ)  
فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ  
أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: (حَسْبُكَ الْآنَ)  
فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان<sup>(٢)</sup>.

ويستدل بهذا الحديث على جواز الوقوف على الآية، وإن كان لها  
صلة بالآيات التي بعدها، والله أعلم.

■ التدبر: وذلك بالتأمل في الآيات التي يقرؤها، والتفكر فيها، فقد  
أمر النبي ﷺ من استعجم عليه القرآن أن يضطجع؛ لأن قراءته في مثل هذه  
الحال لا يمكن أن يكون فيها تدبر وتأمل في الآيات المتلوّة، والقرآن إنما  
نزل ليتدبر، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو  
الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ  
مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ لِسَانِهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَلْيَضْطَجِعْ)<sup>(٣)</sup>.

فبغلبة النوم عليه لا يدري ما يقول وما يقرأ، فأمر بالاضطجاع؛  
لأن لب التلاوة وروحها التدبر والتفكر في الآيات الكريمة<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣) ح [٥]، ومسلم (١٨٨) ح [١٠٠٤].

(٢) رواه البخاري (٩٤٩) ح [٤٥٨٢]، ومسلم (٣٢٣) ح [١٨٦٧].

(٣) رواه مسلم (٣١٩) ح [١٨٣٦].

(٤) انظر: طرح الشرب في شرح التقريب (٨١/٣).

وذم النبي ﷺ طائفة من الناس يقرؤون القرآن ولكنه لا يجاوز حناجرهم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ) الحديث<sup>(١)</sup>.

ففيه دلالة على أن قراءتهم لم تصل إلى قلوبهم، لفقدان التدبر في الآيات والتأمل فيها، ومن بعده العمل والتطبيق، وعليه لن ينتفعوا بتلاوتهم، وليس لهم حظ سوى قراءة الفم والحنجرة والحلق<sup>(٢)</sup>.

ولذا كره جماعة من العلماء الختم في أقل من ثلاث<sup>(٣)</sup>؛ لأنه مظنة الإسراع وعدم التدبر والتفكير في الآيات المقروءة، فعن ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ)<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (صُمِّ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) قال: أطبق أكثر من ذلك، فما زال حتى قال: (صُمِّ يَوْمًا وَأَقْطِرْ يَوْمًا) فقال: (اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ) قال: إني أطبق أكثر، فما زال حتى قال: (فِي ثَلَاثٍ)<sup>(٥)</sup>.

بل ورد التوجيه النبوي لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه بقراءة القرآن في شهر، ثم تنزل معه إلى عشرين ليلة، ثم في سبع ليالٍ وأمره

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٨٢) ح [٣٣٤٤]، وانظر مزيدًا من الأدلة عند: ذ [٣١٠٨]، حم [١٦٠٤٠].

(٢) انظر: إكمال المعلم (٦٠٩/٣).

(٣) انظر: فضائل القرآن لابن كثير (٨٣/١) ضمن كتاب التفسير.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢٠٩) ح [١٣٩٤]، والترمذي في جامعه (٦٦٣) ح [٢٩٤٩]، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (١٩١) ح [١٣٤٧]، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٧/٣).

(٥) رواه البخاري (٣١٩) ح [١٩٧٨].

ألا يزيد عليها، كما في الحديث: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ) قال: قلت: إني أجد قوة، قال: (فَاقْرَأْهُ فِي عِشْرِينَ لَيْلَةً) قال: قلت: إني أجد قوة، قال: (فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ)<sup>(١)</sup>.

وذلك أنه أقرب للتأني في التلاوة، وأجدر بالتدبر في الآيات، والتأمل فيها.

قال الغزالي: «والتفصيل في مقدار القراءة، أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل، فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع.

وإن كان من السالكين بأعمال القلب، وضروب الفكر، أو من المشتغلين بنشر العلم، فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة. وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن، فقد يكتفي في الشهر بمرة؛ لكثرة حاجته إلى كثرة التريد والتأمل..»<sup>(٢)</sup>.

وورد الحث على المحافظة على الحزب اليومي، وقضائه إذا عرض دونه عارض، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ)<sup>(٣)</sup>.

■ الخشوع والبكاء: إذ هو ثمرة التدبر في الآيات المتلوة، والتفكير فيها.

(١) رواه البخاري (١٠٩٨) ح[٥٠٥٤]، مسلم (٤٧٣) ح[٢٧٣٠]، وعند الإمام أحمد في مسنده [٦٥٤٦] أن النبي ﷺ أمره أن يقرأ في كل شهر، ثم في خمس وعشرين، ثم في عشرين، ثم في خمس عشرة، ثم في عشر، ثم في سبع.

(٢) إحياء علوم الدين (١/٢٧٦)، وانظر: التبيان في آداب حملة القرآن (٦١).

(٣) رواه مسلم (٣٠٣) ح[١٧٤٥]، وانظر مزيداً من الأدلة: د[١٣٩٢].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (اقْرَأْ عَلَيَّ)، قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (نَعَمْ) فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: (حَسْبُكَ الْآنَ) فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرطان<sup>(١)</sup>.

وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء<sup>(٢)</sup>.

■ التريديد: وذلك بتريديد الآية الواحدة عدة مرات، حيث يعين على التدبر في الآية أو الآيات والتأمل فيها، وقد يتطلبه الحال عند الالتجاء والدعاء والتضرع.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية حتى أصبح يرددها، والآية: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمَرْزِقُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]<sup>(٣)</sup>.

■ سؤال الله تعالى عند آيات الوعد، والاستعاذة به في آيات

(١) سبق تخريجه ص (٥٧١).

(٢) رواه أبو داود في سننه (١٣٨) ح [٩٠٤]، والإمام أحمد في مسنده (٢٣٨/٢٦) [١٦٣١٢]، وصححه ابن خزيمة (٥٣/٢)، والحاكم في مستدركه (٣٩٦/١). وقال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم. وانظر مزيداً من الأدلة: خ [٦٨٢] وفيه إقرار من النبي صلى الله عليه وسلم. أما الأمر بالبكاء، والتبكي عند قراءة القرآن فروي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عند ابن ماجه ح [١٣٣٧]، والبيهقي في الشعب (٢١٢/٤) [١٨٩١] وهو ضعيف، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (١٠١).

(٣) رواه النسائي (١٤٠) ح [١٠١١]، وابن ماجه (١٩١) ح [١٣٥٠]، والإمام أحمد في مسنده (٣١٠/٣٥) [٢١٣٨٨]. قال البوصيري: «إسناده صحيح رجاله ثقات». (مصباح الزجاجة ١/٤٧٧)، وقال محقق المسند: إسناده حسن. وانظر مزيداً من الأدلة عند: خ [٤٢٨١]، ت [٤٤٨]، حم [١١٥٩٣].

الوعيد، وتسبيح الله تعالى والثناء عليه، ويكون بالتفكير في المعاني، والتدبر في الآيات:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المئة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ. الحديث<sup>(١)</sup>.

■ الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم، والتفل على اليسار: عندما يحول الشيطان بين القارئ وقراءته لكتاب الله تعالى.

عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذَلِكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ: خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَانْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا) الحديث<sup>(٢)</sup>.

■ الحذر من المراعاة في القراءة: فقد ورد الوعيد الشديد على المرأين في قراءة القرآن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ...)، وفيه: (وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ

(١) رواه مسلم ص(٣١٥) ح[١٨١٤]، وانظر مزيداً من الأدلة: م[٣٤٦]، د[٤٧٢٨]، ت[٣٢٩١]، ج[١٣٥٢]، حم[١٤٢١]، [٢٧٦٠٧]، فضائل أبي عبيد (٧١)، فضائل القرآن للمستغفري (١/١٧٣).

(٢) رواه مسلم (٩٧٦) ح[٥٧٣٨].

عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَلْقِيَ فِي النَّارِ الْحَدِيثَ<sup>(١)</sup>.

■ تصحيح المستمع للقارئ إذا أخطأ في القراءة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم: (فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٥]<sup>(٢)</sup>.

ثالثًا: الآداب التي تكون بعد التلاوة:

■ أخذ الأجرة على تعليم القرآن: حيث وردت أحاديث تجيز أخذ الأجرة، ومن ذلك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن نفرًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مروا بماء فيهم لديغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء، فقال: هل فيكم من راقٍ إن في الماء رجلًا لديدغًا أو سليمًا وفيه: قالوا: يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجرًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابَ اللَّهِ)<sup>(٣)</sup>.

وأحاديث تمنع من أخذ الأجرة:

عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (افْرُؤُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَغْلُوا فِيهِ وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ وَلَا تَسْتَكْبِرُوا بِهِ)<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (٨٥٢) ح [٤٩٢٣]، وانظر مزيدًا من الأدلة: جه [٢٥٦]، حم [٧٨٤٨]، [١٨٩٧١]، الجامع لابن وهب [٣٠].

(٢) رواه البخاري، سبق تخريجه ص (٣٠٣)، وانظر مزيدًا من الأدلة: د [٩٠٧]، ن [٩٤٨]، المستدرک (٤٧٧/٢).

(٣) رواه البخاري (١٢٣٢) ح [٥٧٣٧]، وانظر مزيدًا من الأدلة: خ [٥٧٣٦]، خ [٥١٤٩].

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٨٨/٢٤) [١٥٥٢٩]، وقال محققه: حديث صحيح، وهذا إسناد قوي. وقال الهيثمي في المجمع (٢٩٥/٤): «رجاله ثقات». وانظر مزيدًا من الأدلة: د [٣٤١٧]، جه [٢١٥٧]، ت [٢٩١٧]، حم [١٩٩١٧]، فضائل القرآن للمستغفري (١/١٤٠)، الجامع لابن وهب (٣٨/٣)، كتر العمال (١/٦٢١).



وقد جمع العلماء بين الأحاديث على أنه يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن عند الحاجة، وعدم جواز الأخذ عند عدمها، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(١)</sup>.

رابعاً: آداب عامة:

■ الحث على كثرة تلاوة القرآن: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَأَلْتُرْجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا) الحديث<sup>(٢)</sup>.

■ القرآن متساوٍ في الأجزاء: فكتاب الله تعالى في منزلة متساوية، وعلى القول بتفاضل الآيات، إلا أنه كله فاضل، وجميعه كلام الله تعالى، أنزله على نبينا محمد ﷺ لتتعبد بتلاوته، وتبوع أوامره، وننجزر عن نواهيهِ؛ ولذا أمر النبي ﷺ المسيء في صلاته عندما أرشده إلى كيفية الصلاة الصحيحة، أمره بقراءة ما تيسر معه من القرآن، كما في الحديث: فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا علمني، قال: (إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ). الحديث<sup>(٣)</sup>.

ففيه دلالة على أن كتاب الله تعالى في منزلة واحدة، ومرتبة متساوية، وأن أجزائه وأحزابه لا تفاضل بينها، بل الكل متمائل في الأجزاء.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩٣/٣٠)، (٢٠٥).

\* رويت أحاديث في ختم القرآن وأنه مظنة لإجابة الدعاء، إلا أنها لا تصح مرفوعة إلى النبي ﷺ وما روي فهو ضعيف أو موضوع، وهذا ما توصل إليه الشيخ: بكر أبو زيد في جزئه: مرويات دعاء ختم القرآن (٤٣).

(٢) متفق عليه، سبق تخريجه ص (٥٢٧)، وانظر مزيداً من الأدلة: ت [١٠٥٧]، [٢٩١٠]، حم [٦٦١٤]، [٨٤٩٤]، [١٥٥٢٩].

(٣) رواه البخاري (١٥٨) ح [٧٩٣]، ومسلم (١٦٨) ح [٨٨٥].

■ النهي عن الخلط بين السور في التلاوة: فعن سعيد بن المسيب قال: مر رسول الله ﷺ على بلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، فقال: (مَرَرْتُ بِكَ يَا بِلَالُ وَأَنْتَ تَقْرَأُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ وَمِنْ هَذِهِ السُّورَةِ؟) فقال: بأبي أنت يا رسول الله، إني أردت أن أخلط الطيب بالطيب، قال: (اقْرَأِ السُّورَةَ عَلَيَّ نَحْوَهَا)<sup>(١)</sup>.

قال أبو عبيد: «الأمر عندنا على الكراهة لقراءة هذه الآيات المختلفة، كما أنكر النبي ﷺ على بلال ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

أما ما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ مرَّ على أبي بكر ﷺ وهو يصلي يخفض صوته، وعلى عمر ﷺ وهو يصلي يرفع صوته، فقال ﷺ لأبي بكر: (ارْفَعْ مَنْ صَوْتِكَ شَيْئًا)، وقال لعمر: (اخْفِضْ شَيْئًا)، وفيه: (وَقَدْ سَمِعْتُكَ يَا بِلَالُ وَأَنْتَ تَقْرَأُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ وَمِنْ هَذِهِ السُّورَةِ)، قال: كلام طيب يجمع الله تعالى بعضه إلى بعض، فقال النبي ﷺ: (كُلُّكُمْ قَدْ أَصَابَ)<sup>(٣)</sup>.

فيحمل على قراءة آيات من سورة، ثم الانتقال إلى آيات من سورة أخرى ولا تُقرأ السورة كاملة، كما كان يفعله النبي ﷺ في ركعتي الفجر، عن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٤٩٥/٢) [٤٢٠٩]، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٨/٦) [٨٩١٠]، وقال محققه - محمد عوامة -: حديث مرسل، بإسناد حسن، ومراسيل سعيد بن المسيب من أصح المراسيل عند ابن معين انظر: معرفة علوم الحديث (٢٦)، والإمام أحمد لا يرى أصح منها. انظر: تهذيب الكمال (٧٣/١١).

(٢) فضائل القرآن (٩٦)، وانظر: شعب الإيمان للبيهقي (٣٩٤/٤ - ٣٩٦)، والبرهان في علوم القرآن (٩٩/٢ - ١٠٠) حيث نقل عن القاضي أبي بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة.

(٣) رواه أبو داود في سننه (١٩٨) ح [١٣٣٠]، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٤/١).

الفجر: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، والتي في آل عمران: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾ [آل عمران: ٦٤]<sup>(١)</sup>.

وذلك جمعًا بين الأدلة، وعليه يحمل قول ابن مسعود رضي الله عنه: لا بأس أن يأخذ من هذه السورة ومن هذه السورة<sup>(٢)</sup>، والله أعلم.

■ تلاوة القرآن على غير المسلمين بقصد الدعوة إلى الله تعالى: إذ من أعظم الوسائل الدعوية، الدعوة بكتاب الله تعالى، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارًا عليه إكاف تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد... وفيه: حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبد الله بن أبي ابن سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن. الحديث<sup>(٣)</sup>.



(١) رواه مسلم (٢٩٥) ح [١٦٩١].

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٣٩٦/٤) [٢١٠٧].

(٣) رواه البخاري (٩٤٣) ح [٤٥٦٦]، ومسلم (٨٠١) ح [٤٦٥٩].

## المطلب الثاني

## سجدة القرآن

وهي خمس عشرة سجدة في كتاب الله تعالى<sup>(١)</sup>، حيث روي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن، منها ثلاث في المفصل، وفي سورة الحج سجدة»<sup>(٢)</sup>.

وهي في السور الآتية: الأعراف، والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، والحج سجدة، والفرقان، والنمل، والسجدة، وصر، وفصلت، والنجم، والانشقاق، والعلق.

ورود عن النبي ﷺ: أن سجدة سورة (صر) هي للشكر، كما في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه: «أنَّ النبي ﷺ سَجَدَ فِي (ص)، وقال: (سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً، وَنَسَجَدَهَا شُكْرًا)»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: التبيان للنووي (١٣٥ - ١٤٣)، الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم (٦١٢ - ٦٣٢).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٢١٠) ح [١٤٠١]، وابن ماجه (١٤٨) ح [١٠٥٧]، وصححه الحاكم في مستدركه (٣٤٥/١)، وقال: «وليس في عدد سجود القرآن أتم منه ولم يخرجاه». وحسنه المنذري والنووي، وضعفه عبد الحق وابن القطان، وفيه عبد الله بن مُتَيْن وهو مجهول، والراوي عنه الحارث بن سعيد المُتَقِي، وهو لا يعرف أيضًا. انظر: تلخيص الحبير (٩/٢).

(٣) رواه النسائي (١٣٤) ح [٩٥٨]، وفي الكبرى (٢٣٤/١٠) [١١٣٧٤]، والدارقطني في سننه (٢٦٨/٢) [١٥١٥]، قال ابن حجر: «أخرجه النسائي ورواته ثقات». الدراية في تخريج أحاديث الهداية (٢١١/١).

\* أما ما روي أن رسول الله ﷺ لم يسجد في شيء من المفصل منذ تحول إلى =

فلم يَعُدَّهَا بعض العلماء من سجود التلاوة، إلا أنه لا يلزم من كونها سجود شكر ألا تكون سجدة تلاوة؛ لأنها تتعلق بالقراءة أو الاستماع، وتقع السجدة عند ثبوتها، وهذا هو معنى سجود التلاوة أيًا كان السبب فيها، وكم من آية في القرآن ذكر فيها توبة الله على نبي من الأنبياء ولم يسجد رسول الله ﷺ ولا أحد من الصحابة<sup>(١)</sup>، وكان النبي ﷺ يسجد فيها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يسجد في (ص)<sup>(٢)</sup>.

وأجمع العلماء على الأمر بسجود التلاوة، امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢]، وقول الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٥) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿ [الانشقاق: ٢٠، ٢١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ - وفي رواية أبي كريب: يَا وَيْلِي - أَمَرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي النَّارُ)<sup>(٣)</sup>.

وقد أمر المسلم بمخالفة الشيطان، واتخاذة عدوًا، ففيه أمر بالسجود وحث عليه.

إلا أنه أمرٌ بالاستحباب، لا على الوجوب<sup>(٤)</sup>، فعن زيد بن

= المدينة. فقد رواه أبو داود (٢١٠) [١٤٠٣] وهو ضعيف. قال ابن القيم: «حديث ضعيف، في إسناده أبو قدامة الحارث بن عبيد لا يحتج بحديثه، قال الإمام أحمد: أبو قدامة مضطرب الحديث، وقال يحيى بن معين: ضعيف وقال النسائي: صدوق عنده مناكير. ٤. زاد المعاد (١/٣٥٢).

(١) انظر: إعلاء السنن (٧/٢٣١).

(٢) رواه الدارقطني (٢/٢٦٧) [١٥١٣]، قال ابن حجر: «رواته ثقات». الدراية في تخريج أحاديث الهداية (١/٢١١).

(٣) رواه مسلم (٥١) ح [١٣٣].

(٤) انظر: التبيان للنووي (١٣٥)، الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم (٥٩٤) وما بعدها.

ثَابِتٌ رضي الله عنه قال: قرأتُ على النبي ﷺ (وَالنَّجْمِ) فلم يَسْجُدْ فيها<sup>(١)</sup>.  
فالنبي ﷺ لم يسجد ولم يأمر زيدًا بالسجود، فلو كان واجبًا لسجد  
النبي ﷺ، وأمر زيدًا بالسجود.

وهو مستحب للقارئ والمستمع، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قرأ  
النبي ﷺ النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه، غير شيخ أخذ كفاً من  
حصى أو ترابٍ فرفعه إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا، فرأيته بعد ذلك  
قتل كافرًا<sup>(٢)</sup>.

ومحل سجود التلاوة عند قراءة الآية التي فيها سجدة، سواء في  
الصلاة، كما في حديث أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة رضي الله عنه العتمة،  
فقرأ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق] فسجد، فقلت: ما هذه؟ قال: سجدت  
بها خلف أبي القاسم رضي الله عنه فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه<sup>(٣)</sup>.

أو خارج الصلاة، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ  
يقرأ علينا السورة فيها السجدة، فيسجد ونسجد، حتى ما يجد أحدنا  
موضع جبهته<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (٢١٢) ح[١٠٧٢]، ومسلم (٢٣٤) ح[١٢٩٨]، وعند البيهقي في السنن  
الكبرى (٣٢٤/٢) [٣٥٩١] من حديث عطاء بن يسار قال: بلغني أن رجلاً قرأ بآية من  
القرآن فيها سجدة عند النبي ﷺ فسجد الرجل وسجد النبي ﷺ معه، ثم قرأ آخر آية  
فيها سجدة وهو عند النبي ﷺ فانتظر الرجل أن يسجد النبي ﷺ فلم يسجد، فقال  
الرجل: يا رسول الله قرأت السجدة فلم تسجد فقال رسول الله ﷺ: (كُنْتُ إِمَامًا فَلَوْ  
سَجَدْتُ سَجَدْتُ مَعَكَ) قال البيهقي: والمحمفوظ من حديث عطاء بن يسار مرسل.  
وانظر مزيدًا من الأدلة: ت[٥٧٦]، مصنف عبد الرزاق [٥٩١٤]، فضائل القرآن  
للمستغفري (٨٥٥/٢).

(٢) رواه البخاري (٢١٢) ح[١٠٦٧]، ومسلم (٢٣٤) ح[١٢٩٧]، انظر مزيدًا من الأدلة:  
م[١٢٩٥].

(٣) رواه البخاري (١٥٢) ح[٧٦٦]، ومسلم (٢٣٤) ح[١٣٠٤]، وانظر مزيدًا من الأدلة:  
خ[١٠٦٨] ن[٩٦٩].

(٤) رواه البخاري (٢١٢) ح[١٠٧٥]، ومسلم (٢٣٣) ح[١٢٩٥].

وقد قرأ النبي ﷺ سورة (ص) على المنبر فنزل وسجد، وسجد الناس معه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه قال: قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر (ص) فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه، فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود، فقال النبي ﷺ: (إِنَّمَا هِيَ تَوْبَةٌ نَبِيِّ وَلَكِنِّي رَأَيْتُكُمْ تَشْرِزْتُمْ لِلسُّجُودِ) فنزل فسجد وسجدوا<sup>(١)</sup>.

وإذا سجد دعا بما ورد، ومن ذلك ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسَلْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في سجود القرآن بالليل، يقول في السجدة مراراً: (سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ)<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك

(١) رواه أبو داود في سننه (٢١١) ح [١٤٠٩]، والدارمي في مسنده (٩١٩/٢) [١٥٠٧]، وقال محققه: إسناده ضعيف من أجل عبد الله بن صالح، ولكنه توبع عليه فصح. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٩/١).

(٢) رواه مسلم (٣١٤) ح [١٨١٢].

(٣) رواه الترمذي في جامعه (١٥١) ح [٥٨٠]، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (١٥٦) [١١٣٠]، والإمام أحمد في مسنده (٢٣/٤٠) [٢٤٠٢٢]، وصححه الحاكم في مستدركه (٣٤٢/١)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، وقال محقق المسند: حديث صحيح.

أجرًا، وضع عني بها وزرًا، واجعلها لي عندك ذخيرًا، وتقبلها مني كما  
تقبلتها من عبدك داود.

قال الحسن: قال لي ابن جريج: قال لي جدك: قال ابن عباس:  
فقرأ النبي ﷺ سجدة ثم سجد فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل  
عن قول الشجرة<sup>(١)</sup>.



(١) رواه الترمذي في جامعه (١٥١) [٥٧٩]، وصححه ابن خزيمة في صحيحه (٢٨٢/١)،  
والحاكم في مستدركه (٣٤١/١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٢٠/١).



## الْمَبْحَثُ الثَّلَاثُ

### تجويد القرآن

أنزل الله تعالى كتابه الكريم على هذه الأمة المحمدية، وتعبدتهم سبحانه بفهم معانيه، وفعل أوامره، واجتناب نواهيه، والاتعاظ بمواعظه، كما تعبدتهم سبحانه بترتيله وتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه، وحسن تلاوته، وضبط أدائه، وهو ما وسم بعدُ بـ(تجويد القرآن)، فهو حلية القراءة، وزينة التلاوة، والمعين على التفكير والتدبر<sup>(١)</sup>.

قال تعالى مؤدبًا لنبيه ﷺ وحائثًا لأمته على الاقتداء به: ﴿وَرَتَّلْ أَلْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤٤]؛ أي: تلبث في قراءته، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده، ولا تستعجل فتدخل بعض الحروف في بعض، والمقصد أن يجد الفكر فسحة للنظر وفهم المعاني، وبذلك يرق القلب، ويفيض عليه النور والرحمة والهداية<sup>(٢)</sup>.

وحقيقة علم التجويد: إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، وتلطيف النطق به، على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف<sup>(٣)</sup>.

وتلاوة النبي ﷺ كانت مجودة مرتلة، طاعة لله تعالى، واستجابة

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (١/١٦٧).

(٢) انظر: التحديد في الإتيان والتجويد (٦٨)، المحرر الوجيز (٨/٤٤١).

(٣) انظر: التحديد في الإتيان والتجويد (٦٨).

لأمره سبحانه، فهو إمام القراء، وقدوة المتعلمين، وأسوة المعلمين، وقد نقل الصحابة رضي الله عنهم صفة قراءة النبي ﷺ المجودة، فعن قتادة قال: سئل أنس رضي الله عنه كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كانت مدًا، ثم قرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بـ«بسم الله»، ويمد بـ«الرحمن»، ويمد بـ«الرحيم»<sup>(١)</sup>.

قال أبو عمرو الداني<sup>(٢)</sup>: «وهذا الحديث... أصل في تحقيق القراءة، وتجويد الألفاظ، وإخراج الحروف من مواضعها، والنطق بها على مراتبها، وإيفائها صفتها، وكل حي هو لها، من تلخيص وتبيين، ومد وتمكين، وإطباق وتفشٍ، وصفير وغنة، وتكرير واستطالة، وغير ذلك، على مقدار الصفة وطبع الخلقة، من غير زيادة ولا نقصان...»<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع، وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت<sup>(٤)</sup>.

وحقيقة الترجيع: تقارب ضروب الحركات في الصوت، وورد في لفظ: (قراءة لينة)<sup>(٥)</sup>، وفي لفظ آخر: (آ آ آ ثلاث مرات)<sup>(٦)</sup> فهو محمول

(١) رواه البخاري (١٠٩٧) ح [٥٠٤٥].

(٢) هو: عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي مولاهم القرطبي الإمام العلم المعروف في زمانه بابن الصيرفي، صاحب المصنفات البديعة منها: «جامع البيان في القراءات السبع»، و«كتاب التيسير»، و«المقنع في رسم المصحف» وغيرها، توفي سنة ٤٤٤ هـ. انظر: معرفة القراء (٤٠٦/١)، سير أعلام النبلاء (٧٧/١٨).

(٣) انظر: التحديد في علم التجويد (٧٨ - ٧٩).

(٤) رواه البخاري (٨٨٠) ح [٤٢٨١]، ومسلم (٣٢١) ح [١٨٥٣]، وانظر مزيدًا من الأدلة: ن [١٠٢٣]، حم [٢٦٤٧٠].

(٥) رواها البخاري (١٠٩٧) ح [٥٠٤٧].

(٦) رواه البخاري (١٥٨٤) ح [٧٥٤٠].

على إشباع المد، وإعطاء الحروف حقها ومستحقها<sup>(١)</sup>.  
وقيل: هو الترديد...<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: «هذا الترجيع منه ﷺ كان اختياراً لا اضطراراً لهزّ الناقه له، فإن هذا لو كان لأجل هز الناقه، لما كان داخلًا تحت الاختيار، فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختياراً ليؤتسى به، وهو يرى هز الراحلة له حتى ينقطع صوته، ثم يقول: كان يُرْجَع في قراءته، فنسب الترجيع إلى فعله، ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعاً»<sup>(٣)</sup>.

وقد أثنى النبي ﷺ على من تعلم القرآن وعلمه، ووصفهم بالخيرية والفضل، فعن عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)<sup>(٤)</sup>.

فتعلم القرآن الكريم ليس مقتصرًا على تصحيح قراءته، وتلقين آياته، بل يتجاوز ذلك إلى إتقان التلاوة، وإقامتها على نحو ما نزل عليه الكتاب العزيز: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] وذلك بتحقيق التلاوة وترتيلها، وما يتعلق بها من أحكام، قال ابن جرير: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ يقول: وشيئًا بعد شيء علّمناكه حتى تحفظه، والترتيل في القراءة: الترسل والتثبت<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو عمرو الداني: «أي: أنزلناه على الترتيل»<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٥٩/١٠ - ٢٦٠)، فتح الباري (٧٤٣/٨) وفيه قال القرطبي: هو محمول على إشباع المد في موضعه.  
(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (١٨٥/٢).  
(٣) زاد المعاد (٤٦٥/١).  
(٤) رواه البخاري (٥٠٩٣) ح [١٠٢٧]، وفي لفظ: (أفضلكم).  
(٥) تفسير الطبري (٤٤٦/١٧).  
(٦) التحديد (٦٩).

وكان النبي ﷺ يُقْرَأُ الصحابة ﷺ<sup>(١)</sup>، على نحو ما نزل إليه، حتى إنهم ليتلقونه من فيه مباشرة، كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ: بينما نحن مع النبي ﷺ في غارِ بمنى، إذ نزل عليه: ﴿وَأَلْمَسْتِ﴾ وأنه ليتلوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرتب بها. الحديث<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الجزري: «ولا أعلم سبباً لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد، ووصول غاية التصحيح والتشديد، مثل رياضة الألسن، والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن، وأنت ترى تجويد حروف الكتابة كيف يبلغ الكاتب بالرياضة وتوقيف الأستاذ...»<sup>(٣)</sup>.

وتأكيداً من النبي ﷺ على أهمية القراءة المجودة الصحيحة، وبيان ضرورة تلقيها من المقرئين، أرشد عليه الصلاة والسلام الصحابة ﷺ إلى تلقي القراءة وأخذ القرآن من كبار الصحابة المقرئين، الذين بلغوا الرتبة العالية في تجويد القراءة، والمنزلة الرفيعة في كمال الإقراء، فعن أبي بكر الصديق وعمر الفاروق ﷺ: أنهما بشراً عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ) <sup>(٤)</sup>.

وكان ﷺ قد أعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن، وتحقيقه وترتيبه، وتلاوته كما أنزله الله تعالى...<sup>(٥)</sup>.

(١) وقد سبق ذكر طرف من ذلك في مبحث جمع القرآن (الإقراء).

(٢) رواه البخاري (٣٦٣) ح[١٨٣٠]، ومسلم (٩٩٢) ح[٥٨٣٠].

(٣) النشر (١/١٦٩).

(٤) زواه ابن ماجه (٢١) ح[١٣٨]، والإمام أحمد في مسنده (٢١١/١) [٣٥]، والنسائي

في الكبرى (٣٥٢/٧) [٨١٩٩]، وصححه الحاكم في مستدرکه (٢٤٧/٢)، وقال:

«صحيح الإسناد على شرط الشيخين». وقال الهيثمي في المجمع (٢٨٧/٩): «رواه

أحمد والبخاري والطبراني، وفيه عاصم بن أبي النجود، وهو على ضعفه حسن». وقال

محقق المسند: إسناده حسن.

(٥) النشر (١/١٦٨).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ، وَأَبِيٍّ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ) <sup>(١)</sup>.

وأثنى صلى الله عليه وسلم على قراءة بعض الصحابة، وبين أثرها؛ إذ التلاوة لا يكتمل جمالها، ويبلغ كمالها، إلا بتحقيق التجويد، وإقامة الحروف، وإعطائها حقها ومستحقها، عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكتت... وفيه: وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ) قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: (وَتَذِرِي مَا ذَاكَ؟) قال: لا، قال: (تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ) <sup>(٢)</sup>.

قال ابن الجزري: «وهذه سنة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن مجوداً مصححاً كما أنزل، تلتذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد أن يسلب العقول ويأخذ بالألباب، سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه، لقد أدركنا من شيوخننا من لم يكن له حسن صوت، ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء، قيمًا باللفظ، فكان إذا قرأ أطرب المسامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق

(١) رواه البخاري ص (٧٧٠) ح [٣٧٥٨].

(٢) رواه البخاري (١٩٢) ح [٥٠١٨]، وانظر مزيداً من الأدلة: خ [٥٠٤٨]، جه [١٣٣٨]،

يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه»<sup>(١)</sup>.

ومن أصول التجويد العناية بالوقف والابتداء في التلاوة، ومن ذلك الوقوف على رؤس الآي، كما كان النبي ﷺ يفعله، فعن أم سلمة رضي الله عنها: أنها ذكرت قراءة رسول الله ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝﴾ يقطع قراءته آية آية<sup>(٢)</sup>.

والعناية بالوقف والابتداء مما يعين على التدبر والتفكير، وفهم المراد بالآية، ومن ذلك الوقوف على رؤوس الآي؛ لأن الأغلب في المعنى أنه يكتمل عند خاتمة الآية<sup>(٣)</sup>.

ومن الأصول كذلك مراعاة المدود في التلاوة، فعن موسى بن يزيد الكندي قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه يقرئ رجلاً فقراً: ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] مرسلة، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما هكذا أقرأنيها النبي ﷺ فقال: وكيف أقرأها يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أقرأنيها ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ فمدها<sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

(١) النشر (١٦٨/١).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٥٦٦) ح [٤٠٠١]، والترمذي في جامعه (٦٥٧) ح [٢٩٢٣]، وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، والإمام أحمد في مسنده (٤٦/٤٤) [٢٦٤٥١]، وقال محققه: صحيح لغيره. وقال الهيثمي في المجمع (١٠٨/٢): «ورجاله رجال الصحيح». وصححه الدارقطني انظر: تفسير ابن كثير (١١٨/١) ولم أجد تصحيحه في سننه، انظر: سنن الدارقطني (٨٦/٢).

(٣) انظر: النشر (١٧٨/١)، الإتيان (٥٥٩/٢ - ٥٦٠).

(٤) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢٥٧/٥)، والطبراني في الكبير (١٣٧/٩) [٨٦٧٧]، وقال الهيثمي في المجمع (١٥٥/٧): «رواه الطبراني ورجالته ثقات». قال ابن الجزري: حديث جليل حجة ونص في هذا الباب رجال إسناده ثقات. (النشر/٢٤٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة [٢٢٣٧].

\* وروى أحاديث في الهمز إلا أنها ضعيفة. انظر: الإتيان (٦٢٧/٢ - ٦٢٨).

## المَبْحَثُ الرَّابِعُ

### فضائل القرآن

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: فضائل السور.
- المطلب الثاني: فضائل الآيات.
- المطلب الثالث: تفاضل القرآن.





## المَبَحَثُ الرَّابِعُ

### فضائل القرآن

مدخل:

إن مما يعين على تدبر كتاب الله تعالى والتأمل فيه، والتلذذ بحلوه خطابه، والاهتداء بهديه، معرفة فضائله، واستحضار الأجور المترتبة على تلاوته، والآثار الظاهرة على قارئه والمستمع إليه، والمحلّ المقروء فيه. وقد حوت السُّنَّة النبوية مجموعة من الأحاديث الدالة على فضل القرآن عامة، ومن ذلك:

- تفضيل كتاب الله تعالى على ما سواه من الكتب السماوية، وكلامه تعالى على غيره من الكلام:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: (صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ...) وفيه: ويقول: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ) الحديث<sup>(١)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صفة الحج، قال: قال صلى الله عليه وسلم: (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللَّهِ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص(٣٦٦).

(٢) رواه مسلم (٥١٤) ح[٢٩٥٠]. وانظر مزيداً من الأدلة: خ[٥٥٧]، [٤٩٨١]، [٥٠٢٧]، م[٢٠٠٥]، [٤٨٦٩]، ن[١٣١٢]، ت[٢٩٠٦]، ت[٢٩١٠]، [٢٩٢٦]، ج[٤٥]، م[٣٤٠٠]، م[٣٣٩٦]، م[٣٤٠١]، حم[٢٩٢٢٣]، [٢٧٤٣٤].

- الثواب الأخروي لتالي كتاب الله تعالى :

عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: **اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ** الحديث<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكِرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكِرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ فَيَقَالَ لَهُ: اقرَأْ وَاِرَقْ وَتَزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً)**<sup>(٢)</sup>.

- تفضيل أصحابه وتقديمهم على غيرهم:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن نبيكم ﷺ قد قال: **(إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ)**<sup>(٣)</sup>.

وعن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال: لما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جنتكم والله من عند النبي ﷺ حقًا، فقال: **(صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيُؤَمِّمْكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا)** فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنًا مني، لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ستٍّ أو سبع سنين. الحديث<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص(٢٨٠).

(٢) رواه الترمذي، وقد سبق تخريجه ص(٢٨١). وقد مر سابقًا جملة من الأحاديث في مبحث: جمع القرآن، ومن ذلك: م[١٨٧٦]، [٥٣٤]، د[١٤٥٣]، ت[٢٩١٥]، ج[٢١٦]، مي[٣٤٣٤]، حم[٦٦٢٦]، فضائل أبي عبيد (٣٥).

(٣) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص(٢٨٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨٨٤) ح[٤٣٠٢]، وانظر مزيدًا من الأدلة: خ[١٣٤٣]، [٥٠٢٥]، م[١٥٣٢]، [٣٩٤]، [٣١٣٨]، د[١٤٥٣]، [٤٨٤٣]، ت[٢٨٧٦]، ج[٢٩٠٢]، ه[٢١٥]، حم[١٥٦١١]، [٢٧٤٣٤]، المستدرک (١/٧٣٨).

- فضيلة تعلمه وتعليمه وتلاوته:

عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)<sup>(١)</sup>.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال (إِيَّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي خَيْرِ إِيَّامٍ وَلَا يَقْطَعُ رَحِمًا؟) فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك قال: (أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَفْرَأُ آيَتَيْنِ مِنَ كِتَابِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَائِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ)<sup>(٢)</sup>.

ومن فضائل القرآن الفضائل الخاصة بسورة أو سور معينة، أو بآية أو آيات محددة، حيث اشتملت الأحاديث النبوية على طائفة من ذلك، وإليك بيانها.

\* \* \*

(١) رواه البخاري، وقد سبق تخريجه ص (٢٠٨).

(٢) رواه مسلم (٣٢٥) ح [١٨٧٣]، وانظر مزيداً من الأدلة: ت [٢٨٧٦]، ج [٢١٩]، مي [٣٤٩٣]، [٣٥٠٢]، [٣٥١٤]، مصنف عبد الرزاق [٥٩٩٩]، كنز العمال [٢٣١٨]، لمحات الأنوار (٤٣/١).

## المطلب الأول

### فضائل السور

اشتملت السنة النبوية على أحاديث كثيرة في فضائل سور مفردة، ومن ذلك: ما ورد في فضل سورة البقرة، وسورة الفتح وغيرهما.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ)، وفيه: (اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)<sup>(١)</sup>.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: (لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةً لَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]<sup>(٢)</sup>.

- وقد يرد فضل لسور ثنائية؛ كفضل سورتي البقرة وآل عمران، وفضل المعوذتين.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزُّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَابَتَانِ

(١) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٢٨٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه وله قصة (٨٦١) ح [٤١٧٧]، وانظر مزيدًا من الأدلة: خ [٧٧٤]، [٢٢٧٦]، [٤٤٧٤]، [٥٠١٣]، [٧٣٧٥]، م [١٨٨٧]، ن [٩١٥]، [٩٥٥]، د [١٣٩٩]، [١٤٠٠]، ت [٢٨٨٧]، [٢٨٩٠]، مي [٣٤١٣]، [٣٤٨٢]، حم [٧٤٢]، فضائل أبي عبيد (١٣٨) (١٤١) (٤٨٦)، الجامع لابن وهب (٢٥/٣).

أَوْ كَانَهُمَا فِرْقَانٍ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا) الحديث<sup>(١)</sup>.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١])<sup>(٢)</sup>.

- وقد يرد فضل لمجموعة سور من القرآن، تجمع بوصف واحد، وتعرف باسم جامع، ومن ذلك:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأَوَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ حَبْرٌ)<sup>(٣)</sup>.

قال السندي: «(السبع الأول)؛ أي: السور السبع التي هي أول القرآن، (حبر) - بفتح الحاء وكسرهما - عالم»<sup>(٤)</sup>.

وعن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِئَانِي، وَفُضِّلَتْ بِالْمُفَصَّلِ)<sup>(٥)</sup>.

قال ابن جرير: «والسبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس... وإنما سميت هذه السور السبع الطوال، لطولها على سائر سور القرآن.

(١) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٢٨٠).

(٢) رواه مسلم (٣٢٨) ح [١٨٩١]، وانظر مزيداً من الأدلة: ن [٩٥٥]، فضائل المستغفري (٤٩٨/١).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥٠١/٤٠) [٢٤٤٤٣]، وصححه الحاكم في مستدرکه (٧٥٢/١). وقال محقق المسند: إسناده حسن. وانظر مزيداً من الأدلة: د [٥٠٥٧]، فضائل المستغفري (٦٠٢/٢).

(٤) حاشية السندي على المسند (٢٢٧/١٤).

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٨٨/٢٨) [١٦٩٨٢]، والطبراني في الكبير (٧٦/٢٢) [١٨٧]. وقال محقق المسند: إسناده حسن.

وأما المثنون: فهي ما كان من سور القرآن عدد آياته مئة آية، أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص منها شيئاً يسيراً.

وأما المثنائي: فإنها ما ثنى المئين فتلاها، وكان المثنون لها أوائل، وكان المثنائي لها ثواني... .

وأما المفصل: فإنها سميت مفصلاً لكثرة الفصول التي بين سورها (بسم الله الرحمن الرحيم)<sup>(١)</sup>.

ومما يلحق بفضائل السور، تلك السور التي كان النبي ﷺ يداوم على قراءتها في الصلاة بين الحين والآخر، ومن ذلك:

قراءة سورتَي السجدة والإنسان، عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ: ﴿الْمَ تَزِيلُ﴾ و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: «فيه دليل على استحباب قراءة هاتين السورتين في هذه الصلاة من هذا اليوم لما تشعر الصيغة به من مواظبته ﷺ على ذلك أو إكثاره منه»<sup>(٣)</sup>.

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدِينَ وَفِي الْجُمُعَةِ بـ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ أَتَىكَ حَدِيثُ الْمُنَشِيَةِ﴾ قَالَ: وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ<sup>(٤)</sup>.

- أو يداوم على قراءتها خارج الصلاة، ومن ذلك:

(١) انظر: تفسير الطبري (١/١٠١ - ١٠٤).

(٢) رواه البخاري (١٧٦) ح [٨٩١]، ومسلم (٣٥٢) ح [٢٠٣١].

(٣) فتح الباري (٢/٤٨٦).

(٤) رواه مسلم (٣٥١) ح [٢٠٢٦]، وانظر مزيداً من الأدلة: م [٢٠١١]، [٢٠٢٨].

[٢٠٥٩]، [٢٩٥٠].

ما رواه عقبه بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة<sup>(١)</sup>.

وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها قالت: لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحدًا سنتين أو سنةً وبعض سنة، وما أخذت ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق] إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس<sup>(٢)</sup>.

- كون السورة أول ما نزل من القرآن:

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه... وفيه: حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: (مَا أَنَا بِقَارِيٍّ)، قال: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ) قال: (قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ)، قال: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥]). الحديث<sup>(٣)</sup>.

فالأولية في كل شيء له مزية على غيره، ويكون مما يُهتَمُّ به ويعتنى بشأنه، وسورة العلق أول ما نزل من كتاب الله تعالى، فتلحق بفضائل السور، والله أعلم.

(١) رواه أبو داود في سننه (٢٢٥) ح [١٥٢٣]، والنسائي (١٨٨) ح [١٣٣٧]، والإمام

أحمد في مسنده (٣٣٠/٢٩) [١٧٧٩٢]، وقال محققه: حديث صحيح.

(٢) رواه مسلم (٣٤٩) ح [٢٠١١]، وانظر مزيدًا من الأدلة: مي [٣٤٤٦]، حم [١٥٦٢٦].

(٣) رواه البخاري (١) ح [٣]، ومسلم (٨٠) ح [٤٠٣].

- أمرُ الله تعالى نبيه ﷺ بتلاوة سورة معينة على أحد الصحابة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة: ١]) قال: وسماني؟ قال: (نَعَمْ) فبكى<sup>(١)</sup>.

قال النووي: «وأما تخصيص هذه السورة فلأنها وجيزة جامعة لقواعد كثيرة من أصول الدين وفروعه ومهماته والإخلاص وتطهير القلوب»<sup>(٢)</sup>.

فكما أن هذه الحادثة تُعدُّ من مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه، فكذلك السورة التي نصَّ عليها الرب تعالى تُعدُّ من فضائل السور، والله أعلم. ومجموع تلك الفضائل الواردة للسور القرآنية، يمكن أن تجمع في أربع مضامين، سأتي عليها بعد إيراد فضائل الآيات؛ إذ مضامين فضائل السور وفضائل الآيات متقاربة.



(١) رواه البخاري (٧٧٩) ح[٣٨٠٩]، ومسلم (٣٢٣) ح[١٨٦٤].

(٢) المنهاج (٤١٣/٥).



## المطلب الثاني

## فضائل الآيات

حوت السنّة النبوية على جملة من الأحاديث المتعلقة بفضائل الآيات، ومن ذلك، فضائل آية واحدة:

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟) قال: قلت: يا رسول الله شكنا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال: (أما إنه قد كذبتك وسيعود)، وفيه: قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح... وفيه: فقال النبي ﷺ: (أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟! قال: لا، قال: ذاك شيطان<sup>(١)</sup>).

- وقد يرد فضل لآيتين جميعاً، ومن ذلك:

ما رواه أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (الآيتان

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٥٦) ح [٢٣١١]. وانظر مزيداً من الأدلة: خ [٢٣٧١]، م [١٨٨٥]، د [١٤٩٦]، [٥٠٧٦]، ت [٢٨٧٨]، [٢٨٧٩]، ج [٤٢٢٠].

مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفْتَاهُ<sup>(١)</sup>.

- وقد يرد فضل لمجموعة آيات، ومن ذلك:

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداةٍ فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: (ما شأنكم؟) قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداةٍ فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل... وفيه: (فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

- وقد يخصصُ النبي ﷺ بعض الآيات بقراءتها في صلاته، ومن ذلك:

ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، وَالَّتِي فِي آل عمران: ﴿تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]<sup>(٣)</sup>.

- أو يتلوها في أماكن خاصة وأزمنة محددة، ومن ذلك:

ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت ليلة عند ميمونة أم المؤمنين وهي خالتي قال: فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ، حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى شئٍ معلقةٍ فتوضأ منها. الحديث<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (٨٢٤) ح [٤٠٠٨]، ومسلم (٣٢٦) ح [١٨٧٨]. وانظر مزيدًا من الأدلة: م [١٨٧٧]، ت [٢٨٨٢].

(٢) رواه مسلم (١٢١٧) ح [٧٣٧٣]. وانظر مزيدًا من الأدلة: م [١٨٨٣]، ت [٢٨٨٦]، [٢٩٢٢]، [٣١٧٣]، ج [٣٥٤٩].

(٣) رواه مسلم (٢١٨) ح [١٦٩١]. وانظر مزيدًا من الأدلة: د [١٢٦٠]، ح [٢٣٨٦].

(٤) رواه البخاري (٤٤) ح [١٨٣]، ومسلم (٣٠٩) ح [١٧٨٨]، وانظر مزيدًا من =

قال النووي: «وفيه استحباب قراءة هذه الآيات عند القيام من النوم»<sup>(١)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حديثه الطويل في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم قال: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿وَأَخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] فجعل المقام بينه وبين البيت فكان أبي يقول - ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم -: كان يقرأ في الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] و﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون] ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] (أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ) فبدأ بالصفا. الحديث<sup>(٢)</sup>.

ومجموع الفضائل السابقة - فضائل السور وفضائل الآيات - يمكن أن تُجمع في أربع مضامين، موثلة تلك الخصائص وملاكها، وهي:

الأول: بالنظر إلى ما اشتملت عليه من المعاني:

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي فقال: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟!، ثم قال لي: (لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةٌ هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ) ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورةً هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ<sup>(٣)</sup>.

= الأدلة: د[٥٠٧٦]، ت[٢٩٢٢]، ح[٣١٧٣]، حم[١٥٦٢٤]، [١٥٦٢٦]، فضائل المستغفري (٢/٧٦٠).

(١) المنهاج (٥/٣٨٣).

(٢) رواه مسلم (٥١٣) ح[٢٩٥٠].

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩٢٠) ح[٤٤٧٤].

وهذا الفضل - والله أعلم - لما اشتملت عليه هذه السور من المعاني العظيمة، والدلائل الجليلة، التي اشتمل عليها جميع القرآن العظيم، من الشناء على الله تعالى، والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده<sup>(١)</sup>؛ ولذا سميت بأم الكتاب وأم القرآن، والعرب تسمي كل جامع أمر، أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع (أماً)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟) قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟) قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: فضرب في صدري وقال: (وَاللَّهُ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ يَا أبا المنذر)<sup>(٣)</sup>.

فهذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها؛ وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، للرب ﷻ، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردًا للإنسان في أوقاته صباحًا ومساءً وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات<sup>(٤)</sup>.

الثاني: بالنظر إلى ما يترتب على قراءتها من الأجر والثواب، ومن الأمثلة:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها

(١) انظر: التفسير الكبير (١/١٤٤). (٢) انظر: القاموس المحيط (١٣٩١). (٣) رواه مسلم (٣٢٧) ح [١٨٨٥]. وانظر مزيدًا من الأدلة: م [١٨٩١]، ن [٩١٥]، [٩٥٤]، د [١٣٩٩]، [٣١٢١]، ت [٢٨٧٨]، [٢٨٨٧]، [٣٣٣٣]، جـ [١١٥٠]، مي [٣٤٦٩]، [٣٤٨٢]. (٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن (١١٠) بتصرف يسير.

وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فإما تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال: (يَا فَلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ؟ وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟)، فقال: إني أحبها فقال: (حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ) <sup>(١)</sup>.

وأي ثواب أعظم من دخول الجنة؟! وورد في فضل هذه السورة أنها تعدل ثلث القرآن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (احْسُدُوا فَإِنِّي سَافِرٌ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ) فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، ثم دخل فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبر جاءه من السماء فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: (إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَافِرٌ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ) <sup>(٢)</sup>.

قيل: معناه: أن ثواب قراءتها يضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف. والله أعلم <sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ سُورَةَ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك]) <sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (١٥٥) ح [٧٧٤].

(٢) رواه مسلم (٣٢٧) ح [١٨٨٦]، وانظر مزيداً من الأدلة: خ [٧٣٧٥]، م [١٨٨٧]، ن [٩٩٥]، ت [٢٧٩٠]، [٢٨٩٣]، [٢٨٩٥]، [٢٨٩٨]، حم [١٢٤٨٨]، [١٥٦١٠].

(٣) انظر: المنهاج (٤١٩/٦).

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢٠٩) ح [١٤٠٠]، والترمذي في جامعه (٦٥٠) ح [٢٨٩١]، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه (٥٤٠) ح [٣٧٨٦]، والإمام أحمد في مسنده =

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبَّرَ كُلَّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعُهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ) <sup>(١)</sup>.

الثالث: بالنظر إلى ما يترتب عليها من أثر حسي، أو معنوي:  
- الأثر الحسي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفرٍ، فمروا بحيٍّ من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم، فقالوا لهم: هل فيكم راقٍ فإن سيد الحي لديغ أو مصاب، فقال رجل منهم: نعم فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ الرجل فأعطي قطيعًا من غنم فأبى أن يقبلها، وقال: حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: يا رسول الله، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب فتبسم، وقال: (وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ) الحديث <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ) <sup>(٣)</sup>.

- الأثر المعنوي:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة الحديدية ونزول سورة الفتح

= (٣٥٣/١٣) [٧٩٧٥]، وصحح إسناده الحاكم في مستدركه (١/٥٦٥)، وقال محقق المسند: حسن لغيره.

(١) رواه النسائي في الكبرى (٩/٤٤)، والطبراني في الكبير (٨/١١٤) [٧٥٣٢]، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٠٢): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد وأحدها جيد». وصححه الألباني (٢/٦٦١) السلسلة الصحيحة [٩٧٢]. وانظر مزيدًا من الأمثلة: فضائل المستغفري (٢/٥٣٤).

(٢) رواه البخاري (٤٤٧) ح [٢٢٧٦]، ومسلم (٩٧٥) ح [٥٧٣٣]، وانظر مزيدًا من الأدلة: خ [٣٦١٤]، م [١٨٢٤]، ن [٥٤٣٢]، مي [٣٤١٣]، فضائل المستغفري (٢/٧٦٠)، مصنف عبد الرزاق [٥٩٩٩]، كنز العمال [٢٣١٨].

(٣) رواه مسلم (٣٢٦) ح [١٨٨٣]. وانظر مزيدًا من الأدلة: خ [٢٣١١].

قال: فجئت رسول الله ﷺ فقال ﷺ: (لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةً لَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]<sup>(١)</sup>.

الرابع: بالنظر إلى تلاوتها في أزمان محددة، إما وجوبًا أو استحبابًا:

### - التلاوة الواجبة:

كتلاوة سورة الفاتحة في الصلاة، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)<sup>(٢)</sup>.

### - التلاوة المستحبة:

كتلاوة النبي ﷺ لسور معينة في الصلاة، مثل: سورة المؤمنون، السجدة، والليل، وق، الطور، القمر، الجمعة، المنافقون، الإنسان، المرسلات، الأعلى، الغاشية، الانشقاق، والشمس، والضحى، والكافرون، والإخلاص...<sup>(٣)</sup> الأعراف، الروم، الصافات، يس، الدخان، الواقعة، التكوير، التين، الزلزلة...<sup>(٤)</sup>.

أو خارجها، مثل: سورة البقرة، وآل عمران، الزلزلة، المعوذتين<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري في صحيحه ص (٨٦١) ح [٤١٧٧]، وانظر مزيدًا من الأمثلة: خ [٧٣٧٥]، م [٨٧٨]، ن [٥٤٣١]، [٥٤٣٢]، د [٥٠٧٦].

(٢) رواه البخاري (١٥١) ح [٧٥٦]، ومسلم (١٦٧) ح [٨٧٤].

(٣) وقد روى كل هذه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما، انظر: الأحاديث التالية: خ [٧٦٣]، [٧٦٥]، [٧٦٦]، [٧٦٧]، [١٠٢٢]، [١٠٢٣]، [١٠٢٤]، [١٠٣٠]، [٢٠٢٦]، [١٠٤٠]، [١٦٩٠].

(٤) وقد رواها أهل السنن وأحمد في المسند، في المواضع التالية: ن [٨٢٧]، [٩٤٨]، [٩٥٢]، [٩٨٩]، [٩٩٠]، [١٠٠١]، د [٨١٢]، [٨١٦]، حم [١٦٣٩٦].

(٥) خ [٥٠١٦]، م [١٨٧٤]، د [١٣٩٩].

أو آيات محددة في الصلاة: كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، وَالَّتِي فِي آلِ عِمْرَانَ: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]<sup>(١)</sup>.

أو خارجها: كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صفة حج النبي ﷺ قال: ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] (أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ) فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت. الحديث<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص(٦٠٢).

(٢) رواه مسلم، سبق تخريجه ص(٦٠٣). وانظر: خ[١٨٣]، م[١٦٩٠]، د[١٤٩٦].



## المطلب الثالث

### تفاضل القرآن

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وهو خير الكلام، وأحسن الحديث، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا﴾ [الزمر: ٢٣]، وعن سمرّة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَفْضَلُ الْكَلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ أَرْبَعٌ، وَهِيَ مِنَ الْقُرْآنِ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ)<sup>(١)</sup>.

فهو يدل على أن القرآن وهو كلام الله تعالى أفضل الكلام على الإطلاق، وما سواه مفضول.

وإذا كان كلام الله تعالى أفضل الكلام على الإطلاق، إلا أنه يتفاضل فبعضه أفضل من بعض على قول أئمة الفقهاء وأكثر السلف، كما تدل عليه الفضائل السابقة لبعض سور القرآن الكريم، ومنها فضل سورة الفاتحة، عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي فقال: (أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟)، ثم قال لي: (لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ) ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٧٥/٣٣) [٢٠٢٢٣]، وقال محققه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في المجمع (٨٨/١٠): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ ﴾<sup>(١)</sup>، وذلك بالنظر إلى ما اشتملت عليه السورة أو الآية من المعاني وحوته من الدلالات.

وقد أفاض شيخ الإسلام في الاستدلال لهذه المسألة، ومما قال رَحِمَهُ اللهُ: «والناس متنازعون فيها نزاعًا منتشرًا، فطوائف يقولون: بعض كلام الله أفضل من بعض، كما نطقت به النصوص النبوية حيث أخبر عن الفاتحة: (أنه لم ينزل في الكتب الثلاثة مثلها)، وأخبر عن سورة الإخلاص: (أنها تعدل ثلث القرآن)، وعدلها لثله يمنع مساواتها لمقدارها في الحروف، وجعل آية الكرسي (أعظم آية في القرآن) كما ثبت ذلك في الصحيح أيضًا، وكما ثبت ذلك في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: لأبي بن كعب: (يا أبا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟!) قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (يا أبا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟) قال: فقلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: فضرب في صدري وقال: (لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا المُنْذِرِ)...<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً فالتوراة والإنجيل والقرآن جميعها كلام الله، مع علم المسلمين بأن القرآن أفضل الكتب الثلاثة، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]... والقول بأن كلام الله بعضه أفضل من بعض، هو القول المأثور عن السلف وهو الذي عليه أئمة الفقهاء من الطوائف الأربعة وغيرهم، وكلام

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩٢٠) ح[٤٤٧٤].

(٢) وقد سبق تخريج الأحاديث في المبحث السابق.

القائلين بذلك كثير منتشر في كتب كثيرة...»<sup>(١)</sup>.

وفي موضع آخر قال: «القرآن هل يتفاضل في نفسه فيكون بعضه أفضل من بعض؟ وهذا فيه للمتأخرين قولان مشهوران، منهم من قال: لا يتفاضل في نفسه؛ لأنه كله كلام الله وكلام الله صفة له، قالوا: صفة الله لا تتفاضل لا سيما مع القول بأنه قديم فإن القديم لا يتفاضل، كذلك قال هؤلاء في قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] قالوا: فالخير» إنما يعود إلى غير الآية مثل نفع العباد وثوابهم.

والقول الثاني: أن بعض القرآن أفضل من بعض وهذا قول الأكثرين من الخلف والسلف، فإن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح في الفاتحة أنه: (لَمْ يَنْزَلْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا الزَّبُورِ وَلَا الْقُرْآنِ مِثْلَهَا) فنفي أن يكون لها مثل فكيف يجوز أن يقال: إنه متماثل، وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال لأبي بن كعب: (يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟! قال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فضرب بيده في صدره وقال: (لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ) فقد بين أن هذه الآية أعظم آية في القرآن، وهذا بين أن بعض الآيات أعظم من بعض.

وأيضاً فإن القرآن كلام الله والكلام يشرف بالمتكلم به سواء كان خبيراً أو أمراً، فالخبر يشرف بشرف المخبر، وبشرف المخبر عنه، والأمر يشرف بشرف الأمر، وبشرف المأمور به...»<sup>(٢)</sup>.

وقال الغزالي: «لعلك تقول قد توجه قصدك في هذه التنبهات إلى تفضيل بعض القرآن على بعض، والكل قول الله تعالى، فكيف يفارق بعضها بعضاً؟ وكيف يكون بعضها أشرف من بعض؟

(١) مجموع الفتاوى (٩/١٧ - ١٣). (٢) مجموع الفتاوى (٢٠٩/١٧ - ٢١٠).

فاعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات، وبين سورة الإخلاص وسورة (تبت)، وترتاع من اعتقاد الفرق نفسك الجواراة المستغرقة بالتقليد، فقلد صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه فهو الذي أنزل عليه القرآن، وقد دلت الأخبار على شرف بعض الآيات وعلى تضعيف الأجر في بعض السور المنزلة...»<sup>(١)</sup>.

ويشهد لما سبق - أيضاً - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]، والله أعلم<sup>(٢)</sup>.



(١) انظر: جواهر القرآن (٦٢ - ٦٣). وانظر هذه المسألة في: البرهان (٦٧/٢)، التذكار للقرطبي (٤٥)، الإتيان (٢١٣٩/٦).  
 (٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/١٦).

## لِلْبَحْثِ الْخَامِسِ

### خصائص القرآن

أنزل الله تعالى كتابه الخاتم، والمعجزة القائمة، محفوظًا بحفظ الله، ومكلوفاً بعناية الله، فلا يمكن أن يزداد فيه، ولا أن ينقص منه، مشتملاً على كل فضلٍ، وحاوياً كلَّ برٍّ، مختصاً بخصائص تميزه عن سائر الكتب السماوية السابقة، والكتابات الأرضية اللاحقة، وسائر ما سواه من الأدلة الشرعية، فأخذه نماء، وتركه بلاء، وحفظه رفعة، وتلاوته بركة، أثره بادي، وتأثيره ظاهر، سلطان يأسر القلوب، وبرهان يبهر العقول، أنى نظرت إليه في جانب من جوانبه هالك رونقه، وأبهرك مطلععه، من خصائص احتفت به، وشمائل اشتمل عليها، شهد على ذلك الأولياء، وأقر به الأعداء.

وخصائص القرآن كثيرة جداً، يعجز عنها العدّ، ولا يمكن أن يحويها الكدّ، وإن من تلك الخصائص ما ورد في الأحاديث النبوية، وهي متعددة ومتنوعة، ويمكن أن تحصي في عناوين رئيسة، تجمع متفرقاتها وتنظمها، فمن خصائص القرآن الواردة في السنة النبوية:

**أولاً: خصائص تتعلق بالأثر الدنيوي والانتفاع به، ومن ذلك:**

- أن أهل القرآن هم خير الناس وأفضلهم، والمقدمون على غيرهم، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٥٠٢٣) ح [١٠٩٥]، وانظر: د [٤٨٤٣]. ومن المؤلفات في هذا العلم:

«خصائص القرآن» د. الرومي.

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَأُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ) <sup>(١)</sup>.

- تأثيره في النفوس، ونزول السكينة، فمن قرأه بتدبر شعر بأثر روحي يدب في جسده، وطمأنينة تسكن قلبه، مما يظهر أثره على جوارحه ويحثه على العمل والتطبيق، فهذا هو نبي الله ﷺ عندما قرأ عليه ابن مسعود رضي الله عنه آيات من سورة النساء لم يملك دموعه أن تخرج من خدرها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: (أَقْرَأْ عَلَيَّ) قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (نَعَمْ) فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: (حَسْبُكَ الْآنَ) فالتفت إليه فإذا عيناه تذرطان <sup>(٢)</sup>.

وعن البراء رضي الله عنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين، فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: (تِلْكَ السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ) <sup>(٣)</sup>.

قال النووي: «قيل في معنى السكينة هنا أشياء، المختار منها: أنها شيء من مخلوقات الله تعالى، فيه طمأنينة ورحمة، ومعه الملائكة، والله أعلم» <sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٧١) د [١٥٣٢]، وانظر مزيداً من الأدلة: جه [٢١٥] وفيه: أنهم (أهل الله وخاصته) المعجم الكبير (١٢٥/١٢) [١٢٦٦٢]، وفيه أنهم: أشرف الناس.

(٢) رواه البخاري (١٠٩٧) ح [٥٠٥٠]، وانظر مزيداً من الأدلة: مسند أبي يعلى (٣٥٠/٣) وفيه: قصة عتبة بن ربيعة عندما قرأ النبي ﷺ عليه أوائل سورة فصلت، مصنف ابن أبي شيبة (١٢٠/٦).

(٣) رواه البخاري (٧٤٠) ح [٣٦١٤]، ومسلم (٣٢٢) ح [١٨٥٦].

(٤) المنهاج (٤١٠/٦).

ثانيًا: خصائص تتعلق بالأجر الأخروي وعظيم الثواب عليه، ومن ذلك:

- شفاعته لأهله، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (افْرُؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ) <sup>(١)</sup>.

ومن ذلك: أن القرآن إما أن يكون حجة لصاحبه، أو حجة عليه، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ) الحديث <sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي: «يعني: أنك إذا امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه، كان حجة لك في المواقف التي تسأل منه عنه؛ كمسألة الملكين في القبر، والمسألة عند الميزان، وفي الصراط، وإن لم يمثل ذلك، احتج به عليك...» <sup>(٣)</sup>.

ولذا ورد أن القرآن الكريم يحبس أقوامًا في النار، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ قال: (يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُونَ لِذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبَّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ...) وفيه: (ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعُ، سَلْ تُعْطَى، اشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ

(١) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه ص (٢٨٠). وانظر مزيدًا من الأدلة: حم [٦٦٢٦].

(٢) رواه مسلم (١١٤) ح [٥٣٤].

(٣) شرح السيوطي على سنن النسائي (٨/٥).

وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ)، قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة، قال: (فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ). الحديث، وهو حديث الشفاعة الطويل<sup>(١)</sup>.

وهذا الأجر وذاك الأثر إنما يحصل لمن قرأه بتدبر وتعقل وفهم مراد الله تعالى، وقاده إلى العمل بالطاعات، واجتناب المنهيات، أما من اقتصر على مجرد القراءة بلا تدبر وعمل فإنه لا يحصل له أي شيء من تلك الخصائص، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

فهي قراءة جوفاء عن التدبر والتأثر والعمل، لن تنفع صاحبها، فضلاً عن كسب تلك الخصائص المتعلقة بتلاوة هذا الكتاب وتدبره والعمل به...

**ثالثاً: خصائص تتعلق بتلاوته ومدارسته وتعاهده، ومن ذلك:**

- تحسين الصوت والتغني به: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ)<sup>(٣)</sup>.

قال سفيان بن عيينة: تفسيره يستغني به، ورده الشافعي بقوله: لو أراد الاستغناء لقال: لم يستغن، وإنما أراد تحسين الصوت<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (١٥٥٣) ح [٧٤١٠]، ومسلم (١٠١) ح [٤٧٥].

(٢) رواه البخاري (١٠٩٩) ح [٥٠٥٧]، ومسلم (٤٣٠) ح [٢٤٥٣]. وانظر مزيداً من الأدلة: ت [٢٩١٣] ومثل بالبيت الخرب.

(٣) رواه البخاري (١٠٩٣) ح [٥٠٢٣]، ومسلم (٣٢٠) ح [١٨٤٥]. وانظر مزيداً من الأدلة: خ [٥٠٤٥]، [٥٠٤٨].

(٤) انظر: فتح الباري (٨٩/٩).



ويشهد له الرواية الأخرى: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)<sup>(١)</sup>.

- نزول السكينة وغشيان الرحمة عند مدارس كتاب الله تعالى، والملائكة تحفهم ويذكرهم الله فيمن عنده: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَقَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) الحديث<sup>(٢)</sup>.

وكان جبريل عليه السلام يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في كل سنة مرة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما . . . ، وفيه: وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة. الحديث<sup>(٣)</sup>.

ومن الخصائص المتعلقة بالمدارس أنه إذا حصل اختلاف أو تنازع بين المتدارسين، فقد أمروا بالقيام والتفرق وعدم الاسترسال، فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا اتَّخَلَفْتُمْ قُلُوبَكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ)<sup>(٤)</sup>.

قال ابن حجر: «قوله: (فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ)؛ أي: في فهم معانيه، فقوموا عنه؛ أي: تفرقوا؛ لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر»<sup>(٥)</sup>.

- الحث على تعاهد القرآن وتلاوته، والتحذير من نسيانه: عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

(١) رواها مسلم (٣٢٠) ح [١٨٤٧].

(٢) رواه مسلم (١١٧٣) ح [٦٨٥٣]. وانظر مزيداً من الأدلة: ت [٢٩١٠].

(٣) رواه البخاري (٣) ح [٦].

(٤) رواه البخاري (١٠٩٩) ح [٥٠٦٠]، ومسلم (١١٦١) ح [٦٧٧٧].

(٥) فتح الباري (١٢٧/٩).

لَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ مِنْ عُقْلِهَا<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِيَ، وَاسْتَذَكِرُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعْمِ)<sup>(٢)</sup>.

فورد هنا بأسلوب الظم لحال من حفظ كتاب الله ثم نسيه؛ لأن من خصائص هذا الكتاب العظيم سرعة التفلت كما في الحديث السابق، قال القاضي عياض: «معناه: ذم الحال وكراهته، لا ذم المقال؛ أي: بثست الحالة والصفة لمن أوتي القرآن فغفل عنه حتى نسيه... وهذا عندي أولى ما يتأول في الحديث إن شاء الله»<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: خصائص تتعلق بحفظ القرآن والمحافظة عليه:

- حفظ القرآن وتيسيره، عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ، وَمِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا...)، وفيه: (وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْطَانُ) الحديث<sup>(٤)</sup>.

قال ابن الجزري: «فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرؤونه في كل حال، كما جاء في صفة أمته (أَنَا جِئْتُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ)، وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه لا في الكتب ولا يقرؤونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري (١٠٩٤) ح [٥٠٣٣]، وانظر مزيداً من الأدلة: خ [٥٠٣١]، [٥٠٣٠]،

م [٧٢٠٢]، حم [٢٢٤٥٦]، سنن سعيد بن منصور (٢/٢٦٣)، لمحات الأنوار (١/٤٣).

(٢) رواه البخاري (١٠٩٤) ح [٥٠٩٢]، ومسلم (٣٢٠) ح [١٨٤١].

(٣) إكمال المعلم (٣/١٥٥). (٤) رواه مسلم (١٢٤١) ح [٧٢٠٧].

(٥) النشر (١/١٣).

- النهي عن السفر به إلى الأعداء: عن عبد الله بن عمَرَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ) <sup>(١)</sup>.

- النهي عن المراء والجدال في القرآن: عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ عَلَى أَيِّ حَرْفٍ قَرَأْتُمْ فَقَدْ أَصَبْتُمْ، فَلَا تَتَمَارَوْا فِيهِ، فَإِنَّ الْمِرَاءَ فِيهِ كُفْرٌ) <sup>(٢)</sup>.

وحقيقة المراء أن يتمادى اثنان في آية يجحدها أحدهما ويدفعها أو يصير فيها إلى الشك، فهذا هو المراء الذي هو الكفر، وأما التنازع في أحكام القرآن ومعانيه فقد تنازع أصحاب رسول الله ﷺ في كثير من ذلك... <sup>(٣)</sup>. بخلاف الجدال المؤدي للشك والتكذيب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (جِدَالٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ) <sup>(٤)</sup>.

- الأمر بالعمل به والمحافظة عليه حتى لا يسرى به من القلوب: عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفٌ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَتَحْنُ نَقُولُهَا) <sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٠٦) ح [٢٩٩٠]، ومسلم (٨٣٨) ح [٤٨٤١] واللفظ له.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٥٣/٢٩) [١٧٨١٩]، قال الهيثمي في المجمع (٧/١٥٠): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». وقال محقق المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١٨٤/٢) بتصرف يسير.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤٧٦/١٢) [٧٥٠٨]، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (٥٨٥) ح [٤٠٤٩] وجاء في المصباح: إسناده صحيح رجاله ثقات. (مصباح الزجاجة ٤/١٩٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣/٣٢٦)، وانظر مزيداً من الأدلة: ت [٢١٥٤]، ج [٢٥٣٩].

خامساً: خواص القرآن<sup>(١)</sup>:

- الشفاء من كل داء: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفرٍ فمروا بحيٍّ من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم، فقالوا لهم: هل فيكم راقٍ فإن سيد الحي لديغ أو مصاب، فقال رجل منهم: نعم، فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ الرجل، فأعطي قطيعاً من غنم فأبى أن يقبلها، وقال: حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: يا رسول الله والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب، فتبسم وقال: (وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ؟!)، ثم قال: (خُذُوا مِنْهُمْ وَاضْرِبُوا لِي بِسْهُمْ مَعَكُمْ)<sup>(٢)</sup>.

- الفرج من كل بلاء: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» [الأنبياء: ٨٧] فإنه لم يدعُ بها رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ)<sup>(٣)</sup>.

- الحفظ والصون: عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفَاتِهِ)<sup>(٤)</sup>.

(١) وهي ما يترتب على قراءة القرآن أو كتابة سوره أو آيات معينة من القرآن في حدث خاص، ينتج عن تلك القراءة شفاء، أو فرج، أو حفظ. انظر: علوم القرآن بين البرهان والإيقان (٢٧٧)، خواص القرآن (١٩ - ٢٠).

(٢) رواه البخاري (٤٤٧) ح [٢٢٧٦]، ومسلم (٩٧٦) ح [٥٧٣٥]، وانظر: مزيداً من الأدلة: خ [٥٠١٦]، جه [٣٥٠١]، حم [٣٧١٢]، شعب الإيمان (٤٤/٥).

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٧٩٩) ح [٣٥٠٥]، والإمام أحمد في مسنده (٦٥/٣) [١٤٦٢] مطولاً، وصححه الحاكم في مستدركه (٦٨٥/١)، قال الهيثمي (٦٨/٧): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». وقال محقق المسند: إسناده حسن.

(٤) رواه البخاري (١٠٩٠) ح [٥٠٠٩]، ومسلم (٣٢٦) ح [١٨٧٨]، وانظر مزيداً من الأدلة: خ [٥٠١٠]، م [٥٠١١]، [١٨٧٤]، [١٨٨٣]، د [١٤٦٢].

قال ابن حجر: (كفتاه) قيل معناه: كفتاه كل سوء، وقيل: كفتاه شر الشيطان، وقيل: دفعنا عنه شر الإنس والجن، وقيل معناه: كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتاه من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله وابتهاهم ورجوعهم إليه وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم... وذكر غيرها، ثم قال: ويجوز أن يراد به جميع ما تقدم<sup>(١)</sup>.

سادسًا: خصائص أخرى:

- نزوله على سبعة أحرف: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ)<sup>(٢)</sup>.

- المعجزة الكبرى: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)<sup>(٣)</sup>.

هذه مجمل الخصائص الواردة في السنة النبوية، اجتهدت في جمعها، وسعيت في ترتيبها، أسأل الله التوفيق والسداد.

\* \* \*

(١) فتح الباري (٧١/٩).

(٢) رواه البخاري (٦٥٩) ح [٣٢١٩]، ومسلم (٣٢٩) ح [١٩٠٢].

(٣) رواه البخاري (١٠٨٤) ح [٤٩٨١]، ومسلم (٧٦) ح [٣٨٥].

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد عشت مع هذا البحث أقلب مسائله، وأعالج إشكالاته، وأدرس أحاديثه، فظهر لي عدة نتائج أبرزها ما يلي:

١ - أن الاشتغال بالسُّنَّة النبوية في استنباط المسائل، واستخلاص الفوائد؛ كالسباح في بحر لا ساحل له؛ لأنه يتدارس كلام من أُعطي جوامع الكلم، فأنتى يحاط بحديثه، وكيف يُلمَّ بمعانيه؟! ولكن حسبي أني بذلت الجهد واستنفدت الطاقة في الجمع والدراسة، وأسأل الله الهداية لسواء السبيل.

٢ - شمولية السُّنَّة النبوية لمجمل علوم هذا العلم، مما يستوجب البداية بها وإيرادها مطلع كل علم؛ كي تكون مرتكزًا لدراسة ذات العلم، فمن خلالها يُورد لدراسة العلم وعنهما يصدر، وأنعم بالموارد الذي لا يُنضب، والمعين الذي لا ينقطع.

٣ - أهمية دراسة الأحاديث الصحيحة والعناية بها في استخراج الفوائد واستنباط الفرائد، وفي مقدمتها الصحيحان، ثم الأحاديث الصحيحة في باقي المصنفات الحديثية؛ إذ العبرة بالصحيح، وما سواه فقد أظرحه العلماء سوى أبواب من العلم كالفضائل وغيرها فقد تساهل فيها بعضهم.

٤ - لأصحاب المصنفات الحديثية جهود كبيرة وإضافات عديدة

تتعلق بهذا العلم من خلال الشرح والتبويب والاستدلال والاستنباط يحسن العناية بها والاستفادة منها، وفي مقدمتها الكتب الستة.

٥ - أن جيء جبريل عليه السلام بالوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم له أحوال كثيرة وصور عديدة توافق خلقتة التي خلقت عليها وقدرته التي أعطاها، إلا أن نزوله بالقرآن كانت على هيئته الملائكية في أحوال الله أعلم بها، ومن ذلك مجيئه على صورته التي خلق عليها أو قريب منها كما في قصة نزول أوائل سورة العلق.

٦ - أن أحاديث نزول القرآن المتعددة ودلالاتها المتنوعة كلها تؤكد أن القرآن منزل من عند الله تعالى نزل به الروح الأمين وليس بمخلوق.

٧ - لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرٌ لسبب نزول آية أو سورة، إنما أسباب النزول كلها من رواية الصحابة أو من بعدهم من كبار التابعين، ولكن حصل من النبي صلى الله عليه وسلم أقوال وأفعال كانت سبباً لنزول آية أو آيات من كتاب الله تعالى.

٨ - لم يرد نص عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان أماكن نزول القرآن سوى حديث واحد بإسناد ضعيف ضعفه العلماء، ولكن يُستدل في علم المكي والمدني بما رآه الصحابة وشاهدوه من مواقع نزول القرآن، أو من خلال القرائن والشواهد التي اشتملت عليها بعض الأحاديث النبوية.

٩ - ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم تسميات عدة لبعض سور القرآن وآياته، إلا أنه لم يرد عنه تسمية جميع السور والآيات، ولكنه عليه الصلاة والسلام اختط منهاجاً في ذلك سار عليه الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم.

١٠ - أن النبي صلى الله عليه وسلم بين للصحابة رضي الله عنهم ما يحتاجون إليه من فهم معاني القرآن وما يشكل عليهم في المراد منه، وما سوى ذلك فإنهم يعرفون معناه؛ لأنهم تلقوا أصول الفهم من النبي صلى الله عليه وسلم.

١١ - للنبي صلى الله عليه وسلم منهج في تفسير أي القرآن الكريم وبيان معانيها،

يحسن العناية به واتباع سبيله، في تفسير آي القرآن الكريم.

١٢ - الأصل في دلالة الألفاظ العمل بعموم اللفظ حتى يثبت تخصيصه، وبخصوص المخصوص حين يثبت تخصيصه.

١٣ - المطلق والمقيد لم يردا في السُّنة النبوية بالمعنى الاصطلاحي المعروف، إنما ذُكر لهما تطبيقات من كلام السلف على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

١٤ - أن ما يقع من إشكال في فهم الآيات ليس راجع إلى ذات الآية وما تضمنته من الهداية والدلالات، ولكن مردّه إلى فهم القارئ والدّارس لمعنى الآية.

١٥ - لم أقف على تعريف علمي دقيق لعلم (مفردات القرآن) يوضّح مصطلحه ويدل على معناه، حيث اكتفى من تكلم عن هذا العلم بسياق أمثلة فحسب، ومن خلال تطبيقاتهم وأمثلةهم اجتهدت في صياغة تعريف استخلصته من رجم النصوص.

١٦ - لتلاوة القرآن الكريم آداب وأحكام قبل التلاوة وأثناءها وبعدها، يجب تطبيقها، ويحسن استحضارها عند تلاوة القرآن الكريم.

١٧ - مجموع فضائل السور والآيات يمكن أن تجمع في أربع مضامين وهي:

- أ - بالنظر إلى ما اشتملت عليه من المعاني.
- ب - بالنظر إلى ما يترتب على قراءتها من الأجر والثواب.
- ج - بالنظر إلى ما يترتب عليها من أثر حسي أو معنوي.
- د - بالنظر إلى ما ورد من تلاوتها في أزمان محددة، إما وجوبًا أو استحبابًا.

١٨ - خصائص القرآن الواردة في السُّنة النبوية يمكن أن تُلَمَّ في عناوين رئيسة تجمع متفرقاتها وتنظمها، وهي:



- أ - خصائص تتعلق بالأثر الدنيوي والانتفاع به .
- ب - خصائص تتعلق بالأجر الأخروي وعظيم الثواب عليه .
- ج - خصائص تتعلق بتلاوة القرآن وتعاهده .
- د - خصائص تتعلق بحفظ القرآن والمحافظة عليه .
- هـ - خواص القرآن .
- هذه أبرز النتائج، ولن يُعدم القارئ والمطالع لهذا السفر المبارك - إن شاء الله - الوقوف على نتائج أخرى يطول ذكرها ويصعب حصرها في هذا المقام؛ إذ النتائج أمر نسبي كلُّ بحسبه، ولكن حسبي أني ذكرت أبرزها .
- وفي الختام أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ينفع بهذا الجهد كاتبه وقارئه وبيارك فيه ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي كل خطأ أو سهو أو تقصير .
- وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



## فَهْرَسُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

- ١ - الإبانة عن معاني القراءات، مكّي بن أبي طالب، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، ط٣ (المكتبة الفيصلية).
- ٢ - إبراز المعاني من حرز الأمانى فى القراءات السبع، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، تحقيق: إبراهيم عطوة، (مصر: دار النشر: مكتبة مصطفى البابى الحلبي).
- ٣ - أبو داود حياته وسننه، محمد الصباغ، ط٢، (بيروت: المكتب الإسلامى، ١٤٠٥هـ).
- ٤ - إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا، ط١ (بيروت: دار الكتب، ١٤٠٧هـ).
- ٥ - الإئقان فى علوم القرآن، جلال الدين السيوطى، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٦هـ).
- ٦ - اجتماع الجيوش الإسلامىة على غزو المعطلة والجهمية، محمد بن بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: الناشر، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمىة، ١٤٠٤هـ).
- ٧ - الأحاد والمثانى، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيبانى، تحقيق: باسم الجوابرة، ط١ (الرياض: دار الراية، ١٤١١هـ).
- ٨ - الأحاديث المرفوعة الواردة فى تفسير القرآن الكريم، خالد بن عبد العزيز الباتلى، رسالة دكتوراه، إشراف: إبراهيم الصبيحى، قسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامىة، ١٤٢٧هـ.
- ٩ - الأحاديث المشكله الواردة فى تفسير القرآن الكريم، أحمد القصير، ط١ (الدمام: دار ابن الجوزى، ١٤٣٠هـ).
- ١٠ - الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، حسن ضياء الدين عتر، ط١ (بيروت: دار البشائر، ١٤٠٩هـ).

- ١١ - الأحرف القرآنية السبعة، عبد الرحمن المطرودي، ط١ (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١١هـ).
- ١٢ - الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم، عبد العزيز الحجيلان، ط٢ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ).
- ١٣ - أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الفكر).
- ١٤ - أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، ط٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ).
- ١٥ - الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: لجنة بإشراف الناشر، ط٢ (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٣هـ).
- ١٦ - الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الأمدي، تحقيق: سيد الجميلي، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ).
- ١٧ - إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، (بيروت: دار المعرفة).
- ١٨ - اختصار الألى في شرح اختصام الملأ الأعلى، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: حسين الجمل، ط١ (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ).
- ١٩ - آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، إدريس حامد، ط١، مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية.
- ٢٠ - إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري، ط١ (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ).
- ٢١ - أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، عماد الدين محمد الرشيد، ط١ (دمشق: دار الشهاب، ١٤٢٠هـ).
- ٢٢ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ).
- ٢٣ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق: عادل الرفاعي، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ).
- ٢٤ - أسماء القرآن الكريم في القرآن، د. خمساوي أحمد الخمساوي، دار التحرير للطبع والنشر.
- ٢٥ - أسماء القرآن في القرآن، محمد جميل غازي، (القاهرة: المطبعة المدنية، ١٩٧٥م).

- ٢٦ - أسماء القرآن وأوصافه في القرآن الكريم، عمر بن عبد العزيز الدهيشي، ط ١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ).
- ٢٧ - أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة ناصر الدوسري، ط ١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ).
- ٢٨ - الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١ (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ).
- ٢٩ - الأصول من علم الأصول، محمد الصالح العثيمين، ط ١ (صنعاء: مكتبة صنعاء الأثرية، ١٤٢٢هـ).
- ٣٠ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ط ١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ).
- ٣١ - الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أحمد الخراط، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ).
- ٣٢ - أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، حمد الخطابي، تحقيق: الأمير محمد بن سعود آل سعود، ط ١ (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ).
- ٣٣ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور آل سليمان، ط ١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ).
- ٣٤ - الاقتباس أنواعه وأحكامه، عبد المحسن العسكر، ط ١ (الرياض: دار المنهاج، ١٤٢٥هـ).
- ٣٥ - إقرأ القرآن الكريم، دخيل الدخيل، ط ١ (جدة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ١٤٢٩هـ).
- ٣٦ - الإقناع في القراءات، أحمد بن علي الأنصاري (ابن الباذش)، تحقيق: أحمد فريد، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
- ٣٧ - الإكليل في استنباط التنزيل، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عامر العرابي، ط ١ (جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٢هـ).
- ٣٨ - إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط ١ (مصر: دار الوفاء، ١٤١٩هـ).
- ٣٩ - أمالي المحاملي، الحسين بن إسماعيل المحاملي، تحقيق: حمدي السلفي، ط ١ (سوريا: دار النوادر، ١٤٢٧هـ).
- ٤٠ - الإمام أبو داود وكتابه السنن، عبد الله البراك، ١٤١٤هـ.
- ٤١ - الإمام البخاري فقيه المحدثين ومحدث الفقهاء، نزار الحمداني، (مكة المكرمة: مطبوعات جامعة أم القرى، ١٤١٢هـ).

- ٤٢ - الإمام البخاري وجامعه، علي جمعة، (مصر: الهيئة العامة للكتاب).
- ٤٣ - الإمام البخاري وصحيحه، عبد الغني عبد الخالق، ط ١ (جدة: دار المنارة، ١٤٠٥هـ).
- ٤٤ - الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين، نور الدين عتر، ط ١ (لجنة التأليف والترجمة والنشر).
- ٤٥ - الإمام الترمذي ومنهجه في كتابه الجامع، عذاب الحمش، ط ١ (الأردن: دار الفتح، ١٤٢٣هـ).
- ٤٦ - الإمام مسلم حافظاً ومحدثاً ومدوناً، مجموعة بحوث، ط ١ (بيروت: التقريب، ١٤٢٢هـ).
- ٤٧ - الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه وتسهيل مقدمته، محمد أنور البدخشاني، ط ١ (كراتشي: بيت العلم، ١٤٢٠هـ).
- ٤٨ - أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، عبد الرحمن بن حبنكة الميداني، ط ٢ (دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ).
- ٤٩ - الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله الجربوع، ط ١ (مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة، ١٤٢٤هـ).
- ٥٠ - الأمثال في القرآن الكريم، محمد الفياض، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٤هـ).
- ٥١ - الأمثال في القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: إبراهيم محمد، ط ١ (مصر: مكتبة الصحابة ١٤٠٦هـ).
- ٥٢ - أبناء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، أحمد بن علي بن حجر، مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ط ٢ (بيروت: الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ).
- ٥٣ - الانتصار، محمد الطيب الباقلاني، تحقيق: محمد عصام القضاة، ط ١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ).
- ٥٤ - الأنساب، عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني، تحقيق: أكرم البوشي، ط ١ (بيروت: دار محمد أمين دبح، ١٤٠٤هـ).
- ٥٥ - الآيات الملقبات في القرآن الكريم، عبد الله بن عبد الرحمن الشثري، ١٤٣١هـ.
- ٥٦ - إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ﷻ، كمال الدين ابن الأنباري، تحقيق: محيي الدين رمضان (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٩٠هـ).
- ٥٧ - الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، مكي بن أبي طالب، تحقيق: أحمد فرحات، ط ١ (جدة: دار المنار، ١٤٠٦هـ).

- ٥٨ - البحر الزخار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط١ (المدينة المنورة: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٩هـ).
- ٥٩ - البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد تامر، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).
- ٦٠ - بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر الدمشقي (ابن قيم الجوزية)، تحقيق: علي العمران، ط٢ (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٧هـ).
- ٦١ - البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، ط١ (مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ١٤١٧هـ).
- ٦٢ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، (بيروت: دار المعرفة).
- ٦٣ - البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، عمر بن علي بن أحمد المعروف بابن الملحق، تحقيق: مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال، ط١ (الرياض: دار الهجرة، ١٤٢٥هـ).
- ٦٤ - البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، ط١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٨هـ).
- ٦٥ - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: د. يوسف المرعشلي، جمال الذهبي، إبراهيم الكردي، ط٢ (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٥هـ).
- ٦٦ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، (بيروت: المكتبة العلمية).
- ٦٧ - بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الحارث بن أبي أسامة الحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق: حسين أحمد البكري، ط١ (المدينة المنورة: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ١٤١٣هـ).
- ٦٨ - بغية الراغب المتمني في ختم سنن النسائي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد العزيز العيد، ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ).
- ٦٩ - البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، ط١ (الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٧هـ).
- ٧٠ - البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد الأموي الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط١ (الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ١٤١٤هـ).
- ٧١ - البيان في علوم القرآن، د. سليمان القرعاوي، ود. محمد الحسن، ط٢ (الأحساء: مكتبة الظلال، ١٤١٥هـ).
- ٧٢ - البيان في مباحث من علوم القرآن، عبد الوهاب الغزلان، (القاهرة: دار التأليف).

- ٧٣ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية.
- ٧٤ - تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عطا، ط ٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ).
- ٧٥ - تاريخ التشريع الإسلامي، محمد الخصري بك، ط ٨ (الرياض: مطبعة الاستقامة، ١٣٨٧هـ).
- ٧٦ - تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- ٧٧ - تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عطا، ط ١٧ (بيروت، دار الكتب العلمية).
- ٧٨ - تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، علي بن الحسن ابن هبة الله، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م).
- ٧٩ - تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ).
- ٨٠ - التبيان في آداب حملة القرآن، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد الحجار، ط ٣ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٤هـ).
- ٨١ - التبيان في أقسام القرآن، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، (بيروت: دار الفكر).
- ٨٢ - التبيان في نزول القرآن، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الحميد شانوحة، ط ١ (جدة: دار المطبوعات الحديثة، ١٤٠٧هـ).
- ٨٣ - التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإنقان، طاهر الجزائري، اعتناء: عبد الفتاح أبو غدة، ط ٣، (بيروت، دار البشائر، ١٤١٢هـ).
- ٨٤ - التحديد في الإنقان والتجويد، عثمان الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط ١ (عمان: دار عمان، ١٤٢١هـ).
- ٨٥ - التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (تونس: دار سحنون).
- ٨٦ - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- ٨٧ - تحقيق اسمي الصحيحين واسم الجامع الترمذي، عبد الفتاح أبو غدة، ط ١ (مكتب المطبوعات الإسلامية).
- ٨٨ - تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق: عبد الله السعد، ط ١ (الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤١٤هـ).

- ٨٩ - التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاري، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).
- ٩٠ - التذكار في أفضل الأذكار، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: تشير عيون، ط ٣ (الرياض: مكتبة المؤيد، ١٤٠٧هـ).
- ٩١ - تذكرة الحفاظ، محمد الذهبي، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية).
- ٩٢ - التعريفات، علي محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ).
- ٩٣ - تفسير ابن رجب، جمعه: طارق بن عوض الله، ط ١ (الرياض: دار العاصمة، ١٤٢٢هـ).
- ٩٤ - تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس بن غنيم، ط ١ (الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ).
- ٩٥ - تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط ١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ).
- ٩٦ - تفسير القرآن الحكيم، المسمى «تفسير المنار»، محمد رشيد رضا، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م).
- ٩٧ - تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ط ٢ (الرياض: دار طيبة، ١٤٢٢هـ).
- ٩٨ - تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط ١ (الرياض: مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ).
- ٩٩ - تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة)، محمد بن صالح العثيمين، ط ١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ).
- ١٠٠ - تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)، محمد بن صالح العثيمين، ط ١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ).
- ١٠١ - تفسير القرآن الكريم (سورة يس)، محمد بن صالح العثيمين، ط ١ (الرياض: دار الثريا، ١٤٢٥هـ).
- ١٠٢ - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).
- ١٠٣ - التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد الطيار، ط ٢ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ).
- ١٠٤ - تفسير النسائي، أحمد بن شعيب، تحقيق: سعيد الجليمي، ط ١ (القاهرة: مكتبة السنة، ١٤١٠هـ).



- ١٠٥ - تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل مرشد، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ).
- ١٠٦ - التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح، عبد الرحيم بن الحسين الحافظ العراقي، تحقيق: أسامة خياط، ط١ (بيروت: دار البشائر، ١٤٢٥هـ).
- ١٠٧ - تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر.
- ١٠٨ - التلخيص شرح الجامع الصحيح، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: نظر الفاريايبي، ط١ (الرياض: دار طيبة، ١٤٢٩هـ).
- ١٠٩ - تلقي النبي ﷺ لألفاظ القرآن، عبد السلام مقبل المجيدي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).
- ١١٠ - تمام المنة في التعليق على فقه السنّة، محمد ناصر الدين الألباني، ط٤ (الرياض: دار الراية، ١٤١٧هـ).
- ١١١ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ).
- ١١٢ - تهذيب الأسماء واللغات، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عادل مرشد، عامر غزيان، ط١ (سوريا: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ).
- ١١٣ - تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).
- ١١٤ - تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي أبو الحجاج المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ).
- ١١٥ - تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: أحمد البردوني، الدار المصرية.
- ١١٦ - تهذيب وترتيب الإقتان في علوم القرآن، محمد بازمول، ط١ (الدمام: دار الهجرة، ١٤١٢هـ).
- ١١٧ - التوشيح شرح الجامع الصحيح، جلال الدين السيوطي، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ط١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ).
- ١١٨ - التوضيح لشرح الجامع الصحيح، عمر بن علي المعروف بابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح، ط١ (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٩هـ).
- ١١٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

- ١٢٠ - التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: اوتو تريزل، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ).
- ١٢١ - الثقات، محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شرف الدين أحمد، ط١ (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٥هـ).
- ١٢٢ - جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق: محمد البقاي وبشير العيون، ط٢ (مكة: المكتبة التجارية، ١٤٠٣هـ).
- ١٢٣ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، ط١ (القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ).
- ١٢٤ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، عبد الرحمن بن شهاب الشهير بابن رجب، تحقيق: ماهر الفحل، (مؤسسة الأميرة العنود بنت عبد العزيز بن مساعد بن جلوي).
- ١٢٥ - جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر، تحقيق: فواز زمرلي، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ).
- ١٢٦ - الجامع في الحديث، عبد الله بن وهب، تحقيق: مصطفى أبو الخير، ط١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٦هـ).
- ١٢٧ - الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ).
- ١٢٨ - الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد العلي حامد، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٩هـ).
- ١٢٩ - الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي التميمي، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٢٧١هـ).
- ١٣٠ - جزء فيه قراءات النبي ﷺ، حفص بن عمر الدوري، تحقيق: بشير حكمت ياسين، ط١ (المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٨هـ).
- ١٣١ - جلاء الأفهام، محمد بن أبي بكر، تحقيق: زائد النشيري، ط٢، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٧هـ).
- ١٣٢ - جمال القراء، وكمال الإقراء، علي بن محمد السخاوي، تحقيق: عبد الكريم الزبيدي، ط١ (بيروت: دار البلاغة، ١٤١٣هـ).
- ١٣٣ - جمع القرآن في مراحل التاريخ من العصر النبوي إلى العصر الحديث، محمد شرعي أبو زيد، بحث ماجستير بجامعة الكويت، ١٤١٩هـ.

- ١٣٤ - الجمع بين رجال الصحيحين، محمد طاهر المقدسي (ابن القيسراني)، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).
- ١٣٥ - الجواب الواضح المستقيم في كيفية نزول القرآن الكريم، محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ط ١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ).
- ١٣٦ - جواهر القرآن، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد رشيد القباني، ط ١ (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٥هـ).
- ١٣٧ - حاشية العطار على جمع الجوامع، حسن العطار، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ).
- ١٣٨ - حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، محمد بن عبد الهادي السندي، اعتنى به: نور الدين طالب، ط ١ (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٨هـ).
- ١٣٩ - الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
- ١٤٠ - الحجّة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني، ط ١ (دار المأمون للتراث، ١٤١١هـ).
- ١٤١ - حجبة السنّة، عبد الغني عبد الخالق، ط ٢ (أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٣هـ).
- ١٤٢ - حديث الأحرف السبعة، عبد العزيز القارئ، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ).
- ١٤٣ - الحطة في ذكر الصحاح الستة، صديق حسن خان، تحقيق: علي الحلبي، ط ١ (الأردن: دار عمان، ١٤٠٨).
- ١٤٤ - حكم الطهارة لمس المصحف، عمر السبيل، ط ١ (الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٤هـ).
- ١٤٥ - ختم جامع الترمذي، عبد الله سالم البصري، تحقيق: العربي الدائر القرياطي، ط ١ (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٣هـ).
- ١٤٦ - خصائص القرآن الكريم، د فهد الرومي، ط ٧، (الرياض: دار طيبة، ١٤١١هـ).
- ١٤٧ - خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن محمد السمهودي، تحقيق: محمد الأمين الجكني، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ١٤٨ - خواص القرآن، تركي الهويمل، ط ١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٣٠هـ).
- ١٤٩ - دراسات في علوم الأحكام والنسخ، محمد حمزة.
- ١٥٠ - الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ط ١ (بيروت: دار الفكر، ١٤١٣هـ).

- ١٥١ - دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد الرومي، ط١١، ١٤٢٣هـ.
- ١٥٢ - الدراية في تخريج أحاديث الهداية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني، ط١ (بيروت: دار المعرفة).
- ١٥٣ - دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، ط١ (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٣٨٩هـ).
- ١٥٤ - الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، ط١ (الخبز: دار ابن عفان، ١٤١٦هـ).
- ١٥٥ - ذيل طبقات الحفاظ [للذهبي]، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- ١٥٦ - رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني، تحقيق: عبد الله اللبشي، ط١ (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ).
- ١٥٧ - الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: محمد نبيل غنيم، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤٠٨هـ).
- ١٥٨ - رسالة أبي داود إلى أهل مكة، سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، ط٤ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٧هـ).
- ١٥٩ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ط٤ (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- ١٦٠ - الروض الداني «المعجم الصغير»، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور، ط١ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).
- ١٦١ - روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: عبد الكريم النملة، ط٥ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٧هـ).
- ١٦٢ - زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ).
- ١٦٣ - زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ).
- ١٦٤ - الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن أحمد بن عقيلة المكي، مجموعة رسائل علمية، ط١ (الشارقة: مركز البحوث والدراسات، ١٤٢٧هـ).
- ١٦٥ - سبيل الاستنباط من الكتاب والسنة، محمد توفيق، (مصر: مطبعة الأمانة، ١٤١٣هـ).

- ١٦٦ - السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢ (مصر: دار المعارف، ١٤٠٠هـ).
- ١٦٧ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد يوسف الصالحي وعادل عبد الموجود وعلي مرشد، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ).
- ١٦٨ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، (الرياض: دار المعارف، ١٤١٥هـ).
- ١٦٩ - السنَّة النبوية وحجيتها، إبراهيم الكندي، (القاهرة: دار البيان، ١٤١٦هـ).
- ١٧٠ - سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الله القزويني، إشراف ومتابعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤٢٠هـ).
- ١٧١ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، إشراف ومتابعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤٢٠هـ).
- ١٧٢ - سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عطا، ط١ (مكة المكرمة: دار الباز، ١٤١٤هـ).
- ١٧٣ - سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، إشراف ومتابعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤٢٠هـ).
- ١٧٤ - سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسن شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ).
- ١٧٥ - السنن الصغرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط١ (المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤١٠هـ).
- ١٧٦ - السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).
- ١٧٧ - سنن النسائي، أحمد بن علي النسائي، إشراف: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤٢٠هـ).
- ١٧٨ - سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور الخراساني، تحقيق: سعد الحميد، ط١ (الرياض: دار الصميعة، ١٤١٤هـ).
- ١٧٩ - سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).
- ١٨٠ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، ط١ (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ).

- ١٨١ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ).
- ١٨٢ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة والإجماع، هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: نشأت كمال المصري، (الإسكندرية: دار البصيرة).
- ١٨٣ - شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط ٢ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).
- ١٨٤ - شرح السيوطي لسنن النسائي، السيوطي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢ (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ).
- ١٨٥ - شرح الكوكب المنير، محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، (الرياض: مكتبة العيكان، ١٤١٨هـ).
- ١٨٦ - شرح تراجم أبواب صحيح البخاري، أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، ط ٤ (بيروت: دار الحديث، ١٤٠٧).
- ١٨٧ - شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي السندي، (بيروت: دار الجيل).
- ١٨٨ - شرح صحيح البخاري، علي خلف ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، ط ١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ).
- ١٨٩ - شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن هشام الأنصاري، ط ٤ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢١هـ).
- ١٩٠ - شرح مشكل الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ).
- ١٩١ - شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ).
- ١٩٢ - شروط الأئمة الخمسة، أبو العقيل بن طاهر، تحقيق: طارق السعود، ط ٢ (بيروت: دار الهجرة، ١٤٠٨هـ).
- ١٩٣ - شروط الأئمة الستة، الحافظ الحازمي، تحقيق: طارق السعود، ط ٢ (بيروت: دار الهجرة، ١٤٠٨هـ).
- ١٩٤ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان أبو حاتم البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ).
- ١٩٥ - صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ).

- ١٩٦ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، اهتمام: عبد المالك مجاهد، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤١٧هـ).
- ١٩٧ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط١ (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٤٠٠هـ).
- ١٩٨ - صحيح البخاري بشرح الكرمانى، محمد بن يوسف البغدادي، ط٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ).
- ١٩٩ - صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (الرياض: دار المعارف، ١٤١٧هـ).
- ٢٠٠ - صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (الرياض: دار المعارف، ١٤١٩هـ).
- ٢٠١ - صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (الرياض: دار المعارف، ١٤١٩هـ).
- ٢٠٢ - صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (الرياض: دار المعارف، ١٤١٩هـ).
- ٢٠٣ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اهتمام: عبد المالك مجاهد، ط٢ (الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ).
- ٢٠٤ - صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- ٢٠٥ - صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعه جي، ط٢ (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ).
- ٢٠٦ - صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري، محمد قلعه جي، ط٢ (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ).
- ٢٠٧ - صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، ط٢ (بيروت: دار الغرب، ١٤٠٨هـ).
- ٢٠٨ - ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (الرياض: دار المعارف، ١٤٢١هـ).
- ٢٠٩ - ضعيف سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (الرياض: دار المعارف، ١٤١٧هـ).
- ٢١٠ - ضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (الرياض: دار المعارف، ١٤١٩هـ).

- ٢١١ - ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (الرياض: دار المعارف، ١٤٢١هـ).
- ٢١٢ - ضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (الرياض: دار المعارف، ١٤١٩هـ).
- ٢١٣ - طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد ابن قاضي شعبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ).
- ٢١٤ - الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ).
- ٢١٥ - طبقات المدلسين، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: عاصم القريوتي، ط١ (عمان: مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ).
- ٢١٦ - طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الداودي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١ (الرياض: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ).
- ٢١٧ - طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط١ (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ).
- ٢١٨ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم، تحقيق: نايف الحمد، ط١ (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٨هـ).
- ٢١٩ - عالم الملائكة الأبرار، د. عمر سليمان الأشقر، ط٧ (عمان: دار النفائس، ١٤١٥هـ).
- ٢٢٠ - العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ط٣ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
- ٢٢١ - العقد المنظوم في الفرق بين الخصوص والعموم، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد علوي (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ).
- ٢٢٢ - العقيدة الواسطية، ابن تيمية، تحقيق: محمد ابن مانع، ط٢، (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، ١٤١٢هـ).
- ٢٢٣ - علل الترمذي الكبير، محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: محمود خليل وصبحي السامرائي، ط١ (القاهرة: المكتبة الإسلامية، ١٤٢٨هـ).
- ٢٢٤ - العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: خليل الميس، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).
- ٢٢٥ - العلل الواردة في الأحاديث النبوية، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: محفوظ الرحمن السلفي، ط٢ (الرياض: دار طيبة، ١٤٢٤هـ).



- ٢٢٦ - العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، ط١ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ).
- ٢٢٧ - علوم القرآن بين البرهان والإنقان، حازم حيدر، ط٢ (المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان، ١٤٢٧هـ).
- ٢٢٨ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- ٢٢٩ - عمل اليوم والليل، أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: فاروق حمادة، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ).
- ٢٣٠ - عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، محمد شمس الحق العظيم آبادي، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- ٢٣١ - العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامري، (الجمهورية العراقية، دائرة الشؤون الثقافية والنسر).
- ٢٣٢ - غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود الكرمانى، تحقيق: شمران العجلي، ط١ (بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٨هـ).
- ٢٣٣ - غريب الحديث، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد المعطي القلعجي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).
- ٢٣٤ - غريب الحديث، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: عبد الكريم يعقوب، (مطبوعات أم القرى ١٤٠٢هـ).
- ٢٣٥ - غيث النفع في القراءات السبع، علي بن سالم النوري الصفاقسي، دراسة وتحقيق: سالم بن غرم الله الزهراني، (رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، إشراف: شعبان بن محمد إسماعيل، ١٤٢٦هـ).
- ٢٣٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤١٨هـ).
- ٢٣٧ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط٣ (مصر: دار المنصورة، ١٤٢٦هـ).
- ٢٣٨ - فتح المغيب بشرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد الكريم الخضير ومحمد آل فهيد، ط١ (الرياض: دار المنهاج، ١٤٢٦هـ).
- ٢٣٩ - الفصل للوصول المدرج في النقل، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، تحقيق: محمد مطر الزهراني، ط١ (الرياض: دار الهجرة، ١٤١٨هـ).

- ٢٤٠ - فضائل القرآن، جعفر بن محمد المستغفري، تحقيق: أحمد السلوم، ط ١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٧هـ).
- ٢٤١ - فضائل القرآن الكريم مجموعة مع التفسير، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ط ٣ (الرياض: دار طيبة، ١٤٢٨هـ).
- ٢٤٢ - الفقيه والمتفقه، تأليف: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط ٢ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ).
- ٢٤٣ - فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، ط ١ (بيروت: دار البشائر، ١٤٠٨هـ).
- ٢٤٤ - الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ).
- ٢٤٥ - فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، ط ٢ (بيروت: دار الكندي، ١٣٩٨هـ).
- ٢٤٦ - الفيض السمائي على سنن النسائي، محمد زكريا الكاندهلوي، تحقيق: محمد عاقل (الهند: المكتبة الجليلة).
- ٢٤٧ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ط ١ (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ).
- ٢٤٨ - القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث بالمؤسسة، ط ٦ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ).
- ٢٤٩ - قانون التأويل، محمد بن عبد الله بن العربي المالكي، تحقيق: محمد السليمان، ط ١ (بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٦هـ).
- ٢٥٠ - القرآن المبين وكيف نزل به الروح الأمين، محمد بحيري إبراهيم، ط ٣ (مصر: دار الطباعة المحمدية، ١٤١٤هـ).
- ٢٥١ - قواعد التفسير، خالد السبت، ط ١ (مصر: دار عفان، ١٤٢٦هـ).
- ٢٥٢ - القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، ط ٤ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ).
- ٢٥٣ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، ط ١ (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٣هـ).
- ٢٥٤ - كتاب المصاحف، ابن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد عبده، ط ٢ (القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٤هـ).

- ٢٥٥ - كتاب رسول الله ﷺ لعمر بن حزم، دراسة: حمد بن إبراهيم العثمان، ط١ (الكويت: مكتبة الإمام الذهبي، ١٤١٢هـ).
- ٢٥٦ - الكشف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود الزمخشري، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، ط١ (الرياض: دار العبيكان، ١٤١٨هـ).
- ٢٥٧ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ).
- ٢٥٨ - كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ).
- ٢٥٩ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط٥ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ).
- ٢٦٠ - الكلبيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ).
- ٢٦١ - الكوكب الدرري على جامع الترمذي، محمد يحيى الكاندهلوي، تحقيق: محمد زكريا (الهند: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية).
- ٢٦٢ - كيف يجب علينا أن نفسر القرآن الكريم، محمد ناصر الدين الألباني، ط١ (الأردن: المكتبة الإسلامية، ١٤٢١هـ).
- ٢٦٣ - اللؤلؤ والمرجان في معنى ما نزل على سبعة أحرف من القرآن، علي آل عقيل، ط١ (دار الكتاب والسنة، ١٤٢٤هـ).
- ٢٦٤ - اللباب في تهذيب الأنساب، عز الدين ابن الأثير الجزري، (بيروت: دار صادر).
- ٢٦٥ - لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (مصر: دار الحديث، ١٤٢٣هـ).
- ٢٦٦ - لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند - ط٣ (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٦هـ).
- ٢٦٧ - لطائف الإشارات، عبد الكريم القسطلاني، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٧٠هـ).
- ٢٦٨ - لمحات الأنوار ونفحات الأزهار لمعرفة ما ورد في ثواب قارئ القرآن، محمد عبد الواحد الغافقي، تحقيق: رفعت عبد المطلب، ط١ (بيروت: دار البشائر، ١٤١٨هـ).

- ٢٦٩ - مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ط ١٦ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥م).
- ٢٧٠ - مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط ٣، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ).
- ٢٧١ - متشابه القرآن، إبراهيم الخولي، ط ١ (مصر: دار البصائر، ١٤٢٥هـ).
- ٢٧٢ - متشابه القرآن، عدنان زرزور، ط ١ (دمشق: دار الفتح، ١٣٨٩هـ).
- ٢٧٣ - المتشابه، حسين نصار، ط ١ (مصر: مكتبة الخانجي، ١٤٢٤هـ).
- ٢٧٤ - المتواري على تراجم أبواب البخاري، أحمد بن محمد الإسكندراني، تحقيق: صلاح الدين مقبول، ط ١ (الكويت: مكتبة العلا، ١٤٠٧هـ).
- ٢٧٥ - المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط ١ (حلب: دار الوعي، ١٣٩٦هـ).
- ٢٧٦ - مجلة معهد الشاطبي للدراسات القرآنية (الصادرة عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، العدد السادس، ١٤٣٠هـ).
- ٢٧٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
- ٢٧٨ - مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤١٦هـ.
- ٢٧٩ - المجموع شرح المذهب، محيي الدين شرف النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، (الرياض: دار علام الكتب، ١٤٢٣هـ).
- ٢٨٠ - مجموعة من البحوث العلمية المطروحة في الندوة العلمية بعنوان: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه، ط ١، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٤هـ).
- ٢٨١ - محاسن الاصطلاح، ابن الصلاح البلقيني، تحقيق: بنت الشاطي (١٩٧٤م).
- ٢٨٢ - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، عثمان بن جني، تحقيق: محمد عطا، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
- ٢٨٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، ط ٢ (قطر: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٨هـ).
- ٢٨٤ - المحرر في أسباب النزول، خالد بن سليمان المزيني، ط ١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ).

- ٢٨٥ - المحرر في علوم القرآن، مساعد سليمان الطيار، ط١ (جدة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ١٤٢٧هـ).
- ٢٨٦ - المحكم والمتشابه في القرآن العظيم، د. عبد الرحمن المطرودي، ط١.
- ٢٨٧ - المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).
- ٢٨٨ - محكم ومتشابه القرآن، غازي عناية، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٤هـ).
- ٢٨٩ - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تصحيح: محمد حلاق، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٩هـ).
- ٢٩٠ - مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البجلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢ (الدمام: دار ابن القيم، ١٤٠٦هـ).
- ٢٩١ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر (ابن القيم)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ).
- ٢٩٢ - مدخل إلى علوم القرآن والتفسير، فاروق حمادة، ط١ (الرباط: مكتبة المعارف، ١٣٩٩هـ).
- ٢٩٣ - المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو شهبه، ط١ (القاهرة: مكتبة السنة، ١٤١٢هـ).
- ٢٩٤ - مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، إشراف: بكر أبو زيد، ط١ (الرياض: دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ).
- ٢٩٥ - المراسيل، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: شكر الله قوجاني، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ).
- ٢٩٦ - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، حققه: د. طيار آتي قولاج، ط٢ (تركيا: دار وقف الديانة التركي، ١٤٠٦هـ).
- ٢٩٧ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).
- ٢٩٨ - مرويات دعاء ختم القرآن، بقلم: بكر أبو زيد، ط٣ (الرياض: دار الصمعي، ١٤١٦هـ).
- ٢٩٩ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد منصور، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

- ٣٠٠ - المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله الحاکم، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، ط ١ (بیروت: دار الکتب العلمیة، ١٤١١هـ).
- ٣٠١ - المستصفی فی علم الأصول، محمد بن محمد الغزالی أبو حامد، تحقیق: محمد بن سلیمان الأشقر، ط ١ (بیروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ).
- ٣٠٢ - مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود الطيالسي، تحقیق: محمد عبد المحسن التركي، ط ١ (مصر: دار هجر، ١٤٢٠هـ).
- ٣٠٣ - مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقیق: حسين سليم أسد، ط ١ (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ).
- ٣٠٤ - مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، إشراف: عبد الله التركي، ط ٢ (بیروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٩هـ).
- ٣٠٥ - مسند الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقیق: حسين سليم أسد، ط ١ (بیروت: دار ابن حزم، ١٤٢١هـ).
- ٣٠٦ - مشارق الأنوار علی صحاح الآثار، عیاض بن موسی بن عیاض الیحصبي، (حلب: المكتبة العتيقة ودار التراث).
- ٣٠٧ - مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقیق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٣ (بیروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).
- ٣٠٨ - مشكل القرآن الكريم، عبد الله المنصور، ط ١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ).
- ٣٠٩ - مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكتاني، تحقیق: محمد المتقي الكشناوي، ط ٢ (بیروت: دار العربية، ١٤٠٣هـ).
- ٣١٠ - المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، اعتناء: يوسف الشيخ محمد، ط ٢ (بیروت: المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ).
- ٣١١ - المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقیق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢ (بیروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).
- ٣١٢ - المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه، تحقیق: محمد عوامة، ط ١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ).
- ٣١٣ - المطالب العالیة بزوائد المسانید الثمانیة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بإشراف: سعد الشثري، ط ١ (الرياض: دار العاصمة ودار الغيث، ١٤١٩هـ).
- ٣١٤ - معالم السنن شرح سنن أبي داود، سلیمان بن حمد الخطابي، ط ١ (بیروت: دار الکتب العلمیة، ١٤١١هـ).

- ٣١٥ - معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري (الزجاج)، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ط١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ).
- ٣١٦ - معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي البجاوي، (بيروت: دار الفكر العربي).
- ٣١٧ - المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم، (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ).
- ٣١٨ - معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م).
- ٣١٩ - معجم الشيوخ، محمد بن أحمد بن جميع الصيدواوي، تحقيق: عمر تدمري، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ).
- ٣٢٠ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، ط٢ (الموصل: مكتبة الزهراء، ١٤٠٤هـ).
- ٣٢١ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد المطلوب، ط١ (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٧هـ).
- ٣٢٢ - معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، إبراهيم الدوسري، ط١ (الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ).
- ٣٢٣ - معرفة السنن والآثار، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: سيد كسروي حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- ٣٢٤ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ).
- ٣٢٥ - معرفة علوم الحديث، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: السيد معظم حسين، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٧هـ).
- ٣٢٦ - مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط٣ (المدينة المنورة: مطبوعات الجامعة الإسلامية، ١٣٩٩هـ).
- ٣٢٧ - مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان، ط٣ (دمشق: دار القلم، ١٤٢٣هـ).
- ٣٢٨ - مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، مساعد الطيار، ط١ (الرياض: دار المحدث، ١٤٢٥هـ).
- ٣٢٩ - مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ).

- ٣٣٠ - مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، اعتنى به: محمد عوض و فاطمة أصلان، ط ١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ).
- ٣٣١ - المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله الجديع، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الريان، ١٤٢٤هـ).
- ٣٣٢ - مقدمة الجامع الكبير للترمذي، بشار عواد، ط ٢ (بيروت: دار الغرب، ١٩٩٨م).
- ٣٣٣ - المكي والمدني في القرآن الكريم، عبد الرزاق حسين، ط ١ (القاهرة: دار ابن عفان، ١٤٢٠هـ).
- ٣٣٤ - المكي والمدني في القرآن الكريم، محمد الشايح، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٣٣٥ - مناهج المحدثين، سعد الحميد، تحقيق: ماهر آل مبارك، ط ١ (الرياض: دار علوم السنة، ١٤٢٠هـ).
- ٣٣٦ - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقاني، خرج أحاديثه: أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ).
- ٣٣٧ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، ط ١ (بيروت: دار صادر، ١٣٥٨هـ).
- ٣٣٨ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد ابن الجزري، تحقيق: علي العمران، ط ١ (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤١٩هـ).
- ٣٣٩ - المنهاج في الحكم على القراءات، إبراهيم الدوسري، ط ١ (الرياض: دار الحضارة، ١٤٢٤هـ).
- ٣٤٠ - المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى شرف النووي، تحقيق: مجموعة من أساتذة بإشراف علي أبو الخير، ط ٣ (بيروت: دار الخير، ١٤١٦هـ).
- ٣٤١ - منهج الاستنباط من القرآن الكريم، فهد الوهبي، ط ١ (جدة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ١٤٢٨هـ).
- ٣٤٢ - منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه الصحيح، رسالة ماجستير، سيد أحمد الإمام، إشراف: محمد الناجي (جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ).
- ٣٤٣ - الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، تحقيق: عبد الله دراز، (بيروت: دار المعرفة).
- ٣٤٤ - الموسوعة القرآنية المتخصصة، إشراف وتقديم: أ. د. محمود حمدي زقزوق، (القاهرة: وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ١٤٢٣هـ).
- ٣٤٥ - الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي الشيرازي، تحقيق: عمر الكبيسي، ط ١ (جدة: جماعة تحفيظ القرآن، ١٤١٤هـ).



- ٣٤٦ - الموطأ، مالك بن أنس، رواية: أبي مصعب الزهري، تحقيق: بشار عواد ومحمود خليل، ط ٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ).
- ٣٤٧ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م).
- ٣٤٨ - الناسخ والمنسوخ في القرآن، ابن العربي، تحقيق: عبد الكبير المدغري، ط ١ (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٨هـ).
- ٣٤٩ - الناسخ والمنسوخ، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس، تحقيق: محمد عبد السلام، ط ١ (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٨هـ).
- ٣٥٠ - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ).
- ٣٥١ - نزول القرآن الكريم، د. محمد الشايع.
- ٣٥٢ - نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع القطان، ط ١ (مصر: مكتبة وهبة، ١٤١١هـ).
- ٣٥٣ - النسخ في القرآن الكريم، عبد الرحمن المطرودي، ١٤٢٠هـ، مطبوعات جامعة الملك سعود.
- ٣٥٤ - النسخ في القرآن، مصطفى زيد، ط ٣ (القاهرة: دار الوفاء، ١٤٠٨هـ).
- ٣٥٥ - النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تحقيق: زكريا عميرات، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).
- ٣٥٦ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم البقاعي، ط ٢ (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ).
- ٣٥٧ - نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ).
- ٣٥٨ - نقض أساس التقديس، شيخ الإسلام ابن تيمية، مخطوط.
- ٣٥٩ - النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: ربيع المدخلي، ط ٢ (عجمان: مكتبة الفرقان، ١٤٢٤هـ).
- ٣٦٠ - النكت على مقدمة ابن الصلاح، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال بن بهادر، تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج، ط ١ (الرياض: أضواء السلف، ١٤١٩هـ).
- ٣٦١ - النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد ابن الأثير، خرج أحاديث وعلق عليه: صلاح بن محمد بن عويضة، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

- ٣٦٢ - نواسخ القرآن، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).
- ٣٦٣ - هدي الساري مقدمة فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ط ١ (الرياض: دار السلام، ١٤١٨هـ).
- ٣٦٤ - الهدى والبيان في أسماء القرآن، صالح البليهي، ط ٣ (الرياض: دار المسلم، ١٤١٨هـ).
- ٣٦٥ - الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ).
- ٣٦٦ - الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى الزحيلي، ط ٢ (قطر: مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ١٤٢٧هـ).
- ٣٦٧ - وحي الله حقائق وخصائص في الكتاب والسنة، حسن ضياء الدين عتر (مكة: مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ).
- ٣٦٨ - الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ط ١٠ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).
- ٣٦٩ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة).
- ٣٧٠ - الوفيات، أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، تحقيق: عادل نويهض، ط ٢ (بيروت: دار الإقامة الجديدة، ١٩٧٨م).



## فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
التمهيد	١٩
<b>الفصل الأول</b>	
مناهج الأئمة في عرض علوم القرآن	
المبحث الأول: منهج الإمام البخاري	٤٩
المبحث الثاني: منهج الإمام مسلم	٥٣
المبحث الثالث: منهج الإمام أبي داود	٧٩
المبحث الرابع: منهج الإمام الترمذي	٩٧
المبحث الخامس: منهج الإمام النسائي	١١١
المبحث السادس: منهج الإمام ابن ماجه	١٢٥
المبحث السابع: جهود شراح الكتب الستة في علوم القرآن	١٣٧
١٤٥	
<b>الفصل الثاني</b>	
علوم القرآن المتعلقة بنزول الوحي	
المبحث الأول: الوحي	١٥١
المبحث الثاني: نزول القرآن	١٥٥
المبحث الثالث: أسباب النزول	١٨٩
المبحث الرابع: نزول القرآن على سبعة أحرف	٢١٣
المبحث الخامس: المكي والمدني	٢٣٣
٢٥٥	
<b>الفصل الثالث</b>	
علوم القرآن المتعلقة بضبط القرآن	
المبحث الأول: جمع القرآن	٢٦٧
٢٧١	

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: سور القرآن	٣١٣
المبحث الثالث: آيات القرآن	٣٣٥
المبحث الرابع: أسماء القرآن وأوصافه	٣٥١
<b>الفصل الرابع</b>	
التفسير	
المبحث الأول: التفسير النبوي	٣٧١
المبحث الثاني: بيان السنة النبوية للقرآن	٣٧٧
المبحث الثالث: غريب القرآن	٤١٣
المبحث الرابع: تعضيد السنة بالقرآن	٤٢٧
٤٣٧	
<b>الفصل الخامس</b>	
علوم القرآن المتعلقة بدلالة الألفاظ	
المبحث الأول: المحكم والمتشابه	٤٤٥
المبحث الثاني: النسخ	٤٤٩
المبحث الثالث: العام والخاص	٤٦٣
المبحث الرابع: المطلق والمقيد	٤٧٥
٤٨٥	
<b>الفصل السادس</b>	
علوم القرآن المتعلقة بالمعاني	
المبحث الأول: الاستنباط من القرآن	٤٩١
المبحث الثاني: مُشكَل القرآن	٤٩٥
المبحث الثالث: موهم التعارض والاختلاف	٥٠٨
المبحث الرابع: أمثال القرآن	٥١٦
المبحث الخامس: مفردات القرآن	٥٢٣
٥٣٢	
<b>الفصل السابع</b>	
علوم القرآن المتعلقة بقراءة القرآن وخصائصه	
المبحث الأول: القراءات القرآنية	٥٣٧
المبحث الثاني: تلاوة القرآن	٥٤١
المبحث الثالث: تجويد القرآن	٥٥٩
المبحث الرابع: فضائل القرآن	٥٨٥
٥٩١	

الصفحة	الموضوع
٦١٣	المبحث الخامس: خصائص القرآن
٦٢٢	الخاتمة
٦٢٦	فهرس المصادر والمراجع
٦٥١	فهرس الموضوعات

\* \* \*